تفسير
جزء عمّ

يوسف بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن السيف

الألوكة
www.alukah.net
00201156800204

www.alukah.net

تفسير جزء عم

يوسف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن السيف

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مقدمة

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ خَلْقِ اللهِ أَجْمَعِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ مِنْ أَشْرَفِ الطَّاعَاتِ إِلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا سِيَمَا مَعَ الْإِخْلَاصِ وَحُسْنِ النِّيَّةِ، وَالتَّوْفِيقِ إِلَى تَعَلُّمِهِ وَتَعْلِيمِهِ، وَلَا يَخْفَى عَلَى مَنْ لَهُ بَصِيرَةٌ بِالْعِلْمِ أَنَّ عِلْمَ التَّفْسِيرِ أَحَدُ الْعُلُومِ الْأَصِيلَةِ الَّتِي لَا يُخْتَلَفُ فِي عِظَمِ مَنْزِلَتِهِ وَعُلُوِّ مَكَانَتِهِ؛ لِتَعَلُّقِهِ بِكِتَابِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهُوَ كَلَامُ اللهِ الْمُنَزَّلُ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا خَلْفَهُ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ.

وَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أَقُومَ بِجُهْدٍ مُتَوَاضِعٍ فِي هَذَا الْبَابِ وَهُوَ تَفْسِيرُ الْجُزْءِ الثَّلَاثِينَ، الْمُسَمَّى بِجُزْءِ (عَمَّ)، بِاعْتِبَارِهِ أَحَدَ أَكْثَرِ الْأَجْزَاءِ سَمَاعًا وَقِرَاءَةً فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا.

وَكِتَابِي هَذَا هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ جَمْعٌ لِمَا تَنَاثَرَ مِنْ أَقْوَالِ الْمُفَسِّرِينَ مِنْ عُلَمَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمُ الْيَدُ الْأُولَى فِي بَيَانِ مَعَانِيهِ وَمُفْرَدَاتِهِ، وَتَوْضِيحِ مُتَشَابِهِهِ، وَتَفْسِيرِ مُحْكَمِهِ، مُرَاعِيًا فِي ذَلِكَ اخْتِيَارَ أَفْضَلِ الْعِبَارَاتِ وَأَجْزَلِهَا، وَتَحْقِيقَ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي مَسَائِلِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، مَعَ اسْتِنْبَاطِ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْفَوَائِدِ وَالدَّلَالَاتِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَأَصْلُ هَذَا الْكِتَابِ دُرُوسٌ كُنْتُ قَدْ أَلْقَيْتُهَا فِي مَسْجِدِي، ثُمَّ شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ لَهَا النُّورُ، وَيُعَادَ ضَبْطُهَا وَمُرَاجَعَتُهَا وَتَرْتِيبُ مَادَّتِهَا، وَقَدْ أَسْمَيْتُ كِتَابِي هَذَا وَوَسَمْتُهُ بِـ (.........).

رَاجِيًا مِنَ اللهِ الْقَبُولَ وَالرِّضَا، وَأَنْ يَجْعَلَ أَعْمَالَنَا كُلَّهَا صَالِحَةً خَالِصَةً لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

الْمَنْهَجُ الْمُتَّبَعُ فِي تَأْلِيفِ الْكِتَابِ:

وَيَتَبَيَّنُ مَنْهَجِي فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ خِلَالِ النِّقَاطِ التَّالِيَةِ:

١. ذَكَرْتُ أَسْمَاءَ السُّوَرِ.
٢. بَيَّنْتُ الْمَقَاصِدَ الْعَامَّةَ الرَّئِيسَةَ لِكُلِّ سُورَةٍ.
٣. ذَكَرْتُ أَسْبَابَ نُزُولِ السُّورَةِ أَوِ الْآيَةِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى ذَلِكَ.
٤. حَرَصْتُ عَلَى بَيَانِ فَضَائِلِ السُّوَرِ وَمَا وَرَدَ فِيهَا مِنْ أَحَادِيثَ صَحِيحَةٍ.
٥. سَلَكْتُ فِي التَّفْسِيرِ مَنْهَجَ الِاخْتِصَارِ بِبَيَانِ مَعَانِي الْآيَاتِ وَتَوْضِيحِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ.
٦. ذَكَرْتُ أَقْوَالَ الْمُفَسِّرِينَ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ مَعَ تَوْثِيقِهَا وَعَزْوِهَا إِلَى مَصَادِرِهَا.
٧. ذَكَرْتُ الْفَوَائِدَ وَالدُّرَرَ الْمُسْتَنْبَطَةَ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ.
٨. قُمْتُ بِتَخْرِيجِ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ الْوَارِدَةِ فِي التَّفْسِيرِ، بِذِكْرِ مَنْ أَخْرَجَهُ وَرَقْمِ الْحَدِيثِ.
٩. ذَكَرْتُ الْمَسَائِلَ الْفِقْهِيَّةَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِالْآيَةِ الْمُفَسَّرَةِ بِاخْتِصَارٍ.

سُورَةُ النَّبَإِ

سُورَةُ (النَّبَإِ): سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا بِإِجْمَاعِ الْمُفَسِّرِينَ، وَهِيَ أَرْبَعُونَ آيَةً[١].

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمَائِهَا: سُورَةُ (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ)، وَسُورَةُ (النَّبَأِ)، وَسُورَةُ (عَمَّ)، وَسُورَةُ (التَّسَاؤُلِ)، وَسُورَةُ (الْمُعْصِرَاتِ)[٢].

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

يُمْكِنُ إِجْمَالُ مَقَاصِدِ سُورَةِ (النَّبَأِ) فِي الْأُمُورِ التَّالِيَةِ[٣]:

- ✓ ذِكْرُ الْقِيَامَةِ وَبَعْضِ أَحْوَالِهَا.
- ✓ كَيْفِيَّةُ النَّشْرِ وَالْبَعْثِ.
- ✓ ذِكْرُ عَذَابِ الْعَاصِينَ، وَثَوَابِ الْمُطِيعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.
- ✓ حَالُ الْكُفَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ①﴾، أَيْ: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ يَسْأَلُ هَؤُلَاءِ الْجَاحِدُونَ الْمُكَذِّبُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا[٤].

قَوْلُهُ: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ②﴾، وَهُوَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُشْتَمِلِ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[٥].

قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ③﴾، أَيْ: مُنْقَسِمُونَ؛ فَبَعْضُهُمْ يَجْحَدُهُ وَآخَرُ يَرْتَابُ فِيهِ[٦].

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٤٢٣).

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (ص١٩٦)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٥).

(٣) ينظر: بصائر ذوي التمييز (١/ ٤٩٧)، مصاعد النظر (٣/ ١٥١).

(٤) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ١٦٩-١٧٠)، تفسير السعدي (ص٩٠٦).

(٥) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٤١١)، فتح القدير (٥/ ٤٣٨).

(٦) ينظر: تفسير القاسمي (٩/ ٣٨٨).

قَوْلُهُ: ﴿كَلَّا﴾: كلمة رَدْعٌ وَزَجْرٌ، ﴿سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾، أَيْ: سيعلمون مَا يَحِلُّ بِهِمْ عَلَى إِنْكَارِهِمْ لَهُ(١)، وَهَذَا تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُخْتَلِفِينَ فِيهِ هُمُ الكُفَّارُ فَقَطْ(٢).

قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴿٥﴾﴾، أَعَادَ الْجُمْلَةَ وَالتَّهْدِيدَ لِلْمُبَالَغَةِ فِي التَّأْكِيدِ، والتَّشْدِيدِ فِي الْوَعِيدِ(٣).

ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى بَعْضَ مَظَاهِرِ قُدْرَتِهِ وَإِنْعَامِهِ عَلَى خَلْقِهِ وَعِنَايَتِهِ بِمَصَالِحِهِمْ؛ فقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾﴾... إلى قوله سبحانه: ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾، وقد ذكر الله تعالى هذه النعم لِلاسْتِدْلَالِ بِذَلِكَ عَلَى أَمْرَيْنِ:

الأمر الْأَوَّلُ: اِسْتِحْقَاقُهُ وَحْدَهُ لِعِبَادَتِهِم.

الأمر الثَّانِي: قُدْرَتُهُ عَلَى بَعْثِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ.

قَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾﴾، المهاد: الوطاء والفراش، أَيْ: جعلها مُمَهَّدَةً لَكُمْ كَالْفِرَاشِ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴿٢٢﴾﴾ [سورة البقرة:٢٢](٤)، وكما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴿٤٨﴾﴾ [سورة الذاريات:٤٨]، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴿١٥﴾﴾ [سورة الملك:١٥].

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴿٧﴾﴾، الأوتاد: جمع وتد، وَالْوَتَدُ: عُودٌ غَلِيظٌ، أَسْفَلُهُ أَدَقُّ مِنْ أَعْلَاهُ يُدَقُّ فِي الْأَرْضِ لِتُشَدَّ بِهِ أَطْنَابُ الْخَيْمَةِ، والمعنى: وجعلنا الجبال أوتادًا تُثَبِّتُ الأَرْضَ حَتَّى لَا تَضْطَرِبَ وَتَمِيدَ كَمَا تُثَبِّتُ الْأَوْتَادُ الْخِيَامَ(٥)، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴿٣١﴾﴾ [سورة الأنبياء:٣١]،

---

(١) ينظر: السراج المنير للشربيني (٤/ ٤٦٩).

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ٩٢).

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود (٩/ ٨٦)، فتح القدير (٥/ ٤٣٩).

(٤) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٣١)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٠٢).

(٥) ينظر: تفسير الجلالين (ص٧٨٧)، فتح القدير (٥/ ٤٣٩)، تفسير السعدي (ص٩٠٦)، التحرير والتنوير (٣٠/ ١٤).

وكما في قَوْلِهِ سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [سورة الرعد:٣].

قَوْلُهُ: ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾﴾، أَيْ: أَصْنافًا؛ ذُكُورًا وَإِناثًا[١]؛ لِيَحْصُلَ الزَّوَاجُ، ويَسْكُنَ كُلٌّ مِنْهُمَ إِلَى الْآخرِ، وَتَكُونَ بينكما الْمَوَدَّةُ وَالرَّحمَةُ[٢]، كَمَا قَالَ اللهُ تعالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الروم:٢١][٣].

قَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾﴾، السُّبَاتُ: بِمَعْنَى: السَّبْتِ، وهو: الْقَطْعِ والسكون، أَيْ: وجَعَلْنَا نومكُمْ لكم قَطْعًا لِعَمَلِ الْجَسَدِ تهدؤون وتسكنون به؛ لأنه لا بد للبدن منه[٤]، وهذا كَمَا قَالَ اللهُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الفرقان:٤٧][٥].

قَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾﴾، أَيْ: وجَعلْنَا اللَّيْلَ سَاتِرًا لَكُمْ بِظَلَامِهِ كَمَا يَسْتُرُكُمُ اللِّبَاسُ؛ كَمَا قَالَ اللهُ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾﴾ [سورة الليل:١]، وكما قَالَ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾﴾ [سورة الشمس:٤][٦].

قَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾، أَيْ: تُحَصِّلُونَ فِيهِ ما يَقُومُ بِهِ مَعَاشُكُمْ، وَمَا قَسَمَهُ اللهُ لَكُمْ مِنَ الرِّزْقِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الفرقان:٤٧]، أَيْ: يَنْتَشِرُ النَّاسُ فِيهِ لِمَعَايِشِهِمْ وَمَكَاسِبِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ[٧].

قَوْلُهُ: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾، أَيْ: سَبعَ سَماوَاتٍ[١]؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣١٢).
(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص٩٠٦).
(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٠٢).
(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٥١)، التحرير والتنوير (٣٠/ ١٨).
(٥) ينظر: أضواء البيان (٨/ ٤٠٩).
(٦) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٠٣)، تفسير الجلالين (ص/٤ ٤١٢).
(٧) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٩)، تفسير الزمخشري (٤/ ٦٨٥).

أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [سورة الطلاق:١٢]. ﴿شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾، أَيْ: قَوِيَّةَ الْخَلْقِ، مُحْكَمَةَ الْبِنَاءِ، لَا يُؤَثِّرُ فِيهَا مُرُورُ الدُّهُورِ(٢)، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾ [سورة ق:٦]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾ [سورة الملك:٣].

قَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾، أَيْ: الشَّمْسَ الْمُنِيرَةَ. ﴿وَهَّاجًا ﴿١٣﴾﴾، أَيْ: وَقَّادًا مُضِيئًا(٣)؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ [سورة يونس:٥].

قَوْلُهُ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾، أَيْ: مِنَ السُّحُبِ الْمُمْطِرَةِ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة الروم:٤٨](٤). ﴿مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾، أَيْ: مُنْصَبًّا بِكَثْرَةٍ وَغَزَارَةٍ(٥).

قَوْلُهُ: ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ﴾، أَيْ: لنخرج بهذا الْمَاءِ. ﴿حَبًّا﴾، أي: مِمَّا يَقْتَاتُ بِهِ النَّاسُ كَالبُرِّ وَالشَّعِيرِ(٦)، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾[سورة يس:٣٣]. ﴿وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾﴾، وَهُوَ الْكَلَأُ مِنَ الْحَشِيشِ والزُّرُوعِ مِمَّا تَأْكُلُهُ الْأَنْعَامُ(٧).

وَقد جاءت الإشارة إِلَى هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة طه:٥٤](٨).

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣١٢).
(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ١٧٢)، تفسير النسفي (٣/ ٥٩٠)، تفسير الجلالين (ص٧٨٧).
(٣) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣١٢)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٠٣).
(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٠٣).
(٥) ينظر: تفسير النسفي (٣/ ٥٩٠).
(٦) ينظر: تفسير أبي السعود (٩/ ٨٨)، فتح القدير (٥/ ٤٤٠).
(٧) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٦).
(٨) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ١١).

قَوْلُهُ: ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ١٦﴾، أَيْ: بَسَاتِينَ وَحَدَائِقَ مُلْتَفَّةً مُجْتَمِعَةً[1]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنۡ أَعۡنَٰبٍ وَزَرۡعٌ وَنَخِيلٌ صِنۡوَانٌ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٍ يُسۡقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٍ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ ٤﴾ [سورة الرعد:٤][2].

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتًا ١٧﴾، أي: يوم الفصل بَيْنَ الْخَلَائِقِ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ؛ كَانَ وَقْتًا وَمِيعَادًا مُحَدَّدًا لِلْفَصْلِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ، وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ[3].

قَوْلُهُ: ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجًا ١٨﴾، أَيْ: يوم ينفخ فِيْ الْقَرْنِ الَّذِي يَنْفُخُ فِيهِ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِيذَانًا بِالبَعْثِ؛ فتأتون مِنْ قُبُورِكُمْ إِلَى أَرْضِ الْمَحْشَرِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ؛ أفواجًا: جَمَاعَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ٥١﴾ [سورة يس:٥١][4]، وَهَذِهِ هِيَ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ[5]، وَالنَّفْخَةُ الْأُولَى نَفْخَةُ الْفَزَعِ وَالصَّعْقِ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ [سورة الزمر:٦٨][6]، وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ»[7]، وَقَدْ سُئِلَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَعْنَى الْأَرْبَعِينَ فَأَبَى أَنْ يُحَدِّدَ، هَلْ هِيَ أَرْبَعُونَ سَنَةً، أَوْ أَرْبَعُونَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعُونَ يَوْمًا.

---

(١) ينظر: تفسير النسفي (٣/ ٥٩٠).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٠٤).

(٣) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٤٢٥)، تفسير الرازي (٣١/ ١٢)، تفسير القرطبي (١٩/ ١٧٥)، فتح القدير (٥/ ٤٤١).

(٤) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ١٧٥)، أضواء البيان (٨/ ٤٠٩).

(٥) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٤/ ١٧٨)، تفسير العثيمين (ص٢٩).

(٦) ينظر: تفسير البغوي (٧/ ١٣١)

(٧) أخرجه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥).

قَوْلُهُ: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴿١٩﴾﴾، أَيْ: شُقِّقَتْ لِنُزُولِ الْمَلائِكَةِ؛ فكانت ذاتَ أَبْوَابٍ كَثِيرَةٍ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴿٢٥﴾﴾ [سورة الفرقان: ٢٥][(١)].

وَهَذَا الْفَتْحُ هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴿١﴾﴾ [سورة الانشقاق: ١]، وَقَوْلِهِ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴿١﴾﴾ [سورة الانفطار: ١]، إِذِ الْفَتْحُ وَالتَّشَقُّقُ وَالتَّفَطُّرُ أَلْفَاظٌ مُتَقَارِبَةٌ[(٢)].

قَوْلُهُ: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾، أَيْ: ذُهِبَ بِهَا عَنْ أَمَاكِنِهَا؛ حتى يَظُنَّ مَنْ يَراها مِنْ بُعْدٍ مَاءً، وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ هَباءٌ[(٣)]؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [سورة النمل: ٨٨].

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾، أَيْ: مُعَدَّةً ومجهزة لَهُمْ، يُقَالُ: أَرْصَدْتُ لَهُ الشَّيْءَ: إِذَا أَعْدَدْتُهُ لَهُ[(٤)].

قوله: ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾﴾، أَيْ: مَرْجِعًا وَمَأْوًى[(٥)]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة النازعات: ٣٧-٣٩][(٦)].

قَوْلُهُ: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾، أَيْ: مَاكِثِينَ فِي جَهَنَّمَ دُهُورًا مُتَتَابِعَةً لَا تَنْقَطِعُ، كُلَّمَا مَضَى حِقْبٌ جَاءَ بَعْدَهُ حِقْبٌ آخَرُ[(٧)].

قَوْلُهُ: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾﴾، أَي: يُبْرِدُ جُلُودَهُمْ مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-، ولا يذوقون شرابًا طَيِّبًا يَتَلَذَّذُونَ بِهِ، وَيَدْفَعُ ظَمَأَهُمْ[(٨)].

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ١٧٦).
(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٥/ ٢٧٣).
(٣) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ١٤)، تفسير القرطبي (١٩/ ١٧٦)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٠٥)، تفسير الجلالين (ص: ٧٨٧).
(٤) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣١٤).
(٥) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٨٠).
(٦) ينظر: تفسير القاسمي (٩/ ٣٩١).
(٧) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٥)، تفسير الألوسي (١٥/ ٢١٤).
(٨) ينظر: تفسير السعدي (ص٩٠٦).

قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥﴾، أَيْ: لَكِنْ يَذُوقُونَ مَاءً حَارًّا يَشْوِي الْوُجوهَ مِنْ شِدَّةِ حَرَارَتِهِ(١)، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ۝٢٩﴾ [سورة الكهف:٢٩]. ﴿وَغَسَّاقًا﴾، وَهُوَ مَا يَسِيلُ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ(٢)، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝١٥ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ۝١٧﴾ [سورة إبراهيم:١٥-١٧](٣).

قَوْلُهُ: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦﴾، أي: وَإِنَّمَا اسْتَحَقُّوا هَذِهِ الْعُقُوبَاتِ الْفَظِيعَةَ: جزاءً عَادِلًا مُوَافِقًا لِمَا ارْتَكَبُوهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا، وَالَّتِي مِنْ أَعْظَمِهَا الْكُفْرُ بِاللهِ وَإِنْكَارُ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ(٤).

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧﴾، أَيْ: لَا يَخافُونَ وَلَا يَتَوَقَّعُونَ حسابًا يَوْمَ الْقِيامَةِ؛ لِإِنْكَارِهِمُ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ(٥).

قَوْلُهُ: ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ۝٢٨﴾، أَيْ: كذبوا بِالْقُرْآنِ تَكْذِيبًا(٦) وَاضِحًا صَرِيحًا.

قَوْلُهُ: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ۝٢٩﴾، أَيْ: مِنَ الْأَعْمَالِ ضَبَطْنَاهُ كَتْبًا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ لِنُجازِيَ عَلَيْهِ(٧)، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾ [سورة الإسراء:١٤].

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٩٠٦).
(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٠٧)، تفسير الجلالين (ص٧٨٧).
(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٨).
(٤) ينظر: تفسير ابن جزي (٢/ ٤٤٦)، تفسير الجلالين (ص٧٨٧)، تفسير القاسمي (٩/ ٣٩٢).
(٥) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣١٥).
(٦) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣١٥).
(٧) ينظر: تفسير الجلالين (ص٧٨٨).

قَوْلُهُ: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾، أَيْ: فَيُقَالُ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ وُقُوعِ الْعَذَابِ: ذُوقُواْ جَزَاءَكُمْ[1] فلن نزيدكم إلا عذابًا، وَهَذِهِ الْآيَةُ مِنْ أَشَدِّ الْآيَاتِ عَلَى أَهْلِ النَّارِ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-[2].

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١﴾، أي: إن للمتقين الَّذِينَ امْتَثَلُوا أَوَامِرَ اللهِ تَعَالَى وَاجْتَنَبُوا نَوَاهِيَهُ، مَكَانًا يَفُوزُونَ بِهِ، وَهُوَ الجَنَّةُ[3].

قَوْلُهُ: ﴿حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبًا ۝٣٢﴾، هنا بَيَّنَ الْمَفَازَ الذِيْ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿حَدَآئِقَ﴾[4]، وَهِيَ البَسَاتِينُ العَظِيمَةُ وَالْمُتَنَوِّعَةُ مِنَ النَّخِيلِ وَغَيْرِهَا. ﴿وَأَعۡنَٰبًا﴾: جَمْعُ عِنَبٍ، وَيُطْلَقُ عَلَى شَجَرَةِ الْكَرْمِ وَعَلَى ثَمَرِهَا[5].

قَوْلُهُ: ﴿وَكَوَاعِبَ﴾، أَيْ: نِسَاءً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، ثُدُيُّهُنَّ نَوَاهِدُ لَمْ يَتَدَلَّيْنَ؛ لِأَنَّهُنَّ أَبْكَارٌ. ﴿أَتۡرَابًا ۝٣٣﴾، أَيْ: فِي سِنٍّ وَاحِدَةٍ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتۡرَابًا ۝٣٧ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ۝٣٨﴾ [سورة الواقعة:٣٥-٣٨][6].

قَوْلُهُ: ﴿وَكَأۡسًا دِهَاقًا ۝٣٤﴾، أَيْ: مَمْلُوءَةً خَمْرًا صَافِيًا[7].

قَوْلُهُ: ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا وَلَا كِذَّٰبًا ۝٣٥﴾، أَيْ: لا يسمعون فِي الْجَنَّةِ ﴿لَغۡوًا﴾ وهو الكَلَامِ البَاطِلِ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا وَلَا تَأۡثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ۝٢٦﴾ [سورة الواقعة:٢٥-٢٦][8]، ﴿وَلَا كِذَّٰبًا﴾ أَيْ: ولا يُكَذِّبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا[9].

---

(١) ينظر: تفسير الجلالين (ص٧٨٨).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٣٦)، تفسير السعدي (ص٩٠٦).

(٣) ينظر: تفسير النسفي (٣/ ٥٩٢)، تفسير الجلالين (ص٧٨٨).

(٤) (حدائق) بدل من (مفازًا) منصوب. ينظر: فتح القدير للشوكاني (٥/ ٤٤٥).

(٥) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ١٨٣)، المفردات في غريب القرآن (ص٥٨٩).

(٦) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٠٨).

(٧) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣١٦)، السراج المنير للشربيني (٤/ ٤٧٣).

(٨) ينظر: تفسير السعدي (ص٩٠٧).

(٩) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣١٦).

قَوْلُهُ: ﴿جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ٣٦﴾، أَيْ: جزاء لِأَهْلِ الْجَنَّةِ كَثِيرًا وَافِيًا؛ بِسَبَبِ تَقْوَاهُمْ، تَقُولُ الْعَرَبُ: أَعْطَانِي فَأَحْسَبَنِي، أَيْ: أَكْثَرَ عَلَيَّ حَتى قُلْتُ: حَسْبِي[1].

قَوْلُهُ: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ﴾[2]، أَيْ: الَّذِي وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦﴾ [سورة الأعراف:١٥٦].

وَلَعَلَّ فِي ذِكْرِ هَذَا الِاسْمِ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى تَعْرِيضًا بِالْمُشْرِكِينَ، إِذْ أَنْكَرُوا اسْمَ الرَّحْمَنِ الْوَارِدِ فِي الْقُرْآنِ،كَمَا ذَكَرَ اللهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا ٦٠﴾ [سورة الفرقان:٦٠][3].

قَوْلُهُ: ﴿لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ٣٧﴾، أَيْ: لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ من الخلق أَنْ يُخَاطِبَهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَى إِلَّا بِإِذْنِهِ؛ خَوْفًا مِنْهُ وَإِجْلَالًا له؛ كَمَا قَالَ اللهُ تعالَى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ١٠٥﴾ [سورة هود:١٠٥][4].

قَوْلُهُ: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾، أَيْ: جِبْرِيلُ عَلَى الْأَظْهَرِ مِنْ أَقْوَالِ الْمُفَسِّرِينَ[5]؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ قَدْ وَصَفَهُ بِذَلِكَ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ؛ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤﴾[سورة القدر:٤]. ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ[6]﴾، (صَفًّا) حال، أَيْ: مُصْطَفِّينَ

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٠٩).

(٢) بِالجَرِّ والرَّفْع في كليهما، أَيْ: (رب) و(الرحمن). ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٥)، معاني القرآن للزجاج (٥/ ٢٧٥).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٩).

(٤) ينظر: تفسير الواحدي (ص١١٦٧)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٠٩).

(٥) ينظر في أقوال المفسرين: زاد المسير (٤/ ٣٩١-٣٩٢)، تفسير القرطبي (١٩/ ١٨٦).

قال ابن كثير في تفسيره (٨/ ٣١٠): "وتوقف ابن جرير فلم يقطع بواحد من هذه الأقوال كلها، والأشبه -والله أعلم- أنهم بنو آدم".

(٦) صفًا: حال. ينظر: تفسير النسفي (٣/ ٥٩٣).

خَاضِعِينَ[1]. ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾، أَيْ: الْخَلْقُ فِي مَوْقِفِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ إِجْلالًا لِرَبِّهِمْ وَخُضُوعًا لَهُ[2]. ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ فِي الْكَلامِ، ﴿وَقَالَ صَوَابًا ۝٣٨﴾، أي: وقال قَوْلًا حَقًّا وَسَدَادًا[3].

قَوْلُهُ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ۝٣٩﴾، أي: ذلك اليوم الَّذِي لَا رَيْبَ فِي وُقُوعِهِ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ. ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾، أَيْ: مَرْجِعًا يَرْجِعُ إِلَيْهِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ[4]؛ لِيَسْلَمَ مِنَ الْعَذَابِ[5]؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٢٩﴾ [سورة الإنسان:٢٩].

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾، أي: أنذرناكم أَيُّهَا النَّاسُ الْعَذَابَ فِي الْآخِرَةِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ قَرِيبُ الْوُقُوعِ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ، وَيَجِدُ الْإِنْسَانُ مَا قَدَّمَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ[6].

قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ۝٤٠﴾، أي: يوم ينظر الإنسان عمله؛ خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٣٠﴾ [سورة آل عمران:٣٠][7]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [سورة الزلزلة:٧-٨]، وَهَذَا فِيهِ أَنَّ الْعَبْدَ يُجْزَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِعَمَلِهِ هُوَ، لَا بِعَمَلِ غَيْرِهِ. ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾، أَيْ: ويقول الكافر إِذَا شَاهَدَ مَا أَعَدَّهُ اللهُ تَعَالَى لَهُ مِنَ الْعَذَابِ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرابًا فِي الدُّنْيَا، فَلَمْ أُخْلَقْ وَلَمْ أُكَلَّفْ، أَوْ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرابًا فِي هَذَا الْيَوْمِ، فَلَمْ أُبْعَثْ[8].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٩٠٧).
(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ١٨٨)، فتح القدير (٥/ ٤٤٧).
(٣) ينظر: فتح القدير (٥/ ٤٤٧).
(٤) ينظر: تفسير النسفي (٣/ ٥٩٣).
(٥) ينظر: تفسير الجلالين (ص٧٨٨).
(٦) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣١٨)، تفسير البيضاوي (٥/ ٢٨١).
(٧) ينظر: أضواء البيان (٨/ ٤١٤) و(٩/ ٥٩).
(٨) ينظر: تفسير الزمخشري (٤/ ٦٩٢)، تفسير البيضاوي (٥/ ٢٨١).

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

الإشارة إلى عظمة شأن الْمَسْؤول عنْهُ في أول السورة:

فِي قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ١﴾، وهو: مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التَّوْحِيد وَالنُّبُوَّةِ وَالْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وغيره؛ وَذَلِكَ بِسَبَبِ إِبْهَامِ أَمْرِهْ، وَتَوْجِيهِ أَذْهَانِ السَّامِعِينَ نَحْوَهُ، وَتَنزِيلِهِمْ مَنْزِلَةَ الْمُسْتَفْهِمِينَ، وَإِيرَادِهِ عَلَى طَرِيقَةِ الاسْتِفْهَامِ مِنَ اللهِ، وَهَذَا كُلُّهُ يَسْتَدْعِي أَنْ يُعْتَنَى بِمَعْرِفَتِهِ وَيُسْأَلَ عَنْهُ(١).

بيان الاخْتِلَاف بين أهل الْبَاطل:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ٣﴾: بَيَّنَ الله أَنَّ الْمُخَالِفِينَ لِلرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ مختلِفُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَلَيْسُوا عَلَى قَلْبٍ وَاحِدٍ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ١٧٦﴾ [سورة البقرة:١٧٦]؛ فَمَنْ خَالَفُوا الْحَقَّ تجِدُهُمْ فِرَقًا وَشِيَعًا وَأَحْزَابًا؛ لِأَنَّ الْحَقَّ وَاحِدٌ لَا يَتَعَدَّدُ، أَمَّا الْبَاطِلُ فَشُعَبٌ وَظُلُمَاتٌ، وَاللهُ تَعَالَى دَائِمًا يُوَحِّدُ الْحَقَّ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [سورة الأنعام:١٥٣].

جوازُ اسْتِعْمَالِ أُسلوبِ التَّهْدِيدِ فِي الْوعْظِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ٥﴾: دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ اسْتِعْمَالِ أُسْلُوبِ التَّهْدِيدِ فِي الْمَوَاعِظِ وَغَيْرِهَا.

اسْتِعْمَالُ أُسْلُوبِ التَّكْرَارِ لِلتَّهْدِيد:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ٥﴾: تَكْرَارٌ فِي التَّهْدِيدِ، وَالعَرَبُ مَتَى تَهَمَّمَتْ بِشَيْءٍ أَرَادَتْهُ لِتَحَقُّقِهِ وَقُرْبِ وُقُوعِهِ، أَوْ قَصَدَتِ الدُّعَاءَ عَلَيْهِ؛ كَرَّرَتْهُ تَوْكِيدًا، وَالْقُرْآنُ إِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ٢٠﴾ [سورة المدثر:١٩-٢٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ٣٥﴾ [سورة القيامة:٣٤-٣٥]، وَمِنْهُ:

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود (٩/ ٨٤).

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧﴾ [سورة التكاثر:٦-٧]، وَالإِنْسَانُ مَجْبُولٌ مِنَ الطَّبَائِعِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَكُلُّهَا دَاعِيَةٌ إِلَى الشَّهَوَاتِ، وَلَا يَقْمَعُ ذَلِكَ إِلَّا تَكْرَارُ الْمَوَاعِظِ وَالْقَوَارِعِ(١).

الرَّدُّ عَلى مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾: رَدٌّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ؛ وَلِهَذَا جَاءَتْ بِأُسْلُوبِ الرَّدْعِ وَالزَّجْرِ الْقَوِيِّ، وَأَنَّهُمْ سَيَعْلَمُونَ الْحَقِيقَةَ عِنْدَمَا يُبْعَثُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ(٢)، وقد ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى أَدِلَّةً تِسْعَةً عَلَى قُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ عَلَى الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وكأنه يقول: إن مَنْ قَدَرَ عَلَى هَذِهِ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ قَادِرٌ عَلَى الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، فَمَا الْبَعْثُ وَالنُّشُورُ بِشَيْءٍ أَمَامَ هَذِهِ الْآيَاتِ؛ وَلِهَذَا قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [سورة النبأ:١٧].

الدَّعْوَةُ إِلى التَّفَكُّرِ فِي آيَاتِ اللهِ الْكَوْنِيَّةِ:

من تأمل في هَذِهِ السُّورَةُ وجدها مَلِيئَةً بِالآيَاتِ الَّتِي فِيهَا الدَّعْوَةُ إِلَى التَّفَكُّرِ فِي آيَاتِ اللهِ الْكَوْنِيَّةِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾[سورة النبأ:٦]، فَهَذِهِ تُعَدُّ مِنَ الآيَاتِ الْعَظِيمَةِ؛ حَيْثُ مَهَّدَ اللهُ لِعِبَادِهِ السَّيْرَ عَلَى الأَرْضِ(٣)، وَمن ذلك قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾؛ فَهُنَا حَدَّثَ اللهُ عِبَادَهُ عَنْ نِعْمَةِ الجِبَالِ، وأنها بِمَثَابَةِ الْوَتَدِ الَّذِي يُثَبِّتُ الْأَرْضَ حَتى لَا تَهْتَزَّ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾[سورة الرعد:٣]، وَقَالَ: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ۝١٥﴾ [سورة النحل:١٥].

ذكر أن التَّزاوجَ فِي الْكَوْنِ مِنْ سُنَنِ اللهِ الْكَوْنِيَّةِ:

فِي قوله تعالى: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨﴾: أن الله تعالى يزاوج بَيْنَ الذَّكر وَالأُنْثَى، ويَجْعَل بَيْنَهُمَا السَّكِينَةَ والْمُتْعَةَ وَالتَّكامُل، فَلَا يَسْتَغْنِي أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخرِ، وَبِذَلِكَ يَحْصُلُ الِاسْتِقْرَارُ الِاجْتِمَاعِيُّ وَالتَّنَاسُلُ الَّذِي تَسْتَمِرُّ بِهِ الْحَيَاةُ، قَالَ اللهُ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٣/ ٩)، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل (٢/ ٥٠٠).

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٧٨)، تفسير الثعالبي (٥/ ٥٤١).

(٣) ينظر: تفسير ابن عثيمين - جزء عم (ص٢٦).

لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الروم: ٢١].

امتنان الله تعالى على خلقه بنِعْمَةِ النَّوْمِ:

فِيْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾: أن النَّوْم نِعمَةٌ عظِيمَةٌ لَا يَعْرِفُ قَدْرَهَا إِلَّا مَنْ حُرِمَ مِنْهَا، خَلَقَهُ اللهُ لِتَحصُلَ فِيهِ لِلْإِنْسَانِ الرَّاحَةُ وَالسَّكِينَةُ، وللنوم فوائد عظيمة؛ منها ما ذكره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: "وَلِلنَّوْمِ فَائِدَتَانِ جَلِيلَتَانِ:

إِحْدَاهُمَا: سُكُونُ الْجَوَارِحِ وَرَاحَتُهَا مِمَّا يَعْرِضُ لَهَا مِنَ التَّعَبِ، فَيُرِيحُ الْحَوَاسَّ مِنْ نَصَبِ الْيَقَظَةِ، وَيُزِيلُ الْإِعْيَاءَ وَالْكَلَالَ.

وَالثَّانِيَةُ: هَضْمُ الْغِذَاءِ، وَنُضْجُ الْأَخْلَاطِ؛ لِأَنَّ الْحَرَارَةَ الْغَرِيزِيَّةَ فِي وَقْتِ النَّوْمِ تَغُورُ إِلَى بَاطِنِ الْبَدَنِ، فَتُعِينُ عَلَى ذَلِكَ؛ وَلِهَذَا يَبْرُدُ ظَاهِرُهُ وَيَحْتَاجُ النَّائِمُ إِلَى فَضْلِ دِثَارٍ"(١).

وقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا ٤٧﴾ [سورة الفرقان: ٤٧]: "أَيْ: قَطْعًا لِلْحَرَكَةِ؛ لِرَاحَةِ الْأَبْدَانِ، فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ وَالْجَوَارِحَ تَكِلُّ مِنْ كَثْرَةِ الْحَرَكَةِ فِي الِانْتِشَارِ بِالنَّهَارِ فِي الْمَعَايِشِ؛ فَإِذَا جَاءَ اللَّيْلُ وَسَكَنَ سَكَنَتِ الْحَرَكَاتُ، فَاسْتَرَاحَتْ فَحَصَلَ النَّوْمُ الَّذِي فِيهِ رَاحَةُ الْبَدَنِ وَالرُّوحِ مَعًا"(٢).

فَجعل اللهُ تعالى النَّوم رَاحَةً إِجْبارِيَّة يَتَقَوَّى بِهَا الْإِنْسَانُ عَلَى مَعَاشِهِ فِي النَّهَارِ، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ الْعَاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «يَا عَبْدَ اللهِ، أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومَ اللَّيْلَ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»(٣).

بيان نِظَامِ الْحَيَاةِ لَيْلًا ونهارًا:

(١) زاد المعاد (٤/ ٢٢٠).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١١٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٧٥) واللفظ له، ومسلم (١١٥٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فِيْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾: أن مِنْ سُنَنِ اللهِ الْكَوْنِيَّةِ أَنَّ النَّوْمَ وَالرَّاحَةَ فِي اللَّيْلِ، وَالْعَمَلَ وَالسَّعْيَ وَالْكَدْحَ فِي النَّهَارِ. قَالَ ابْنُ عَاشُور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَفِي هَذَا امْتِنَانٌ عَلَى النَّاسِ بِخَلْقِ نِظَامِ النَّوْمِ فِيهِمْ؛ لِتَحْصُلَ لَهُمْ رَاحَةٌ مِنْ أَتْعَابِ الْعَمَلِ الَّذِي يَكْدَحُونَ لَهُ فِي نَهَارِهِمْ، فَاللهُ تَعَالَى جَعَلَ النَّوْمَ حَاصِلًا لِلْإِنْسَانِ بِدُونِ اخْتِيَارِهِ، فَالنَّوْمُ يُلْجِئُ الْإِنْسَانَ إِلَى قَطْعِ الْعَمَلِ؛ لِتَحْصُلَ رَاحَةٌ لِمَجْمُوعِهِ الْعَصَبِيِّ الَّذِي رُكْنُهُ فِي الدِّمَاغِ، فَبِتِلْكَ الرَّاحَةِ يَسْتَجِدُّ الْعَصَبُ قُوَاهُ الَّتِي أَوْهَنَهَا عَمَلُ الْحَوَاسِّ وَحَرَكَاتُ الْأَعْضَاءِ وَأَعْمَالُهَا، بِحَيْثُ لَوْ تَعَلَّقَتْ رَغْبَةُ أَحَدٍ بِالسَّهَرِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَغْلِبَهُ النَّوْمُ"(١).

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "كَوْنَ اللَّيْلِ لِبَاسًا حَالَةٌ مُهَيِّئَةٌ لِتَكَيُّفِ النَّوْمِ وَمُعِينَةٌ عَلَى هَنَائِهِ وَالِانْتِفَاعِ بِهِ لِأَنَّ اللَّيْلَ ظُلْمَةٌ عَارِضَةٌ فِي الْجَوِّ مِنْ مُزَايَلَةِ ضَوْءِ الشَّمْسِ عَنْ جُزْءٍ مِنْ كُرَةِ الْأَرْضِ وَبِتِلْكَ الظُّلْمَةِ تَحْتَجِبُ الْمَرْئِيَّاتُ عَنِ الْإِبْصَارِ فَيَعْسُرُ الْمَشْيُ وَالْعَمَلُ وَالشُّغْلُ وَيَنْحَطُّ النَّشَاطُ فَتَتَهَيَّأُ الْأَعْصَابُ لِلْخُمُولِ ثُمَّ يَغْشَاهَا النَّوْمُ فَيَحْصُلُ السُّبَاتُ بِهَذِهِ الْمُقَدِّمَاتِ الْعَجِيبَةِ، فَلَا جَرَمَ كَانَ نِظَامُ اللَّيْلِ آيَةً عَلَى انْفِرَادِ اللهِ تَعَالَى بِالْخَلْقِ وَبَدِيعِ تَقْدِيرِهِ...، ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾، لَمَّا ذُكِرَ خَلْقُ نِظَامِ اللَّيْلِ قوبل بذكر خلق نِظَامِ النَّهَارِ، فَالنَّهَارُ: الزَّمَانُ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ ضَوْءُ الشَّمْسِ مُنْتَشِرًا عَلَى جُزْءٍ كَبِيرٍ مِنَ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ. وَفِيهِ عِبْرَةٌ بِدِقَّةِ الصُّنْعِ وَإِحْكَامِهِ إِذْ جُعِلَ نِظَامَانِ مُخْتَلِفَانِ مَنْشَؤُهُمَا سُطُوعُ نُورِ الشَّمْسِ وَاحْتِجَابُهُ فَوْقَ الْأَرْضِ، وَهُمَا نعمتان للبشر مُخْتَلِفَانِ فِي الْأَسْبَابِ وَالْآثَارِ فَنِعْمَةُ اللَّيْلِ رَاجِعَةٌ إِلَى الرَّاحَةِ وَالْهُدُوءِ، وَنِعْمَةُ النَّهَارِ رَاجِعَةٌ إِلَى الْعَمَلِ وَالسَّعْيِ، لِأَنَّ النَّهَارَ يَعْقُبُ اللَّيْلَ فَيَكُونُ الْإِنْسَانُ قَدِ اسْتَجَدَّ رَاحَتَهُ وَاسْتَعَادَ نَشَاطَهُ وَيَتَمَكَّنُ مِنْ مُخْتَلِفِ الْأَعْمَالِ بِسَبَبِ إِبْصَارِ الشُّخُوصِ وَالطُّرُقِ. وَلَمَّا كَانَ مُعْظَمُ الْعَمَلِ فِي النَّهَارِ لِأَجْلِ الْمَعَاشِ أُخْبِرَ عَنِ النَّهَارِ بِأَنَّهُ مَعَاشٌ وَقَدْ أَشْعَرَ ذِكْرُ النَّهَارِ بَعْدَ ذِكْرِ كُلٍّ مِنَ النَّوْمِ وَاللَّيْلِ بِمُلَاحَظَةِ أَنَّ النَّهَارَ ابْتِدَاءُ وَقْتِ الْيَقَظَةِ الَّتِي هِيَ ضِدُّ النَّوْمِ"(٢).

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٩).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٩-٢١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والعَجَبُ مِمَّنْ غَيَّرَ هَذا النَّامُوْسَ الرَّبَّانِيَّ؛ فَقَلَبَ اللَّيْلَ نَهارًا والنَّهارَ لَيْلًا؛ فَهُو يَشْتَغِلُ وَيَطْلُبُ الْمَعَاشَ فِي اللَّيل، وَينامُ فِي النَّهَارِ من غير ضرورة، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَضْرَارَ النَّوْمِ فِيْ النَّهَارِ فقال: "وَنَوْمُ النَّهَارِ رَدِيءٌ يُورِثُ الْأَمْرَاضَ الرُّطُوبِيَّةَ وَالنَّوَازِلَ، وَيُفْسِدُ اللَّوْنَ، وَيُورِثُ الطِّحَالَ، وَيُرْخِي الْعَصَبَ، وَيُكْسِلُ، وَيُضْعِفُ الشَّهْوَةَ إِلَّا فِي الصَّيْفِ وَقْتَ الْهَاجِرَةِ، وَأَرْدَؤُهُ نَوْمُ أَوَّلِ النَّهَارِ، وَأَرْدَأُ مِنْهُ النَّوْمُ آخِرَهُ بَعْدَ الْعَصْرِ...، وَقِيلَ: نَوْمُ النَّهَارِ ثَلَاثَةٌ: خُلُقٌ، وَحُرَقٌ، وَحُمْقٌ. فَالْخُلُقُ: نَوْمَةُ الْهَاجِرَةِ، وَهِيَ خُلُقُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَالْحُرَقُ: نَوْمَةُ الضُّحَى، تَشْغَلُ عَنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَالْحُمْقُ: نَوْمَةُ الْعَصْرِ"[١].

عَرْضُ بَعْضِ ما تفضَّلَ الله تعالى به على عباده تقريرًا لتوحيد الربوبية:

فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْمُبَارَكَةِ: عَرْضٌ عَجِيبٌ لكثير من النعم التي تَفَضَّل الله تعالى بها على عباده؛ وذلك من باب الاستدلال بذلك على توحيد الربوبية:

فَالْأَرْض جعَلَهَا اللهُ بِقُدْرَتِهِ ﴿مِهَٰدًا﴾ وفِرَاشًا مُمَهَّدًا، وَبِسَاطًا مَمْدُودًا، يَتَحَرَّكُ فيها الْإِنْسَانُ وَيَسْلُكُ مَسَالِكَهَا، وَيَجِدُ وَسَائِلَ الْعَيْشِ وَالْحَيَاةِ فِيهَا.

وَالْجِبَالُ جعَلَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ ﴿أَوۡتَادٗا﴾ تُمْسِكُ الْأَرْضَ، فَلَا تَمِيدُ وَتَضْطَرِبُ.. فَهِيَ أَشْبَهُ بِالْأَوْتَادِ الَّتِي تَشُدُّ الْخَيْمَةَ وَتُمْسِكُ بِهَا.

وَالنَّاسُ خَلَقَهُمُ اللهُ أَزْوَاجًا؛ ذَكَرًا وَأُنْثَى، حَتَّى يَتَوَالَدُوا فِي هَذِهِ الْأَرْضِ وَيَتَكَاثَرُوا، وَهَذِهِ الْمُزَاوَجَةُ أَمْرٌ عَامٌّ يَنْتَظِمُ عَوَالِمَ الْأَحْيَاءِ كُلِّهَا؛ مِنْ نَبَاتٍ وَحَيَوَانٍ وَجَمَادٍ.. بَلْ إِنَّ هَذَا الْحُكْمَ لَيَمْتَدُّ، فَيَشْمَلُ عَالَمَ الْمَعَانِي أَيْضًا.. فَالذَّكَرُ تُقَابِلُهُ الْأُنْثَى، وَالْأُنْثَى يُقَابِلُها الذَّكَرُ، وَالنُّورُ يُقَابِلُهُ الظَّلَامُ، وَالنَّهَارُ يُقَابِلُهُ اللَّيْلُ، وَالْيَقَظَةُ يُقَابِلُهَا النَّوْمُ، وَالْحَيَاةُ يُقَابِلُهَا الْمَوْتُ، وَالْحَقُّ يُقَابِلُهُ الْبَاطِلُ، وَالْجَمِيلُ يُقَابِلُهُ الْقَبِيحُ.. وَهَكَذَا[٢].

---

(١) زاد المعاد (٤/ ٢٢١، ٢٢٢).

(٢) التفسير القرآني للقرآن (١٦/ ١٤١٥) بتصرف.

وأنزل الْماء وأخْرج النَّبات، فقال تعَالَى: ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [سورة النبأ:١٥-١٦]، وفي هذا بَيَانٌ لِبَعْضِ مَا تَفضَّلَ بِهِ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ بِأَنْ أَخْرَجَ بِالْمَاءِ حَبًّا مُخْتَلِفًا أَنْوَاعُهُ كَالْقَمْحِ وَالشَّعيرِ وَالذُّرَةِ، مِنْهُ يَقْتاتُ النَّاسُ وَالبَهائِمُ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [سورة الحج:٥]، وَقَالَ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَاۚ﴾ [سورة فاطر:٢٧]، وَقَالَ: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾[سورة الزمر:٢١]. قَالَ المَرَاغِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَقَدْ جَمَعَ اللهُ فِي هَذِهِ الآيَةِ[١] جَميعَ أَنْواعِ مَا تُنْبِتُهُ الأَرْض، فَإِنَّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا: إِمَّا أَنْ يَكونَ ذَا سَاقٍ أَوْ لَا، وَالْأَوَّلُ إِذَا اجْتَمَعَ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ وَكَثُرَ حَتَّى الْتَفَّ فَهُوَ الْحَديقَةُ، وَالثَّانِي إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ أَكْمامٌ فيهَا حَبٌّ، وإِمَّا أَنْ يَكُونَ بِغَيْرِ ذَلِكَ وَهُوَ النَّبَاتُ. وَقَدَّمَ الْحَبَّ؛ لِأَنَّهُ غِذاءُ أَشْرَفِ أَنْواعِ الْحَيَوَانِ وَهُوَ الإِنْسانُ، وَأَعْقَبَهُ بِذِكْرِ النَّبَاتِ؛ لِأَنَّهُ غَذاءُ بَقِيَّةِ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ، وَأَخَّرَ الْحَدَائِقَ؛ لِأَنَّ الْفَاكِهَةَ مِمَّا يَستَغْنِي عنهَا الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ"[٢].

ففي هذه الآيات بيان لِفَضْلِ اللهِ على عبادِهِ، وهِيَ أَدِلَّة وَبَرَاهِين شَاهِدَة عَلَى قُدْرَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ حَيَاةً، وَمَوْتًا، وَبَعْثًا، وغير ذلك؛ وهكذا يَظْهَرُ بِجَلَاءٍ وَاضِحٍ فِي السُّورَةِ تِلْكَ الْعِنَايَةُ الشَّدِيدَةُ بِبَيَانِ قدرة الله تعالى وعرض أَدِلَّةِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ الذِي يُبْنَى عَلَيْهِ تَوحيدُ الأُلُوهيَّةِ؛ لِأَنَّ مَنْ أَقَرَّ بِتَوحيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لَزِمَهُ مِنْ ذَلِكَ الْإِقْرَارُ أَنْ يُفْرِدَ اللهُ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فَلَا يَصْلُحُ أَنْ يُعْبَدَ إِلَّا مَنْ كَانَ رَبًّا خَالِقًا مَالِكًا مُدَبِّرًا، ومَا دَامَ ذَلِكَ كُلُّهُ للهِ وَحْدَهُ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ هُوَ المَعْبُودُ وَحْدَهُ.

وَقَدْ جَرَتْ سُنَّةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى سَوْقِ آيَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ مَقْرُونَةً بِآيَاتِ الدَّعْوَةِ إِلَى تَوْحِيدِ الأُلُوهِيَّةِ، وَمِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة:٢١]، فَطالَبَهُمْ بِتَوْحِيدِ الْأُلوهِيَّةِ مُحْتَجًّا عَلَيْهِمْ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّهُ خلقَهُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا

(١) أَيْ: قوله تعَالَى: (لِنُخرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَباتًا وَجَنَّاتٍ أَلفافًا).
(٢) تفسير المراغي (٣٠/ ٩).

وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقًا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة البقرة:٢٢]؛ فَابْتَدَأَ الآيَةَ بِالأَمْرِ بِالعِبَادَةِ، وَخَتَمَ بِالنَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ، وَذَكَرَ بَيْنَهُمَا تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ.

وَأَمَّا تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ فَهُوَ مُتَضَمِّنٌ لِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ لِأَنَّ مَنْ عَبَدَ اللهَ وَلَمْ يُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا فَهَذَا يَدُلُّ ضِمْنًا عَلَى أَنَّهُ قَدِ اعْتَقَدَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ رَبُّهُ وَمَالِكُهُ الَّذِي لَا رَبَّ غَيْرُهُ، وَهَذَا أَمْرٌ يُشَاهِدُهُ الْمُوَحِّدُ مِنْ نَفْسِهِ، فَكَوْنُهُ قَدْ أَفْرَدَ اللهَ بِالعِبَادَةِ وَلَمْ يَصْرِفْ شَيْئًا مِنْهَا لِغَيْرِ اللهِ، مَا هُوَ إِلَّا لِإِقْرَارِهِ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّهُ لا رَبَّ وَلَا مَالِكَ وَلَا مُتَصَرِّفَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ.

الْحِكْمَةُ مِنْ جَعْلِ الْجِبَالِ أَوْتَادًا لِلْأَرْضِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧﴾: بَيَانٌ لِحِكْمَةِ جَعْلِ الجبال أوتادًا، قَالَ ابْن عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أَيْ: جَعَلَهَا اللهُ تَعَالَى أَوْتادًا لِلْأَرْضِ بِمَنْزِلَةِ الْوَتِدِ لِلْخَيْمَةِ؛ حَيْثُ يُثَبِّتُهَا فَتَثْبُتُ بِهِ، وَهِيَ أَيْضًا ثَابِتَةٌ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ [سورة فصلت:١٠]. قَالَ عُلَمَاءُ الْأَرْضِ: إِنَّ هَذِهِ الْجِبَالَ لَهَا جُذُورٌ رَاسِخَةٌ فِي الْأَرْض كَمَا يَرْسَخُ جِذْرُ الْوَتِدِ بِالْجِدَارِ، أَوْ وَتِدُ الْخَيْمَةِ فِي الْأَرْضِ، وَلِذَلِكَ تَجِدُهَا صَلْبَةً قَوِيَّةً لَا تُزَعْزِعُهَا الرِّيَاحُ، وَهَذَا مِنْ تَمَامِ قُدْرَتِهِ وَنِعْمَتِهِ"(١).

وَأَمَّا وَجْهُ مُنَاسَبَةِ ذِكْرِ الْجِبَالِ فِي السُّورَةِ فَهُوَ أَمْرَانِ:

الْأَوَّلُ: دَعَا إِلَيْهَا ذِكْرُ الْأَرْضِ وَتَشْبِيهُهَا بِالمِهَادِ الَّذِي يَكُونُ دَاخِلَ الْبَيْتِ، فَشُبِّهَتْ جِبَالُ الْأَرْضِ بِأَوْتَادِ الْبَيْتِ تَخْيِيلًا لِلْأَرْضِ مَعَ جِبَالِهَا بِالْبَيْتِ وَمِهَادِهِ وَأَوْتَادِهِ.

الثَّانِي: أَنَّ كَثْرَةَ الْجِبَالِ النَّاتِئَةِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ قَدْ يَخْطُرُ فِي الْأَذْهَانِ أَنَّهَا لَا تُنَاسِبُ جَعْلَ الْأَرْضِ مِهَادًا، فَكَانَ تَشْبِيهُ الْجِبَالِ بِالْأَوْتَادِ مُسْتَمْلَحًا بِمَنْزِلَةِ حُسْنِ الاعْتِذَارِ(٢).

الاستدلال على البعث بعد الموت بإِحْيَاء الْأَرْضِ بِالنَّبَاتِ:

---

(١) تفسير العثيمين (ص٢٦).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ١٥).

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴿١٦﴾﴾ [سورة النبأ: ١٤-١٦]: أن نُزُول الْمَطرِ وَمَا يَتْبَعُهُ مِنْ إِحْيَاءِ الْأَرْضِ بِالنَّبَاتِ أَقوى الأَدِلَّةِ على البَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ؛ وَلِهَذا يقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [سورة الحج:٥-٧][(١)].

قَالَ ابْنُ عَاشُورٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "اسْتِدْلَالٌ بِحَالَةٍ أُخْرَى مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي أَوْدَعَهَا اللهُ تَعالَى فِي نِظَامِ الْمَوْجُودَاتِ وَجَعَلَهَا مَنْشَأً شَبِيهًا بِحَيَاةٍ بَعْدَ شَبِيهٍ بِمَوْتٍ أَوِ اقْتِرَابٍ مِنْهُ وَمَنْشَأَ تَخلُّقِ مَوْجُودَاتٍ مِنْ ذَرَّاتٍ دَقِيقَةٍ، وَتِلْكَ حَالَةُ إِنْزَالِ مَاءِ الْمَطَرِ مِنَ الْأَسْحِبَةِ عَلَى الْأَرْضِ فَتُنْبِتُ الْأَرْضُ بِهِ سَنَابِلَ حَبٍّ وَشَجَرًا، وَكَلَأً، وَتِلْكَ كُلُّهَا فِيهَا حَيَاةٌ قَرِيبَةٌ مِنْ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ وَهِيَ حَيَاةُ النَّمَاءِ فَيَكُونُ ذَلِكَ دَلِيلًا لِلنَّاسِ عَلَى تَصَوُّرِ حَالَةِ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ بِدَلِيلٍ مِنَ التَّقْرِيبِ الدَّالِّ عَلَى إِمْكَانِهِ حَتَّى تَضْمَحِلَّ مِنْ نُفُوسِ الْمُكَابِرِينَ شُبَهُ إِحَالَةِ الْبَعْثِ. وَهَذَا الَّذِي أُشِيرُ إِلَيْهِ هُنَا قَدْ صُرِّحَ بِهِ فِي مَوَاضِعَ مِنَ الْقُرْآنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴿١١﴾﴾ [سورة ق: ٩-١١]"[(٢)].

انْفِتَاحُ السَّمَاءِ لِنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ [سورة النبأ:١٩]: أَنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ تَتَفَتَّحُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ[(٣)].

ذِكْرُ أَحْوَالِ الْجِبَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٤/ ٣٦٥)، تفسير السعدي (ص٦٨٥).
(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٥).
(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٠٥).

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [سورة النبأ:٢٠]: ذَكَرَ حالًا مِنْ أَحْوَالِ الْجِبَالِ يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَفِي الْقُرْآنِ أَحْوَالُ أُخْرى لَهَا. قَالَ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَقَدْ ذَكَرَ سُبْحانَهُ أَحْوالَ الْجِبالِ بِوُجُوهٍ مُخْتَلِفَةٍ، ولَكِنَّ الجَمْعَ بَيْنَها أَنْ نَقُولَ:

أَوَّلُ أَحْوالِها: الْانْدِكَاكُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [سورة الحاقة:١٤].

وَثانِي أَحْوالِهَا: أَنْ تَصِيرَ كَالعِهْنِ الْمَنْفُوشِ؛ كَمَا في قَوْلِهِ: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [سورة القارعة:٥].

وَثَالِثُ أَحْوالِها: أَنْ تَصِيرَ كَالهَبَاءِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۞ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۞﴾ [سورة الواقعة:٥-٦].

وَرَابِعُ أَحْوالِها: أَنْ تُنْسَفَ وَتَحْمِلَهَا الرِّياحُ كَمَا في قَوْلِهِ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [سورة النمل:٨٨].

وَخَامِسُ أَحْوَالِها: أَنْ تَصِيرَ سَرابًا، أَيْ: لَا شَيْءَ كَمَا في هَذِهِ الآيَةِ"(١).

بيان ما يَحْصُلُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيامَةِ مِنْ عَلامَاتٍ:

فَيَوْمُ الْقِيامَةِ يَوْمٌ عَظِيمٌ رَهيبٌ؛ وَلِذَلِكَ سَمَّاهُ اللهُ يَوْمَ الفَصْلِ، وَقَدْ تَحَدَّدَ وَقْتُهُ بِأَجَلٍ مَعْلُومٍ، فَلا يَتَقَدَّمُ وَلا يَتَأَخَّرُ، وَلَا يَعْلَمُ شَأْنَهُ إِلَّا اللهُ سُبْحَانَهُ. وَفِي السُّورَةِ ذِكْرٌ لِبَعْضِ الْعَلامَاتِ الَّتي تَسْبِقُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، مِنْها: نَفْخُ الصُّورِ، وَتَشَقُّقُ السَّمَاءِ، وتَسيِيرُ الجِبَالِ عَنْ أَماكِنِهَا وَصَيْرُورَتُها هَباءً مُنْبَثًّا كالهَوَاءِ.

التَّخويفُ مِنَ النَّارِ وأَهْوالِها:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۞ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۞ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾، وَمَا بَعْدَهَا مِنَ الآيَاتِ: مَسْلَكٌ قُرْآنِيٌّ يَتَمَثَّلُ في التَّخْويفِ وَالتَّرْهيبِ مِنَ النَّارِ وَعَذابِها وَأَهْوَالِها(٢)، وكذلك قَوْله تَعَالَى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۞ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۞﴾:

(١) فتح القدير (٥/ ٤٤١).
(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن (١٦/ ١٤٢٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فذكر أَنَّ الكُفَّارَ لَيسَ لَهُمْ فِي النَّارِ إِلاَّ مَاءٌ حَارٌّ مُحْرِقٌ، وَقَيْحُ أَهْلِهَا، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [سورة محمد:١٥].

وَقد وَرَدَ فِي التَّخْوِيفِ وَالتَّحْذِيرِ مِنَ النَّارِ: أَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ مِنْهَا: حَدِيثُ النُّعْمَانِ بن بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ، أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ، أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ، فَمَا زَالَ يَقُولُهَا، حَتَّى لَوْ كَانَ فِي مَقَامِي هَذَا سَمِعَهُ أَهْلُ السُّوقِ، حَتَّى سَقَطَتْ خَمِيصَةٌ كَانَتْ عَلَيْهِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ»[1]. ومنها: حَدِيثُ عَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّارَ فَأَعْرَضَ وَأَشَاحَ، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ»، ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ كَأَنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ، فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[2]، وَهَذَا الْحَدِيثُ الْعَظِيمُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ صَدَقَةٌ يُتَّقى بها النَّارُ، كَمَا أَنَّ الكَلِمَةَ الخَبِيثَةَ قَدْ تُوجِبُ النَّارَ.

بيان خُلود الْكُفَّار في النَّار وعَدَم خُرُوجِهمْ مِنْهَا:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾: ذكْر خُلُود الكُفَّارِ فِي النَّارِ، وَعَدَمِ خُرُوجِهِمْ مِنْهَا، وَعَدَمِ فَنَائِهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [سورة البينة:٦]، وَهَذَا بِخِلَافِ الْعُصَاةِ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ فَإِنَّهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ[3]؛ لِمَا رَوَى أَنَسُ بنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللهُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي، لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[4].

وَمذهب أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ مَنْ دَخَلَ النَّارَ مِنْ عُصَاةِ الْمُوَحِّدِينَ فَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْهَا بِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ، أَوْ بِرَحْمَةِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ، ثُمَّ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ[5].

بيان أن الْجزاء مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، وأن ذلك من تمام عدل الله تعالى:

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٨٣٦٠)، والدارمي (٢٨٥٤) واللفظ له.
(٢) أخرجه البخاري (٦٠٢٣)، ومسلم (١٠١٦) واللفظ له.
(٣) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ١٧٨).
(٤) أخرجه البخاري (٧٥١٠) واللفظ له، ومسلم (١٩٣).
(٥) ينظر: شرح الطحاوية (ص٢٠٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ٢٦﴾: أن الله تَعَالَى يُجَازي الْمُتَّقِينَ ويعاملهم بِالرَّحْمَةِ وَالْعَطَاءِ والْكَرَمِ وَالجُودِ، ويجازي العصاة بما يستحقون من دخول النَّار والعذاب فيها، وهكذا يعامِلُهُمْ بالوِفَاقِ وَالْعَدْلِ، قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أَيْ: جَازَيْنَاهُمْ جَزَاءً وَافَقَ أَعْمَالَهُمْ، قَالَ مُقَاتِل: وَافَقَ العَذَابُ الذَّنْبَ فَلَا ذَنْبَ أَعْظَمُ مِنَ الشِّرْكِ وَلَا عذاب أَعْظَمُ مِنَ النَّارِ"(١).

وَيَظْهَرُ فِي هذه الآية: تَمَامُ عَدْلِ اللهِ تَعَالَى سُبْحَانَهُ وَدِقَّةُ قِسْطِهِ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ آيَاتٌ أُخْرَى، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [سورة الأنبياء:٤٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ﴾ [سورة النساء:٤٠].

ذِكْرُ أن التَّصْدِيق بِالْبَعْثِ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [سورة النبأ:٢٧]: بَيَانُ أَنَّ الإِيمَانَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَرْكَانِ الإِيمَانِ الَّتِي تَدْعُو لِلإِيمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ.

التنبيه إلى إحْصاء أعْمال الْعِبَادِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ٢٩﴾: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ الْعِبَادُ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ وَيَكْتُبُهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وفي صَحَائِفِ الْعِبَادِ لِيُحَاسَبُوا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ٥٣﴾ [سورة القمر:٥٢-٥٣](٢).

أن الجنة لا لَغْو ولا كَذِب:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾: بيان أَنَّ سَمَاعَ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ الَّذِي لَا فَائِدَةَ مِنْهُ تُنَزَّهُ عَنْهُ الْجَنَّةُ وَأَهْلُهَا.

مُجَازَاةُ الله تَعَالَى الْمُتَّقِينَ وَالْعُصَاةَ كل منهم بما يستحقة:

(١) تفسير البغوي (٥/ ٢٠١).

(٢) ينظر: تفسير المراغي (٢٢/ ١٤٨).

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾: أَنَّ اللهَ تَعَالَى عامَلَ الْمُتَّقِين بِالرَّحْمَةِ وَالْعَطَاءِ والْكَرَمِ وَالجُودِ، بِخِلَافِ أَهْلِ النَّارِ فَقَدْ عامَلَهُمْ بِالوِفَاقِ وَالْعَدْلِ فَقَالَ: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾.

مَنْ يَحِقُّ لَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ يَوْمَ الْقِيامَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾: أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَغيْرِهِمْ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا إِذَا كَانَ مَأْذُونًا لَهُ فِي الْكَلَامِ، وأَنْ يَتَكَلَّمَ بِالصَّوابِ، وَإِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ وَهُمْ أَكْرَمُ الخَلْقِ عَلَى اللهِ وأَقْرَبُهُمْ إِلَى اللهِ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلّا إِذَا كَانَ مَأْذُونًا لَهُمْ، فَغَيْرُهُم مِنَ الخَلْقِ مِن بَابِ أَوْلَى، وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ فِي قَبْضَةِ اللهِ، وَتَحْتَ تَصَرُّفِهِ، وَأَنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا بِإِذْنِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

إِثْبَاتُ مَشِيئَةٍ لِلْعَبْدِ مُقَيَّدَةً بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ لِلْعَبْدِ مَشِيئَةً وَقُدْرَةً يَفْعَلُ بِهِمَا وَيَتْرُكُ، لَكِنَّهَا مُقَيَّدَةٌ بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى[1].

تَوْجِيهُ ذِكْرِ مَا لِلْمُتَّقِينَ مِنَ النَّعِيمِ عَقِبَ ذِكْرِ عِقَابِ الْمُجْرِمِينَ:

فِي هذه السُّورَةِ الْمُبَارَكَةِ ذَكَرَ اللهُ ﷻ مَا لِلْمُتَّقِينَ مِنَ النَّعِيمِ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾﴾؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ مَثَانِي، فَإِذَا ذَكَرَ الْعِقَابَ ذَكَرَ الثَّوَابَ، وَإِذَا ذَكَرَ الثَّوَابَ ذَكَرَ الْعِقَابَ، وَإِذَا ذَكَرَ أَهْلَ الْخَيْرِ ذَكَرَ أَهْلَ الشَّرِ، وَإِذَا ذَكَرَ الحَقَّ ذَكَرَ البَاطِلَ.

وَالفَائِدَةُ من ذَلِكَ أَمْرَانِ[2]:

الْأَوَّلُ: حَتَّى يَكُونَ سَيرُ الْإِنْسَانِ إِلَى رَبِّهِ بَيْنَ الْخَوْفِ والرَّجاءِ؛ لِأَنَّهُ إِنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الرَّجاءُ وَقَعَ فِي الْأَمْنِ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَإِنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْخَوْفُ وَقَعَ فِي الْقُنُوطِ مِنْ رَحْمَته، وَكِلَاهُمَا مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ.

---

(١) ينظر: تفسير العثيمين (ص٣٧).

(٢) ينظر: تفسير العثيمين (ص٣٤).

الثَّانِي: لِئَلَّا تَمَلَّ النُّفُوسُ مِنْ ذِكْرِ حَالٍ واحِدَةٍ والإِسْهَابِ فيهَا دُونَ مَا يُقَابِلُهَا.

الإخبار عن قُرْب يوْمِ الْقِيامَةِ وما يَسْتَوْجِبُهُ مِنَ الاسْتِعْدادِ لها:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾: التَّصْرِيحُ بِقُرْبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [سورة النازعات:٤٦].

قَالَ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فهَذَا الْعَذَابُ الَّذِي أَنْذَرَنَا اللهُ قَرِيبٌ، وَلَيْسَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَبَيْنَهُ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ، وَالإِنْسَانُ لَا يَدْرِي مَتَى يَمُوتُ قَدْ يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي، أَوْ يُمْسِي وَلَا يُصْبِحُ؛ وَلِهَذَا كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَحْزِمَ فِي أَعْمَالِنَا، وَأَنْ نَسْتَغِلَّ الفُرْصَةَ قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ"(١).

التَّرْغيبُ في الْعَمَلِ الصَّالِحِ والتَّنْفيرُ مِنَ الْعَمَلِ السَّيِّئِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: تَلْمِيحٌ وَتَعْرِيضٌ لِلْإِنْسَانِ بِأَنْ يَجِدَّ فِي تَحْصِيلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمُقَرِّبَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَاجْتِنَابِ مَا قَدْ يَضُرهُ وَيُهْلِكُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَيُعَرِّضُهُ لِلْخُسْرَانِ وسُوءِ الْعَاقِبَةِ. قَالَ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾، أَيْ: يُعْرَضُ عَلَيْهِ جَمِيعَ أَعْمالِهِ، خَيْرِهَا وَشرِّهَا، قَدِيمِهَا وَحدِيثِهَا، كَقَوْلُهُ: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾ [سورة الكهف:٤٩]، وكَقَوْلُهُ: ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [سورة القيامة:١٣]"(٢).

❀❀❀

(١) تفسير العثيمين (ص٣٧-٣٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٣١٠).

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

سُورَةُ (النَّازِعَاتِ): سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعِ الْمُفَسِّرِينَ[1].

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

لَمْ يَذْكُرِ الْعُلَمَاءُ لِهَذِهِ السُّورَةِ إِلَّا اسْمَيْنِ فَقَطْ: سُورَةُ السَّاهِرَةِ، وَسُورَةُ الطَّامَّةِ[2].

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ مِنَ السُّورَةِ:

هَذِهِ السُّورَةُ الْعَظِيمَةُ اشْتَمَلَتْ عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْمَقَاصِدِ وَالْمَعَانِي، وَمِنْ ذَلِكَ[3]:

- ✓ إِثْبَاتُ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ، وَإِبْطَالُ إِحَالَةِ الْمُشْرِكِينَ وُقُوعه.
- ✓ تَهْوِيلُ يَوْمِهِ وَمَا يَعْتَرِي النَّاسَ حِينَئِذٍ مِنَ الْخَوْفِ.
- ✓ بَيَانُ طُغْيَانِ فِرْعَوْنَ وَإِعْرَاضِهِ عَنْ دَعْوَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَسْلِيَةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ.
- ✓ ذِكْرُ مَا فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مِنْ دَلَائِلَ عَلَى عَظِيمِ قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى وَمِنَّتِهِ عَلَى خَلْقِهِ.
- ✓ التَّفْرِيقُ بَيْنَ حَالِ مَنْ آثَرَ الدُّنْيَا وَطَغَى، وَحَالِ مَنْ خَافَ الْمَوْلَى وَاتَّقَى.
- ✓ اسْتِعْجَالُ الْكَافِرِينَ بِالْقِيَامَةِ، وَأَنَّ سُؤَالَهُمْ عَنْ وَقْتِ السَّاعَةِ سُؤَالُ تَعَنُّتٍ، وَأَنَّ شَأْنَ الرَّسُولِ أَنْ يُذَكِّرَهُمْ بِهَا وَلَيْسَ شَأْنُهُ تَعْيِينَ وَقْتِهَا.

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ①﴾، أَقْسَمَ اللهُ تعالى بِالْمَلَائِكَةِ الَّتِي تَنْزِعُ أَرْوَاحَ الكُفَّارِ[4].

﴿غَرْقًا﴾، أي: تنزعها نَزْعًا بِشِدَّةٍ[5].

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٤٣٠)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٩).
(٢) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٥/ ٤٤٩)، تفسير القاسمي (٩/ ٣٩٥)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٩).
(٣) ينظر: بصائر ذوي التمييز (١/ ٤٩٩)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠).
(٤) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٢٠).
(٥) ينظر: تفسير الجلالين (ص٧٨٩).

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢﴾، أي: وَالْمَلائِكَة الَّتِي تَقْبِضُ أَرْواحَ الْمُؤْمِنِينَ(١). ﴿نَشۡطٗا﴾، أي: بِرِفْقٍ وَلِينٍ وَسُهولَةٍ(٢). وَقَدْ رَوى أَبُو هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمَيِّتُ تَحْضُرُهُ الْمَلائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَالِحًا، قَالُوا: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ ورَيْحَانٍ، ورَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخرُجَ، ثُمَّ يُعْرَجُ بِها إِلى السَّمَاءِ، فَيُفْتَحُ لَها، فيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: فُلانٌ، فَيُقَالُ: مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، ادْخُلِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بروحٍ وريحانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلى السَّماءِ الَّتِي فِيهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وإذا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءُ، قَالَ: اخرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، اخْرُجِي ذَمِيمَةً، وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ، ثمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَلَا يُفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فُلَانٌ، فَيُقَالُ: لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، ارْجِعِي ذَمِيمَةً، فَإِنَّهَا لَا تُفْتَحُ لَكِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَيُرسَلُ بِهَا مِنَ السَّمَاءِ، ثمَّ تَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ... »(٣).

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣﴾، أي: الْمَلائِكَة الَّتِي تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى مُسْرِعِينَ لِتَنْفِيذِ أَمْرِهِ؛ كما يُقَالُ لِلْفَرَسِ الْجَوَادِ: سَابِحٌ: إِذَا أَسْرَعَ فِي جَرْيِهِ(٤).

قَوْلُهُ: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤﴾، أي: الْمَلائِكَة تَسْبِقُ إِلَى أَمْرِ اللهِ تَعَالَى لِلْعَمَلِ بِهِ(٥)، وَقَد قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي وَصفِ بَعْضِ المَلَائِكَةِ: ﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [سورة التحريم:٦](٦).

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٢٤).
(٢) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ٢٨)، تفسير الجلالين (ص٧٨٩).
(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٥٠٩٠)، وابن ماجه (٤٢٦٢) واللفظ له.
(٤) ينظر: زاد المسير (٤/ ٣٩٤)، تفسير القرطبي (١٩/ ١٩٣).
(٥) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٢٥).
(٦) ينظر: تفسير العثيمين –جزء عم (ص٤١).

قَوْلُهُ: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾، أي: الْمَلَائِكَة التِي تُدبِّرُ أَمْرَ الدُّنْيا الّذِي أُسْنِدَ إِلَيْهَا فَتَقُومُ بِهِ وَفْقَ مَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِهِ؛ ومنهم(١):

- جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو مُوكَّلٌ بِالْوَحيِ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ.
- مِيكَائِيلُ، وهو مُوكَّلٌ بِالْقَطْرِ وَالنَّبَاتِ الذِي بِهِ حَيَاةُ الأَبْدَانِ.
- مَلَكُ الْمَوْتِ، وهو مُوكَّلٌ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ.
- إِسْرَافِيلُ، وهو مُوكَّلٌ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ.

فأَقْسَمَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهَذِهِ الْأَشْياءِ الَّتِي ذَكَرَهَا على أَنَّ الْقِيَامَةَ حَقٌّ(٢)، وَجوَابُ هَذِهِ الْأَقْسَامِ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: (لَتُبْعَثُنَّ وَلَتُحَاسَبُنَّ) بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تعَالَى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦﴾ [سورة النازعات:٦] وَالآيَاتِ الَّتِي بَعْدَهَا(٣).

قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦﴾، أي: ترْجُفُ الأَرْضُ والجبال، ويتَزَلْزَلُ وَيَتَحَرَّكُ كُلُّ شَيْءٍ، وذلك للنَّفْخَةِ الْأُولَى، وهي التي يَمُوتُ مِنْهَا كُلُّ مَخْلُوقٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ(٤).

قَوْلُهُ: ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾، أي: تتبعها النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ، التي رَدِفَتِ الْأُولَى؛ لِبَعْثِ النَّاسِ مِنْ قُبُورِهِمْ، كَمَا قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [سورة الزمر:٦٨](٥).

وَبَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ؛ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ، قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ»(٦)؛ فذكرها في الحديث مجملة، ولكن

(١) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٢٥).
(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ١٩٠).
(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٦٨)، تفسير البغوي (٨/ ٣٢٥).
(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٦٥)، فتح القدير(٥/ ٤٥١).
(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٦٥)، معاني القرآن للزجاج (٥/ ٢٧٨).
(٦) سبق تخريجه.

كما قال النووي رَحِمَهُٱللَّهُ: "قَدْ جَاءَتْ مُفَسَّرَةً مِنْ رِوَايَةِ غَيْرِهِ فِي غَيْرِ مُسْلِمٍ: أَرْبَعُونَ سَنَةً"(١).

ولعل معنى قول أبي هريرة: (أبيت)، أي: "أبيت أن أخبر بشيء أنا على غير يقين منه، وليس هذا مما خصصتكم به الآن، وإنما هو عادتي من قبل ألا أذكر إلا ما أتيقنه"(٢).

قَوْلُهُ: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨﴾، أَيْ: قُلوبُ الْكُفَّارِ خائِفَةٌ قَلِقَةٌ مِنَ الْفَزَعِ؛ لِأَنَّهُمْ رَأَوْا مَا كَانُوا يُنْكِرُونَ، وأَصْبحَ أَمَامَهُمْ حَقِيقَةً مَاثِلَةً، لَا مَجَالَ فِيها لِلْهَرَبِ وَالْإِنْكارِ، كما قَالَ تَعالَى: ﴿وَقَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا هَـٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [سورة الصافات:٢٠](٣).

قَوْلُهُ: ﴿أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ۝٩﴾، أَيْ: أَنَّ أَبْصَارَ أَصْحَابِ هَذِهِ الْقُلُوبِ ذَلِيلَةٌ حقيرةٌ لِهَوْلِ مَا تَرَى؛ كَمَا قَالَ اللهُ: ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [سورة الشورى:٤٥](٤).

قَوْلُهُ: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠﴾، أَيْ: يَقُولُ مُنْكِرُو الْبَعْثِ بعدَ الْمَوْتِ: أَنُرَدُّ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الحافرة وهي الْحَالَةِ الْأُولَى الَّتِي كُنَّا عَلَيْهَا فِي الْأَرْضِ؟(٥).

قَوْلُهُ: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ۝١١﴾، أَيْ: أَنُرَدُّ وَقَدْ صِرْنَا عظامًا بَالِيَةً(٦).

قَوْلُهُ: ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢﴾، أَيْ: قَالَ الْمُنْكِرُونَ لِلْبَعْثِ: رَجْعَتُنَا لِلْحياةِ بَعْدَ الْمَوْتِ رَجْعَةٌ خَائِبَةٌ ذَاتُ خُسْرانٍ؛ لِتَكْذِيبِنا بِها، وَهَذَا اسْتِهْزاءٌ مِنْهُمْ(٧).

قَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣﴾ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ، أَيْ: لَا يَسْتَصْعِبونَهَا، فَمَا هِيَ إِلَّا صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ، يَعْنِي: النَّفْخَةَ الثَّانِيَةَ لِإِسْرافِيلَ الَّتِي يَكُونُ الْبَعْثُ بِهَا(٨).

(١) شرح مسلم، للنووي (١٨/ ٩٢).
(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح (٦/ ٣٤٩).
(٣) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٢٧).
(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٦٩).
(٥) ينظر: تفسير الماوردي (٦/ ١٩٥).
(٦) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ١٩٧).
(٧) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٢٧-٣٢٨).
(٨) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٨٣).

قَوْلُهُ: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾، أَيْ: فَإِذَا جَمِيعُ الْخَلْقِ مَاثِلُونَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ ﷻ يَنْظُرُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ [سورة الصافات:١٩]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [سورة يس:٥٣].

قَوْلُهُ: ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾، أَيْ: يَا مُحَمَّدُ، ﴿حَدِيثُ مُوسَىٰ ۝١٥﴾؛ فَيُسَلِّيك عَلَى تَكْذِيبِ قَوْمِك، وتُهَدِّدُهُمْ بِأَنْ يُصِيبهم مِثْلُ مَا أَصَابَ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ مِنهُم[1].

قَوْلُهُ: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ﴾ حِينَ نَادَاهُ رَبُّه نِدَاءً سَمِعَهُ مُوسَى عليه الصلاة والسلام، ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾، أَيْ: الْمُبَارَكِ الْمُطَهَّرِ، ﴿طُوًى ۝١٦﴾، وهو اسْمٌ لِلْوَادِي الَّذِي نَادَى اللهُ تَعَالَى فيه مُوسَى عليه السلام، وَهُوَ عِنْدَ الطُّورِ الَّذِي أَقْسَمَ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝٢﴾ [سورة الطور:١-٢]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [سورة مريم:٥٢][2].

قَوْلُهُ: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝١٧﴾، أَيْ: اذهب يَا مُوسَى إلى فرعون إنه طغى فتَجَاوَزَ الحَدَّ فِي الكُفْرِ، حَيْثُ ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ وَالأُلُوهِيَّةَ مَعًا، فَقَالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [سورة النازعات:٢٤]، وَقَالَ: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [سورة القصص:٣٨][3].

قَوْلُهُ: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾، أَيْ: قل لِفِرْعَوْنَ: هل لك سبيل إلى أَنْ تَتَطَهَّرَ مِنَ الكُفْرِ وَالطُّغْيانِ، وَتَتَحَلَّى بِالإِيمانِ[4].

قَوْلُهُ: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾، أَيْ: وأُرْشِدَكَ إِلَى مَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى؛ فتخشى بِأَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ وَتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ[5].

قَوْلُهُ: ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾، أَيْ: فَذَهَبَ مُوسَى عليه السلام وَأَرَى فِرْعَوْنَ الآيَةَ الكبرى والْمُعْجِزَةَ الْعُظْمَى، وَهِيَ الْعَصَا وَالْيَد؛ كَمَا قَالَ اللهُ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ۝١٩

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٨٣)، تفسير الألوسي (١٥/ ٢٣٠).
(٢) ينظر: تفسير العثيمين (ص٤٥).
(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص٥٠٤).
(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٨٣)، اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ١٣٦).
(٥) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٨٣).

فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾ [سورة طه:١٧-٢٣][1].

قَوْلُهُ: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾، أي: فكذب فِرْعَوْنُ بِمُوسَى، وعصى اللهَ تعالَى، وَامْتَنَعَ عَنْ قَبُولِ الإِيمانِ[2]، كَمَا قَالَ اللهُ تعالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾ [سورة طه:٥٦].

قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾﴾، أَيْ: تَوَلَّى فِرْعَوْنُ عَنْ مُوسَى يسعى فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ[3].

قَوْلُهُ: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾﴾، أَيْ: جَمَعَ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَأَتْبَاعَهُ؛ فنادى فِيهِمْ قائِلًا لَهُمْ بِصَوْتٍ عَالٍ: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾، أَيْ: لَا رَبَّ فَوْقِي -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-[4].

قَوْلُهُ: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾، أَيْ: عَاقَبَهُ الله عُقُوبَةً شَدِيدَةً، وجعله نكالًا -من التنكيل- حَتَّى يَعْتَبِرَ به غَيْرُهُ، والمقصود بنكال الآخرة: عَذَابَ الْآخِرَةِ بِالنَّارِ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-، ونكال الأولى: عَذَابَ الدُّنْيَا بِالْغَرَقِ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة يونس:٩٠-٩٢].

وَقَدَّمَ اللهُ تَعَالَى عَذَابَ الْآخِرَةِ عَلَى عَذَابِ الدُّنْيَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ؛ لِأَنَّهُ أَشَدُّ وَأَبْقَى، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [سورة طه:١٢٧][5].

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾، أَيْ: الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنْ إِهْلَاكِ فِرْعَوْنَ وعُقُوبَتِهِ الشَّدِيدَةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لعبرة لمن يخشى اللهَ تَعَالَى، فَيَتَّعِظ وَيَنْزَجِر وَيَعْتَبِر[6].

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٢٨).
(٢) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٢٩)، تفسير النسفي (٣/ ٥٩٨).
(٣) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٠٢).
(٤) ينظر: زاد المسير (٤/ ٣٩٦).
(٥) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٢٩)، فتح القدير (٥/ ٤٥٥).
(٦) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣١٥).

قَوْلُهُ: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا﴿٢٧﴾﴾، أَيْ: هل أنتم أيها الْمُنْكِرُون لِلْبَعْثِ أشدُّ خلقًا؟، وقوله: (أم السماء): مُبْتَدَأٌ خَبرُهُ مَحْذُوفٌ، وَالْمَعْنَى: "أَمِ السَّمَاءُ أَشَدُّ خَلْقًا"(١)، ثُمَّ بَيَّنَ كَيْفَ خلقَهَا؛ فقالَ: ﴿بَنَىٰهَا﴾، أَيْ: اللهُ.

قَوْلُهُ: ﴿رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴿٢٨﴾﴾، هنا فسر البناء بأنه (رَفَعَ سمكها): جرمها وصورتها فَوْقَكُمْ، وَجعلَهَا سقفَ الْمَخْلُوقَاتِ(٢)، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ [سورة الرعد:٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ﴾ [سورة الأنبياء:٣٢]، (فسواها)، أَيْ: جَعلَهَا مُسْتَوِيَة بِلا عَيْبٍ وَلَا تَشَقُّقٍ وَلَا تَصَدُّعٍ(٣)، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ [سورة الملك:٣].

قَوْلُهُ: ﴿وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا﴾، أَيْ: أَظْلَمَ لَيْلَهَا بِغُرُوبِ الشَّمْسِ(٤)، وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا فَأَبْرَزَ نَهَارَهَا بِشُرُوقِهَا(٥)، وَإِنَّما عبَّرَ عَنِ النَّهَارِ بِالضُّحَى؛ لِأَنَّ الضُّحَى أَكْمَلُ أَجْزاءِ النَّهَارِ فِي النُّورِ وَالضَّوْءِ(٦).

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴿٣٠﴾﴾، أي: بَسَطَهَا، وَكَانَتْ مَخْلُوقَةً قَبْلَ السَّمَاءِ مِن غَيْرِ دَحْوٍ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [سورة فصلت:٩-١٢]، فَالْأَرْضُ خُلِقَتْ أَوَّلًا غَيْرَ

(١) ينظر: تفسير النسفي (٣/ ٥٩٨).
(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٠٣)، تفسير السعدي (١/ ٩٠٩).
(٣) ينظر: تفسير النسفي (٣/ ٥٩٨)، تفسير الجلالين (ص٧٩٠).
(٤) ينظر: فتح القدير (٥/ ٤٦٠).
(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٩١).
(٦) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ٤٥).

مَدْحُوَّةٍ، ثُمَّ خُلِقَتِ السَّمَاءُ، ثُمَّ دُحِيَتِ الْأَرْضُ، وَذَلِكَ بِإِخْرَاجِ الْمَاءِ مِنْهَا وَالْمَرْعَى، أَيْ: النَّبَاتَ وَنَحْوَهُ(١).

وبِهذا أَجاب ابْنُ عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا لَمَّا سَأَلَهُ رَجُلٌ: «إِنِّي أَجِدُ فِي الْقُرْآنِ أَشْيَاءَ تَخْتَلِفُ عَلَيَّ، قَالَ: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾[سورة المؤمنون:١٠١]، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الصافات:٢٧]، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [سورة النساء:٤٢]، ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام:٢٣]، فَقَدْ كَتَمُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ؟ وَقَالَ: ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿دَحَىٰهَآ﴾، فَذَكَرَ خَلْقَ السَّمَاءِ قَبْلَ خَلْقِ الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَ: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [سورة فصلت:٩] إِلَى قَوْلِه: ﴿طَآئِعِينَ﴾ [سورة فصلت:١١]؛ فَذَكَرَ فِي هَذِهِ خَلْقَ الْأَرْضِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ؟ وَقَالَ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [سورة النساء:٩٦]، ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [سورة النساء:٥٦]، ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [سورة النساء:٥٨]، فَكَأَنَّهُ كَانَ ثُمَّ مَضَى، فَقَالَ:... وَخَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاءَ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ، فَسَوَّاهُنَّ فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، ثُمَّ دَحَا الْأَرْضَ، ودَحْيُهَا: أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا الْمَاءَ وَالْمَرْعَى، وَخَلَقَ الْجِبَالَ وَالْجَمَادَ وَالْآكَامَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿دَحَىٰهَآ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [سورة فصلت:٩]؛ فَخُلِقَتِ الْأَرْضُ وَمَا فِيهَا مِنْ شَيْءٍ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، وَخُلِقَتِ السَّمَاوَاتُ فِي يَوْمَيْنِ»(٢).

قَوْلُهُ: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾﴾، أَيْ: فَجَّرَ مِنَ الْأَرْضِ عُيُونًا وَأَجْرَى أَنْهَارًا، وأَنْبَتَ فِيهَا مَا يُرْعَى فِيهَا مِنَ النَّبَاتَاتِ(٣)، وَالْآيَةُ تَفْسِيرٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾[سورة النازعات:٣٠].

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾، أَيْ: أَثْبَتَهَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهَا كَالْأَوْتَادِ(١) لِئَلَّا تَمِيدَ بِأَهْلِهَا(٢)؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [سورة الأنبياء:٣١].

---

(١) ينظر: فتح القدير (٥/ ٤٥٨).

(٢) صحيح البخاري (٦/ ١٢٧)، وانظر باقي جواب ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فيه.

(٣) ينظر: التفسير الوسيط، للواحدي (٤/ ٤٢١)، فتح القدير (٥/ ٤٥٨).

قَوْلُهُ: ﴿مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٣﴾، قوله: (متاعًا): مَفْعولٌ لِأَجْلِهِ، وَالْمَعْنَى: دَحَوْنَا الْأَرْضَ وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا، وَأَرْسَيْنَاهَا بِالْجِبَالِ مَنْفَعَةً لكم ولأنعامكم، والأنعام: جَمْعُ نَعَمٍ، وَهِيَ الْإِبِل وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ(٣).

قَوْلُهُ: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٣٤﴾، أي: الْقِيامَةُ الكبرى، وَالشِدَّةُ الْعُظْمَى، وَهِيَ النَّفْخَةُ الثّانيةُ(٤)، وسُمِّيَت بِذلِكَ لِأَنَّهَا تَطمُّ عَلَى كُلِّ أَمْرٍ هَائِلٍ مُفْظِعٍ لِعِظَمِ هَوْلِهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [سورة القمر:٤٦](٥).

قَوْلُهُ: ﴿يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾، أَيْ: مَا عَمِلَهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ(٦)، فَيرَى كِتَابَهُ مَفْتُوحًا قَدْ سُجِّلَتْ فِيهِ جميعُ أَعْمالِهِ، وَيُقالُ لَهُ: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ [سورة الإسراء:١٤](٧).

قَوْلُهُ: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ٣٦﴾، أَيْ: وأُظْهِرَتْ النَّارُ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ- لِكُلِّ رَاءٍ بِحَيْثُ لا تَخْفى عَلَى أحَدٍ(٨)، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ﴾ [سورة التكاثر:٧].

قَوْلُهُ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾، أي: تَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي الْكُفْرِ وَالْعِصْيانِ(٩).

قَوْلُهُ: ﴿وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾، أَيْ: فَضَّلَ الْحَيَاةَ الدُّنْيا الزَّائِلَةَ، وَقدَّمَهَا عَلَى الْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ(١٠)، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧﴾ [سورة الأعلى:١٦-١٧].

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٠٥)، فتح القدير (٥/ ٤٥٨).
(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٩٦).
(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٩٧)، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٠٦)، تفسير الجلالين (ص٧٩١).
(٤) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٠٦)، تفسير السعدي (ص٩١٠).
(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣١٧).
(٦) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٠٧).
(٧) ينظر: تفسير العثيمين (ص٥٢).
(٨) ينظر: تفسير البغوي (٦/ ١١٩)، تفسير البيضاوي (٥/ ٢٨٥).
(٩) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٠٧).
(١٠) ينظر: فتح القدير (٥/ ٤٥٩).

قَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾، أَيْ: فإن جهنم هي الْمَصِيرُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة النساء:٩٧].

قَوْلُهُ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾، أَيْ: مَن خَافَ الْقِيَامَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى؛ لِعِلْمِهِ بِالْمَبْدَأِ وَالْمَعادِ[١]، فَاسْتَعَدَّ لِهَذا الْقِيَامِ الْعَظِيمِ.

قَوْلُهُ: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾، أَيْ: كَفَّ نَفْسَهُ عَنِ اتِّبَاعِ مَا تَشْتَهِيهِ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ؛ لِعِلْمِهِ بِأَنَّهُ مُرْدٍ[٢].

قَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾، أي: الَّتِي يَأْوُونَ إِلَيْهَا وَيَسْكُنُونَ فِيهَا، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة السجدة:١٩].

قَوْلُهُ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝٤٢﴾، أَيْ: يَسْأَلُونَكَ يَا مُحَمَّدُ عَنِ السَّاعَةِ وَهِيَ: عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مَتَى وَقْتُ حُلُولِهَا وَوُقُوعِهَا؟[٣].

قَوْلُهُ: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾، أَيْ: "في أَيِّ شَيْءٍ أَنتَ من ذكرِ السَّاعة، والبحثِ عنها؟"[٤]، ولَيْسَ لَكَ عِلْمٌ بِهَا حَتَّى تَذْكُرَهَا لَهُمْ، وَإِنَّمَا شَأْنُكَ الاسْتِعْدَادُ لَهَا[٥]، كَمَا ثَبَتَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِرسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: حُبَّ اللهِ ورسولِهِ، قَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»[٦]، وَفِي رِوَايَةٍ: «مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَوْمٍ وَلا صَلاةٍ وَلا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ»[٧]، وَفِي رِوَايَةٍ: «قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحنا بقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٨٥).
(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٨٥).
(٣) ينظر: تفسير الجلالين (ص٧٩١).
(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٠٤٦).
(٥) ينظر: تفسير الرازي (٤/ ٣٩٣)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٩٥).
(٦) أخرجه البخاري (٦١٧١)، ومسلم (٢٦٣٩) واللفظ له.
(٧) هذا لفظ البخاري.

أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ، قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ»(١).

قَوْلُهُ: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾، أَيْ: مُنْتَهَى عِلْمِها إِلَى اللهِ وَحْدَهُ(٢)، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٨٧]، وَجاءَ فِي حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الْمَشْهُورِ: أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِالسَّلَامُ لَمَّا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ عَنْ وَقْتِ السَّاعَةِ قَالَ: «مَا الْمَسْؤولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»(٣).

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾، أَيْ: يَا مُحَمَّدُ مُحذِّر مَنْ يَخافُ أَهْوَالَها وَشَدائِدَها(٤).

قَوْلُهُ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾، أَيْ: كأَنَّ الْكُفَّار يوم يَرَوْنَ السَّاعَةَ، لم يلبثوا في الدُّنْيَا إلا عشية أو ضحاها، والْعَشِيَّةُ: مَا بَينَ الظُّهْرِ إِلى غُرُوبِ الشَّمْسِ، والضُّحى: مَا بَيْنَ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلى نِصْفِ النَّهارِ(٥).

بَعْضُ الْفَوائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

ذِكْرُ بعضِ دَلَالاتِ قَسَمِ اللهِ بِالْمَلائِكَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّـٰبِحَـٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّـٰبِقَـٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾ [سورة النازعات:١-٥]: إِقْسَامٌ مِنَ اللهِ بِالْمَلائِكَةِ، وَلِذَلِكَ دلالات كثيرة؛ منها:

أولًا: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، أَمَّا الْخَلْقُ فَلَا يَجُوزُ لَهُمْ أَنْ يُقْسِمُوا إِلَّا بِهِ سُبْحَانَهُ. قَالَ ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: "سَائِرِ الْأَئِمَّةِ... يَمْنَعُونَ أَنْ يُقسِمَ أَحَدٌ بِالْمَخْلُوقِ؛ فَإِنَّهُ إِذَا مَنَعَ أَنْ يُقْسِمَ عَلَى مَخْلُوقٍ بِمَخْلُوقٍ؛ فَلَأَنْ يُمْنَعَ أَنْ يُقسِمَ عَلَى

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٨) واللفظ له، ومسلم (٢٦٣٩).
(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٠٠)، تفسير البغوي (٨/ ٣٣١).
(٣) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).
(٤) ينظر: تفسير النسفي (٣/ ٦٠٠)، تفسير الألوسي (١٥/ ٢٤٠).
(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣١٨).

الْخَالِقِ بِمَخْلُوقٍ أَوْلَى وَأَحْرَى، وَهَذَا بِخِلَافِ إِقْسَامِهِ سُبْحَانَهُ بِمَخْلُوقَاتِهِ، كـ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ [سورة الليل:١-٢]، ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [سورة الشمس:١]، ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ [سورة النازعات:١]، ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا﴾ [سورة الصافات:١]، فَإِنَّ إِقْسَامَهُ بِمَخْلُوقَاتِهِ يَتَضَمَّنُ مِنْ ذِكْرِ آيَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ مَا يَحْسُنُ مَعَهُ إِقْسَامُهُ، بِخِلَافِ الْمَخْلُوقِ، فَإِنَّ إِقْسَامَهُ بِالْمَخْلُوقَاتِ شِرْكٌ بِخَالِقِهَا"[١].

ثانيًا: عِظَمُ مَكَانَةِ الْمَلائِكَةِ عِنْدَ رَبِّهِمْ، حَيْثُ أَقْسَمَ بِالمَلائِكَةِ، وَلَا يُقْسِمُ رَبُّنَا تَعَالَى إِلَّا بِعَظِيمٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَتَنْبِيهًا عَلَى الْمَقْسُومِ بِهِ بِالنَّظَرِ وَالتَّفَكُّرِ. قَالَ ابْنُ عَاشورٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ابْتُدِئَتْ بِالْقَسَمِ بِمَخْلوقَاتٍ ذَاتِ صِفَاتٍ عَظِيمَةٍ قَسَمًا مُرَادًا مِنْهُ تَحْقيقُ مَا بَعْدَهُ مِنَ الْخَبَرِ، وَفِي هَذَا الْقَسَمِ تَهْوِيلُ الْمُقْسَمِ بِهِ"[٢].

ثالثًا: أَنَّ الْمَلائِكَةَ لَهُمْ وَظَائِفُ وَأَعْمَالٌ، وَكُلٌّ لَهُ عَمَلٌ يَخْتَصُّ بِهِ، وَقَدْ دَلَّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ عَلَى أَصْنَافِ الْمَلائِكَةِ، وَأَنَّهَا مُوَكَّلَةٌ بِأَصْنَافِ الْمَخْلُوقَاتِ، فَوُكِّلَ بِالْجِبَالِ مَلائِكَةٌ، وَوُكِّلَ بِالسَّحَابِ وَالْمَطَرِ مَلائِكَةٌ، وَوُكِّلَ بِالرَّحِمِ مَلَائِكَةٌ، وَوُكِّلَ بِالْعَبْدِ مَلَائِكَةٌ لِحِفْظِهِ، وَمَلائِكَةٌ لِحِفْظِ مَا يَعْمَلُهُ وَإِحْصَائِهِ وَكِتَابَتِهِ، وَوُكِّلَ بِالْمَوْتِ مَلَائِكَةٌ، وَوُكِّلَ بِالنَّارِ وَإِيقَادِهَا وَتَعْذِيبِ أَهْلِهَا وَعِمَارَتِهَا مَلَائِكَةٌ، وَوُكِّلَ بِالسُّؤَالِ فِي الْقَبْرِ مَلَائِكَةٌ، وَوُكِّلَ بِالْجَنَّةِ وَعِمَارَتِهَا وَغِرَاسِهَا وَعَمَلِ الْأَنْهَارِ فِيهَا مَلَائِكَةٌ[٣].

بيان حال الْكافر والْمؤْمن عنْد السّكرات:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢﴾ [سورة النازعات:١]: أَنَّ الكَافِرَ يُعَانِي مِنْ شِدَّةِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: يُرِيدُ أَنْفُسَ الْكُفَّارِ يَنْزِعُهَا مَلَكُ الْمَوْتِ مِنْ أَجْسَادِهِمْ؛ مِنْ تَحْتِ كُلِّ شَعْرَةٍ، وَمِنْ تَحْتِ الْأَظَافِيرِ، وَأُصُولِ

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٢٠٣).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠).

(٣) ينظر: إغاثة اللهفان (٢/ ١٢٥-١٢٦).

الْقَدَمَيْنِ نَزْعًا كَالسَّفُّودِ يُنْزَعُ مِنَ الصُّوفِ الرَّطْبِ، يُغْرِقُهَا، أَيْ: يُرْجِعُهَا فِي أَجْسَادِهِمْ، ثُمَّ يَنْزِعُهَا؛ فَهَذَا عَمَلُهُ بِالْكُفَّارِ، وَقَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ"(١).

وأَمَّا الْمُؤْمِنُ: فَيُخَفَّفُ عَنْهُ، وَإِنْ حَصَلَ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الشِّدَّةِ؛ فَهَذِهِ الشِّدَّةُ لَا تُقَارَنُ بِمَا يُلَاقِيهِ الْكَافِرُ الْمُكَذِّبُ.

الغرض من الْقَسَمِ عَلَى قِيَامِ الْقِيَامَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١﴾... إلى قوله: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧﴾ [سورة النازعات:١-٧]: أقسم الله تعالى بذلك على قيام الساعة، وهذا فيه تَقْرِيرٌ لِبَعْضِ الْأمور؛ مِنْهَا:

أولًا: تَقْرِيرُ عَقِيدَةِ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ بِالإِقْسَامِ عَلَيْهَا، وَذِكْرِ كَيْفِيَّةِ وُقُوعِهَا.

ثانيًا: هَزُّ الْقُلُوبِ الْمُكَذِّبَةِ بِالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ، وذلك مِنْ خِلَالِ ذِكْرِ بَعْضِ مَشَاهِدِ الْمَوْتِ وَالْبَعْثِ وَالْحَشْرِ وَالْقِيَامَةِ.

ثالثًا: دَعْوَةٌ لِلْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ وَتَخْوِيفٌ لَهُمْ، وَدَعْوَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ لِلْإِكْثَارِ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ اسْتِعْدَادًا لِهَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ.

رابعًا: دَلِيلٌ عَلَى قُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ إِلَّا أَنْ تَهْتَزَّ الْأَرْضُ؛ مِصْدَاقًا لِقَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا﴾ [سورة المزمل:١٤].

بيان حال الْقُلُوبِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ﴾ [سورة النازعات:٨]: إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْقُلُوبَ فِي هَذَا الْيَوْمِ هِيَ الَّتِي تَتَلَقَّى هَذِهِ الْأَحْدَاثَ وَتَتَفَاعَلُ بِهَا، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدِ اسْتَحَالَ إِلَى قَلْبٍ وَاجِفٍ مُضْطَرِبٍ، كُلُّ جَارِحَةٍ فِيهِ وَكُلُّ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ قَدْ صَارَ قَلْبًا يُدْرِكُ وَيَشْعُرُ وَيَنْفَعِلُ، وَذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ وَقْعِ الْأَحْدَاثِ، الَّتِي يَتَنَبَّهُ لَهَا كِيَانُ الْإِنْسَانِ كُلِّهِ(٢).

بيانُ حال الْأَبْصَارِ يوم القيامة، وسببه:

(١) تفسير القرطبي (١٩/ ١٩٠).

(٢) ينظر: التفسير القرآني (١٦/ ١٤٣٣).

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ﴾ [سورة النازعات:٩]: ذِكْرٌ لِمَا يُصِيبُ أَبْصَارَ أَصْحَابِهَا مِنَ الْكَآبَةِ وَالْحُزْنِ مِنَ الْخَوْفِ وَالرُّعْبِ الَّذِي قَدْ نَزَلَ بِهِمْ مِنْ عَظِيمِ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ[1]، "وَإِنَّمَا أَوْقَعَ الذُّلَّ عَلَى الْأَبْصَارِ؛ لِأَنَّهَا هِيَ الْمِرْآةُ الَّتِي تَتَجَلَّى عَلَى صَفْحَتِهَا أَحْوَالُ الْإِنْسَانِ، وَمَا يَقَعُ فِي الْقَلْبِ مِنْ مَسَرَّاتٍ وَمَسَاءَاتٍ"[2].

ما يدل عليه الْجَمْعُ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالْبَصَرِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ٩﴾ [سورة النازعات:٨-٩]: جمع بين الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ، وفي هذا بَيَانٌ وَاضِحٌ لِمَنْزِلَةِ الْبَصَرِ وَالْقَلْبِ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَمَدَى الْارْتِبَاطِ الْعَمِيقِ بَيْنَهُمَا، حَتَّى إِنَّ كَثِيرًا مِنْ آثَارِ الْمَشَاعِرِ وَالانْفِعَالَاتِ، وَمَا يَعْتَرِي الْإِنْسَانَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمَا. قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَلَيْسَ مِنَ الْأَعْضَاءِ أَشَدُّ ارْتِبَاطًا بِالْقَلْبِ مِنَ الْعَيْنَيْنِ؛ وَلِهَذَا جُمِعَ بَيْنَهُمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ [سورة الأنعام:١١٠]، ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [سورة النور:٣٧]، ﴿وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ﴾ [سورة الأحزاب:١٠]، ﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ٩﴾ [سورة النازعات:٨-٩]؛ وَلِأَنَّ كِلَيْهِمَا لَهُ النَّظَرُ، فَنَظَرُ الْقَلْبِ الظَّاهِرِ بِالْعَيْنَيْنِ، وَالْبَاطِنِ بِهِ وَحْدَهُ، وَكَذَلِكَ اللِّسَانُ هُوَ الذَّكَرُ وَالشَّفَتَانِ أُنْثَاهُ"[3].

الإخبار بسُوءِ حَالِ مَنْ يُنْكِرُ الْبَعْثَ ولا يستعدُّ للآخرة:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ١٤﴾: دلالة على أمور؛ منها:

أولًا: أَنَّ كُلَّ مَنْ لَا يَسْتَعِدُّ لِلْآخِرَةِ خَاسِرٌ لَا مَحَالَةَ، فَالْأَمْرُ لَا يَسْتَغْرِقُ إِلَّا زَجْرَةً وصيحة وَاحِدَةً، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾ [سورة النحل:٧٧][4].

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ١٩٣).

(٢) التفسير القرآني (١٦/ ١٤٣٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١٦/ ٢٢٥).

(٤) ينظر: التفسير القرآني (١٦/ ١٤٣٥).

ثانيًا: إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى بِسُهُولَةِ الْبَعْثِ عَلَيْهِ، فَإِنَّمَا هِيَ صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ إِسْرَافِيلَ يَسْمَعُونَهَا وَهُمْ فِي بُطُونِ الْأَرْضِ أَمْوَاتٌ فَيَحْيَوْنَ(١).

الغرض من ذكر قصَّة موسى مع فرعون:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ [سورة النازعات:١٥] وَمَا بَعْدَهَا مِنَ الْآيَاتِ: ذِكْرٌ لِقِصَّةِ مُوسَى مَعَ فِرْعَوْنَ، وَمَا جَرَى فِيهَا مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْمَوَاقِفِ، وَفِي ذَلِكَ فَائِدَتَانِ(٢):

الْأُولَى: تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَصْبِيرٌ لَهُ مِمَّا يُلَاقِيهِ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ تَكْذِيبٍ وَشِدَّةِ عِنَادِهِمْ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْ دَعْوَتِهِ.

الثَّانِيَةُ: تَهْدِيدٌ لِلْكُفَّارِ بِأَنْ يُصِيبَهُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ مَنْ هُوَ أَقْوَى وَأَعْتَى وَأَشَدُّ شَوْكَةً، وَأَكْثَرُ جَمْعًا.

إِثْبَاتُ صفة الْكَلام لله تعالى:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [سورة النازعات:١٦-١٧]: إِثْبَاتُ صِفَةِ الْكَلَامِ للهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ حَقِيقِيٍّ، مَتَى شَاءَ وَكَيْفَ شَاءَ بِمَا شَاءَ، بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ لَا يُمَاثِلُ أَصْوَاتَ الْمُخْلُوقِينَ(٣)، وقد ثبت عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ»(٤).

وعلى كلٍّ: فَقَوْلُهُ تعالى: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ تعالى غَيْرُ مَخْلُوقٍ، تَكَلَّمَ بِهِ تَكَلُّمًا؛ لِأَنَّ النِّدَاءَ كَلَامٌ مَسْمُوعٌ

---

(١) ينظر: تفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٤١٩)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣١٤).
(٢) ينظر: التفسير المنير (٣٠/ ٣٩).
(٣) ينظر: تفسير الألوسي (١/ ١٨).
(٤) أخرجه البخاري (٧٤٨٣).

لا مَحالَةَ، وَالْكَلامُ لِلْمُتَكَلِّمِ وَالنِّدَاءُ مِنْهُ، وَصِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ، وَهُوَ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ[1].

التَّحْذِيرُ مِنَ الطُّغْيَانِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧﴾: بَيَانٌ لِسَبَبِ إِرْسَالِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَأَنَّ ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى طُغْيَانِهِ وَجَبَرُوتِهِ، وَقَدْ تَنَوَّعَ طُغْيَانُ فِرْعَوْنَ مِنَ الْكُفْرِ وَادِّعَاءِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ، إِلى الْفَسَادِ وَالْعُلُوِّ فِي الْأَرْضِ، وَقَهْرِ الضُّعَفَاءِ، إِلَى تَكْذِيبِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخِيرًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ٢١ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤﴾ [سورة النازعات:٢١-٢٤]، ثُمَّ كَانَ عَاقِبَتُهُ الْغَرَقَ فِي الدُّنْيَا، وَسُوءَ الْمَصِيرِ فِي الْآخِرَةِ،كما قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ﴾ [سورة النازعات:٢٥][2].

بيان أَهَمِّيَّةِ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْمَعَايِبِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾: إِشَارَةٌ وَاضِحَةٌ إِلى حَقِيقَةِ التَّزْكِيَةِ، وَسَعَةِ مَعْنَاهَا وَمَدْلُولِهَا، فَلَا يُمْكِنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُزَكِّيَ نَفْسَهُ إِلَّا بِالتَّطَهُّرِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَالتَّحَلِّي بِالْإِيمَانِ[3].

أهمية تَحَلِّي الدَّاعِيَةِ إِلى اللهِ بِاللِّينِ وَالرِّفْقِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ١٩﴾ [سورة النازعات:١٨-١٩]: تَنْبِيهٌ قُرْآنِيٌّ إِلى ضَرُورَةِ تَحَلِّي الدَّاعِيَةِ بِاللِّينِ وَالرِّفْقِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾ [طه:٤٣-٤٤]، فَالْقَوْلُ اللَّيِّنُ يُؤَدِّي بِمَشِيئَةِ اللهِ إِلى التَّذْكِرَةِ أَوِ الْخَشْيَةِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [سورة النحل:١٢٥]، أَيْ: بِالطَّرِيقَةِ

(١) النكت الدالة عَلَى البيان في أنواع العلوم (٤/ ٤٧٧).

(٢) تفسير السعدي (ص٥٠٤).

(٣) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٤٣٣).

الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ طُرُقِ الْمُجَادَلَةِ مِنَ الرِّفْقِ وَاللِّينِ مِنْ غَيْرِ فَظَاظَةٍ وَلَا تَعْنِيفٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [سورة آل عمران:١٥٩].

أَخْشَى النَّاسِ أَعْلَمُهُمْ بِاللهِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [سورة النازعات:١٩]: أَنَّ خَشْيَةَ اللهِ تَعَالَى لَا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ، وَأَنَّهُ كُلَّمَا كَانَ الْعَبْدُ أَكْثَرَ عِلْمًا وَمَعْرِفَةً بِاللهِ ﷻ اشْتَدَّتْ خَشْيَتُهُ مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَقَدْ وَصَفَ اللهُ تَعَالَى الْعُلَمَاءَ بِهِ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُمُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللهَ حَقًّا، فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ﴾ [سورة فاطر:٢٨][(١)]؛ وَلِهَذَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ الْخَلْقِ خَوْفًا مِنْ رَبِّهِ وَأَعْظَمَهُمْ خَشْيَةً لَهُ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَوَاللهِ، إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»[(٢)]، وَفِي لَفْظٍ: «وَاللهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلهِ وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي»[(٣)].

لَفْتُ الانْتِبَاهِ إِلَى الاتِّعَاظِ بِمَا حَصَلَ لِفِرْعَوْنَ مِنَ الْعِقَابِ فِي الدُّنْيَا:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۝٢٥ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ۝٢٦﴾ [سورة النازعات:٢٥-٢٦]: نهاية قِصَّةِ فِرْعَوْنَ، وبيان مَا فَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ، وأن ذلك عِبْرَةٌ عَظِيمَةٌ لِمَنْ شَأْنُهُ أَنْ يَخْشَى اللهَ وَيَتَّقِيهُ، وَيَخَافَ عُقوبَتَهُ، وَيَحْذَرَ غَضَبَهُ. قَالَ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللهُ: "﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [سورة النازعات:٢٦]، أَيْ: فِيمَا جَرَى مِنْ إِرْسَالِ مُوسَى إِلَى فِرْعَوْنَ وَمُحَاوَرَتِهِ إِيَّاهُ، وَاسْتِهْتَارِ فِرْعَوْنَ بِهِ، وَاسْتِكْبَارِهِ عَنِ الانْقِيَادِ لَهُ؛ عِبْرَةً"[(٤)].

بيان من ينتفع ويتعظ بالتخويف والآيات الكونية والقرآنية:

(١) تفسير ابن عثيمين (١/ ٤٧).
(٢) أخرجه البخاري (٦١٠١) واللفظ له، ومسلم (٢٣٥٦).
(٣) أخرجه مسلم (١١١٠).
(٤) تفسير ابن عثيمين (١/ ٤٩).

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة النازعات: ٢٦]: بَيَانُ أَنَّ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِالْآيَاتِ وَيَتَّعِظُ هُوَ مَنْ يَخْشَى اللهَ تَعَالَى، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ مُلَاقِيهِ، فَيَرْجُو ثَوَابَهُ وَيَخَافُ عِقَابَهُ؛ كَمَا قَالَ اللهُ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ [سورة الأعلى: ١٠].

وقد تكرَّر هذا المعنى فِي آخر السورة؛ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [سورة النازعات: ٤٥]، فأخبر الله أَنَّهُ إِنَّمَا ينتفعُ بِالآيَاتِ الْإِيمَانِيَّةِ وَالْقُرْآنِيَّةِ أَهْلُ التَّقْوَى وَالْخَشْيَةِ وَالْإِنَابَةِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾﴾ [سورة طه: ١-٣][(١)]، والَّذِي يَنْتَفِعُ بِالإِنْذَارِ وَالتَّخْوِيفِ هُوَ مَنْ يَخْشى وَيَخَافُ أَهْوَالَ الْقِيَامَةِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [سورة يس: ١١].

مُنَاسَبَةُ الِانْتِقَالِ مِنْ قِصَّةِ مُوسَى إِلَى ذِكْرِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ:

فِي انْتِقَالِ سِيَاقِ الْآيَاتِ مِنْ ذِكْرِ قِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ فِرْعَوْنَ، إِلَى ذِكْرِ خَلْقِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فائِدَةٌ، قَالَ الشَّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "لَمَّا كَانَ فِرْعَوْنُ عَلَى تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ مِنَ الطُّغْيَانِ وَالْكُفْرِ، وَكَانَ مِنْ أَسْبَابِ طُغْيَانِهِ الْمُلْكُ وَالْقُوَّةُ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ [سورة الفجر: ١٠]، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة القصص: ٤]، وَقَوْلِهِ عَنْهُ: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [سورة الزخرف: ٥١]، وَهَذِهِ كُلُّهَا مَظَاهِرُ طُغْيَانِهِ وَعَوَامِلُ قُوَّتِهِ- خَاطَبَهُمُ اللهُ بِمَا آلَ إِلَيْهِ هَذَا الطُّغْيَانُ، ثُمَّ خَاطَبَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مُحَذِّرًا مِنْ طُغْيَانِ الْقُوَّةِ: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [سورة النازعات: ٢٧]، حَتَّى لَوِ ادَّعَيْتُمْ أَنَّكُمْ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ فِرْعَوْنَ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى، فَهَلْ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ؟"[(٢)].

تَوْبِيخُ مُنْكِرِي الْبَعْثِ مِنَ الْكُفَّارِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ

(١) ينظر: بدائع الفوائد (ص١٣١).

(٢) أضواء البيان (٨/ ٤٢١-٤٢٢). وينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٨٣).

وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة النازعات:٢٧-٣٣]: تَوْبِيخٌ لِمُنْكِرِي الْبَعْثِ مِنْ كُفَّارِ مَكَّةَ وَغَيْرِهِمْ. قَالَ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لِأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى خَلْقِ السَّماءِ الَّتِي لَها هَذَا الجِرْمُ العَظِيمُ، وَفِيهَا مِنْ عَجَائِبِ الصُّنْعِ وَبَدائِعِ القُدْرَةِ مَا هُوَ بَيِّنٌ لِلنّاظِرِينَ، كَيْفَ يَعْجِزُ عَنْ إِعادَةِ الْأَجْسامِ الَّتِي أَماتَها بَعْدَ أَنْ خلقَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ؟ وَمِثْلُ هذا قَوْلُهُ سُبْحانَهُ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة غافر:٥٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ [سورة يس:٨١]"(١).

بيان تَّذكُّر الإنسان أعماله يَوْمَ الْقِيامَةِ؛ مع أنه لا فَائِدَةَ مِنْهُ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة النازعات:٣٥-٣٦]: أن الْإِنْسَان فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَتَذَكَّرُ جميعَ عَمَلِهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَيَنْدَمُ عَلَى مَا قَدَّمَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَعَلَى مَا عَمِلَ مِنْ أَعْمَالِ السُّوءِ، وَلَكِنْ هَلْ تَنْفَعُهُ الذِّكْرَى؟ لَا تَنْفَعُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [سورة الفجر:٢٣]، فَقَدْ فَاتَ الْأَوَانُ، وَإِنَّمَا كَانَتْ تَنْفَعُهُ الذِّكْرَى لَوْ تَذَكَّرَ الْحَقَّ قَبْلَ حُضُورِ الْمَوْتِ(٢).

بيان أسباب دخول النار وأسباب دخول الجنة:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [سورة النازعات:٣٧-٤١]: بَيَانُ أَنَّ سَبَبَ دُخولِ النَّارِ وَالْجَحِيمِ أَمْرَانِ:

الْأَوَّلُ: تَجَاوُزُ الْحَدِّ فِي الْعُدْوَانِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْكُفْرُ بِاللهِ.

الثَّانِي: تَقْدِيمُ الدُّنْيَا وَإِيثَارُهَا وَالِانْهِمَاكُ بِمَلَذَّاتِهَا وَشَهَوَاتِهَا، وَعَدَمُ الِاسْتِعْدَادِ لِلْآخِرَةِ بِالْعِبادَةِ وَتَهْذِيبِ النَّفْسِ(٣).

وأما سَبَبَ دُخُولِ الْجَنَّةِ فَأَمْرَانِ مُتَلازِمَانِ:

(١) فتح القدير (٥/ ٤٥٧).
(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣١٧)، تفسير العثيمين (ص٥٣).
(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣١٧)، السراج المنير (٤/ ٤٨٢).

الْأَوَّلُ: الْخَوْفُ من اللهِ تَعَالَى وبَيْنَ يَدَيه؛ فكُلَّمَا خاف الْإِنْسَانُ من ربه ازْدَادَ يَقِينًا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وزَادَ إِيمَانُهُ، وَحَرِصَ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَابْتَعَدَ عَنِ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ، وَاسْتَعَدَّ لِهَذا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ بِمَا يُحِبُّهُ اللهُ ﷻ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ آثَارِ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ عَلَى الإِنْسَانِ.

الثَّانِي: كَفُّ النَّفْسِ عَنِ اتِّبَاعِ الْهَوَى، وَمَا تَشْتَهِيهِ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ. قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "فَأَمَّا مُخَالَفَةُ الْهَوَى فَلَمْ يَجْعَلِ اللهِ لِلْجَنَّةِ طَرِيقًا غَيْرَ مُخَالَفَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْ لِلنَّارِ طَرِيقًا غَيْرَ مُتَابَعَتِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [سورة النازعات:٣٧-٤١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [سورة الرحمن:٤٦] قِيلَ: هُوَ الْعَبْدُ يَهْوَى الْمَعْصِيَةَ فَيَذْكُرُ مَقَامَ رَبِّهِ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَمَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الْآخِرَةِ فَيَتْرُكُهَا للهِ"[1].

عَاقِبَةِ اتِّبَاعِ الْهَوَى:

فِيْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [سورة النازعات:٤٠]: إشارة وتشديد عَلَى خطَرِ اتِّبَاعِ الْهَوَى، فَمَنْ أَتْبعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ الْهَلَاكُ وَالْخِذْلانُ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ مِنْ أَعْظَمِ دَوَاعِي الضَّلَالِ، وَأَسْبَابِ الْهَلَاكِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، فَإِنَّهُ يَهْوِي بِصَاحِبِهِ إِلَى الْمَهَالِكِ حَتَّى يُورِدَهُ النَّارَ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-، كَمَا قَالَ الشَّعْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "سُمِّيَ الْهَوَى هَوىً لِأَنَّهُ يَهْوِي بِصَاحِبِهِ إِلَى النَّارِ"[2]، وَقَدْ قِيلَ: لَمْ يَذْكُرِ اللهُ تَعَالَى الْهَوَى فِي كِتَابِهِ إِلَّا ذَمَّهُ[3]. قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَقَدْ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ اتِّبَاعَ الْهَوَى يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾، ثُمَّ ذَكَرَ مَآلَ الضَّالِينَ عَنْ سَبيلِهِ وَمَصِيرَهُمْ فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ

(١) روضة المحبين (ص٤٠١-٤٠٢).
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٩).
(٣) روضة المحبين (ص٤٦٩).

بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [سورة ص:٢٦]، وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ بِاتِّبَاعِ الْهَوَى يَطْبَعُ عَلَى قَلْبِ الْعَبْدِ فَقَالَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [سورة محمد:١٦]"[١].

عِلْمُ السَّاعَةِ مِنَ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝٤٤﴾ [سورة النازعات:٤٢-٤٤]: دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى أَنَّ الْوَقْتَ الَّذِي تَكُونُ فِيهِ السَّاعَةُ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا رَبُّ الْعِزَّةِ، وَأَنَّهَا تَأْتِي بَغْتَةً، وَأَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَدْرِي مَتَى هِيَ[٢].

فالسَّاعَةُ إِحْدَى مَفَاتِحِ الْغَيْبِ الْخَمْسَةِ التي لا يعلمها إلا الله، وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ: قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسُۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ [سورة لقمان:٣٤]، وفي الحَدِيث عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [سورة لقمان:٣٤]»"[٣].

فَعِلْمُ السَّاعَةِ مِنَ الْغَيْبِ الَّذِي اخْتَصَّ اللهُ تَعَالَى بِهِ، وَاسْتَأْثَرَ بِعِلْمِهِ، فَلَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ بِمَا فِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ وَالْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ، حَتَّى أَفْضَلَ الرُّسُلِ وَهُوَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ.

بيان قِصَرِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهَوَانِهَا بِالنِّسْبَةِ لِلْآخِرَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [سورة النازعات:٤٦]: بَيَانٌ لِقِصَرِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَحَقَارَتِهَا، وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَثِيرَ مِنَ الْآيَاتِ الْمُبَيِّنَةِ لِذَلِكَ؛ مُذَكِّرًا بِحَالِ النَّاسِ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، وَمِنْ تِلْكَ الْآيَاتِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۝١٠٢ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۝١٠٣ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا

(١) روضة المحبين (ص٤٠١-٤٠٢).
(٢) ينظر: القيامة الصغرى، للأشقر (ص١١٨).
(٣) ينظر: القيامة الصغرى للأشقر (ص١١٨).

يقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا ۝١٠٤﴾ [سورة طه:١٠٢-١٠٤]، وقَوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ﴾ [سورة الروم:٥٥]، وقولُهُ تعَالَى: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ۝١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ۝١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١٤﴾ [سورة المؤمنون:١١٢-١١٤](١).

فَإِنْ ضَعُفَتِ نَّفْسُ الإنسان عَنْ مُلَاحظَةِ قِصَرِ الْوَقْتِ، وَسُرْعَةِ انْقِضَائِهِ؛ فَلْيَتَدَبَّرْ قَوْلَهُ ﷻ: ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ﴾ [سورة الأحقاف:٣٥].

وإن مَنْ تأمَّل في هذه الدُّنيَا لوَجدَ أنها لَيسَتْ بِشَيْءٍ بِالنِّسْبَةِ لِلْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [سورة يونس:٤٥]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ﴾ [سورة الأحقاف:٣٥]، وَفِي حَدِيثِ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ !»(٢).

فَالْعَاقِلُ مَنْ عَرفَ حَقِيقَةَ الدُّنْيَا، وَجعَلَهَا مَزْرَعَةً لِلآخِرَةِ، وَجعَلَهَا كَأَنَّهَا شَجَرَةٌ يَسْتَظِلُّ بِهَا سَاعَةً ثُمَّ يَمْضِي فِي طَرِيقِهِ، كَمَا جاء فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: «نَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! لَوِ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فَقَالَ: مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»(٣).

❁❁❁

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٧١).
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٥٨).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٧٧)، وقال: "حسن صحيح".

سُورَةُ عَبَسَ

سُورَةُ (عَبَسَ): سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ بِالْإِجْمَاعِ[1]، وَآيُهَا ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ آيَةً[2].

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمَائِهَا: سُورَةُ الصَّاخَّةِ، سُورَةُ السَّفَرَةِ، سُورَةُ الْأَعْمَى، وَسُورَةُ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ[3].

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ مِنَ السُّورَةِ:

حَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَقَاصِدِ وَالْمَعَانِي الْعَظِيمَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ[4]:

- ✓ بَيَانُ حَالِ الْأَعْمَى.
- ✓ ذِكْرُ شَرَفِ الْقُرْآنِ.
- ✓ إِقَامَةُ الْأَدِلَّةِ وَالْبَرَاهِينِ عَلَى الْبَعْثِ وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَاسْتِفَادَتُهُ مِنْ حَالِ النَّبَاتِ.
- ✓ حَالُ أَهْلِ الدَّرَجَاتِ وَالدَّرَكَاتِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

سَبَبُ النُّزُولِ:

جَاءَ فِي سَبَبِ نُزُولِهَا: حَدِيثٌ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «أُنْزِلَ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى، أَتَى إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَرْشِدْنِي، وَعِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْرِضُ عَنْهُ وَيُقْبِلُ عَلَى الْآخَرِ، وَيَقُولُ: أَتَرَى بِمَا أَقُولُ بَأْسًا؟ فَيَقُولُ: لَا، فَفِي هَذَا أُنْزِلَ»[5].

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٤٣٦).

(٢) ينظر: تفسير البغوي (٥/ ٢٠٩).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٢٥)، فتح القدير (٥/ ٤٦٢)، التحرير والتنوير (٣٠/ ١٠١).

(٤) ينظر: بصائر ذوي التمييز (ص٥٠١)، مصاعد النظر (٣/ ١٥٧).

(٥) أخرجه الترمذي (٣٣٣١) وقال: "حديث غريب"، والحاكم في المستدرك (٣٨٩٦) وقال: "حديث صحيح عَلَى شرط الشيخين ولم يخرجاه، فقد أرسله جماعة عن هشام بن عروة".

شَرْحُ الآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿عَبَسَ﴾، أَيْ: ظَهَرَ أَثَرُ التَّغَيُّرِ وَالْعُبوسِ فِي وَجْهِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾، أَيْ: أَعْرَضَ لِأَجْلِ ﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾، وَهُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)].

قَوْلُهُ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾، أَيْ: وَأَيُّ شَيْءٍ يَجْعَلُكَ عَالِمًا بِحالِهِ[(٢)]، ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾، أَيْ: يَتَطَهَّرُ مِنَ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ[(٣)].

قَوْلُهُ: ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾، أَيْ: أَوْ يَتَّعِظُ فتنفعه الْمَوْعِظَةُ[(٤)].

قَوْلُهُ: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ عَنِ الْإِسْلَامِ، ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾، أَيْ: تَتَعَرَّضُ لَهُ وَتُقْبِلُ عَلَيْهِ رَغْبَةً فِي إِسْلَامِهِ[(٥)].

قَوْلُهُ: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾، أَيْ: لَا إِثْمَ عَلَيْكَ إِنْ لَمْ يَتَطَهَّرْ وَيُسْلِمْ وَيَهْتَدِي، فَإِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام:٥٢][(٦)].

قَوْلُهُ: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾، أَيْ: وَأَمَّا الَّذِي جَاءَكَ مُسْرِعًا بِالْمَجِيءِ طَالِبًا لِلْخَيْرِ[(٧)]، ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ اللهَ وَيَخَافُ عَذَابَهُ، ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾، أَيْ: تَتَشَاغَلُ[(٨)].

قَوْلُهُ: ﴿كَلَّآ﴾ رَدْعٌ وَزَجْرٌ، أَيْ: لَا تَعُدْ إِلَى مِثْلِهِ، ﴿إِنَّهَا﴾، يَعْنِي: هَذِهِ الْمَوْعِظَةَ أَوْ آيَاتِ هَذِهِ السُّورَةِ، ﴿تَذْكِرَةٌ ۝١١﴾، أَيْ: مَوْعِظَةٌ وَتَذْكِيرٌ لِلْمُتَّقِينَ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران:١٣٨][(٩)].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٠٢)، تفسير البغوي (٨/ ٣٣٢)، فتح القدير (٥/ ٤٦٢).

(٢) ينظر: تفسير النسفي (٣/ ٦٠١).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٠٥).

(٤) ينظر: تفسير الوجيز الواحدي (ص١١٧٣)، تفسير البغوي (٨/ ٣٣٦).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٠٧)، تفسير البغوي (٨/ ٣٣٦).

(٦) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٠٧)، تفسير القاسمي (٩/ ٤٠٥).

(٧) ينظر: تفسير أبي السعود (٩/ ١٠٨)، فتح القدير (٥/ ٤٦٣).

(٨) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٥/ ٢٨٤)، تفسير البيضاوي (٥/ ٢٨٦)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣١٩).

(٩) ينظر: الوجيز للواحدي (ص١١٧٤)، تفسير القرطبي (١٩/ ٢١٥).

قَوْلُهُ: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ١٢﴾، أَيْ: فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ وَيَتَّعِظَ بِهِ قَرَأَهُ وَاتَّعَظَ بِهِ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ٢٩﴾ [سورة الإنسان:٢٩](١).

قَوْلُهُ: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾، أَيْ: هَذَا الْقُرْآنَ فِي صُحُفٍ مُعَظَّمَةٍ عِنْدَ اللهِ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْهُدَى وَالنُّورِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾[سورة المائدة:١٥](٢).

قَوْلُهُ: ﴿مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ١٤﴾، أَيْ: مرفوعة بِالذِّكْرِ وَالْقَدْرِ(٣)، مُطَهَّرة مُنَزَّهَة مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَسَالِمَةٍ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ وَالتَّبْدِيلِ وَالتَّحْرِيفِ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت:٤٢](٤).

قَوْلُهُ: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾، أَيْ: كَتَبَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، جَعَلَهُمُ اللهُ سُفَرَاءَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رُسُلِهِ(٥).

قَوْلُهُ: ﴿كِرَامٍ﴾ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، ﴿بَرَرَةٍ﴾، أَيْ: أَتْقِيَاءَ أَطْهَارًا، لَا يُقَارِفُونَ ذَنْبًا، مُطِيعِينَ للهِ، صَادِقِينَ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة التحريم:٦](٦).

قَوْلُهُ: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾، أَيْ: لُعِنَ الْكَافِرِ، ﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾: تَعَجُّبٌ مِنْ كُفْرِهِمْ، أَيْ: مَا أَشَدَّ كُفْره بِرَبِّهِ ! ! كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [سورة إبراهيم:٣٤]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ٦٦﴾ [سورة الحج:٦٦](٧).

قَوْلُهُ: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ التَّقْرِيرُ(٨)، ثُمَّ بَيَّنَهُ فَقَالَ: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ﴾، أَيْ: خَلَقَهُ اللهُ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، وَهُوَ الْمَنِيُّ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ٣٩ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٤٦٣)، تفسير البغوي (٨/ ٣٣٦).
(٢) ينظر: تفسير السمرقندي (٣/ ٥٤٧)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٢١).
(٣) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢١٦).
(٤) ينظر: تفسير السمعاني (٦/ ١٥٧)، فتح القدير (٥/ ٤٦٤)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٢١).
(٥) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢١٦)، تفسير البغوي (٨/ ٣٣٧).
(٦) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٨٧)، تفسير أبي السعود (٩/ ١١٠).
(٧) ينظر: زاد المسير (٤/ ٤٠١)، تفسير أبي السعود (٣/ ٦٠٢).
(٨) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٣٧)، تفسير أبي السعود (٣/ ٦٠٣).

أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ۝٤٠﴾ [سورة القيامة:٣٧-٤٠]. ﴿فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩﴾، أَيْ: قَدَّرَهُ أَطْوَارًا إِلَى أَنْ أَتَمَّ خِلْقَتَهُ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ۝١٤﴾ [سورة المؤمنون:١٢-١٤][1].

قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾، أَيْ: ثُمَّ طَرِيقَ خُرُوجِهِ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ[2] يَسَّرَهُ وَسَهَّلَهُ، وَقِيلَ: أَيْ: بَيَّنَ لَهُ طَرِيقَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [سورة الإنسان:٣][3].

قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ﴾، أَيْ: ثُمَّ قَبَضَ رُوحَهُ وَجَعَلَهُ ذَا قَبْرٍ يُوَارَى فِيهِ لَا كَالْبَهَائِمِ[4].

قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾، أَيْ: ثُمَّ إِذَا شَاءَ اللهُ أَحْيَاهُ بَعْدَ مَمَاتِهِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، يُقَالُ: أَنْشَرَ اللهُ الْمَيِّتَ، بِمَعْنَى: أَحْيَاهُ[5].

قَوْلُهُ: ﴿كَلَّا﴾: رَدْعٌ وَزَجْرٌ لِلْإِنْسَانِ عَنِ الْكُفْرِ، ﴿لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣﴾، أَيْ: أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ وَلَمْ يُؤَدِّ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ مِنَ الْإِيمَانِ[6].

قَوْلُهُ: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤﴾، أي: فَلْيَنْظُرْ نَظَرَ اعْتِبَارٍ وَتَفَكُّرٍ وَتَأَمُّلٍ إِلَى طَعَامِهِ الَّذِي هُوَ قِوَامُ حَيَاتِهِ كَيْفَ قُدِّرَ وَدُبِّرَ لَهُ؟[7].

قَوْلُهُ: ﴿أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ۝٢٥﴾، أَيْ: أَنْزَلْنَا الْمَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ بِقُوَّةٍ وَغَزَارَةٍ[8].

قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا﴾، أَيْ: ثُمَّ فَتَقْنَا الْأَرْضَ فَصَدَّعْنَاهَا بِالنَّبَاتِ[1].

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٤٢٣)، فتح القدير (٥/ ٤٦٤).
(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١١٠)، تفسير البغوي (٨/ ٣٣٧).
(٣) ينظر: تفسير النسفي (٣/ ٦٠٣)، تفسير القرطبي (١٩/ ٢١٨).
(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١١٣)، تفسير السمرقندي (٣/ ٥٤٨)، تفسير القرطبي (١٩/ ٢١٩).
(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١١٤)، تفسير القاسمي (٩/ ٤٠٩).
(٦) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٣٨)، تفسير النسفي (٣/ ٦٠٣).
(٧) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٢٠).
(٨) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٨٧)، تفسير القاسمي (٩/ ٤١٠).

قَوْلُهُ: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا﴾، أَيْ: فِي الْأَرْضِ، ﴿حَبّٗا ٢٧﴾، الْحَبُّ هُوَ: كُلُّ مَا حُصِدَ كَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ، وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى أَنْوَاعًا مِنَ النَّبَاتِ وَذَكَرَ الْحَبَّ أَوَّلَهَا لِأَنَّهُ أَهَمُّهَا، إِذْ هُوَ الْأَصْلُ فِي قُوتِ الإِنْسَانِ[٢].

قَوْلُهُ: ﴿وَعِنَبٗا﴾، الْعِنَبُ: مَعْرُوفٌ، وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ وَأَنْفَعِ النَّبَاتِ؛ لِأَنَّهُ غِذَاءٌ مِنْ وَجْهٍ وَفَاكِهَةٌ مِنْ وَجْهٍ[٣]، ﴿وَقَضۡبٗا﴾، أَيْ: وَعَلَفًا لِلدَّوَابِّ؛ سمي بذلك لأنه يقضب ويقطع مرة بعد مرة[٤].

قَوْلُهُ: ﴿وَزَيۡتُونٗا﴾، أَيْ: وَأَنْبَتْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ زَيْتُونًا تَأْكُلُونَهُ وَتَدَّهِنُونَ بِهِ، وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْأَشْجَارِ وَأَكْثَرِهَا بَرَكَةً، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾ [سورة النور:٣٥][٥]. وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «كُلُوا الزَّيْتَ، وَادَّهِنُوا بِهِ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ»[٦].

قَوْلُهُ: ﴿وَنَخۡلٗا﴾، وَهِيَ شَجَرَةٌ عَظِيمَةُ الْبَرَكَةِ كَثِيرَةُ النَّفْعِ[٧]، كَمَا أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَهِيَ مَثَلُ الْمُسْلِمِ، حَدِّثُونِي مَا هِيَ؟ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنَا بِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: هِيَ النَّخْلَةُ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي، فَقَالَ: لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا»[٨].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١١٦)، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٢١).
(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١١٦)، معاني القرآن للزجاج (٥/ ٢٨٦).
(٣) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ٦٠).
(٤) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٣٨).
(٥) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٢١)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٢٤).
(٦) أخرجه أحمد في المسند (١٦٠٥٤)، والترمذي (١٨٥١)، وابن ماجه (٣٣١٩)، والحاكم في المستدرك (٧١٤٢) وقال: "حديث صحيح عَلَى شرط الشيخين ولم يخرجاه".
(٧) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٢٤).
(٨) صحيح البخاري (١٣١).

قَوْلُهُ: ﴿وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا﴾، أَيْ: وَبَسَاتِينَ عَظِيمَةً، كَثِيرَةَ الْأَشْجَارِ[1].

قَوْلُهُ: ﴿وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ۝٣١﴾، الفَاكِهَةُ: مَا يُؤْكَلُ مِن ثِمَارِ الأشْجَارِ، والْأَبُّ: الْعَلَفُ الَّذِي تَأْكُلُهُ الْبَهَائِمُ[2].

قَوْلُهُ: ﴿مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ۝٣٢﴾، أَيْ: لِتَنْعَمُوا بِهِ أَنْتُمْ وَأَنْعَامُكُمْ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَنْعَامِ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ تَعَالَى وَسَخَّرَهَا لَكُمْ[3].

قَوْلُهُ: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾، أَيْ: إِذَا جَاءَتْ صَيْحَةُ الْقِيَامَةِ، وَهِيَ الصَّيْحَةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تُصِمُّ مِن هَوْلِهَا وَشِدَّتِهَا الْأَسْمَاعَ، وَالَّتِي يَكُونُ بِهَا قِيَامُ النَّاسِ مِنْ قُبُورِهِمْ[4].

قَوْلُهُ: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ﴾، أَيْ: يَهْرُبُ ﴿ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾، أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ وَأَشْفَقِهِمْ عَلَيْهِ.

قَوْلُهُ: ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾، أَيْ: زَوْجَتِهِ، ﴿وَبَنِيهِ ۝٣٦﴾.

قَوْلُهُ: ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾، أَيْ: لِكُلِّ إِنْسانٍ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَمْرٌ يَشْغَلُهُ عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ وَيَصْرِفُهُ عَنْهُمْ[5]، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ قَالَ: يَا عَائِشَةُ! الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَلِكَ»[6]، وفِي رِوايَةٍ: «الأَمْرُ أَهَمُّ مِن أَنْ يَنْظُرَ بَعضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ»[7].

قَوْلُهُ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ﴾، أَيْ: مُضِيئَةٌ[8]، ﴿ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ﴾، أَيْ: مَسْرُورَةٌ فَرِحَةٌ لِمَا تَرَى مِنَ النَّعِيمِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ السُّعَدَاءُ[9].

---

(١) ينظر: معاني القرآن، للزجاج (٥/ ٢٨٦)، تفسير البغوي (٨/ ٣٣٨)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٢٤).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١١٩)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٢٤).

(٣) ينظر: تفسير السمعاني (٦/ ١٦١)، تفسير النسفي (٣/ ٥٩٩).

(٤) ينظر: زاد المسير (٤/ ٤٠٣)، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٢٤).

(٥) ينظر: التفسير الوسيط، للواحدي (٤/ ٤٢٤)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٢٥).

(٦) أخرجه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩) واللفظ له.

(٧) أخرجه ابن ماجه (٤٢٧٦).

(٨) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٢٦)، تفسير البغوي (٨/ ٣٤٠).

قَوْلُهُ: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾، أَيْ: غُبارٌ، ﴿تَرْهَقُهَا﴾، أَيْ: تَغْشَاهَا، ﴿قَتَرَةٌ﴾، أَيْ: سَوَادٌ وَظُلْمَةٌ وَذِلَّةٌ لِمَا تَرَى مِنَ الْكَرْبِ الشَّدِيدِ، وَالْهَمِّ الْعَظِيمِ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-[٢].

قَوْلُهُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾، أَيْ: الَّذِينَ جَمَعُوا إِلَى الْكُفْرِ الْفُجُورَ، وَكَأَنَّ اللهَ تَعَالَى جَمَعَ فِي وُجُوهِهِمْ بَيْنَ السَّوادِ وَالْغَبَرَةِ، كَمَا جَمَعُوا بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْفُجُورِ -وَاللهُ أَعْلَمُ-[٣].

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

مُعَاتَبَةُ اللهِ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾: عَاتَبَ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ أَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ، وَأَفْضَلُهُمْ عِنْدَهُ؛ بَعْدَ هَذَا الْمَوْقِفِ الَّذِي حَدَثَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَشْغُولًا بِدَعْوَةِ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَأَتَاهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ رَجُلٌ أَعْمَى، وَقَالَ: «أَقْرِئْنِي يَا رَسُولَ اللهِ، وَعَلِّمْنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ»، وَكَرَّرَ ذَلِكَ فَلَمْ يَتَّفِقْ ذَلِكَ وَمَا هُوَ مُشْتَغِلٌ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا يَرْجُوهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ، فَعَبَسَ وَتَوَلَّى عَنْهُ مُنْصَرِفًا لِمَا هُوَ مُشْتَغِلٌ بِهِ[٤].

تنبيهٌ: وَمَا حَصَلَ مِنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَتَنَافَى مَعَ مَا جَاءَ فِي حُسْنِ خُلُقِهِ، وَالْأَمْرِ بِالاقْتِدَاءِ بِهِ، فَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنُ النَّاسِ خُلُقًا، وَهُوَ وَحْدَهُ الْأُسْوَةُ الْحَسَنَةُ، لَكِنَّهُ بَشَرٌ يَعْتَرِيهِ مَا يَعْتَرِي الْبَشَرَ مِنَ الْأَعْرَاضِ كَالْغَضَبِ وَالسُّرُورِ وَالْمَرَضِ وَالصِّحَةِ، وَيَظْهَرُ ذَلِكَ عَلَى جَسَدِهِ وَمَلَامِحِ وَجْهِهِ، فَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَغَيَّرُ وَجْهُهُ عِنْدَمَا يَرَى مَا يَكْرَهُ، وَيَظْهَرُ عَلَيْهِ السُّرُورُ عِنْدَمَا يَرَى مَا يُحِبُّ.

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٤٠)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٢٧).

(٢) ينظر: زاد المسير (٤/ ٤٠٤)، تفسير البيضاوي (٥/ ٢٨٨).

(٣) ينظر: تفسير النسفي (٣/ ٦٠٤).

(٤) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٣٢)، تفسير أبي السعود (٩/ ١٠٧).

وَسَبَبُ عُبُوسِ وَجْهِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلْحَاحُ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَهُوَ مَعْذُورٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَرَى حَالَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَانْشِغَالَهُ عَنْهُ.

حُسْنُ عِتَابِ اللهِ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَىْ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾: أَنَّ اللهَ تَعَالَى عَاتَبَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمُنْتَهَى التَّكْرِيمِ وَالتَّعْظِيمِ وَاللُّطْفِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى وَجَّهَ كَلَامَهُ إِلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصِيغَةِ الْغَائِبِ، وَكَأَنَّ الْكَلَامَ مُوَجَّهٌ إِلَى غَيْرِهِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: عَبَسْتَ وَتَوَلَّيْتَ أَنْ جَاءَكَ الْأَعْمَى، لَكِنْ صَرَفَ الْخِطَابَ عَنْهُ إِلَى مَجْهُولٍ، أَيْ: عَبَسَ الرَّجُلُ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى[1].

وَنَسْتَفِيدُ مِنَ هَذَا: أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُعَلِّمُنَا كَيْفِيَّةَ الْعِتَابِ لِمَنْ نُحِبُّ، فَإِذَا عَاتَبْتَ حَبِيبًا فَتَلَطَّفْ فِي الْعِتَابِ، وَعَامِلْهُ بِالرِّفْقِ وَاللِّينِ، وَصَحِّحِ الْخَطَأَ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ بِالْحَرَجِ.

حِرْصُ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الدَّعْوَةِ:

فِي الْآيَاتِ الْأُولَى يَظْهَرُ حِرْصُ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الدَّعْوَةِ لِلْإِسْلَامِ بِشَتَّى الطُّرُقِ وَالْوَسَائِلِ، حَيْثُ إِنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَبْذُلُ كُلَّ مَا فِي وُسْعِهِ مِنْ أَجْلِ هِدَايَةِ النَّاسِ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَصَدَقَ اللهُ تَعَالَى الْقَائِلُ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة:١٢٨][2].

لا يَنْبَغِي التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْمَدْعُوِّينَ إِلَى اللهِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦﴾: بَيَانُ أَنَّ عَلَى الدَّاعِيَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْ لَا يُمَيِّزَ فِي الدَّعْوَةِ بَيْنَ فَقِيرٍ وَغَنِيٍّ، وَرَئِيسٍ وَمَرْؤُوسٍ. قَالَ الزُّرْقَانِيُّ

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٤٣٦)، تفسير القرطبي (١٩/ ٢١٣).

(٢) ينظر: تفسير النيسابوري (٦/ ٤٤٦).

رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فَفِيهِ الْحَثُّ عَلَى التَّرْحِيبِ بِالْفُقَراءِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِمْ فِي مَجَالِسِ الْعِلْمِ، وَقَضاءِ حَوائِجِهِمْ، وَعَدَمِ إِيثَارِ الْأَغْنِياءِ عَلَيْهِمْ"(١).

الْحذَرُ مِنَ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْمُؤْمِنِ فِي الدَّعْوَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾: إِشَارَةٌ إِلَى الحَذَرِ مِنَ الإِعْرَاضِ عَنِ الْمُؤْمِنِ فِي الدَّعْوَةِ مَهْمَا كَانَتْ حَالُهُ، فَلَعَلَّ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ التَّزْكِيَةِ وَالنَّصْرِ وَالرِّفْعَةِ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ، فَكَمْ جَعَلَ اللهُ مِنَ الْخَيْرِ وَالنَّفْعِ فِي أُنَاسٍ لَا يُؤْبَهُ لَهُمْ، وَكَفَى شَرًّا أَنْ يُحقِّر مُسْلِمٌ كَائِنًا مَنْ كَانَ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ ذَلِكَ الاحْتِقَارُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى؟

عِزَّةُ الإِسْلَامِ فِي عَدَمِ الْحِرْصِ عَلَى هِدَايَةِ الْمُعْرِضِينَ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ٧﴾: دَرْسٌ عَظِيمٌ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، يَسْتَفِيدُ مِنْهُ الدُّعَاةُ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي بَيَانِ عِزَّةِ هَذَا الدِّينِ، وَأَنَّهُ لَا يُعْرَضُ عَلَى مَنْ لَمْ يَطْلُبْهُ إِلَّا عَرْضًا عَزِيزًا، دُونَ إِلْحَاحٍ أَوْ جَرْيٍ وَرَاءَ الْمَدْعُوِّ، أَمَّا مَنْ جَاءَ يَسْعَى وَيَطْلُبُ لِنَفْسِهِ، فَهَذَا يُقْبِلُ عَلَيْهِ الدَّاعِيَةُ، وَيَسْتَجِيبُ لِمَا أَرَادَ، فَهَذَا جَاءَ مَفْتُوحَ الْقَلْبِ مُسْتَعِدًّا لِلِاسْتِجَابَةِ.

مِنْ أَدِلَّةِ صِدْقِ رِسَالَتِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِ رِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ -كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ- لَوْ كَتَمَ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مِمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ لَكَتَمَ هَذِهِ الْآيَاتِ(٢).

الْإِقْبَالُ عَلَى طَلَبَةِ الْعِلْمِ الْحَرِيصِينَ عَلَى الدَّعْوَةِ:

(١) شرح الزرقاني علَى الموطأ (٢/ ١٧).
(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٠٥).

في قِصَّةِ عِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ للنَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي شأْنِ إعراضِهِ عَنِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ: أَنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ هُوَ أَوْلَى بِالدَّعْوَةِ مِنْ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ؛ وَلِذَلِكَ جَاءَ الْعِتَابُ مِنْ أَجْلِ إِرْشَادِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ أَنْ يَهْتَمَّ بِالْمَصْلَحَةِ الْمُتَحَقِّقَةِ، وَأَلَّا يَنْشَغِلَ عَنْهَا بِمَصْلَحَةٍ مُتَوَهَّمَةٍ، حَيْثُ إِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كَانَ إِسْلَامُهُ صَحِيحًا، بَيْنَمَا مَنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُحَاوِلُ دَعْوَتَهُمْ لِلْإِسْلَامِ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ إِذَا كَانُوا سَيَهْتَدَوْنَ أَمْ لَا. قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: "فَدَلَّ هَذَا عَلَى الْقَاعِدَةِ الْمَشْهُورَةِ أَنَّهُ: (لَا يُتْرَكُ أَمْرٌ مَعْلُومٌ لِأَمْرٍ مَوْهُومٍ، وَلَا مَصْلَحَةٌ مُتَحَقِّقَةٌ لِمَصْلَحَةٍ مُتَوَهَّمَةٍ)، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي الْإِقْبَالُ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ، الْمُفْتَقِرِ إِلَيْهِ، الْحَرِيصِ عَلَيْهِ؛ أَزْيَدَ مِنْ غَيْرِهِ"(١).

مَشْرُوعِيَّةُ التَّذْكِيرِ مِنْ غَيْرِ جَبْرٍ عَلَى الاهْتِدَاءِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢﴾: أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى الدَّاعِيَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى التَّبْلِيغُ وَالتَّذْكِيرُ فَقَطْ، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يُجْبِرَ النَّاسَ عَلَى الْهِدَايَةِ. قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: "وَهَذِهِ فَائِدَةٌ كَبِيرَةٌ، هِيَ الْمَقْصُودَةُ مِنْ بِعْثَةِ الرُّسُلِ، وَوَعْظِ الْوُعَّاظِ، وَتَذْكِيرِ الْمُذَكِّرِينَ، فَإِقْبَالُكَ عَلَى مَنْ جَاءَ بِنَفْسِهِ مُفْتَقِرًا لِذَلِكَ مِنْكَ، هُوَ الْأَلْيَقُ الْوَاجِبُ، وَأَمَّا تَصَدِّيكَ وَتَعَرُّضُكَ لِلْغَنِيِّ الْمُسْتَغْنِي، الَّذِي لَا يَسْأَلُ وَلَا يَسْتَفْتِي لِعَدَمِ رَغْبَتِهِ فِي الْخَيْرِ، مَعَ تَرْكِ مَنْ هُوَ أَهَمُّ مِنْهُ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَكَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ أَنْ لَا يَزَّكَّى، فَلَوْ لَمْ يَتزَكَّ فَلَسْتَ بِمُحَاسَبٍ عَلَى مَا عَمِلَهُ مِنَ الشَّرِّ"(٢).

الاتِّعَاظُ بِالْقُرْآنِ وَالانْتِفَاعُ بِهِ تَوْفِيقٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢﴾ أَمْرَانِ:

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٩١٠).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص٩١٠).

الأول: بَيَانُ أَنَّ الانْتِفَاعَ وَالاتِّعَاظَ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ إِلْهَامٌ وَتَوْفِيقٌ وَمِنَّةٌ وَاصْطِفَاءٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى.

الثاني: أَنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ مَوْعِظَةٌ لِلنَّاسِ؛ فَمَنْ أَرَادَ الاتِّعَاظَ وَالانْتِفَاعَ بِهِ اتَّعَظَ وَانْتَفَعَ بِهِ[1].

حفظ الله لِلْقُرْآنِ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ:

في قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤﴾: أَنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ مَحْفُوظٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّحْرِيفِ وَالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ، كما قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [سورة الحجر:٩]. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قَوْلُهُ: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤﴾، أَيْ: هَذِهِ السُّورَةُ أَوِ الْعِظَةُ، وَكِلَاهُمَا مُتَلَازِمٌ، بَلْ جَمِيعُ الْقُرْآنِ ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾، أَيْ: مُعَظَّمَةٍ مُوَقَّرَةٍ، ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾، أَيْ: عَالِيَةِ الْقَدْرِ، ﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾، أَيْ: مِنَ الدَّنَسِ وَالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ"[2].

وُجُوبُ تَخَلُّقِ حَامِلِ الْقُرْآنِ بِأَخْلَاقِهِ:

في قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾: أَنَّهُ يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِ الْقُرْآنِ، وَيَتَأَدَّبَ بِآدَابِهِ، وَيَمْتَثِلَ أَوَامِرَهُ، وَيَجْتَنِبَ نَوَاهِيَهُ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قَوْلُهُ: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾، أَيْ: خُلُقُهُمْ كَرِيمٌ حَسَنٌ شَرِيفٌ، وَأَخْلَاقُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ بَارَّةٌ طَاهِرَةٌ كَامِلَةٌ، وَمِنْ هَاهُنَا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ عَلَى السَّدَادِ وَالرَّشَادِ"[3]، وَهُوَ مَا يَسْتَحِقُّ بِهِ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ، فَفِي الْحَدِيثِ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢١٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٢١).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٢١).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ؛ لَهُ أَجْرَانِ»[1].

لا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَكَبَّرَ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾﴾: أَنَّهُ لا يَحِقُّ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَكَبَّرَ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَهُ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَيْفَ يَتَكَبَّرُ مَنْ خَرَجَ مِنْ سَبِيلِ الْبَوْلِ مَرَّتَيْنِ[2].

بيانُ أَطْوَارِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾﴾: بَيَانُ تَطَوُّرِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، وَدَلَالَتِهِ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ وَعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ؛ فَقَدْ قَدَّرَهُ "أَحْوَالًا: نُطْفَةً تَارَةً، ثُمَّ عَلَقَةً أُخْرَى، ثُمَّ مُضْغَةً، إِلَى أَنْ أَتَتْ عَلَيْهِ أَحْوَالُهُ، وَهُوَ فِي رَحِمِ أُمِّهِ"[3]. قَالَ الْمَرَاغِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "خَلَقَهُ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، وَقَدَّرَهُ أَطْوَارًا وَأَحْوَالًا؛ طَوْرًا بَعْدَ طَوْرٍ، وَحَالًا بَعْدَ حَالٍ، وَأَتَمَّ خَلْقَهُ بِأَعْضَاءٍ تُلَائِمُ حَاجَاتِهِ مُدَّةَ بَقَائِهِ، وَأَوْدَعَ فِيهِ مِنَ الْقُوَى مَا يُمَكِّنُهُ مِنِ اسْتِعْمَالِ تِلْكَ الْأَعْضَاءِ وَتَصْرِيفِهَا فِيمَا خُلِقَتْ لِأَجْلِهِ، وَجَعَلَ كُلَّ ذَلِكَ بِمِقْدَارٍ مَحْدُودٍ بِحَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ كَمَالُ نَوْعِهِ"[4].

انْفِرَادُ اللهِ تَعَالَى بِالرُّبُوبِيَّةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾... وَمَا بَعْدَهَا مِنْ آيَاتٍ: إِشَارَةٌ إِلَى انْفِرَادِ اللهِ تَعَالَى بِالْخَلْقِ، وبِعَظِيمِ الْقُدْرَةِ الَّتِي لا يُشَارِكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ، وعَلَى أَنَّ الإِنْسَانَ مَرْبُوبٌ لِلَّهِ تَعَالَى وحْدَهُ، وَالِاعْتِبَارُ بِمَا فِي خَلْقِ الإِنْسانِ وَغَيْرِهِ مِن دَلائِلِ الْقُدْرَةِ، وَمِنْ

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨) واللفظ له.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢١٨).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١١٠).

(٤) ينظر: تفسير المراغي (٣٠/ ٤٤).

عظيم النِّعْمَةِ(١). قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فَاللهُ هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِتَدْبِيرِ الإِنْسَانِ وَتَصْرِيْفِهِ بِهَذِهِ التَّصَارِيْفِ، لَمْ يُشَارِكْهُ فِيْهِ مُشَارِكٌ"(٢).

شَرَعَ اللهُ دفنَ الْإِنْسَانِ الميِّتِ إكْرامًا لَهُ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَكْرَمَ الإِنْسَانَ بِالدَّفْنِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ يُلقى لِلْكِلَابِ، وَلَمْ يُتْرَكْ حَتَّى يَتَأَذَّى النَّاسُ بِرائِحَتِهِ. قَالَ السَّفَارِينِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ [سورة عبس:٢١]، أَيْ: جَعَلَ لَهُ قَبْرًا يُوارَى فِيهِ إِكْرَامًا لَهُ، وَلَمْ يُجْعَلْ مِمَّا يُلْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ"(٣). وقالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "{ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ}، أَيْ: أَكْرَمَهُ بِالدَّفْنِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ كَسَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي تَكُوْنُ جِيَفُهَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ"(٤).

الْقَبْرُ لَيسَ نِهايَةَ الطَّرِيقِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقَبْرَ لَيْسَ نِهَايَةَ الطَّرِيقِ، بَلْ بَدَايَتُهَا، وَهُوَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ؛ وَلِهَذَا مِنَ الْخَطَأِ أَنْ يُقَالَ عَنِ الْقَبْرِ: الْمَثْوَى الْأَخِيرُ؛ لِأَنَّ الْمَثْوَى الْأَخِيرَ إِمَّا الْجَنَّةُ، وإِمَّا النَّارُ، وَذلكَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

الرَّدُّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾، وقوله: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾: رَدٌّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ، قَالَ ابْنُ عَاشُورٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذَا شَآءَ﴾ رَدٌّ لِشُبْهَتِهِمْ؛ إِذْ كَانُوا يَطْلُبُونَ تَعْجِيلَ الْبَعْثِ تَحَدِّيًا وَتَهَكُّمًا؛ لِيَجْعَلُوا عَدَمَ الاِسْتِجَابَةِ بِتَعْجِيلِهِ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ لَا يَكُونُ، فَأَعْلَمَهُمُ اللهُ أَنَّهُ يَقَعُ عِنْدَمَا يَشَاءُ اللهُ وُقُوعَهُ لَا فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَسْأَلُونَهُ؛ لِأَنَّهُ مَوْكُولٌ إِلَى حِكْمَةِ اللهِ"(٥). وهكذا في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ

---

(١) ينظر: تفسير القاسمي (٩/ ٤٠٩).
(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص٩١١).
(٣) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٤). وينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ١٢٥).
(٤) تفسير السعدي (ص: ٩١١).
(٥) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٢٦).

طَعَامِهِۦٓ﴾: أَنَّ الْمَطَرَ وَمَا يَتْبَعُهُ مِنْ إِنْبَاتِ الْأَرْضِ دَلِيلٌ مَلْمُوسٌ عَلَى الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "{فَلْيَنْظُرِ الإنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ} فِيهِ امْتِنَانٌ، وَفِيهِ اسْتِدْلَالٌ بِإِحْيَاءِ النَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ الْهَامِدَةِ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَجْسَامِ بَعْدَمَا كَانَتْ عظَاما بَالِيَةً وَتُرَابًا مُتَمَزِّقًا"[1].

زَجْرُ الْإِنْسَانِ الْكَافِرِ لِعَدَمِ تَأْدِيَتِهِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَىْ: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾: رَدْعٌ وَزَجْرُ الإِنْسَانِ الْكَافِرِ، وَبَيَانُ أَنَّ هَذَا الرَّدْعَ وَالزَّجْرَ سَبَبُهُ أَنَّهُ لَمْ يُؤَدِّ مَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالإِيمَانِ أَيْضًا بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ[2].

اسْتِحْقَاقُ اللهِ لِلْعِبَادَةِ وَالشُّكْرِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة عبس:٣٢]: أَنَّ مَنْ تأَمَّلَ وَتفَكَّرَ فِي هَذِهِ النِّعَمِ الْعَظِيمَةِ عَلِمَ بِأَنَّ الَّذِي يَعْتَنِي بِمَصَالِحِهِ هُوَ وَحْدَهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ، فَأَوْجَبَ لَهُ ذَلِكَ شُكْرَهُ عَلَى نَعْمَائِهِ، وَبَذْلَ جُهْدِهِ فِي الْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالتَّصْدِيقِ بِأَخْبَارِهِ. قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ وَسَخَّرَهَا لَكُمْ، فَمَنْ نَظَرَ فِي هَذِهِ النِّعَمِ أَوْجَبَ لَهُ ذَلِكَ شُكْرَ رَبِّهِ، وَبَذْلَ الْجُهْدِ فِي الْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالإِقْبَالَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالتَّصْدِيقَ بِأَخْبَارِهِ"[3].

الْحَثُّ عَلَى التَّفَكُّرِ فِي نِعْمَةِ الطَّعَامِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَفَكَّرَ وَيَتَأَمَّلَ فِي الطَّعَامِ الَّذِي يَأْكُلُهُ، كَيْفَ خَلَقَهُ اللهُ وَيَسَّرَهُ وَقَدَّرَهُ وَدَبَّرَهُ. قَالَ السُّيُوطِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾: أَمْرٌ بِالِاعْتِبَارِ فِي الطَّعَامِ، كَيْفَ خَلَقَهُ اللهُ بِقُدْرَتِهِ، وَيَسَّرَهُ بِرَحْمَتِهِ، فَوَجَبَ عَلَى الْعَبْدِ طَاعَتُهُ وَشُكْرُهُ، وَتَقْبُحُ مَعْصِيَتُهُ وَالْكُفْرُ بِهِ"[4]، والمعنى: فَلْيَنْظُرْ

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٢٣).

(٢) ينظر: تفسير الخازن (٤/ ٣٩٥).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص٩١١).

(٤) معترك الأقران في إعجاز القرآن (٣/ ١٢١).

إِلَى طَعَامِهِ "كَيْفَ قُدِّرَ لَهُ حَيْثُ اسْتَعْمَلَ فِيهِ السَّمَاوَاتِ، وَالْأَرْضِينَ، وَالْهَوَاءَ، والشَّمْس، وَالْقَمَر، وَاللَّيْل، وَالنَّهَار، فَاسْتِعْمَالُ السَّمَاءِ فِيْ إِنْزَالِ الْمَطَرِ مِنْهَا، وَاسْتِعْمَالُ الْهَوَاءِ فِيْ جَعْلِهِ مَسْلَكًا لِلْمَطَرِ، وَاسْتِعْمَالُ الْأَرْضِ فِيْ جَعْلِهَا قَرَارًا لِلْمَطَرِ وَأَخْرَجَ مِنْهَا مَا فِيْهِ قِوَامُهُمْ وَمَنَافِعُهُمْ"(١). وقال المراغي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فليتدبر الإنسان شأن نفسه، وليفكر فى أمر طعامه وتدبيره وتهيئته حتى يكون غذاء صالحا تقوم به بنيته، ويجد فى تناوله لذة تدفعه إليه، ليحفظ بذلك قوّته مدى الحياة التي قدرت له"(٢).

فَاللهُ تَعَالَىٰ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَرْشَدَ الْإِنْسَانَ "إِلَىْ النَّظَرِ وَالتَّفَكُّرِ فِيْ طَعَامِهِ، وَكَيْفَ وَصَلَ إِلَيْهِ بَعْدَمَا تَكَرَّرَتْ عَلَيْهِ طَبَقَاتٌ عَدِيْدَةٌ"(٣).

شِدَّةُ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾﴾ الْآيَاتِ: ذِكْرٌ لِشِدَّةِ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا يُصِيبُ النَّاسَ فِيهِ مِنَ الْهَلَعِ وَالْخَوْفِ إِلَى حَدٍّ يَنْشَغِلُ فِيهِ الْإِنْسَانُ بِنَفْسِهِ عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ، كَالْأَخِ وَالْأَبِ وَالْأُمِّ وَالزَّوْجَةِ وَالْأَبْنَاءِ، فَلَا يَسْأَلُ عَنْهُمْ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ، فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَسْتَعِدَّ لِهَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ(٤).

فَهَذِهِ النُّصُوصُ تَدُلُّ عَلَى عِظَمِ شَأْنِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّ خَطَرَهُ عَظِيمٌ، وَأَهْوَالَهُ شَدِيدَةٌ.

انْقِسَامُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ وَمَا بَعْدَهَا مِنْ آيَاتٍ: أَنَّ النَّاسَ يَنْقَسِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى فَرِيقَيْنِ(٥):

الأول: فَرِيقِ السُّعَدَاءِ الَّذِينَ قَدْ أَسْفَرَتْ وُجُوهُهُمْ، وَفَرِحَتْ بِالْفَوْزِ قُلُوبُهُمْ.

(١) تفسير الماتريدي (١٠/ ٤٢٥).
(٢) تفسير المراغي (٣٠/ ٤٧).
(٣) تفسير السعدي (ص٩١١).
(٤) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ٦١).
(٥) ينظر: تفسير السعدي (ص٩١١).

الثاني: فَريق الأَشْقِيَاءِ الَّذينَ يَقِفُونَ بِوُجُوهٍ مُظْلِمَةٍ، وَحَالٍ مُحْزِنَةٍ، قَدْ مَلأَ قُلُوبَهُمُ الْهَمُّ وَالْغَمُّ، وتقَطَّعت بِالْحَسْرَةِ وَالْأَلَمِ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-.

ظُهُورُ أَثَرِ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَأَثَرِ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١﴾: أَنَّ لِلْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ أَثَرًا يَظْهَرُ عَلَى الْوَجْهِ ضِيَاءً، وَعَلَى الْقَلْبِ نُورًا وَانْشِرَاحًا. وأَنَّ لِلْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي أَثَرًا يَظْهَرُ عَلَى الْوَجْهِ سَوَادًا وَظُلْمَةً، وَعَلَى الْقَلْبِ أَلَمًا وَحُزْنًا؛ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنَّ لِلْحَسَنَةِ نُورًا فِي الْقَلْبِ، وَضِيَاءً فِي الْوَجْهِ، وَقُوَّةً فِي الْبَدَنِ، وَزِيَادَةً فِي الرِّزْقِ، وَمَحَبَّةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ، وَإِنَّ لِلسَّيِّئَةِ سَوَادًا فِي الْوَجْهِ، وَظُلْمَةً فِي الْقَلْبِ وَوَهَنًا فِي الْبَدَنِ، وَنَقْصًا فِي الرِّزْقِ، وَبُغْضَةً فِي قُلُوبِ الخَلْقِ»(١). قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَهَذا يَعْرِفُهُ صَاحِبُ الْبَصِيرَةِ، وَيَشْهَدُهُ مِن نَفْسِهِ وَمِن غَيْرِهِ"(٢).

وَهَذَا التَّغَيُّرُ فِي الْوُجوهِ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى حَالِ الْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّمَا يَمْتَدُّ إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ، فِي أَرْضِ الْمَحْشَرِ، وَذَلِكَ أَنَّ وُجُوهَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْمَحْشَرِ تكونُ ﴿مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩﴾، وَأَنَّ وُجُوهَ أَهْلِ النَّارِ فِي أَرْضِ الْمَحْشَرِ تكون: ﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١﴾(٣).

❁❁❁

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٣٠).
(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٢٣).
(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٢٦-١٢٧).

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

سُورَةُ (التَّكْوِيرِ): سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ بِالإِجْمَاعِ[1]، وَآيُهَا تِسْعٌ وعِشْرُونَ آيَة.

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمَائِهَا: سُورَةُ التَّكْوِيرِ، سُورَةُ كُوِّرَتْ، سُورَةُ ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾[2].

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

لَعَلَّ أَبْرَزَ مَقَاصِدِ السُّورَةِ فِي الْأُمُورِ التَّالِيَةِ[3]:

- ✓ بَيَانُ أَحْوَالِ الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهَا.
- ✓ بَيَانُ فَضْلِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- ✓ تَصْدِيقُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رِسَالَتِهِ وَتَبْلِيغِهِ لِلْقُرْآنِ.
- ✓ التَّهْدِيدُ الشَّدِيدُ بِيَوْمِ الوَعِيدِ لِمَنْ كَذَّبَ بِالْقُرْآنِ.
- ✓ بَيَانُ أَنَّ مَشِيئَةَ الْعَبْدِ تَابِعَةٌ لِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى.

مِنْ فَضَائِلِ السُّورَةِ:

قد ورد في فضل هذه السورة أحاديث؛ منها:

أولًا: مَا وَرَدَ عَنْ عَمْرِو بنِ حُرَيْثٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صَلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصُّبْحَ، فَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦﴾ [سورة التكوير:١٥-١٦]»[4]؛ ولذا فإنه يُشْرَعُ قِرَاءَتُها فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ؛ تَأَسِّيًا وَاقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثانيًا: مَا وَرَدَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾،

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٤٤١).

(٢) ينظر: تفسير الألوسي (١٥/ ٢٥٣).

(٣) ينظر: بصائر ذوي التمييز (ص٥٠٣)، مصاعد النظر (٣/ ١٦١).

(٤) أخرجه مسلم (٤٧٥).

و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾»[1]؛ فَهِيَ تُذَكِّرُ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ بِمُجْمَلِ مَا يَحْصُلُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ أَحْدَاثٍ عَظِيمَةٍ وَتَغَيُّرَاتٍ.

شَرْحُ الآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾، أَيْ: لُفَّتْ وَجُمِعَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ حَتَّى مُحِيَ ضَوْؤُهَا[2].

وَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[3]، فَقَوْلُهُ: (مُكَوَّرَانِ)، أَيْ: يُجْمَعَانِ وَيُلَفَّانِ حَتَّى يَذْهَبَ ضَوْؤُهُمَا، وَهَذَا أَمْرٌ غَيْبِيٌّ لَا يُدْرَكُ بِالعُقُولِ، وَلَا تُنَازِعُهُ الأَهْوَاءُ، وَوَاجِبُ الْمُؤْمِنِ فِيهِ التَّصْدِيقُ وَالإِذْعَانُ وَالتَّسْلِيمُ، فَإِنَّ الإِيمَانَ بِالْغَيْبِ مِحَكٌّ عَظِيمٌ لِبَيَانِ صِدْقِ الإِيمَانِ وَصَلَابَتِهِ.

تنبيه: وَالرَّفْعُ فِي كَلِمَةِ: "الشَّمْس" بِفِعْلٍ يُفَسِّرُهُ مَا بَعْدَهَا أَوْلَى؛ لِأَنَّ إِذَا الشَّرْطِيَّةَ تَطْلُبُ الفِعْلَ، وَالتَّقْدِيرُ إِذَا كُوِّرَتِ الشَّمْسُ كُوِّرَتْ.

قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾، أَيْ: تَسَاقَطَتْ وَتَنَاثَرَتْ حَتَّى مُحِيَ ضَوْؤُهَا؛كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾ [سورة الانفطار:٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨﴾ [سورة المرسلات:٨][4].

قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ﴾، أَيْ: سُيِّرَتْ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ فَكَانَتْ سَرَابًا؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا﴾ [سورة النبأ:٢٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةً﴾ [سورة الكهف:٤٧][5].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤٨٠٦)، والترمذي (٣٣٣٣)، والحاكم في المستدرك (٨٧١٩)، وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٣١)، تفسير البغوي (٨/ ٣٤٢)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٢٨).

(٣) صحيح البخاري (٣٢٠٠).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٣٢).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٣٢)، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٢٨).

قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾، الْعِشَارُ: جَمْعُ عُشَرَاء، مِثْلُ نِفَاسٍ جمْعُ نُفَسَاء، وَهِيَ النَّاقَةُ الَّتِي أَتى عَلَى حَمْلِهَا عَشَرَةُ أَشْهُرٍ، و(عُطِّلَتْ)، أَيْ: تُرِكَتْ مُهْمَلَةً مِنْ شِدَّةِ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مَعَ أَنَّهَا مِنْ أَنْفَسِ أَمْوَالِ الْعَرَبِ، وَيُقَاسُ عَلَيْهَا كلُّ مَالٍ نَفِيسٍ عِنْدَ الإِنْسَانِ؛ فَإِنَّهُ سَيَتْرُكُهُ وَيُهْمِلُهُ مِنْ شِدَّةِ الأَهْوَالِ[(١)].

قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ﴾ مِنَ الْحَيَوانَاتِ وَالطُّيُورِ وَالْبَهَائِمِ، ﴿حُشِرَتْ﴾، أَيْ: جُمِعَتْ مِن كُلِّ جَانِبٍ لِلْقِصَاصِ، ثُمَّ رُدَّتْ تُرابًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [سورة الأنعام:٣٨][(٢)].

وَجَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»[(٣)].

قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾، أَيْ: أُوقِدَتْ فَصَارَتْ نِيرَانًا تَتَأَجَّجُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ [سورة الطُّور: ٦][(٤)].

قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، أَيْ: قُرِنَ كُلُّ شَكْلٍ إِلى شَكْلِهِ، وَكُلُ نَظِيرٍ إِلَى نَظِيرِه، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [سورة الصافات:٢٢][(٥)].

قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾، أَيْ: الْبِنْتُ الْمَدْفُونَةُ حَيَّةً، وَكَانَتِ العَرَبُ تَئِدُ البَنَاتِ مَخافَةَ الْفَقْرِ وَالْعَارِ ﴿سُئِلَتْ﴾، أَيْ: سُؤالَ تَطْيِيبٍ لَهَا وَلَوْمٍ لِوائِدِهَا[(٦)].

قَوْلُهُ: ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾، أَيْ: تُسْأَلُ الْبِنْتُ الْمَدْفُونَةُ حَيَّةً وَيُقَالُ لَهَا: بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلْتِ؟ وهَذَا السُّؤالُ إِنَّمَا هُوَ إِقَامَةٌ لِحُجَّتِهِ سُبْحانَهُ عَلَى تَعْذِيبِ مَنْ وَأَدَهَا، إِذْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ حَقِّهَا[(١)].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٣٤)، تفسير البغوي (٨/ ٣٤٦)، فتح القدير (٥/ ٤٧٠).
(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٢٩)، تفسير البيضاوي (٥/ ٢٨٩).
(٣) صحيح مسلم (٢٥٨٢).
(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٢٩)، فتح القدير (٥/ ٤٧٠).
(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٤١)، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٣٢)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٣٢).
(٦) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٤٨)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٣٣).

قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ﴾، أَيْ: صُحُفُ الْأَعْمَالِ تُعْرَضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ١٣ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾ [سورة الإسراء:١٣-١٤][٢].

قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾، أَيْ: قُلِعَتْ وأُزِيلَتْ كَمَا يُكْشَطُ الإِهَابُ عَنِ الذَّبِيحَةِ[٣].

قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ﴾، أَيْ: أُوقِدَتْ إِيقادًا شَدِيدًا[٤].

قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ﴾، أَيْ: قُرِّبَتْ مِنَ الْمُتَّقِينَ إِكْرامًا لَهُمْ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٩٠﴾ [سورة الشعراء: ٩٠][٥].

قَوْلُهُ: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾، لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعالَى الأُمُورَ الاِثْنَيْ عَشَرَ الَّتِي سِتٌّ مِنْهَا فِي مَبادِئِ قِيامِ السَّاعَةِ قَبْلَ فَناءِ الدُّنْيا وَسِتٌّ بَعْدَهُ؛ ذَكَرَ الجَزاءَ الْمُرَتَّبَ عَلَى الشُّرُوطِ والَّذِي هُوَ مَجْمُوعُ هَذِهِ الأَشْياءِ الْمَذْكُورَةِ آنِفًا، فَقالَ: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾، أَيْ: مَا قَدَّمَتْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ﴾ [سورة آل عمران:٣٠][٦].

قَوْلُهُ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥﴾، أَيْ: أُقْسِمُ بالخُنَّسِ، و(لَا): لِتَأْكِيدِ القَسَمِ لَا لِنَفْيِهِ، بِدَلِيلِ التَّصْرِيحِ بِجَوابِ القَسَمِ فِي قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩﴾ [سورة التكوير:١٩]، و(الْخُنَّس): النُّجُومِ التِي تَخْتَفِي أَنْوارُهَا بِالنَّهارِ وَتَظْهَرُ بِاللَّيْلِ[٧].

قَوْلُهُ: ﴿ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦﴾، الجوار: جَمْعُ جارِيَةٍ؛ مَأْخُوذٌ مِنَ الْجَرْيِ، وَهُوَ السَّيْرُ السَّرِيعُ، و(الكُنَّس): المسْتَتِرَة فِي أَبْراجِها[٨].

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٤٨)، تفسير ابن جزي (٢/ ٤٥٦).
(٢) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٤٨)، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٣٤).
(٣) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٠)، تفسير القاسمي (٩/ ٤١٨).
(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٣٥)، تفسير أبي السعود (٩/ ١١٦).
(٥) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٥/ ٢٩١)، تفسير البغوي (٨/ ٣٤٩).
(٦) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٥١)، تفسير البغوي (٨/ ٣٤٩)، تفسير ابن عطية (٥/ ٤٤٣).
(٧) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٤٩)، فتح القدير (٥/ ٤٧٢).
(٨) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٥/ ٢٩١)، تفسير ابن عطية (٥/ ٤٤٣).

وَهكَذا نُلَاحِظُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَقْسَمَ بِالنُّجُومِ فِي حَالِ اخْتِفَائِهَا، وَفِي حَالِ جَرَيَانِهَا، وَفِي حَالِ اسْتِتَارِهَا.

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾، أَيْ: أَدْبَرَ، بِدَلِيلِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ بَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾، أَيْ: انْتَشَرَ ضِيَاؤُهُ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى ﴿عَسۡعَسَ﴾: أَقْبَلَ بِظَلَامِهِ.

وَالْأَقْرَبُ: أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ مِنْ قَبِيلِ الاشْتِرَاكِ؛ يُسْتَعْمَلُ فِي الْإِدْبَارِ وَالْإِقْبَالِ، فَيَصِحُّ أَنْ يُرَادَ كُلٌّ مِنْهُمَا، وَيَكُونَ اللهُ تَعَالَى مُقْسِمًا بِاللَّيْلِ مُدْبِرًا وَمُقْبِلًا، وَاللهُ أَعْلَمُ(١).

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩﴾، أَيْ: إِنَّ الْقُرْآنَ الْمُنَزَّلَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالرَّسُوْلُ الكَرِيمُ: جِبْرِيلُ(٢)، فَإِنَّهُ قَالَهُ عَنِ اللهِ تَعَالَى.

قَوْلُهُ: ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾، أَيْ: صَاحِبِ قُوَّةٍ، ﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾، أَيْ: عند اللهِ تَعَالَى، ﴿مَكِينٖ ٢٠﴾، أَيْ: وَلَهُ مَكَانَةٌ وَمَنْزِلَةٌ عَظِيمَةٌ.

قَوْلُهُ: ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ﴾، أَي: جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُطَاعٌ فِيْ السماءِ؛ تُطِيْعُهُ الْمَلَائِكَةُ، ﴿أَمِينٖ ٢١﴾، أَيْ: مُؤْتَمَنٌ عَلَى الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ(٣).

قَوْلُهُ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾، أَي: مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿بِمَجۡنُونٖ ٢٢﴾ كَمَا تَبْهَتُهُ الكَفَرَةُ(٤).

قَوْلُهُ: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ﴾، أَيْ: رَأَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الأُفُقِ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللهُ عَلَيْهَا؛ لَهُ سِتُّمَائَةِ جَنَاحٍ(٥)، ﴿ٱلۡمُبِينِ ٢٣﴾، أَيْ: الْبَيِّنِ الْوَاضِحِ(٦).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٦١).
(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٦٣)، زاد المسير (٤/ ٤٠٨)، تفسير ابن كثير(٨/ ٣٣٨).
(٣) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٠)، فتح القدير (٥/ ٤٧٣).
(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٠)، تفسير أبي السعود (٩/ ١١٨).
(٥) أخرجه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤).
(٦) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٤١)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٣٩).

قَوْلُهُ: ﴿وَمَا هُوَ﴾، أَيْ: وَمَا مُحَمَّدٌ عليه الصلاة والسلام، ﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾، أَيْ: عَلَى الْوَحْيِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ، ﴿بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾، أَيْ: بِبَخِيلٍ[1].

قَوْلُهُ: ﴿وَمَا هُوَ﴾، أَيْ: الْقُرْآنُ، ﴿بِقَوْلِ﴾، أَيْ: بِكَلَامِ، ﴿شَيْطَٰنٍ﴾، أَيْ: عَلَى مَا قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّ مُحَمَّدًا كَاهِنٌ وَشَاعِرٌ وَسَاحِرٌ[2]، ﴿رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾، أَيْ: مَرْجُومٍ مَطْرُودٍ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [سورة الشعراء: ٢١٠-٢١٢][3].

قَوْلُهُ: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾، أَيْ: أَيَّ طَرِيقٍ تَسْلُكُونَ فِي تَكْذِيبِكُمُ الْقُرْآنَ وَإِعْرَاضِكُمْ عَنْهُ بَعْدَ هذِهِ الْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ وَالْبَرَاهِينِ السَّاطِعَةِ؟[4].

قَوْلُهُ: ﴿إِنْ هُوَ﴾، أي: مَا هو، أَيْ: الْقُرْآنُ، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ مَوْعِظَةٌ، ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾، أَيْ: الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْكُفَّارِ[5].

قَوْلُهُ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾، أَيْ: عَلَى الْحَقِّ وَيَثْبُتَ عَلَيْهِ[6].

قَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾، أَيْ: الِاسْتِقَامَةَ وَغَيْرَهَا، ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ تِلْكَ الْمَشِيئَةَ، ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾، أَيْ: مَالِكُ الْخَلْقِ كُلِّهِ[7].

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

بيان عظم شأن يوم القيامة:

فِي الْآيَاتِ الْأُولَى مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ: دَلِيلٌ جَلِيٌّ عَلَى أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ، فَهَذَا الْكَوْنُ يَتَغَيَّرُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَهْوالِ إِلَّا تَغَيُّرُ هَذَا الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٦٧)، تفسير ابن عطية (٥/ ٤٤٤).
(٢) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٥١)، فتح القدير (٥/ ٤٧٤).
(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٧١).
(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٠).
(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٨٣).
(٦) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٤٣٢)، فتح القدير (٥/ ٤٧٥).
(٧) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩١)، فتح القدير (٥/ ٤٧٥).

وَالسُّفْلِيِّ مِنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ لَكَانَ ذَلِكَ كَافِيًا، فَكَيْفَ بِالْعَرْضِ وَالْحِسَابِ وَالْبَعْثِ وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ وَالْحَوْضِ... إِلَخ [1].

الدَّلَالَةُ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى الْعَظِيمَةِ فِي تَغْيِيرِ حَالِ الْكَوْنِ:

فِي آيَاتِ السُّورَةِ أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ تَعَالَى بِقِيَامِ السَّاعَةِ يَنْقَلِبُ الْكَوْنُ، فَيَتَغَيَّرُ حَالُ كُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ، فَقُدْرَةُ اللهِ تَعَالَى لَا يَسْتَطِيعُ عَقْلٌ أَنْ يَتَصَوَّرَهَا، فَهِيَ فَوْقَ طَاقَتِهِ.

سُورَةُ التَّكْوِيرِ مِنْ أَخَصِّ السُّوَرِ تَصْوِيرًا لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ:

لَقَدِ اشْتَمَلَتِ السُّورَةُ عَلَى أَهْوَالٍ عَظِيمَةٍ، كَكَفِّ الشَّمْسِ وَجَمْعِهَا وَذَهَابِ نُورِهَا، وَسُقُوطِ النُّجُومِ وَتَنَاثُرِهَا مِنَ السَّمَاءِ، وَتَسْيِيرِ الْجِبَالِ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَهْوَالِ، وَهُوَ مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ آنِفًا.

تَقْرِيرُ زَوَالِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفَنَائِهَا:

مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾: أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا مَا هِيَ إِلَّا دَارُ زَوَالٍ، وَمَا هِيَ إِلَّا طَرِيقٌ لِلْعُبُورِ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ، فَإِمَّا نَعِيمٌ مُقِيمٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِمَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي النَّارِ.

لَفْتُ الِانْتِبَاهِ إِلَى الْحِرْصِ عَلَى صُحْبَةِ الْأَخْيَارِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾: أَنَّ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى صُحْبَةِ الْأَخْيَارِ؛ لِأَنَّهُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يُحْشَرُ كُلُّ جِنْسٍ مَعَ جِنْسِهِ أَزْوَاجًا، فَالْأَشْخَاصُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ أَعْمَالًا مُتَشَابِهَةً يُقْرَنُ بَيْنَهُمْ، فَأَهْلُ الْإِيمَانِ مَعَ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَأَهْلُ الْكُفْرِ مَعَ أَهْلِ الْكُفْرِ، قَالَ اللهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الصافات:٢٢-٢٣]، فَالْأَخْيَارُ يُحْشَرُونَ مَعَ الْأَخْيَارِ، وَالْأَشْرَارُ مَعَ الْأَشْرَارِ، وَمَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حُشِرَ مَعَهُم.

(١) ينظر: تفسير ابن جزي (٢/ ٤٥٥).

فَفِي الدُّنْيَا هُمْ مُخْتَلِطُونَ، الصَّالِحُ بِالطَّالِحِ، أَمَّا فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَقَدْ جَاءَ الْأَمْرُ الإِلَهِيُّ: ﴿وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [سورة يس:٥٩](١).

الْحَثُّ عَلَى الِاسْتِعْدَادِ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ:

هَذِهِ الْأَوْصافُ الَّتِي وَصَفَ اللهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنَ الْأَوْصافِ الَّتِي تَنْزَعِجُ لَهَا الْقُلُوبُ، وَتَشْتَدُّ مِنْ أَجْلِهَا الْكُروبُ، وَتَرْتَعِدُ الْفَرائِصُ، وَتَعُمُّ الْمَخاوِفُ، وَتَحُثُّ أُولِي الْأَلْبَابِ لِلِاسْتِعْدَادِ لِذلِكَ الْيَوْمِ، وَتَزْجُرُهُمْ عَنْ كُلِّ مَا يُوجِبُ اللَّوْمَ.

التَّحْذِيرُ مِنْ ظُلْمِ الضُّعَفَاءِ:

فِي تَحْرِيمِ وَأْدِ الْبَنَاتِ خَشْيَةَ الْفَقْرِ أَوِ الْعَارِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ [سورة التكوير:٨-٩]: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَنْصُرُ الضَّعِيفَ، فَيَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَنْتَبِهَ وَيَخَافَ مِنْ أَنْ يَظْلِمَ الضُّعَفَاءَ عَلَى وَجْهِ الْخُصوصِ، فَإِنَّ اللهَ نَاصِرُهُمْ لَا مَحالَةَ(٢).

إِحْصَاءُ اللهِ تَعَالَى لِأَعْمَالِ الْعِبَادِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [سورة التكوير:١٤]: دَلالَةٌ واضِحَةٌ عَلَى إِحْصاءِ اللهِ تَعَالَى لِأَعْمَالِ الْعِبادِ، وَعَرْضِها عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَيَدُلُّ لِذَلِكَ أَيْضًا: مَا جَاءَ فِي آيَاتٍ أُخْرَى، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾ [سورة الكهف:٤٩]، وَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ [سورة آل: عِمْرَانَ ٣٠] الْآيَةَ(٣).

عَظَمَةُ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي أَقْسَمَ اللهُ بِهَا:

فِيْ إِقْسامِ اللهِ تَعالَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ بِبَعْضِ مَخْلُوْقَاتِهِ الْعَظِيمَةِ: بَيانٌ لِعَظَمَتِها، وَتَذْكِيرٌ بِأَهَمِّيَّتِها.

للهِ تَعَالَى أَنْ يُقْسِمَ بِمَا يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ:

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٩/ ٥٢٠)، زاد المعاد لابن القيم (ص٢٠٣).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦/ ٨٠)، تفسير السعدي (ص٩١٢).

(٣) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل (٢/ ٥٠٤)، معارج القبول (٢/ ٨٣٥).

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨﴾ [سورة التكوير:١٧-١٨]: بَيَانُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِما شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، أَمَّا الْمَخْلوقُ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يُقْسِمَ إِلَّا بِاللهِ تَعَالَى. قَالَ الشِّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يُجْمِعُ الْمُفَسِّرونَ أَنَّ للهِ تَعَالَى أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلوقاتِهِ؛ لِأَنَّها دَالَّةٌ عَلَى قُدْرَتِهِ، وَلَيْسَ لِلْمَخْلُوقِ أَنْ يَحْلِفَ إِلَّا بِاللهِ تَعَالَى"(١).

إِثْبَاتُ صِفَةِ الْكَلَامِ للهِ حَقِيقَةً:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩﴾: أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى، تَكَلَّمَ بِهِ حَقيقَةً، وَأَلْقَاهُ إِلى جِبْرِيلَ الْأَمِينِ، ثُمَّ نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَى قَلْبِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ، ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [سورة الشعراء:١٩٥](٢).

فَضِيلَةُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١﴾ [سورة التكوير:٢٠-٢١]: بيانُ فضيلَةِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وَمَكَانَتِهِ عَلَى بَاقِي الْمَلائِكَةِ، حَيْثُ وَصَفَهُ اللهُ تَعَالَى بِأَرْبَعِ صِفاتٍ: الْقُوَّةُ، وَالْمَكَانَةُ الْعَالِيَةُ، وَكَوْنُهُ مُطَاعًا عِنْدَ الْمَلائِكَةِ، وَكَوْنُهُ مُؤْتمنًا عَلَى الْوَحْيِ. قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فَهذا جِبْرِيلُ، فَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ رَسولُهُ، وَأَنَّهُ كَرِيمٌ عِنْدَهُ، وَأَنَّهُ ذُو قُوَّةٍ وَمَكَانَةٍ عِنْدَ رَبِّهِ سبْحَانَهُ، وَأَنَّهُ مُطاعٌ فِي السَّمَاوَاتِ، وَأَنَّهُ أَمِينٌ عَلَى الْوَحْيِ"(٣).

الرَّدُّ عَلَى مَنْ وَصَفَ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجُنُونِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ﴾ [سورة التكوير:٢٢]: أَنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ وَصَفُوا نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالجُنونِ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ صِدْقَهُ وَرَجَاحَةَ عَقْلِهِ، وَقَدْ رَدَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ وَكَذَّبَهُمْ(٤).

إِثْبَاتُ رُؤْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

(١) ينظر: أضواء البيان (٨/ ٤٤٢).
(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٥٤١)، أضواء البيان (٨/ ٤٤٦).
(٣) إغاثة اللهفان (٢/ ١٢٨)، وينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٣٨-٣٣٩).
(٤) ينظر: تفسير ابن عطية (٨/ ٣٥٠)، تفسير السعدي (ص٩١٢).

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [سورة التكوير:٢٣]: إِثْبَاتُ رُؤْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللهُ عَلَيْهَا، وَلَقَدْ رَآهُ مَرَّتَيْنِ(١)، كَمَا جَاءَ عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غيرَ هاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ»(٢). **وَهَاتَانِ الرُّؤْيَتانِ هُمَا:**

الرُّؤْيَةُ الأُولَى: كَانَتْ فِي الْأَرْضِ، فِي بِدايَةِ الْوَحْيِ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِ بَعْدَهَا سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ، كَمَا فِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ -أَي: انْقِطَاعه- فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: «فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جاءَنِي بِحِرَاء جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجَئِثْتُ مِنْهُ رُعْبًا فَرَجَعْتُ، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي، فَدَثَّرُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ إِلَى ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ [سورة المدثر:١-٥]»(٣).

الرُّؤْيَةُ الثَّانِيَةُ: كانَتْ فِي السَّماءِ، لَيْلَةَ الإِسْراءِ وَالْمِعْراجِ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى، وَقَدْ نَصَّتِ الْآيَةُ فِي سُورَةِ النَّجْمِ عَلَى الرُّؤْيَةِ الثَّانِيَةِ، وَأَشارَتْ إِلَى الرُّؤْيَةِ الْأُولَى، كَما قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤﴾ [سورة النجم:١٣-١٤]، قَالَ ابْنُ مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ سِتُّمائَةِ جَناحٍ(٤).

بَراءةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْبُخْلِ فِي الْبَلاغِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ﴾ [سورة التكوير:٢٤]: أَنَّ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ بَخِيلًا فِي تَبْلِيغِ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ، بَلْ هُوَ أَشَدُّ النَّاسِ بَذْلًا لِمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَنْبَغِي عَلَى الدَّاعِي إِلَى اللهِ أَلَّا يَكُونَ بَخيلًا فِي تَعْلِيمِ النَّاسِ دِينهمْ، وَتَعْلِيمِ النَّاسِ مَا يَنْفَعُهُمْ(٥).

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (٧/ ٥٥)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٣٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧).

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٢٥) واللفظ له، ومسلم (١٦١).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٥١).

صِدْقُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَنَّ الْقُرْآنَ مُوحًى إِلَيْهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [سورة التكوير:٢٥]: تَصْدِيقٌ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ إِنَّمَا هُوَ كَلامُ اللهِ تَعالَى، وَلَيْسَ كَلامَ الْمَخْلوقِينَ كَمَا يَقولُهُ كُفَّارُ قُرَيْشٍ.

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَوْعِظَةٌ لِلنَّاسِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٢٧﴾ [سورة التكوير:٢٦-٢٧]: أَنَّ الْقُرآنَ الكَرِيمَ مَوْعِظَةٌ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [سورة يونس:٥٧][1]. وَالْوَعْظُ هُوَ التَّذْكِيرُ بِالْعَوَاقِبِ لِتَرِقَّ الْقُلُوبُ، وَالْقُرآنُ الْكَرِيمُ خَيْرُ وَاعِظٍ، وَوَعْظُ الْقُرآنِ وَعْدٌ وَوَعِيدٌ، وَتَرْغِيبٌ وَتَرهِيبٌ، حَتّى لَا يَسْتَبِدَّ رَجاءٌ بِصاحِبِهِ فَيُلْقِيهِ فِي أَوْدِيَةِ الْغُرورِ، وَلَا يُحاصِرِ يَأْسٌ صَاحِبَهُ فَيُغْلِقَ دونَهُ أَبْوابَ الرَّحْمَةِ[2].

مَشْرُوعِيَّةُ التَّذْكِيرِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٢٧﴾ [سورة التكوير:٢٧]: أَنَّ الْقُرآنَ الْكَرِيمَ إِذَا كَانَ ذِكْرًا وَمَوْعِظَةً لِلنّاسِ، فَيَجِبُ أَنْ يُذَكَّرَ بِهِ النَّاسُ، وَمَا أَرْسَلَ اللهُ تَعالَى رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مِنْ أَجْلِ أَنْ يُذَكِّرَ النَّاسَ بِالقُرآنِ، بَلْ أَمَرَهُ رَبُّهُ أَمْرًا صَرِيحًا أَنْ يَكُونَ مُذَكِّرًا لِلنَّاسِ بِالقُرْآنِ فَقالَ لَهُ: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [سورة ق:٤٥][3]. وَقَدِ امْتَثَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ، فَكانَ يُذَكِّرُ النَّاسَ بالقُرْآنِ وَيَعِظُهُمْ بِهِ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ يثِيرُ الذِّكْرَى فِي الْقُلوبِ، وَفيهِ مِنَ الْبَواعِثِ وَالحَوافِزِ مَا يُعِينُ عَلَى الاتِّعَاظِ وَالتَّذَكُّرِ، وَتَشْتَمِلُ آيَاتُهُ وَمَعانِيهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْعِظَاتِ الَّتِي تُزِيلُ رُكَامَ الرَّانِ وَالقَسْوَةِ وَالْغَفْلَةِ مِنَ الْقُلُوبِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الحاقة:٤٨].

التَّرْغِيبُ فِي طَلَبِ أَسْبَابِ الاسْتِقَامَةِ عَلَى طَاعَةِ اللهِ:

(١) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٥١).

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود (٤/ ١٥٥)، فتح القدير (٢/ ٥١٥).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ١٦٥).

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ [سورة التكوير:٢٨]: التَّرْغِيبُ فِي طَلَبِ أَسْبَابِ الاسْتِقَامَةِ عَلَى طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩﴾ [سورة المزمل:١٩]، وَلا طَرِيقَ مُوصِلٌ إِلَيْهَا إِلَّا بِاتِّبَاعِ القُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَمَنْ أَرَادَ الاِسْتِقَامَةَ فَلا بُدَّ أَنْ يَتَّخِذَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ طَرِيقًا لَهُ يُوصِلُهُ إِلَيْهَا[1].

إِثْبَاتُ الْمَشِيئَةِ لِلْعَبْدِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ [سورة التكوير:٢٨]، وَقَوْلِهِ بَعْدَهَا: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ [سورة التكوير:٢٩]: إِثْبَاتُ الْمَشِيئَةِ لِلْعَبْدِ؛ خِلَافًا لِلْجَبرِيَّةِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْعَبْدَ لَا اخْتِيَارَ لَهُ فِي أَفْعَالِهِ، وَإِنَّمَا الْأَفْعَالُ للهِ سُبْحَانَهُ، فَهُوَ الَّذِي يَفْعَلُ بِهِ مَا يَفْعَلُهُ، وَجَعَلُوا هَذَا مُطْلَقًا فِي جَمِيعِ أَفْعَالِ الْعَبْدِ، فَإِذَا آمَنَ الْعَبْدُ أَوْ كَفَرَ فَإِنَّ الإِيمَانَ أَوِ الْكُفْرَ الَّذِي وَقَعَ مِنْهُ، وَالطَّاعَةَ أَوِ الْمَعْصِيَةَ؛ لَيْسَتْ فِعْلَهُ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ، وَإِنَّمَا الْفَاعِلُ الحَقِيقِيُّ هُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُغَيِّرَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَهَذِهِ الآيَاتُ وَغَيْرُهَا فِيهَا الرَّدُّ عَلَيْهِمْ[2].

مَشِيئَةُ الْعَبْدِ تَابِعَةٌ لِمَشِيئَةِ الله:

فِيْ قَوْلِهِ تَعَالَىْ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة التكوير:٢٩]: دَلِيْلٌ عَلَى أَنَّ الْمَشِيئَةَ فِي الاِسْتِقَامَةِ وَغَيرِهَا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، وَلِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾[سورة يونس:١٠٠]، وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[سورة الأنعام:١١١]، وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾[سورة القصص:٥٦]، وَالْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ[3].

(١) ينظر: تفسير النسفي (٣/ ٦٠٨).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٣٩٣)، الدرة البهية شرح القصيدة التائية (ص٢٣).

(٣) ينظر: شرح الطحاوية (ص١٣٣)، فتح المجيد (ص٤١٩).

وَهَذِهِ الآيَةُ فيهَا رَدٌّ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ القَائلِينَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ أَفْعَالَ الْعِبَادِ، وَيَجْعَلُونَ الْعَبْدَ خَالِقَ فِعْلِ نَفْسِهِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَعْلَمُ الشَّيْءَ إِلَّا بَعْدَ وُقُوعِهِ[1].

وَبَابُ الْقَدَرِ قَدْ زَلَّتْ فِيهِ أَقْدَامُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَأَهْلُ السُّنَةِ وَالجَمَاعَةِ وَسَطٌ بَيْنَ الْمَذَاهِبِ، فَإِنَّهُمْ يُثْبِتُونَ لِلْعَبْدِ مَشِيئَةً، إِلَّا أَنَّ مَشِيئَتَهُ تَابِعَةٌ لِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى، فَلَا يَشَاءُ إِلَّا مَا شَاءَهُ اللهُ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فَإِنَّ الْعَبْدَ لَهُ مَشِيئَةٌ وَهِيَ تَابِعَةٌ لِمَشِيئَةِ اللهِ، كَمَا ذَكَرَ اللهُ ذَلِكَ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وما يذكرون إلا أن يشاء الله﴾ [سورة المدثر:٥٥-٥٥]، ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿١٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾﴾ [سورة المزمل:١٩-٣٠]، ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة التكوير:٢٨-٢٩]، فَإِذَا كَانَ اللهُ قَدْ جَعَلَ الْعَبْدَ مُرِيدًا مُخْتَارًا شَائِيًا امْتَنَعَ أَنْ يُقَالَ: هُوَ مَجْبُورٌ مَقْهُورٌ مَعَ كَوْنِهِ قَدْ جُعِلَ مُرِيدًا، وَامْتَنَعَ أَنْ يَكُونَ هُوَ الذِي ابْتَدَعَ لِنَفْسِهِ الْمَشِيئَةَ"[2].

❀❀❀

---

(١) ينظر: كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين (ص٢١٠)، تفسير السعدي (ص٩١٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٧٤).

سُورَةُ الانْفِطَار

سُورَةُ (الانْفِطَارِ): سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ بِالإِجْمَاعِ[1]، وَآيُهَا تِسْعَ عَشْرَةَ آيَةً.

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمائِها: سُورَةُ (الإِنْفِطَارِ)، وَسُورَةُ (انْفَطَرَتْ)، وَسُورَةُ (الْمُنْفَطِرَة)[2].

الْمَقَاصِدُ العَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

يُمْكِنُ إِجْمَالُ مَقَاصِدِ السُّوْرَةِ فِيْ الْآتِيْ[3]:

- ✓ بَيَانُ حَالِ السَّمَاءِ وَنُجُومِهَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ.
- ✓ ذِكْرُ غَفْلَةِ الإِنْسَانِ وَاغْتِرارِهِ بِنَفْسِهِ.
- ✓ الإِشَادَةُ بِدَوْرِ الْمَلَائِكَةِ الْمُوكَّلِينَ بِمَا يَصْدُرُ مِنَ اللِّسانِ وَالْأَرْكَانِ.
- ✓ انْقِسَامُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيامَةِ إِلى فَرِيقَيْنِ: فَرِيقٍ فِي الْجَنَّةِ، وَفَرِيقٍ فِي السَّعِيرِ.
- ✓ بَيَانُ أَنَّ الأَمْرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُلُّهُ بِيَدِ اللهِ.

مِنْ فَضَائِلِ السُّورَةِ:

وَرَدَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ: أَنَّها تُذَكِّرُ الْمُسْلِمَ بِمَا يَحْصُلُ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنْ أَحْدَاثٍ وَتَغَيُّراتٍ، فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾»[4].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٧٤)، تفسير ابن عطية (٥/ ٤٤٦).

(٢) ينظر: تفسير الألوسي (١٥/ ٢٦٧).

(٣) ينظر: بصائر ذوي التمييز (ص٥٠٥).

(٤) سبق تخريجه.

شَرْحُ الآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾، أَيْ: انْشَقَّتْ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ﴾ [سورة المزمل:١٨](1).

قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾، أَيْ: تَسَاقطَتْ مُتفرِّقةً(2).

قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ﴾، أَيْ: اختَلَطَ بَعْضُها بِبَعْضٍ، فَصَارَ الْكُلُّ بَحْرًا وَاحِدًا(3).

قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ﴾، أَيْ: قُلِبَ تُرابُها وَأُخْرِجَ مَوْتَاها(4).

قَوْلُهُ: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ﴾، أي: ما قدَّمتْ مِنْ عَمَلٍ، وَمَا أَخَّرَتْ مِنْهُ فَلَمْ تَعْمَلْهُ، كَما قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [سورة القيامة:١٣]، وهذه الآية -قوله تعالى: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ﴾-: جوابُ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾(5).

قَوْلُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾، الْمُرَادُ بِالإِنْسانِ هُنَا: الْكَافِرُ، والمعنى: أَيُّ شَيْءٍ خَدَعَكَ وَجَرَّأَكَ عَلَى الْكُفْرِ بِرَبِّكَ الَّذي تَفَضَّلَ عَلَيْكَ بِأَنْواعٍ مِنَ النِّعَمِ.

وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى أَنَّ الَّذِي غَرَّهُ هُوَ الشَّيْطانُ فَقالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [سورة فاطر:٥-٦](6).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٧٤)، تفسير البغوي (٨/ ٣٥٢).
(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٥/ ٢٩٥)، تفسير النسفي (٣/ ٦١٠).
(٣) ينظر: تفسير السمعاني (٦/ ١٧٢)، تفسير البغوي (٨/ ٣٥٢).
(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٢)، تفسير أبي السعود (٩/ ١٢٠).
(٥) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٥/ ٢٩٥)، تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٢).
(٦) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٧٧)، معاني القرآن للزجاج (٥/ ٢٩٥)، تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٢).

قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾، هنا ذكَرَ اللهُ تعالَى شَيئًا مِنَ النِّعَمِ الَّتي تفضَّلَ بها علَى الإنْسانِ، فقالَ: (الذِي خَلقَكَ) مِنْ نُطْفَةٍ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ، ثم (سَوَّاكَ) وجعَلَكَ مُسْتوِيَ الْخِلْقَةِ، وَسالِمَ الْأَعْضاءِ، وَحَسَنَ الصُّورَةِ، (فَعدَلَكَ) وَجعَلكَ مُعْتَدِلَ الخَلْقِ مُتَناسِبَ الأَعْضاءِ، فَلَيْسَتْ يَدٌ أوْ رِجْلٌ أطوَلَ مِنَ الأُخْرَى[1].

قَوْلُهُ: ﴿فِىٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾، أَيْ: رَكَّبَكَ فِي أَيِّ صُورةٍ شاءَها، وَقَدْ خلَقَ اللهُ تَعالَى الْإِنْسانَ في أَحْسَنِ صُورةٍ، كَما قالَ تَعالَى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [سورة التغابن:٣]، وَقالَ اللهُ تَعالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [سورة التين:٤][2].

قَوْلُهُ: ﴿كَلَّا﴾ فِيها مَعْنَى الرَّدْعِ وَالزَّجْرِ عَنِ الاِغْتِرارِ بِكَرَمِ اللهِ بِتَزْيِينِ الشَّيْطَانِ، ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩﴾، أَيْ: بِالْبَعْثِ وَالْحِسابِ وَالْجزاءِ عَلَى الْأَعْمالِ[3].

قَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾، أَيْ: إِنَّ المَلائِكَةَ رُقَباءُ يَحْفَظُونَ أَعْمالَكُمْ، لَا يَفُوتُ مِنْها شَيْءٌ، كَما قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [سورة الطارق:٤][4].

قَوْلُهُ: ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١﴾، أَيْ: وَإِنَّ عَلَيْكُمْ ملائِكَةً كِرامًا عَلَى اللهِ تَعالَى، أَصْحابَ مَنْزِلَةٍ رَفِيعَةٍ، وَمَكانَةٍ عَظِيمَةٍ، كَمَا قَالَ تَعالَى: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[سورة التكوير:٢٨-٢٩]، (كَاتِبِيْن): يَكْتُبونَ أَقْوالَكُمْ وَأَعْمالَكُمْ، كَمَا قَالَ تَعالَى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[سورة ق:١٨][5].

---

(١) ينظر: تفسير السمعاني (٦/ ١٧٤)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٢)، فتح القدير (٥/ ٤٧٩).
(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٢)، تفسير أبي السعود (٩/ ١٢١).
(٣) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٢)، التحرير والتنوير (٣٠/ ١٧٨).
(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٧١)، تفسير البغوي (٨/ ٣٥٧).
(٥) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٥٧).

قَوْلُهُ: ﴿يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾، أَيْ: لَا يَخْفى عَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَعْمالِكُمْ وَأَقْوالِكُمْ[1].

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ﴾، وَهُمُ الْقَائِمُونَ بِحُقُوقِ اللهِ وَحُقُوقِ عِبادِهِ، ﴿لَفِي نَعِيمٖ ١٣﴾، أي: فِيْ دُورِهِمُ الثَّلاثَةِ: دَارِ الدُّنْيا وَدَارِ الْبَرْزَخِ وَدَارِ الْقَرَارِ، وَإِنْ كَانَ تَمامُهُ وَكَمالُهُ وَظُهُورُهُ إِنَّما هُوَ فِي دَارِ الْقَرَارِ[2].

قَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ﴾: ضِدُّ الْأَبْرارِ، وَهُمُ الَّذِينَ قَصَّرُوا فِي حُقُوقِ اللهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ، ﴿لَفِي جَحِيمٖ﴾، أَيْ: فِي دُورِهِمُ الثَّلاثَةِ الْمَذْكُورَةِ آنِفًا[3].

قَوْلُهُ: ﴿يَصۡلَوۡنَهَا﴾، أَيْ: يَدْخُلُونَها وَيُقَاسُونَ حَرَّهَا، ﴿يَوۡمَ ٱلدِّينِ ١٥﴾، أَيْ: يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَهُوَ يَوْمُ الْجَزاءِ عَلَى الْعَمَلِ[4].

قَوْلُهُ: ﴿وَمَا هُمۡ عَنۡهَا﴾، أَيْ: عَنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، ﴿بِغَآئِبِينَ﴾، أَيْ: بِمُخْرَجِينَ؛ لِخُلُودِهِمْ فِيها -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-، كَما قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [سورة البقرة:١٦٧][5].

قَوْلُهُ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾، أَيْ: وَمَا أَعْلَمَكَ، ﴿مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧﴾، أَيْ: مَا يَوْمُ الْجَزاءِ وَالْحِسَابِ، وَمَا فِيهِ مِنْ أَهْوَالٍ.

قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾، التَّكْرارُ يُفِيدُ تَعْظِيمَ وَتَهْوِيلَ هَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ، فَهُوَ خَارِجٌ عَنْ تَصَوُّرِ الْعَقْلِ لِشِدَّةِ أَهْوالِهِ وَعَظِيمِ شَأْنِهِ[6].

قَوْلُهُ: ﴿يَوۡمَ[1] لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ﴾، أَيْ: فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى نَفْعِ أَحَدٍ، ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾، أَيْ: وَحْدَهُ، لَا يُنازِعُهُ فِيهِ غَيْرُهُ إِلا لِمَنْ يَأْذَنُ مِمَّنْ شاءَ

(١) ينظر: تفسير النسفي (٣/ ٦١١).
(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص٩١٤).
(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص٩١٤).
(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٥/ ٢٩٦)، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٤٩)، تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٣).
(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٨٢).
(٦) ينظر: تفسير النسفي (٣/ ٦١٢)، تفسير أبي السعود (٩/ ١٢٢)، فتح القدير (٥/ ٤٨٠).

مِنْ عِبادِهِ وَرُسُلِهِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [سورة الفرقان:٢٦]، فَتَضْمَحِلُّ جَمِيعُ الْمَمَالِكِ وَتَذْهَبُ جَمِيعُ الرِّيَاسَاتِ[٢].

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

نِهَايَةُ الْكَوْنِ بِنِهَايَةِ عُمُرِ الدُّنْيَا:

فِي هَذِهِ السُّورَةِ ذِكْرٌ لِبَعْضِ الْمَشاهِدِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي وَرَدَ شَيْءٌ مِنْها فِي سورَةِ التَّكويرِ وَفِي سُوَرٍ أُخْرى، وَتُفِيدُ أَنَّهُ عِنْدَ نِهايَةِ عُمُرِ الدُّنْيا يَنْفَرِطُ عِقْدُ الْكَوْنِ، وَيَخْتَلُّ تَوازُنُهُ، وَيَذْهَبُ تَماسُكُهُ وَتَكامُلُهُ.

بَيانُ الْمَقْصُودِ مِنْ ذِكْرِ أَهْوالِ الْقِيامَةِ:

فِي هَذِهِ السُّورَةِ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى:

- أَمْرَيْنِ عُلْوِيَّيْنِ، وهُما: انْفِطارُ السَّمَاءِ، وَتَناثُرُ الْكَواكِبِ.
- وَأَمْرَينِ أَرْضِيَّيْنِ، وَهُمَا: انْفِجارُ الْبِحارِ، وَتَبَعْثُرُ الْقُبورِ.

وَالْمَقْصُودُ مِنْ ذلِكَ: الْعِظَةُ وَالاِعْتِبارُ، وَاسْتِيلَاءُ الْهَوْلِ عَلَى قَلْبِ الإِنْسَانِ؛ حَتَّى يَفْعَلَ ما أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى، وَيَتَجَنَّبَ مَا نَهاهُ الله تَعالَى عَنْهُ[٣].

تَقْرِيرُ أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها:

فَالآيَاتُ الْوارِدَةُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ تُؤَكِّدُ أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فيها، وَأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ سَيُسْأَلُ عَنْ أَعْمالِهِ مِنْ خَيرٍ أَوْ شَرٍّ؛ لِيَنَالَ جَزاءَهُ؛ كَمَا قَالَ تَعالَى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [سورة الانفطار:٥][٤].

تَحْذِيرُ الإِنْسانِ مِنْ غُرُورِه:

---

(١) (يومَ) بالنصب مفعولٌ به لفعل محذوف تقديره: اذكر، ورَفَعَ ابْنُ كَثِيرٍ وأبو عمرو (يَوْمُ) عَلَى الْبَدَلِ مِن يَوْمِ الدِّينِ، أَوِ الخَبَرِ المَحْذُوفِ. ينظر: تفسير الألوسي (١٥/ ٢٧١).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٥).

(٣) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ٧٣).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٧٧).

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [سورة الانفطار:٦]: تَحْذِيرٌ لِلْإِنْسَانِ مِنْ غُرُورِهِ وَتَجَرُّئِهِ عَلَى عِصْيَانِ اللهِ تَعَالَى. قَالَ الْقَاسِمِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾، أَيْ: أَيُّ شَيْءٍ خَدَعَكَ وَجَرَّأَكَ عَلَى عِصْيانِهِ، وَالانْحِرافِ عَنْ فِطْرَتِهِ، وَذَكَرَ (الْكَريمَ) لِلْمُبَالَغَةِ في الْمَنْعِ عَنِ الاغْتِرارِ؛ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى الْعَظِيمِ الْجَليلِ الْكامِلِ في نُعُوتِهِ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَجَديرٌ بِأَنْ يُرْهَبَ عِقابُهُ وَيُخْشَى انْتِقامُهُ وَعَذابُهُ؛ لَا سِيَمَا وَلَهُ مِنَ النِّعَمِ الْعَظِيمَةِ وَالقُدْرَةِ الْكامِلَةِ مَا يَزيدُ في الرَّهْبَةِ"(١).

وُجُوبُ شُكْرِ اللهِ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾: أَنَّ مِنْ كَرَمِ اللهِ تَعَالَى وَفَضْلِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ سَوَّى خَلْقَهُ وَحَسَّنَ صُورَتَهُ، فَجَعَلَهَا فِي أَحْسَنِ خِلْقَةٍ وَأَفْضَلِ صُورَةٍ، مِمَّا يُوجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَشْكُرَ اللهَ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ، وَلا يَلِيقُ بِهِ أَنْ يَجْحَدَ إِحْسَانَ الْمُحْسِنِ، أَوْ أَنْ يَكْفُرَ نِعْمَةَ الْمُنْعِمِ. يَقولُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أَلَيْسَ اللهُ هُوَ ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ﴾ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، ﴿فَعَدَلَكَ﴾ وَرَكَّبَكَ تَرْكِيبًا قَويمًا مُعْتَدِلًا فِي أَحْسَنِ الْأَشْكالِ، وَأَجْمَلِ الْهَيْئاتِ، فَهَلْ يَليقُ بِكَ أَنْ تَكْفُرَ نِعْمَةَ الْمُنْعِمِ، أَوْ تَجْحَدَ إِحْسانَ الْمُحْسِنِ؟ إِنْ هَذَا إِلَّا مِنْ جَهْلِكَ وَظُلْمِكَ وَعِنادِكَ وَغَشْمِكَ، فَاحْمَدِ اللهَ إِذْ لَمْ يَجْعَلْ صُورَتَكَ صُورَةَ كَلْبٍ أَوْ حِمارٍ أَوْ نَحْوِهِمَا مِنَ الْحَيَواناتِ"(٢).

قُدْرَةُ اللهِ تَعَالَى عَلَى إِعَادَةِ الْخَلْقِ أَسْهَلُ مِنِ ابْتِدَائِهِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ الْآيَةَ: إِشَارَةٌ عَلَى أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ أَوَّلًا قَادِرٌ عَلَيْهِ ثَانِيًا، بَلْ هُوَ أَهْوَنُ وَأَيْسَرُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي

---

(١) ينظر: تفسير القاسمي (٩/ ٤٢٣).

(٢) تفسير السعدي (ص٩١٤).

يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [سورة الروم:٢٧][(١)].

التَّكْذِيبُ بِالْجَزاءِ وَالْحِسابِ سَبَبُ الْكُفْرِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ [سورة الانفطار:٩]: بَيانُ أَنَّ السَّبَبَ الَّذِي حَمَلَ الْكافِرَ عَلَى الْكُفْرِ وَعَدَمِ الْإِيمانِ بِاللهِ تَعَالَى هُوَ تَكْذِيبُهُ بِالْمَعادِ وَالْجَزاءِ وَالْحِسَابِ[(٢)].

وُجُوبُ الاسْتِحْياءِ مِنَ الْمَلائِكَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢﴾: أَنَّ عَلَى الإِنْسانِ أَنْ يَسْتَحْيِيَ مِنَ الْمَلائِكَةِ، وَإِذَا كَانَ الإِنْسَانُ يَسْتَحْيِي مِنَ الرَّجُلِ الْكَرِيمِ أَنْ يَعْمَلَ أَمَامَهُ عَمَلًا شَائِنًا، فَمَا بَالُكَ بِمَلَكٍ كَرِيمٍ يُسَجِّلُ عَلَيْكَ ما تَفْعَلُ، وَيَكْتُبُ حَسَناتِكَ وَسَيِّئَاتِكَ. قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "...، وَقَدْ نَبَّهَ سُبْحَانَهُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢﴾ [سورة الانفطار:١٠-١٢]، أَيْ: اسْتَحْيُوا مِنْ هَؤُلَاءِ الْحَافِظِينَ الْكِرَامِ، وَأَكْرِمُوهُمْ، وَأَجِلُّوهُمْ أَنْ يَرَوْا مِنْكُمْ مَا تَسْتَحْيُونَ أَنْ يَرَاكُمْ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ مِثْلُكُمْ، وَالْمَلَائِكَةُ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ، وَإِذَا كَانَ ابْنُ آدَمَ يَتَأَذَّى مِمَّنْ يَفْجُرُ وَيَعْصِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَإِنْ كَانَ يَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَمَا الظَّنُّ بِأَذَى الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ؟ -وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ-"[(٣)].

حِفْظُ الْمَلائِكَةِ لِأَعْمالِ الْعِبادِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢﴾ [سورة الانفطار:١٠-١٢]: أَنَّ كُلَّ مَا يَصْدُرُ مِنَ الْعَبْدِ مِنْ حَسَناتٍ أَوْ سَيِّئاتٍ وَأَقْوالٍ وَأَفْعالٍ.. تُسَجِّلُهُ مَلائِكَةٌ كِرامٌ مِنْ بِدايَةِ حَياتِهِ إِلى نِهايَتِها؛ وَلِهَذا وَصَفَ اللهُ تَعالَى الْمَلائِكَةَ

(١) ينظر: تفسير القاسمي (١٥/ ٢٦٩).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٤).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٤)، الجواب الكافي لابن القيم (ص١٠٨).

بِأَنَّهُمْ حَفَظَةٌ؛ لِحِفْظِهِمْ لِكُلِّ مَا يَصْدُرُ مِنَ الْعَبْدِ، فَلَا يُهْمِلُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ قَوْلًا كَانَ أَوْ فِعْلًا أَوِ اعْتِقَادًا(١).

وَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ ﷻ قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ؛ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»(٢).

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ: هَلْ يَكْتُبُ الْمَلَائِكَةُ كُلَّ شَيْءٍ يَصْدُرُ عَنِ الإِنْسَانِ، كَالْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ وَالنَّوْمِ وَالْكَلَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؟ أَمْ أَنَّهُ لَا يُكْتَبُ إِلَّا مَا فِيهِ ثَوَابٌ أَوْ عِقَابٌ؟

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ هَلْ يُكْتَبُ جَمِيعُ أَقْوَالِهِ؟ فَقَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ: يَكْتُبَانِ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَنِينَهُ فِي مَرَضِهِ(٣)، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: لَا يَكْتُبَانِ إِلَّا مَا يُؤْجَرُ عَلَيْهِ أَوْ يُؤْزَرُ، وَالْقُرْآنُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمَا يَكْتُبَانِ الْجَمِيعَ، فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾ [سورة ق:١٨] نَكِرَةٌ فِي الشَّرْطِ مُؤَكَّدَةٌ بِحَرْفِ (مِنْ)، فَهَذَا يَعُمُّ كُلَّ قَوْلِهِ"(٤).

إِثْبَاتُ الْإِيمَانِ بِوُجُودِ الْمَلَائِكَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [سورة الانفطار:١٠-١٢]: تَقْرِيرُ الإِيمَانِ بِوُجُودِ الْمَلَائِكَةِ، وَهُوَ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الإِيمَانِ، وَهُمْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة التحريم:٦].

(١) ينظر: شرح الطحاوية (ص٣٨٢).
(٢) أخرجه البخاري (٦٤٩١) واللفظ له، ومسلم (١٣١).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠٨٣٠).
(٤) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٩).

وَهُمْ قوىً رُوحِيَّةٌ؛ مِنهُمْ مَنْ يَنزِلُ بِالْوَحْيِ كَجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمِنْهُمْ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَمِنْهُمُ الْمُكَلَّفُ بِالرِّياحِ وَالأمْطارِ وَالْخِصبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْفُخُ في الصُّورِ وَهُوَ إِسْرافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَلِلْملائِكَةِ قُوَّةٌ فَوْقَ قُوَّةِ الْبَشَرِ، وَقُدْرَةٌ عَلَى تَنْفيذِ مَا وُكِّلُوا بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ.

الأبْرارُ في نَعيمٍ دائِمٍ:

في قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الانفطار:١٣]: أَنَّ الأَبْرارَ في نَعيمٍ دائِمٍ، وَلَيْسَ مُخْتَصًّا بِيَوْمِ الْمَعادِ فَقَطْ(١). قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَأيُّ لَذَّةٍ ونَعِيمٍ في الدُّنْيا أطْيَبُ مِن برِّ القَلْبِ، وسَلامَةِ الصَّدْرِ، ومَعْرِفَةِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ومَحَبَّتِهِ، والعَمَلِ عَلى مُوافَقَتِهِ؟ وَهَلِ الْعَيْشُ في الْحَقيقَةِ إِلَّا عَيْشُ القَلْبِ السَّليمِ؟ وَقَدْ أَثْنَى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى خَليلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَلامَةِ قَلْبِهِ، فَقَالَ: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾[سورة الصافات:٨٣-٨٤]"(٢).

بَيَانُ أَنَّ الْبِرَّ سَبَبٌ لِلنَّعِيمِ، وَالْفُجُورَ سَبَبٌ لِلْجَحِيمِ:

في قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾: أَنَّ الْبِرَّ سَبَبٌ لِلنَّعيمِ، وأَنَّ الفُجُورَ -والْعِياذُ بِاللهِ- سَبَبٌ لِلْجَحيمِ(٣). وَقدْ في حَديثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الجنة... وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ»(٤).

الْفُجَّارُ في عَذابٍ دائِمٍ مُخَلَّدِينَ فِيهِ:

فِي قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [سورة الانفطار:١٤]، وَقَوْلِهِ تَعالَى: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ [سورة الانفطار:١٦]: أَنَّ الْفُجَّارَ في جَحيمٍ وَعَذابٍ دائِمٍ(٥)، وَلَيْسَ أَيْضًا مُخْتَصًّا

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢١٢).

(٢) الجواب الكافي (ص١٢١).

(٣) ينظر: معالم السنن للخطابي (٤/ ١٣٣).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٥) ينظر: تفسير النسفي (٣/ ٦١٢)، أضواء البيان (٨/ ٤٥١).

بِيَوْمِ الْمَعَادِ فَقَطْ، بَلْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَيْضًا -وَالعِيَاذُ باللهِ-. قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَهَلِ العَذَابُ إِلَّا عَذَابُ الْقَلْبِ؟ وَأَيُّ عَذَابٍ أَشَدُّ مِنَ الْخَوْفِ وَالْهَمِّ وَالْحُزْنِ، وَضِيقِ الصَّدْرِ، وَإِعْرَاضِهِ عَنِ اللهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ، وَتَعَلُّقِهِ بِغَيْرِ اللهِ، وَانْقِطَاعِهِ عَنِ اللهِ، بِكُلِّ وَادٍ مِنْهُ شُعْبَةٌ؟ وَكُلُّ شَيْءٍ تَعَلَّقَ بِهِ وَأَحَبَّهُ مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنَّهُ يَسُومُهُ سُوءَ الْعَذَابِ"(١).

حَثُّ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ لِيَوْمٍ لَا يَنْفَعُهُ أَحَدٌ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ﴾ [سورة الانفطار:١٩]: حَثٌّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَعْمَلَ الصَّالِحَاتِ، وَيُدَاوِمَ عَلَيْهَا، وَحَثٌّ لِلْعَاصِي أَنْ يَتُوبَ إِلَى اللهِ مِنَ الْمَعَاصِي. وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شيئًا، بَلِ الْكُلُّ مَشْغُولٌ بِأَمْرِ نَفْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْهَوْلِ وَعَظَمَتِهِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[سورة عبس:٣٧](٢)، وَكَمَا فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ يَقُولُ: نَفْسِي نَفْسِي، إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ إِلى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقولُ: «أَنَا لَهَا»(٣)(٤).

يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ الْأَمْرُ كُلُّهُ للهِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [سورة الانفطار:١٩]: أَنَّ الأمْرَ كُلَّهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ للهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، وَلا يَمْلِكُ شَيْئًا مِنَ الْأَمْرِ غَيْرُهُ كَائِنًا مَنْ كانَ، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[سورة غافر:١٦](٥)، وَيَوْمُ الْقِيَامَةِ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ فِيهِ عَلَى نَفْعِ أَحَدٍ إِلَّا بِأَمْرِ اللهِ(٦).

وَظَاهِرُ هَذِهِ الْآيَةِ: تَقْيِيدُ الْأَمْرِ بِالظَّرْفِ الْمَذْكورِ، وَلَكِنِ الْأَمْرُ لِلَّهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَقَبْلَهُ وَبَعْدَهُ، كَما قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ﴾ [سورة الروم:٤]، وَقَالَ اللهُ

(١) الجواب الكافي (ص٧٦).
(٢) ينظر: تفسير المراغي (٣٠/ ٧٠).
(٣) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣).
(٤) ينظر: أضواء البيان (٨/ ٤٥٢).
(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٥).
(٦) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٥).

تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [سورة الأعراف:٥٤]، أَيْ: يَتَصَرَّفُ فِي خَلْقِهِ بِما يَشَاءُ مِنْ أَمْرِهِ، كَمَا لَا يُشْرِكُهُ أَحَدٌ في خَلْقِهِ، لَكِنْ جَاءَ الظَّرْفُ هُنَا لِزِيَادَةِ تَأْكِيدٍ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ في الدُّنْيَا لِبَعْضِ النَّاسِ بَعْضُ الْأَوامِرِ، وَلَكِنْ في هَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيم يَظْهَرُ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ تَمَامَ الظُهُورِ أَنَّ الْأَمْرَ للهِ وَحْدَهُ[1].

❁❁❁

(١) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٤٣٩).

سُورَةُ الْمُطَفِّفِين

سُورَةُ (الْمُطَفِّفِينَ): مُخْتَلَفٌ فِيهَا[1]، وَآيُها سِتٌّ وَثَلاثُونَ آيَةً[2].

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمَائِهَا: سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ، وَسُورَةُ التَّطْفِيفِ، وَسُورَةُ (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ)[3].

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

حَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَقَاصِدِ وَالْمَعانِي الْعَظِيمَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ[4]:

- ✓ التَّحْذِيرُ مِنَ التَّطْفِيفِ فِي الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا سَيُحاسَبُ عَلَيْهِ النَّاسُ يومَ الْقِيامَةِ.
- ✓ ذِكْرُ السِّجِّينِ لِأَهْلِ العِصْيانِ، وَسُوءِ مُنْقَلَبِهِم.
- ✓ ذِكْرُ العِلِّيِّينَ لِأَهْلِ الإِيمَانِ، وَما هُم فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ.
- ✓ وَصْفُ حَالِ الْمُشْرِكِينَ مَعَ الْمُؤمِنِينَ بِلَمْزِهِمْ وَالسُّخْرِيَّةِ مِنْهُمْ، وَكَيْفَ انْقَلَبَ الْحالُ يَوْمَ الْقِيامَةِ.

سَبَبُ النُّزُولِ:

جاءَ فِي سَبَبِ نُزولِ هَذِهِ السُّورَةِ: حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ كَانُوا مِنْ أَخْبَثِ النَّاسِ كَيْلًا، فَأَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾؛ فَأَحْسَنُوا الْكَيْلَ بَعْدَ ذَلِكَ»[5].

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٤٤٩)، زاد المسير (٤/ ٤١٣).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٥٠).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ١٨٧). وقال القاسمي في تفسيره (٩/ ٤٢٧): "قال المهايمي: سميت به دلالة عَلَى أن من أخل بأدنى حقوق الخلق، استحق أعظم ويل من الحق. فكيف من أخل بأعظم حقوق الحق، من الإيمان به وبآياته ورسله؟".

(٤) ينظر: بصائر ذوي التمييز (١/ ٥٠٦)، مصاعد النظر (٣/ ١٦٨)، التحرير والتنوير (٣٠/ ١٨٨).

(٥) أخرجه ابن ماجه (٢٢٢٣)، وصححه ابن حبان (٤٩١٩)، والحاكم في المستدرك (٢٢٤٠)، وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿وَيۡلٞ﴾: كَلِمَةُ عَذَابٍ وَهَلَاكٍ، أَوْ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ[1]، ﴿لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾، التَّطْفِيفُ: الْبَخْسُ فِي الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ؛ لِأَنَّ مَا يُبْخَسُ طَفِيفٌ، أَيْ: حَقِيرٌ[2]. قَالَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَالْمُطَفِّفُ: هُوَ الْمُنْقِصُ لِلْكَيْلِ أَوِ الْوَزْنِ أَوِ الذِّرَاعِ أَوِ الصَّلَاةِ، وَعَدَهُمُ اللهُ بِوَيْلٍ وَهُوَ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ، تَسْتَغِيثُ جَهَنَّمُ مِنْ حَرِّهِ -نَعُوذُ بِاللهِ مِنْهُ-"[3].

وَقَدْ فَسَّرَ اللهُ تَعَالَى التَّطْفِيفَ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ﴾، أَيْ: إِذَا اكْتَالُوا مِنَ النَّاسِ حُقُوقَهم يَأْخُذُونها تَامَّةً وَافِيَةً[4].

قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ﴾، أَيْ: إِذَا كَالُوا لِلنَّاسِ أَوْ وَزَنُوا لَهُمْ[5]، ﴿يُخۡسِرُونَ﴾، أَيْ: يُنْقِصُونَ الْكَيْلَ وَالْوَزْنَ[6].

قَوْلُهُ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤﴾، أَلَا: اِسْتِفْهَامُ تَوْبِيخٍ، والمعنى: أَلَا يَتَيَقَّنُ أُولَئِكَ الْمُطَفِّفُونَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[7].

قَوْلُهُ: ﴿لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾، يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَظَّمَهُ لِعِظَمِ مَا يَكُونُ فِيهِ[8].

قَوْلُهُ: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾، أَيْ: مِنْ قُبُورِهِمْ، ﴿لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾، أَيْ: يَقُومُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا لِلْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ[9].

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٣/ ٣٢٢)، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٥٠).

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٤)، تفسير أبي السعود (٩/ ١٢٤).

(٣) الكبائر (ص٢٧).

(٤) ينظر: الوجيز للواحدي (ص١١٨٢)، تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٤).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٥٠٨)، التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٤٤١)، تفسير البغوي (٨/ ٣٦٢).

(٦) ينظر: تفسير الخازن (٤/ ٤٠٣)، تفسير الجلالين (ص٧٩٦).

(٧) ينظر: تفسير الجلالين (ص٧٩٦).

(٨) ينظر: تفسير السمعاني (٦/ ١٧٨)، تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٤).

(٩) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٤٤١)، تفسير البغوي (٨/ ٣٦٢)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٧).

قَوْلُهُ: ﴿كَلَّآ﴾: كَلِمَةُ رَدْعٍ وتَنْبِيه[1]، أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى ما هُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّطْفِيفِ، وَالْغَفْلَةِ عَنْ ذِكْرِ الْبَعْثِ وَالْحِسابِ[2]، ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾، أَيْ: الَّذِي كُتِبَتْ فِيهِ أَعْمالُهُمْ[3]، ﴿لَفِي سِجِّينٖ ٧﴾، أَيْ: مَكانٍ ضَيِّقٍ فِي أَسْفَلِ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ[4].

قَوْلُهُ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ﴾، أَيْ: وَما أَعْلَمَكَ -أَيُّها الرَّسولُ- ما سِجِّينٌ؟ تَفْخيمًا لِشَأْنِهِ.

قَوْلُهُ: ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٩﴾، لَيْسَ هَذَا تَفْسِيرَ السِّجِّينِ، بَلْ هُوَ بَيَانُ الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾، أَيْ: هُوَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ، أَيْ: مَكْتُوبٌ وَمُثْبَتَةٌ فيهِ أَعْمالُهُمْ[5].

قَوْلُهُ: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٠﴾، أَيْ: عَذابٌ شَدِيدٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلْمُكَذِّبينَ.

قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، أَيْ: يَوْمِ الْجَزاءِ وَالْحِسابِ، وَسُمِّيَ بِيَوْمِ الدِّينِ؛ لِأَنَّهُ الْيَوْمُ الَّذِي يدِينُ اللهُ الْخَلْقَ بِأَعْمالِهِمْ، وَيُحاسِبُهُمْ عَلَيْها[6].

قَوْلُهُ: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ﴾، أَيْ: بِيَوْمِ الدِّينِ، ﴿إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ﴾: مُجاوِزٍ لِلْحَدِّ[7]، ﴿أَثِيمٍ ١٢﴾، أَيْ: مُبالِغٍ فِي ارْتِكابِ الْآثَامِ وَأَنْواعِ الْمَعَاصِي[8].

قَوْلُهُ: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ﴾، أَيْ: الْمُعْتَدِي الْأَثِيم، ﴿ءَايَٰتُنَا﴾، أَيْ: الْقُرْآنُ، ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣﴾، أَيْ: أَبَاطِيلُ الْأَوَّلينَ الْمُسطَّرَةُ فِي كُتُبِهِمْ، وَهَذا مِن فَرْطِ جَهْلِهِ وإِعْراضِهِ عَنِ الحَقِّ، فَلا تَنْفَعُهُ شَواهِدُ النَّقْلِ كَما لَمْ تَنفعْهُ دَلائِلُ العَقْلِ[9].

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٥/ ٢٩٨).
(٢) ينظر: تفسير الكشاف (٤/ ٧٢١)، تفسير النسفي (٣/ ٦١٤).
(٣) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٦٣).
(٤) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٥٨)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٩).
(٥) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٦٤).
(٦) ينظر: تفسير السعدي (ص٩١٥).
(٧) ينظر: نظم الدرر للبقاعي (٢١/ ٣٢٠).
(٨) ينظر: نظم الدرر للبقاعي (٢١/ ٣٢٠)، تفسير القاسمي (٩/ ٤٣٠).
(٩) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٥).

قَوْلُهُ: ﴿كَلَّا﴾: كلمَةُ رَدْعٍ وَزَجْرٍ لِلْمُعْتَدِي الْأَثِيمِ عَنْ ذَلِكَ الْقَوْلِ الْبَاطِلِ، وَتَكذِيب لَهُ، ﴿بَلْ رَانَ﴾، أَيْ: غَطَّى، ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾، وَغَلَبَ عَلَيْهَا[1]، ﴿مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ١٤﴾ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي فَهُوَ كَالصَّدَأِ -وَالعِيَاذُ بِاللهِ-[2]. وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، حَتَّى يَعْلُوَ قَلْبَهُ ذَاكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [سورة المطففين: ١٤]»[3].

قَوْلُهُ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾، أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾، فَلا يَرَوْنَهُ -وَالعِيَاذُ بِاللهِ-[4].

قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ١٦﴾، أَيْ: دَاخِلِينَ النَّارَ -وَالعِيَاذُ بِاللهِ-[5].

قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لَهُمْ تَوْبِيخًا وَتَقْرِيعًا[6]: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ فَتَقُولُونَ: لَا بَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ وَلَا حِسَابَ وَلَا جَزَاءَ[7].

قَوْلُهُ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ﴾، أَيْ: كِتَابَ أَعْمَالِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ فِي أَقْوالِهِمْ وَأَفْعالِهِمْ[8]، ﴿لَفِى عِلِّيِّينَ﴾، أَيْ: لَفِي مَرْتَبَةٍ وَمَكَانٍ عَالٍ فِي الْجَنَّةِ.

قَوْلُهُ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾، أَيْ: وَمَا أَعْلَمَكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ، ﴿مَا عِلِّيُّونَ ١٩﴾، أَيْ: مَا كِتَابُ عِلِّيِّينَ.

قَوْلُهُ: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ٢٠﴾، الْكَلَامُ فِي ها كَمَا مَرَّ فِي نَظِيرِهِ.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٨٦)، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٦١).

(٢) ينظر: تفسير الخازن (٤/ ٤٠٤)، الوجيز للواحدي (ص١١٨٣).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٧٩٥٢) واللفظ له، والترمذي (٣٣٣٤) وقال: "حسن صحيح"، وابن ماجه (٤٢٤٤).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٠٤)، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٦١).

(٥) ينظر: تفسير الخازن (٤/ ٤٠٥)، تفسير أبي السعود (٩/ ١٢٧).

(٦) ينظر: تفسير أبي السعود (٩/ ١٢٧).

(٧) ينظر: تفسير النسفي (٣/ ٦١٥).

(٨) ينظر: تفسير الجلالين (ص٧٩٧).

قَوْلُهُ: ﴿يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾، أَيْ: إِنَّ الْمَلائِكَةَ الْمُقَرَّبينَ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى يَحْضُرُون ذَلِكَ الكِتابَ الْمَرْقومَ فَيَحْفَظُونَه، أَوْ يَشْهَدُونَ عَلَى مَا فِيهِ يَوْمَ القِيامَةِ[1]، وَهَذا يَدُلُّ عَلَى شَرَفِ هَذَا الْكِتَابِ وَشَرَفِ أَهْلِهِ.

ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَالَهُمْ فِي الْجَنَّةِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ كِتابَهُمْ وَعَظَّمَهُ:

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢﴾، أَيْ: عَظِيمٍ دائِمٍ، وذَلِكَ نَعِيمُهُمْ في الْجَنَّةِ[2].

قَوْلُهُ: ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾، أَيْ: عَلَى الْأَسِرَّةِ الْمُزَيَّنَةِ بِأَنْواعٍ مِن الزِّينَةِ[3]، ﴿يَنظُرُونَ ٢٣﴾، أَيْ: إِلى رَبِّهِمْ سُبْحانَهُ، وَإِلَى مَا يَسُرُّهُمْ مِنْ أَنْواعِ النِّعَمِ وَالْخَيْراتِ[4].

قَوْلُهُ: ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ﴾، أَيْ: بَهْجَةَ، ﴿ٱلنَّعِيمِ ٢٤﴾، وحُسْنَهُ وَبَرِيقَهُ مِمَّا هُمْ فيهِ مِنَ التَّرَفِ والرَّاحَةِ[5].

قَوْلُهُ: ﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٍ﴾، أَيْ: أَجْوَدِ الْخَمْرِ وَأَصْفاهُ[6]، ﴿مَّخۡتُومٍ﴾، أَي: مُحْكَمٍ إِناؤُهَا، وَمَسْدُودٍ حَتَّى يَفُكَّهُ الْأَبْرارُ[7]، وَالَّذِي يَسْقِيهِم خَدَمُهُمْ، كَما قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ١٧ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ١٩﴾ [سورة الواقعة:١٧-١٩].

وَيُحْتَمَلُ أَنَّ مَعْنى: ﴿مَّخۡتُومٍ﴾، أَيْ: مَمْزوجٌ شُرْبُهُ بِرائِحَةِ الْمِسْكِ[8].

قَوْلُهُ: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ﴾، أَيْ: آخِرُ شَرْبَةٍ مِنْهُ بِرائِحَةِ الْمِسْكِ[9].

(١) ينظر: تفسير الخازن (٤/ ٤٠٥)، فتح القدير (٥/ ٤٨٧).
(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢١٢)، تفسير القاسمي (٩/ ٤٣٤).
(٣) ينظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٣٩٨)، نظم الدرر (٢١/ ٣٣٤).
(٤) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٦٧)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥٢).
(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢١٣)، تفسير السمعاني (٦/ ١٨٢).
(٦) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٦٧)، فتح القدير (٥/ ٤٨٨).
(٧) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٦٧).
(٨) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢١٥).
(٩) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢١٩)، تفسير الجلالين (ص٧٩٨).

قَوْلُهُ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ﴾، يَعْنِي: الرَّحِيقَ أَوِ النَّعِيمَ، ﴿فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ﴾، أَيْ: فَلْيَسْتَبِقِ الْمُتَسَابِقُونَ، وَلْيُجَاهِدُوا النُّفوسَ لِيَلْحَقُوا بِالْأَبْرارِ[١].

ثُمَّ بيَّنَ حَالَ هَذَا الشَّرَابِ لِلأَبْرارِ فَقَالَ: ﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾، أَيْ: مَخْلُوطٌ[٢]، ﴿مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾، أَيْ: مِنْ عَيْنٍ عَالِيَةٍ فِي الْجَنَّةِ؛ وَلِهَذا سُمِّيَت تَسْنِيمًا لِارْتِفاعِ مَكَانِهَا[٣].

قَوْلُهُ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾، (عينًا): حالٌ، أَوْ نَصْبٌ عَلَى المَدْحِ[٤]، والمعنى: فَإِنَّهم يَشْرَبُونَها صِرْفًا خالصًا؛ لِأَنَّهم لَمْ يَشْتَغِلُوا بِغَيْرِ اللهِ[٥].

ثم ذَكَرَ اللهُ سُبْحانَهُ حَالَهُمْ فِي الْجَنَّةِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ كِتابَهُمْ وَعَظَّمَهُ؛ فقال الآيات التالية:

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾، أَيْ: الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ ﴿كَانُوا۟﴾، أَيْ: فِي الدُّنْيَا، ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾، أي: اسْتِهْزاءً[٦] وتهكُّمًا بِهِمْ بِسَبَبِ إِيمانِهِمْ.

قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ﴾، أَيْ: إِذَا مَرَّ الْمُشْرِكُونَ بِالْمُؤمِنِينَ، ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾، أَيْ: يَغْمِزُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيُشِيرُونَ بِأَعْيُنِهِمْ سُخْرِيَّةً بِهِمْ وَاحْتِقَارًا لَهُمْ[٧].

قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ﴾، أَيْ: إِذَا رَجَعَ الكُفَّارُ إِلَى أَهْلِهِمْ فِي مَنَازِلِهِمْ[٨]، ﴿ٱنقَلَبُوا۟﴾، أَيْ: رَجَعُوا، ﴿فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾، أَيْ: مُتَلَذِّذِينَ بِاسْتِخْفافِهِمْ بِالْمُؤْمنين وَالسُّخْرِيَةِ مِنهُمْ[٩].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٢٠).
(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢١٥).
(٣) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٦٦).
(٤) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٦٨)، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٦٦).
(٥) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٦).
(٦) ينظر: تفسير النسفي (٣/ ٦١٧).
(٧) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٢٦)، تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٦).
(٨) ينظر: تفسير البغوي (٣/ ٦١٧)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥٣).
(٩) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٦)، تفسير النسفي (٣/ ٦١٧).

قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾، أَيْ: وَإِذا رَأَى الْكَافِرُونَ الْمُؤْمِنِينَ[1]، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾؛ لِكَوْنِهِمْ أَسْلَمُوا، واتَّبَعُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتَمَسَّكُوا بِمَا جَاءَ بِهِ[2].

قَوْلُهُ: ﴿وَمَآ أُرْسِلُواْ﴾، أَيْ: وَمَا وَكَّلَ اللهُ تَعَالَى هَؤُلاءِ الْمُجْرِمِينَ الْقَائِلِينَ مَا ذُكِرَ، ﴿عَلَيْهِمْ﴾، أَيْ: عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، ﴿حَٰفِظِينَ ٣٣﴾، أَيْ: يَحْفَظُونَ عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهم، وَيَشْهَدُونَ بِرُشْدِهِمْ وَضَلَالِهِمْ[3].

قَوْلُهُ: ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾، أَيْ: يَوْمَ الْقِيامَةِ، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ٣٤﴾، أَيْ: كَمَا ضَحِكُوا هُمْ مِنَ الْمُؤمِنِينَ فِي الدُّنْيَا[4]؛ جَزَاءً وِفَاقًا.

قَوْلُهُ: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾، أَيْ: عَلَى الْأَسِرَّةِ الْمُزَيَّنَةِ بِأَنْوَاعِ مِنَ الزِّينَةِ[5]، ﴿يَنظُرُونَ ٣٥﴾، أَيْ: يَنْظُرُ الْمُؤمِنُونَ إِلى مَا أَعْطَاهُمُ اللهُ مِنَ الْكَرَامةِ وَالنَّعِيمِ فِي الجنَّةِ، وَيَنْظُرُونَ إِلى مَا حَلَّ بِالْمُجْرِمِينَ مِنَ الْعَذَابِ[6].

قَوْلُهُ: ﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾، أَيْ: هَلْ جُوزِيَ[7]، ﴿ٱلْكُفَّارُ مَا﴾، أَيْ: الَّذِي، ﴿كَانُواْ يَفْعَلُونَ ٣٦﴾، أَيْ: فِي الدُّنْيَا، وَالَّذِي مِنْ جُمْلَتِهِ الاسْتِهْزَاءُ وَالسُّخْرِيَةَ بالمؤمِنينَ[8]، وَالْجَوابُ: نَعَمْ، جُوزِيَ الْكُفَّارُ عَلَى الَّذِي كَانُوا يَفْعَلُونَهُ فِي الدُّنْيَا كَمَا جُوزِيَ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ.

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

التَّحْذِيرُ مِنَ التَّطْفِيفِ وَبَيَانُ خُطُورَةِ ظُلْمِ النَّاسِ:

(١) ينظر: تفسير النسفي (٣/ ٦١٧).
(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥٤)، فتح القدير (٥/ ٤٨٩).
(٣) ينظر: التفسير الوسيط (٤/ ٤٤٩)، تفسير القاسمي (٩/ ٤٣٦).
(٤) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٤٤٩-٤٥٠).
(٥) ينظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٣٩٨)، نظم الدرر (٢١/ ٣٣٤).
(٦) ينظر: تفسير أبي السعود (٩/ ١٢٨)، تفسير القاسمي (٩/ ٤٣٦).
(٧) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٧٠).
(٨) ينظر: تفسير الخازن (٤/ ٤٠٧)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥٤).

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾: تَصْرِيحٌ بِالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ لِمَنْ ظَلَمَ النَّاسَ، وَتَعَدَّى عَلَى حُقوقِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ، وَأَنَّهُ كَبِيرَةٌ مِنْ كَبائِرِ الذُّنوبِ. قَالَ الشِّنْقِيطِيِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "افْتِتَاحِيَّةَ هَذِهِ السُّورَة بِالْوَيْلِ لِلْمُطَفِّفِينَ: يُشْعِرُ بِشِدَّةِ خَطَرِ هَذَا الْعَمَلِ، وَهُوَ فِعْلًا خَطِيرٌ؛ لِأَنَّهُ مِقْيَاسُ اقْتِصَادِ الْعَالَمِ وَمِيزَانُ التَّعَامُلِ، فَإِذَا اخْتَلَّ أَحْدَثَ خَلَلًا فِي اقْتِصَادِهِ، وَبِالتَّالِي اخْتِلَالٌ فِي التَّعَامُلِ، وَهُوَ فَسَادٌ كَبِيرٌ"[١]. قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: "وَفِي هَذَا الْإِنْكَارِ وَالتَّعْجِيبِ وَذِكْرِ الظَّنِّ وَوَصْفِ الْيَوْمِ بالعِظَمِ، وَقِيامِ النَّاسِ فيهِ للهِ، وَالتَّعبيرِ عَنْهُ بِربِّ الْعالمينَ: مُبالَغاتٌ في الْمَنْعِ عَنِ التَّطْفيفِ، وَتَعْظيمُ إِثْمِهِ"[٢].

التَّرَابُطُ بَيْنَ التَّطْفيفِ وَإِنْكَارِ الْبَعْثِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥﴾ [سورة المطففين:١-٥]: أَنَّ الَّذِي يُؤْمنُ بِالْبَعْثِ إِيمانًا حَقِيقِيًّا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ بِالتَّطْفيفِ في الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ؛ فَإِذا اشْتَرَى مِنْ غَيْرِهِ أَخَذَ وافِيًا، وَإِنْ باعَ غَيْرَهُ يَنْقُصُ وَيَبْخَسُ. قَالَ القُرْطُبِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إِنْكَارٌ وَتَعْجِيبٌ عَظِيمٌ مِنْ حَالِهِمْ، فِي الِاجْتِرَاءِ عَلَى التَّطْفِيفِ، كَأَنَّهُمْ لَا يُخْطِرُونَ التَّطْفِيفَ بِبَالِهِمْ، وَلَا يُخَمِّنُونَ تَخْمِينًا ﴿أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ﴾ فَمَسْئُولُونَ عَمَّا يَفْعَلُونَ"[٣]؛ ولذا فقد قيل: إن من كان صاحب مراقبة لله ربّ العالمين فإنه يستشعر الهيبة في العاجلة، كما يكون حال الناس في المحشر؛ لأنّ اطلاع الله تعالى اليوم مثل اطلاعه غدًا[٤]، وَقَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "تَوَعَّدَ تَعَالَىٰ الْمُطَفِّفِيْنَ، وَتَعَجَّبَ مِنْ حَالِهِمْ وَإِقَامَتِهِمْ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ

---

(١) أضواء البيان (٨/ ٤٥٤).

(٢) تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٤).

(٣) تفسير القرطبي (١٩/ ٢٥٤).

(٤) لطائف الإشارات (٣/ ٧٠٠).

ﭐلنَّاسُ لِرَبِّ ﭐلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ فَالذِيْ جَرَّأَهُمْ عَلَى التَّطْفِيْفِ عَدَمُ إِيْمَانِهِمْ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَإِلَّا فَلَوْ آمَنُوْا بِهِ، وَعَرَفُوْا أَنَّهُمْ يَقُوْمُوْنَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ، يُحَاسِبُهُمْ عَلَى الْقَلِيْلِ وَالْكَثِيْرِ، لَأَقْلَعُوْا عَنْ ذَلِكَ وَتَابُوْا مِنْهُ"[1].

عُمُومُ التَّطْفِيفِ وَشُمُولُهُ لِغَيْرِ الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ:

التَّطْفيفُ لَيْسَ خاصًّا بِالْكَيْلِ وَالْوَزْنِ[2]، بَلْ هُوَ عَامٌّ يَدْخُل فيهِ كُلُّ بَخسٍ، سَوَاءٌ كانَ بَخْسًا حِسِّيًّا أَوْ مَعْنَوِيًّا، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ مالِكٌ: «لِكُلِّ شَيْءٍ وَفاءٌ وَتَطْفِيفٌ»[3]، وَإِعْطاءُ الْمَرْءِ أَقَلَّ مِنْ حَقِّهِ تَطْفِيفٌ، فَكُلُّ مَنْ خَانَ غَيْرَه وَبَخَسَهُ حَقَّهُ أَوِ انْتَقَصَ مِمَّا وَجَبَ عَلَيْهِ، فَهُوَ دَاخِلٌ فِي هَذَا الْوَعِيد. وَمِنَ التَّطْفِيفِ: أَنْ يُطالِبَ الشَّخْصُ بِكُلِّ ما لَهُ مِنَ الْحُقوقِ، وَلَا يَرْضى أَنْ يُنْتَقَصَ شَيْءٌ مِنْهَا، مَعَ إِخْلَالِهِ هُوَ بِالْحُقُوقِ الَّتِي عَلَيْهِ[4]. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "فِي هَذَا الْإِنْكَارِ وَالتَّعْجِيبِ وَكَلِمَةِ الظَّنِّ، وَوَصْفِ الْيَوْمِ بِالْعَظِيمِ، وَقِيَامِ النَّاسِ فِيهِ لِلَّهِ خَاضِعِينَ، وَوَصْفِ ذَاتِهِ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ: بَيَانٌ بَلِيغٌ لِعِظَمِ الذَّنْبِ، وَتَفَاقُمِ الْإِثْمِ فِي التَّطْفِيفِ، وَفِيمَا كَانَ فِي مِثْلِ حَالِهِ مِنَ الْحَيْفِ، وَتَرْكِ الْقِيَامِ بِالْقِسْطِ، وَالْعَمَلِ عَلَى التَّسْوِيَةِ وَالْعَدْلِ، فِي كُلِّ أَخْذٍ وَإِعْطَاءٍ، بَلْ فِي كُلِّ قَوْلٍ وَعَمَلٍ"[5].

الْأَمْرُ بِالْأَمَانَةِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْخِيَانَةِ:

تُشيرُ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ إِلَى أَنَّ الْإِسْلامَ أَمَرَ بِالْأَمانَةِ وَالْعَدْلِ، وَنَهَى عَنِ الْخِيانَةِ وَالاعْتِداءِ عَلَى حُقُوقِ الْآخَرِينَ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "يَأْمُرُ تَعَالَى بِإِقَامَةِ الْعَدْلِ فِي الْأَخْذِ وَالْإِعْطَاءِ، كَمَا تَوَعَّدَ عَلَى تَرْكِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ﭐلَّذِينَ إِذَا ﭐكۡتَالُواْ عَلَى ﭐلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم

---

(١) تفسير السعدي (ص٩١٥).

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٤٤٩).

(٣) أخرجه في الموطأ (٢٩).

(٤) ينظر: تفسير النيسابوري (٦/ ٤٦٤).

(٥) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٥٥).

مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[سورة المُطَفِّفِين: ١-٦]، وَقَدْ أَهْلَكَ اللهُ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ كَانُوا يَبْخَسُونَ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ"(١).

التَّحَلِّي بِخُلُقِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ عِنْدَ الْمُعَامَلَاتِ:

فِي الْآيَاتِ تَحْفِيزٌ لِلْمُؤْمِنِ أَنَّهُ إِذَا تَعَامَلَ مَعَ النَّاسِ أَنْ يَتَعَامَلَ مَعَهُمْ بِالْعَدْلِ، وَأَنْ يُعْطِيَهُمْ حُقوقَهُمْ وَلَا يَبْخَسُ مِنْهَا شيئًا، بَلْ إِنْ تَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِالزِّيَادَةِ فَوْقَ حَقِّهِمْ فَهُوَ أَفْضَلُ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُ، فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمْحًا فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَالْأَدَاءِ، يُعْطِي الْحَقَّ وَيَتَفَضَّلُ فيهِ، كَمَا فِي حَدِيثِ سُوَيْدِ بنِ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَلَبْتُ أَنَا وَمَخْرَفَةُ العَبْدِيُّ بَزًّا مِنْ هَجَرَ، فَأَتَيْنا بِهِ مَكَّةَ، فَجَاءَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي فَسَاوَمَنَا بِسَرَاوِيلَ، فَبِعْنَاهُ، وَثَمَّ رَجُلٌ يَزِنُ بِالأَجْرِ، فَقَالَ لَهُ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: زِنْ وَأَرْجِحْ»(٢)، أَيْ: زِنْ لَهُ ثَمَنَ سِلْعَتِه حَتَّى تُوَفِّيَهُ حَقَّهُ وَزِيادَةً عَلَيْهِ. وَقَدْ جَاءَ التَّوجِيهُ عَامًّا فِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا وَزَنْتُمْ فَأَرْجِحُوا»(٣)، وَهُوَ مِنْ بَابِ الاحْتِياطِ فِي بَابِ الْحُقوقِ، وَقَدْ يَكُونُ وَاجِبًا لِعِظَمِ شَأْنِها عِنْدَ اللهِ؛ سِيَّما فِيمَا لَا يَتَمَيَّزُ فِيهِ حَدُّ الْعَدْلِ، فَيَزِيدُ فِي الْأَدَاءِ قَدْرًا لِيَنْدَفِعَ بِهِ احْتِمَالُ النَّقْصِ، وَالوُقوعِ فِي التَّطْفيفِ، كَالْمُتَوَضِّئِ يَغْسِلُ جُزْءًا مِنْ مُقَدَّمِ رَأْسِهِ تَحْقِيقًا لِاسْتِيعَابِ غَسْلِ وَجْهِهِ، وَلِهَذا نَظَائِرُ كَثِيرَةٌ.

إِثْبَاتُ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥﴾: دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى إِثْبَاتِ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ. قَالَ ابْنُ عَاشُوْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾: لَامُ التَّوْقِيتِ...، وَفَائِدَةُ لَامِ التَّوْقِيتِ: إِدْمَاجُ الرَّدِّ عَلَى شُبْهَتِهِمُ الْحَامِلَةِ لَهُمْ عَلَى

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٢٧).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٩٠٩٨)، وأبو داود (٣٣٣٦) واللفظ له، والترمذي (١٣٠٥) وقال: "حسن صحيح"، والنسائي (٤٥٩٢)، وابن ماجه (٢٢٢٠).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٢٢٢).

إنْكَارِ الْبَعْثِ بِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّهُ لَوْ كَانَ بَعْثٌ لَبُعِثَتْ أَمْوَاتُ الْقُرُونِ الْغَابِرَةِ، فَأَوْمَأَ قَوْلُهُ: ﴿لِيَوْمٍ﴾: أَنَّ لِلْبَعْثِ وَقْتًا مُعَيَّنًا يَقَعُ عِنْدَهُ لَا قَبْلَهُ"(١).

بيانُ عظمةِ يومِ القيامةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: بيانٌ لِحالِ يَوْمِ الْقِيامَةِ وَأَنَّهُ يَوْمٌ عظيمٌ. قالَ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَوَصَفَهُ بِالْعِظَمِ لِكَوْنِهِ زَمَانًا لِتِلْكَ الْأُمُورِ الْعِظَامِ مِنَ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَالْعِقَابِ، وَدُخُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلِ النَّارِ النَّارَ"(٢).

وَقَالَ الْبِقَاعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَزَادَ التَّهْوِيلَ بِقَوْلِهِ: ﴿عَظِيمٍ﴾، أَيْ: لِعَظَمَةِ مَا يَكُوْنُ فِيهِ مِنَ الْجَمْعِ وَالْحِسَابِ الذِيْ يَكُوْنُ عَنْهُ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، مِمَّا لَا يَعْلَمُهُ عَلَى حَقِيْقَتِهِ إِلَّا هُوَ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ"(٣). وَقَالَ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هَذَا الْيَوْمُ عَظِيْمٌ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ عَظِيمٌ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١﴾ [سورة الحج: ١]؛ عَظِيْمٌ فِي طُوْلِهِ، فِي أَهْوَالِهِ، فِيمَا يَحْدُثُ فِيهِ، فِي كُلِّ مَعْنًى تَحمِلُهُ كَلِمَةُ: (عَظِيمٍ)، لَكِنَّ هَذَا الْعَظِيْمَ هُوَ عَلَى قَوْمٍ عَسِيرٌ، وَعَلَى قَوْمٍ يَسِيرٌ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ۝١٠﴾ [سورة المدثر: ١٠]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ۝٨﴾ [القمر: ٨]"(٤).

إثْباتُ رُبُوبِيَّةِ اللهِ تعالَى لِجَميعِ الخَلْقِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: إِثْباتُ رُبوبِيَّةِ اللهِ تَعالَى الْعامَّةِ لِجميعِ الْخلائِقِ. قَالَ ابنُ عَاشُوْرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَاللَّامُ فِي: ﴿لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ لِلْأَجلِ، أَيْ: لِأَجْلِ رُبُوْبِيَّتِهِ وَتَلَقِّي حُكْمِهِ"(٥).

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٩٣).
(٢) فتح القدير (٥/ ٤٨٣).
(٣) نظم الدرر (٢١/ ٣١٦).
(٤) تفسير جزء عم (٩٥).
(٥) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٩٣).

يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْلَمُ الْمُطَفِّفُونَ سُوءَ عَمَلِهِمْ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [سورة المطففين:٤-٦]: أَنَّهُ عِنْدَمَا يقومُ النَّاسُ مِنْ قُبورِهِمْ لِلْبَعْثِ وَالحِسابِ يَعْلَمُ الْمُطَفِّفُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى خَطَأٍ عَظِيمٍ وجُرْمٍ كَبِيرٍ. قَالَ الشِّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قَوْله تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾: يُفْهَمُ أَنَّ مُطَفِّفَ الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ هَذَا حَقِيقَةً غَالِبًا، وَلَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ الطَّرَفُ الْآخَرُ، فَيَكُونُ اللهُ تَعَالَى هُوَ الْمُطَّلِعُ عَلَى فِعْلِهِ، فَهُوَ الَّذِي سَيُحَاسِبُهُ وَيُنَاقِشُهُ؛ لِأَنَّهُ خَانَ اللهَ الَّذِي لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ سُبْحَانَهُ؛ وَلِذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾، وَلَمْ يَقُلْ: يَوْمَ يُقْتَصُّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ غَرِيمِهِ، وَيَسْتَوْفِي كُلُّ ذِي حَقٍ حَقَّهُ"[1].

إِثْبَاتُ قِيَامِ النَّاسِ يَوْمَ الْحِسَابِ وَذِكْرُ مَا يَقَعُ فِيهِ مِنْ الشِّدَّةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾: الْإِشَارَةُ إِلى حَشْرِ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلى أَرْضِ الْمَحشَرِ، فَيُجْمَعونَ فِي صَعِيدٍ واحِدٍ قِيامًا لِانتِظَارِ مُحَاسَبَتِهِمْ فِي يَوْمٍ عَظِيمٍ. قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أَيْ: يَقُومُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرلا فِي مَوْقِفٍ صَعْبٍ حَرِجٍ ضَيِّقٍ ضنك عَلَى الْمُجْرِمِ، وَيَغْشَاهُمْ مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا تَعجزُ الْقُوَى وَالْحَوَاسُّ عَنْهُ"[2]، وَقَدْ وَرَدَ مِنْ أَهْوَالِ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ النَّاسَ يَتَعَرَّقونَ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي السُّنَّةِ: فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾: حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ»[3]، وَعَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ، فَيَكُونَ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ،

(١) أضواء البيان (٨/ ٤٥٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٧)..

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٣٨) واللفظ له، ومسلم (٢٨٦٢).

وَمِنْهُم مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا»(١). قَالَ الْمَرَاغِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أَيْ: هَذَا الْيَوْمُ هُوَ الْيَوْمُ الذِي يَقِفُ فِيهِ النَّاسُ لِلْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَيَطُوْلُ بِهِمْ الْمَوْقِفُ إِعْظَامًا لِجَلَالِهِ تَعَالَى"(٢).

بَيَانُ جَزَاءِ الْفُجَّارِ وَالْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾: أَنَّ مصيرَ الْفُجارِ مكانٌ ضَيِّقٌ في أَسْفَلِ الْأَرْضِ السّابِعَةِ؛ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَعَدَمِ إيمانِهِمْ(٣)، وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠﴾؛ حَيْثُ فِيهِ الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ لِلْمُكَذِّبينَ بِيَوْمِ الْحِسَابِ وَالْجَزاءِ.

إِحْصَاءُ أَعْمَالِ الْفُجَّارِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾: أَنَّ لِلْفُجَّارِ كِتَابًا مُثْبَتَة فيهِ أَعْمالُهُمْ، لا يُزادُ فِيهِ، وَلا يُنْقَصُ مِنْهُ. قَالَ الْمَرَاغِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ذكَرَ أَنَّ الْفُجَّارَ قَدْ أُعِدَّ لَهُمْ كِتَابٌ أُحْصِيَتْ فِيهِ جَمِيعُ أَعْمَالِهِمْ لِيُحَاسَبُوْا بِهَا"(٤).

مِنْ أَسْبَابِ رَدِّ الْقُرْآنِ وَتَكْذِيبِ الْحَقِّ اكْتِسَابُ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾: أَنَّ السَّبَبَ الَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى قَوْلِهِمْ: إِنَّ القُرْآنَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ هُوَ: مَا يَكْسِبونَهُ مِنَ الذُّنوبِ وَالْمَعَاصِي. قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الذُّنُوبَ إِذَا تَكَاثَرَتْ طُبِعَ عَلَى قَلْبِ صَاحِبِهَا، فَكَانَ مِنَ الْغَافِلِينَ؛ وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ فِي هَذِهِ الآيَةِ: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [سورة المطففين:١٤]: «هو الذَّنْبُ بَعْدَ الذَّنْبِ»(٥)، وَقَالَ الْحَسَنُ: هُوَ الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ، حَتَّى يُعْمِيَ القَلْبَ، وَقالَ غَيْرُهُ: لَمّا كَثُرَتْ ذُنُوبُهُمْ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٤).
(٢) تفسير المراغي (٣٠/ ٧٣).
(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٩).
(٤) تفسير المراغي (٣٠/ ٧٥).
(٥) ينظر: شعب الإيمان للبيهقي (٩/ ٣٧٥).

وَمَعَاصِيهِمْ أَحَاطَتْ بِقُلُوبِهِمْ، وَأَصْلُ هَذَا أَنَّ الْقَلْبَ يَصْدَأُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، فَإِذَا زَادَتْ غَلَبَ الصَّدَأُ حَتَّى يَصِيرَ رَانًا، ثُمَّ يَغْلِبُ حَتَّى يَصِيرَ طَبْعًا وَقُفْلًا وَخَتْمًا، فَيَصِيرُ الْقَلْبُ فِي غِشَاوَةٍ وَغِلَافٍ، فَإِذَا حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ بَعْدَ الْهُدَى وَالْبَصِيرَةِ انْعَكَسَ فَصَارَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ، فَحِينَئِذٍ يَتَوَلَّاهُ عَدُوُّهُ وَيَسُوقُهُ حَيْثُ أَرَادَ"(١).

قَسْوَةُ الْقُلُوبِ بِكَثْرَةِ الذُّنُوبِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة المطففين:١٤]: أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ قَسْوَةِ الْقَلْبِ كَثْرَةُ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، وَقَدْ جَاءَ فِي السُّنَّةِ ما يُؤَيِّدُهُ، وَمِنْ ذَلِكَ: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، حَتَّى يَعْلُوَ قَلْبَهُ ذَاكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة المطففين:١٤]»(٢).

وكذلك: حديثُ حُذيفةَ بنِ اليمانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا؛ فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ سَوْداءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بَيْضاءُ، حتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دامَتِ السَّمواتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»(٣).

ومن هنا: فَإِنَّ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَحْذَرَ الذُّنُوبَ وَالْمَعاصِي مَهْمَا قَلَّتْ وَصَغُرَتْ؛ لأَنَّهَا إِذَا اجْتَمَعَتْ عَلَى الْمَرْءِ أَهْلَكَتْهُ(٤)، كَمَا قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

خَلِّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا *** وَكَبِيرَهَا، ذَاكَ التُّقَى

---

(١) الجواب الكافي (ص٦٠).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم (١٤٤).

(٤) وفي الحديث: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه» أخرجه أحمد في المسند (٣٨١٨).

وَاصْنَعْ كَمَاشٍ فَوْقَ أَرْ *** ضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً *** إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى(١)

الْكُفَّارُ لَا يَرَوْنَ رَبَّهم يومَ الْقِيامَةِ، بِخِلافِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهم يَرَوْنَه وَيَتَلَذَّذُونَ بِرُؤْيَتِه:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [سورة المطففين:١٥]: أَنَّ الْكُفَّارَ مَمْنُوعُونَ مِنْ رُؤْيَةِ رَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُقوبَةً لَهُمْ، وَهَذِهِ الْعُقوبَةُ أَعْظَمُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، أَمَّا الْمُؤْمِنونَ فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بِأَبْصَارِهِمْ في الْجنَّةِ رُؤْيَةَ فَرَحٍ وَسُرُورٍ، وَتَلَذُّذٍ وَحُبورٍ، يَتَلَذَّذونَ بِالنَّظَرِ إلى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَذَلِكَ غَايَةُ النَّعيمِ، وَأَعلَى الْكَرامَاتِ، وَأَفْضَلُ الْمَقَامَاتِ، وَأَعْظَمُ مِنْ سَائِرِ اللَّذاتِ، وَهَذا مِمَّا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الصَّحابَةُ وَالتَّابِعونَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَئِمَّةِ الْهُدَى وَمَصَابِيحِ الدُّجى(٢).

وَقَدْ جاءَ عَنِ الشّافِعِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَنَّ الرَّبِيعَ بْنَ سُلَيْمانَ قَالَ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [سورة المطففين:١٥]؟ فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَمَّا أَنْ حَجَبَ هَؤُلاءِ فِي السَّخَطِ كَانَ فِي هَذا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَوْلِياءَهُ يَرَوْنَهُ فِي الرِّضا، قالَ الرَّبيعُ: فَقُلْتُ: يا أَبا عَبْدِ اللهِ ! وَبِهِ تَقولُ؟ قالَ: نَعَمْ، وَبِهِ أَدِينُ اللهَ، وَلَوْ لَمْ يُوقِنْ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ أَنَّهُ يَرَى اللهَ لَمَا عَبَدَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ(٣).

عِظَمُ شَأْنِ كِتَابِ الْأَبْرَارِ بِسُؤَالِ اللهِ تَعَالَى عَنْهُ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢١﴾ [سورة المطففين:١٨-٢١]: أَنَّ اللهَ تَعَالَى عَظَّمَ شَأْنَ كِتَابِ الْأَبْرارِ بِالسُّؤالِ عَنْهُ، وَهُوَ كِتَابٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبونَ مِنَ الْمَلائِكَةِ، وَيَشْهَدونَ لِمَا لِصاحِبِهِ مِنَ النَّعيمِ الْعَظِيمِ.

بَعْضُ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ:

(١) ينظر: شعب الإيمان للبيهقي (٦٩١٩)، تفسير القرطبي (١/ ١٦٢).
(٢) ينظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص١٥٣)، مجموع الفتاوى (٦/ ٥٠٠-٥٠١).
(٣) ينظر: حادي الأرواح (ص٢٩٢)، معارج القبول (١/ ٣٤٠).

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾: بَيَانٌ لِبَعْضِ مَا أَعَدَّهُ اللهُ تَعَالَى لِلْأَبْرارِ مِنَ النَّعِيمِ الْعَظِيمِ، فَفِي الْجَنَّةِ ما لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خطرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، كَما في حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رأتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [سورة السجدة:١٧]»[1].

ذِكْرُ بَعْضِ أَشْرِبَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ﴾ [سورة المطففين:٢٥]: أَنَّ مِنْ أَشْرِبَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْخَمْرُ، وَهُوَ شَرابٌ يَتَلَذَّذُ بِهِ أَهْلُ الْجَنَّةِ. وَكذلك فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ۝ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [سورة المطففين:٢٧-٢٨]: أَنَّ الْجَنَّةَ فِيهَا عُيُونٌ يَتَفَجَّرُ مِنْهَا الشَّرَابُ اللَّذِيذُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ في قُصورِهِمْ، وَمِنْ هَذِهِ الْعُيونِ عَيْنٌ تُسَمَّى: تَسْنِيمٌ، وَهِيَ فِي أَعَلَى الجَنَّةِ، يَشْرَبُها الْمُقَرَّبُونَ صِرْفًا، ويُمْزَجُ رَحِيقُ الْأَبْرَارِ بِهَا، كَمَا قَالَهُ جُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ[2]، وَعَلَى هَذَا: تَكُونُ مَنْزِلَةُ الْأَبْرَارِ دُونَ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَنَّ الْأَبْرارَ هُمْ أَصْحَابُ الْيَمِينِ، وَأَنَّ الْمُقَرَّبِينَ هُمُ السَّابِقُونَ. قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَهَذَا لِأَنَّ الْجَزاءَ وِفاقُ الْعَمَلِ، فَكَمَا خَلُصَتْ أَعمالُ الْمُقَرَّبِينَ كُلُّها للهِ خَلُصَ شَرابُهُمْ، وَكَمَا مَزَجَ الْأَبْرارُ الطَّاعَاتِ بِالْمُبَاحَاتِ مُزِجَ لَهُم شَرابُهُمْ؛ فَمَنْ أَخْلَصَ أخْلصَ شَرَابُهُ، وَمَنْ مَزَجَ مزج شَرَابُهُ"[3].

الْحَثُّ عَلَى التَّنَافُسِ لِنَيْلِ نَعِيمِ الْجَنَّةِ، وَتَفَاضُلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الدَّرَجَاتِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [سورة المطففين:٢٦]: أَنَّ الشَّيءَ النَّفِيسَ تَحرِصُ النَّفْسُ عَلَيْهِ، وَتُبادِرُ إليْهِ، وَتُنَافِسُ الْمُتَسابِقِينَ فِيهِ، وأَنْفَسُ مَطْلُوبٍ وَأَعْظَمُ

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٩)، ومسلم (٢٨٢٤) واللفظ له.

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٢١)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥٣).

(٣) طريق الهجرتين (ص١٩٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَرْغُوبٍ: مَغْفِرَةُ اللهِ ورِضْوانُهُ، وَالْفَوْزُ بِجَنَّاتِهِ، وَالتَّنافُسُ فِي الصَّالِحَاتِ، وَالتَّسابُقُ إِلى الْخَيْراتِ؛ مَطْلَبٌ شَرْعِيٌّ، وَأَمْرٌ إِلَهِيٌّ، قَالَ تَعالَى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة الحديد: ٢١](١).

وَذلِكَ لِأَنَّ الْجَنَّةَ تَتَفاضَلُ فِيهَا الدَّرَجاتُ بِحَسَبِ السَّبْقِ وَالْمُسارَعَةِ، وَكَما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ١٢﴾ [سورة الواقعة: ١٠-١٢]، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَراءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَراءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ؛ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»(٢).

ذِكْرُ بَعْضِ صِفَاتِ الْكُفَّارِ فِي تَعَامُلِهِمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَالتَّحْذِيرُ مِنْهَا:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾ [سورة المطففين: ٢٩]: ذِكْرُ بَعْضِ صِفَاتِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ كَانُوا وَمَا زَالُوا يُمارِسُونَهَا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ:

- الضَّحِكُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى سَبِيلِ السُّخْرِيَةِ وَالاسْتِهْزاءِ بِهِمْ.
- التَّغامُزُ بِالْعُيونِ اسْتِهْزاءً وَتَهَكُّمًا وَاحْتِقارًا.
- تَفَكُّهُ الْكُفارِ وَتَلَذُّذُهُمْ بِمَا يَسْخَرُونَ بِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ رُجوعِهِمْ إِلى أَهْلِهِمْ، وَفِي مَجالِسِهِمْ وَنَوادِيهِمْ.
- وَصْفُ الْكُفَّارِ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالضَّلالِ(٣).

إِنْصَافُ اللهِ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْكَافِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ:

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٥٦) واللفظ له، ومسلم (٢٨٣١).

(٣) ينظر: تفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٤٤٩)، تفسير القاسمي (٩/ ٤٣٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فِي قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [سورة المطففين:٣٤]: أَنَّ الْجزاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، وَكَمَا يَدينُ الْمَرْءُ يُدانُ، فَهَؤلاءِ الْكُفَّارِ كَانُوا يَضْحَكُونَ مِنَ الَّذينَ آمَنُوا في الدُّنيَا، وَفي يَوْمِ الْقِيامَةِ يَضْحَكُ الَّذينَ آمَنُوا مِنَ الْكَافِرِينَ.

الْفَرْقُ بيْنَ حالِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي الآخِرَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝٣٤ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٣٥﴾ [سورة المطففين:٣٤-٣٥]: بيانٌ لِحالِ الْمُؤْمِنينَ مَعَ الْكُفَّارِ في الْآخِرَةِ، وَأَنَّهُ يَخْتَلِفُ عَنْ حالِ الْكُفَّارِ مَعَ الْمُؤمِنينَ في الدُّنْيا، فَفِي الْآخرَةِ يَضْحَكُ الْمُؤمِنونَ مِنَ الْكُفَّارِ كَما ضَحِكُوا مِنْهُمْ في الدُّنْيَا(١)، وَيَنْظُرونَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَكانٍ عالٍ، وَعَلَى سُرُرٍ مَنْصوبَةٍ لَهُمْ مُزَيَّنَةٍ بِأَنْواعِ مِنَ الزِّينَةِ؛ وَلِهَذا تَكونُ الدُّنْيا لِلْكُفَّارِ، وَالآخِرَةُ لِلْمُؤمنينَ، كَما قالَ النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ بْنِ الخطابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لهمُ الدُّنْيَا ولَنَا الآخِرَةُ»(٢).

❁❁❁

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٩١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩١٣) واللفظ له، ومسلم (١٤٧٩).

سُورَةُ الانْشِقَاق

سُورَةُ (الِانْشِقَاقِ): مَكِّيَّةٌ بِالإِجْمَاعِ(١)، وَآيُهَا خَمْسٌ وَعِشْرُونَ آيَةً(٢).

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمائِهَا: سُورَةُ (إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ)، وَسُورَةُ الانْشِقَاقِ، وَسُورَةُ (انْشَقَّتْ)(٣).

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

حَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَقَاصِدِ وَالْمَعانِي الْعَظِيمَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ(٤):

- ✓ بَيانُ حَالِ الْأَرْضِ وَالسّماءِ فِي طَاعَةِ الخَالِقِ تَعالَى، وَإِخْراجِ الْأَمْواتِ لِلْبَعْثِ.
- ✓ الإِعْلَامُ بِأَنَّ الْأَعْمَالَ مُحْصَاةٌ، وَبَيَانُ جَزاءِ الْأَعْمَالِ خَيْرِهَا وَشَرِّهَا.
- ✓ ذِكْرُ سُهولَةِ الحِسابِ لِلْمُطِيْعِيْنَ، وَشِدَّتِهِ عَلَى الْكَافِرِينَ الْمُعانِدِينَ.
- ✓ الْقَسَمُ بِتَشَقُّقِ الْقَمَرِ.
- ✓ اطِّلَاعُ الْحَقِّ عَلَى الْإِسْرارِ وَالإِعْلَانِ.

مِنْ فَضَائِلِ السُّورَةِ:

جَاءَ فِي فَضْلِ هَذِهِ السُّورَةِ عِدَّةُ أَحَادِيثَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن ذلك:

أولًا: مَا وَرَدَ عَنْ أَبِي رَافِعٍ قالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ الْعَتَمَةَ، فَقَرَأَ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾؛ فَسَجَدَ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ؟ قَالَ: سَجَدْتُ بِهَا خَلْفَ أَبِي الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا أَزَالُ أَسْجُدُ فِيهَا حَتَّى أَلْقَاهُ»(٥)، وفي هذا مَشْروعِيَّةُ سَجْدَةِ التِّلاوَةِ عِنْدَ قِراءَةِ هَذِهِ السُّورَةِ.

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٤٥٦)، زاد المسير (٤/ ٤١٩).
(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٦٩).
(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٢١٧).
(٤) ينظر: بصائر ذوي التمييز (١/ ٥٠٨)، نظم الدرر (٢١/ ٣٣٥)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٢١٧).
(٥) أخرجه البخاري (١٠٧٨) واللفظ له، ومسلم (٥٧٨).

ثانيًا: مَا ورَدَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ»، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، أَلَيْسَ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [سورة الانشقاق:٧-٨]؟ قَالَ: ذَاكَ الْعَرْضُ؛ يُعْرَضُونَ، وَمَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ هَلَكَ»(١)، وَفِي هَذَا بَيَانُ مَعْنَى الْحِسابِ الْيَسِيرِ الَّذِي يُلاقِيهِ الْمُؤمِنُ فِي يَوْمِ الْقِيامَةِ.

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾، أَيْ: تَصدَّعَتْ وَتفَطَّرَتْ بِالغَمامِ(٢) يَوْمَ الْقِيامَةِ، كَمَا قالَ تَعالَى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ [سورة الفرقان:٢٥]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ [سورة المرسلات:٩].

قَوْلُهُ: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾، أَيْ: سَمِعَتْ وَأَطاعَتْ فِي الِانْشِقاقِ(٣)، ﴿وَحُقَّتْ ۝٢﴾، أَيْ: وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَسْمَعَ وَتُطِيعَ، وَتَنْقادَ لِأَمْرِه(٤).

قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾، أَيْ: بُسِطَتْ ووُسِّعَتْ، وَأُزِيلَ جِبالُها وَآكامُها، وَجُعِلَتْ مُسْتَوِيَةً(٥).

قَوْلُهُ: ﴿وَأَلْقَتْ﴾، أَيْ: أَخرَجَتْ، ﴿مَا فِيهَا﴾، أَيْ: مَا فِي جَوْفِها مِنَ الْأَمْواتِ، ﴿وَتَخَلَّتْ﴾، أَيْ: وَخَلَتْ مِنْ ذَلِكَ خُلُوًا تامًّا، فَلَمْ يَبْقَ فِي جَوْفِها أَحَدٌ(٦).

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٩) واللفظ له، ومسلم (٢٨٧٦).
(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٣٠)، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٦٩)، تفسير النسفي (٣/ ٦١٩).
(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٣١)، تفسير النسفي (٣/ ٦١٩).
(٤) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٤٥٦)، تفسير النسفي (٣/ ٦١٩).
(٥) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٧٠)، تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٧)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥٦)، تفسير أبي السعود (٩/ ١٣١).
(٦) ينظر: تفسير السمعاني (٦/ ١٨٧)، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٧٠).

قَوْلُهُ: ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا﴾، أَيْ: سَمِعتْ وَأَطَاعَتْ لِرَبِّهَا في الإِلْقاءِ وَالتَّخَلِّي[1]، ﴿وَحُقَّتۡ ۝٥﴾، أَيْ: وَحُقَّ لَها أَنْ تَسْمَعَ وَتُطِيعَ، وَتَنْقَادَ لِأَمْرِهِ[2].

وَجَوَابُ (إِذَا) فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ وَما بَعْدَهُ: مَحْذوفٌ، تَقْدِيرُهُ: إِذا حَدَثَ كُلُّ ما ذُكِرَ مِنْ أَهْوالٍ.. قَامَتِ الْقِيامَةُ، وَوَجَدَ كُلُّ إِنسانٍ ما قَدَّمَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ التَّكْوِيرِ: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾ [سورة التكوير:١٤]، وَقالَ تَعَالَى فِي سورَةِ الانْفِطارِ: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ﴾ [سورة الانفطار:٥][3].

وَقِيلَ: جَوابُها: مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾، أَيْ: إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ لَاقَى الإِنْسَانُ كَدْحَهُ[4].

قَوْلُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾، أَيْ: سَاعٍ وَجَاهِدٌ فِي عَمَلِكَ[5]، ﴿إِلَىٰ﴾ لِقَاءِ ﴿رَبِّكَ﴾ وَهُوَ الْمَوْتُ[6]، ﴿كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾، أَيْ: مُلَاقٍ رَبَّكَ بِعَمَلِكَ الْمَذْكُورِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ يَوْمَ القِيامَةِ وَمُجَازِيكَ[7].

قَوْلُهُ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾، أَيْ: كِتَابَ عَمَلِهِ، ﴿بِيَمِينِهِۦ ۝٧﴾، وَهُوَ الْمُؤْمِنُ[8].

قَوْلُهُ: ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾، أَيْ: سَهْلًا لَا يُنَاقَشُ فِيهِ[9]، كَمَا جَاءَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ، فَقُلْتُ:

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٧)، فتح القدير (٥/ ٤٩٢).
(٢) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٤٥٦)، تفسير النسفي (٣/ ٦١٩).
(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٣٤)، تفسير القرطبي (٦/ ٢٣٣).
(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٥/ ٣٠٣)، تفسير البغوي (٨/ ٣٧١).
(٥) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٧٤)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥٦).
(٦) ينظر: تفسير النسفي (٣/ ٦١٩).
(٧) ينظر: تفسير الجلالين (ص٧٩٩).
(٨) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٧٢).
(٩) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٧).

أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [سورة الانشقاق:٨]؟ فَقَالَ: لَيْسَ ذَاكِ الْحِسَابُ، إِنَّمَا ذَاكِ الْعَرْضُ، مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ»(١)(٢).

قَوْلُهُ: ﴿وَيَنقَلِبُ﴾، أَيْ: يَرْجِعُ بَعْدَ الْحِسابِ الْيَسِيرِ، ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾، أَيْ: فِي الجَنَّةِ، ﴿مَسْرُورًا ۝٩﴾، أَيْ: فَرِحًا بِدُخولِهِ الْجَنَّةَ وَنَجاتِهِ مِنَ الْعَذَابِ، وَمَا أَعَدَّهُ اللهُ لَهُ مِنَ النَّعِيمِ الْعَظِيمِ(٣).

قَوْلُهُ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾، أَيْ: صَحِيفَةَ أَعْمالِهِ(٤)، ﴿وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠﴾، وَهُوَ الْكَافِرُ -وَالْعِياذُ بِاللهِ-، وَفِي سُورَةِ الحاقَّةِ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [سورة الحاقة:٢٥]؛ فَيَحْتَمِلُ -وَاللهُ أَعْلَمُ- أَنْ يُؤْتَى بِشِمَالِهِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ(٥).

قَوْلُهُ: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا﴾، الثُّبورُ: الْهَلاكُ(٦)، فَهَذَا الْكَافِرُ الَّذِي أُوتِيَ كِتابَهُ بِشِمالِهِ مِنْ وَراءِ ظَهْرِهِ يَتَمَنَّى الْهَلاكَ وَيَقُولُ: يَا ثُبوراهُ، وَكَمَا فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [سورة الفرقان:١٣](٧).

قَوْلُهُ: ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾، أَيْ: وَيَدْخُلُ نَارًا مُسْتَعِرَةً مُتَوَقِّدَةً، كَما قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [سورة الحاقة:٣١](٨).

---

(١) سبق تخريجه. وهذا لفظ مسلم.
(٢) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٧٤)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥٧).
(٣) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ٩٨)، تفسير السعدي (ص٩١٧).
(٤) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٧٤).
(٥) جمهور المفسرين: اعتبروا حالة الشمال ومن وراء الظهر حالة واحدة. ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٣٩)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥٨)، تفسير أبي السعود (٩/ ١٣٢)، تفسير الألوسي (١٥/ ٢٨٩).
وذهب ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المحلى (١/ ٣٧) إلى التفريق بينهما، فقال: "مَسْأَلَةٌ: وَأَنَّ النَّاسَ يُعْطَوْنَ كُتُبَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَالْمُؤْمِنُونَ الْفَائِزُونَ الَّذِينَ لَا يُعَذَّبُونَ يُعْطَوْنَهَا بِأَيْمَانِهِمْ؛ وَالْكُفَّارُ بِأَشْمَلِهِمْ، وَالْمُؤْمِنُونَ أَهْلُ الْكَبَائِرِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ".
والذي يظهر -والله أعلم-: أنه لا فرق، وأن الذي يأخذ كتابه بشماله هو الكافر فقط، كما هو ظاهر القرآن، وأما العاصي الموحد فيأخذه بيمينه.
(٦) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٤٠)، تفسير النسفي (٣/ ٦٢٠).
(٧) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٤٥٣)، تفسير البغوي (٨/ ٣٧٤).
(٨) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٧٢).

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ﴾، أَيْ: في الدُّنيا، ﴿مَسۡرُورًا ١٣﴾، أَيْ: بَطِرًا بِالْمَالِ وَالْجاهِ، مُتَّبِعًا لِهَواهُ، فارِغًا عَنِ الْآخِرَةِ(١).

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ﴾، أَيْ: تَيقَّن، ﴿أَن لَّن يَحُورَ﴾، أَيْ: أَنْ لَنْ يَرْجِعَ إِلى اللهِ تَعالَى، فَهُوَ يُنْكِرُ الْبَعْثَ، وَلَا يُؤْمِنُ بِالْجَزاءِ وَلَا بِالْحِسابِ(٢).

قَوْلُهُ: ﴿بَلَىٰٓ﴾، أَيْ: لَيْسَ كَما ظَنَّ، بَلْ يَرْجِعُ إِلَيْنَا وَيُبْعَثُ وَنُجازِيهِ(٣)، ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ١٥﴾، أَيْ: عَالِمًا بِأَعْمالِهِ، فَلا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْها(٤).

قَوْلُهُ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾، (لَا): زائِدَة لِتَوْكِيدِ الْقَسَمِ، أَيْ: أُقْسِمُ(٥)، ﴿بِٱلشَّفَقِ ١٦﴾، وَهْوَ الْحُمْرَةِ الَّتِي تُرَى في أُفُقِ الْمَغْرِبِ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ(٦).

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾، أَيْ: وَمَا ضَمَّهُ وَجَمعَهُ مِنَ الْمَخْلُوقاتِ(٧).

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾، أَيْ: اكْتَمَلَ وَتَمَّ بَدْرًا(٨).

قَوْلُهُ: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾، أَيْ: لَتُنْقَلَنَّ أَيُّها الإِنْسانُ، ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾، أَيْ: حَالًا بَعْدَ حَالٍ، مِنَ النُّطْفَةِ إِلى الْعَلَقَةِ، إِلَى الْمُضْغةِ، إِلَى نَفْخِ الرُّوحِ، إِلَى الْمَوْتِ، إِلَى الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، إِلَى أَنْ يَسْتَقِرَّ الْأَمْرُ عَلَى مَا يُقْضى بِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ مِن جَنَّةٍ أَوْ نَارٍ، فَحِينَئِذٍ يَحْصُلُ الدَّوامُ وَالْخُلُودُ، إِمَّا في دَارِ الثَّوابِ أَوْ في دَارِ الْعِقَابِ(٩)، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾: «حَالًا بَعْدَ حَالٍ، قَالَ هَذَا نَبِيُّكُمْ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ»(١٠).

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٨)، فتح القدير (٥/ ٤٩٣).
(٢) ينظر: تفسير السمعاني (٦/ ١٩٠)، تفسير البغوي (٨/ ٣٧٥).
(٣) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٧٥).
(٤) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ١٠٠)، تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٨)، فتح القدير (٥/ ٤٩٤).
(٥) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٤٥٨).
(٦) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٤٣)، التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٤٥٤)، تفسير البغوي (٨/ ٣٧٥).
(٧) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٥/ ٣٠٥)، تفسير ابن عطية (٥/ ٤٥٨)، تفسير البغوي (٨/ ٣٧٥).
(٨) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٤٥٨)، تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٨)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥٩).
(٩) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ١٠٢)، تفسير ابن عطية (٥/ ٤٥٨)، التفسير القيم (ص٥٦٧).
(١٠) أخرجه البخاري (٤٩٤٠).

قَوْلُهُ: ﴿فَمَا لَهُمۡ﴾، أَيْ: الكُفَّارِ، ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠﴾، أَيْ: بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ[1]، مَعَ وُجُودِ الْأَدِلَّةِ وَالْبَراهِينِ الَّتِي تَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ[2].

قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ٢١﴾، أَيْ: لِتِلاوَتِهِ[3].

قَوْلُهُ: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾، أَيْ: يُكَذِّبُونَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِما جاءَ بِهِ مِنَ الْقُرْآنِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى إِثْباتِ التَّوْحِيدِ وَالْبَعْثِ وَالثَّوابِ وَالْعِقابِ[4].

قَوْلُهُ: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾، أَيْ: بِما يُضْمِرُونَ فِي صُدُورِهِمْ مِنَ الكُفْرِ وَالْعَداوَةِ وَالْعِنادِ وَالتَّكْذِيبِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ حَقٌّ[5].

قَوْلُهُ: ﴿فَبَشِّرۡهُم﴾، أَيْ: أَخْبِرْهُمْ أَيُّها الرَّسُولُ، ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤﴾، أَيْ: مُؤْلِمٍ؛ جَزاءً عَلَى كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ وَعَداوَتِهِمْ وَعِنادِهِمْ[6].

قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾، أَيْ: غَيْرُ مَقْطُوعٍ[7]، وهُوَ الْجَنَّةُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [سورة غافر: ٤٠].

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

بَيَانُ حَالِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٦١).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (ص٨٠٠).

(٣) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٨).

(٤) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٧٧)، فتح القدير (٥/ ٤٩٥-٤٩٦).

(٥) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٢٩٩)، تفسير النسفي (٣/ ٦٢١).

(٦) ينظر: تفسير الطبري (٥/ ٢٩٢).

(٧) ينظر: معاني القرآن (٥/ ٣٠٦)، تفسير البغوي (٨/ ٣٧٧).

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ٥﴾ [سورة الانشقاق:١-٥]: أَنَّهُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَحْصُلُ أُمُورٌ عَظِيمَةٌ؛ منها:

أولًا: تَنْشَقُّ السَّماءُ وَتَتَفَطَّرُ امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى، وَحُقَّ لَها أَنْ تَسْمَعَ وَتُطِيعَ خَالِقَهَا وَمُدَبِّرَ أَمْرِهَا.

ثانيًا: تَمْتَدُّ الْأَرْضُ وَتَزِيدُ مِنْ سعتِها، وَيَتَطايَرُ مَا عَلَيْها مِنْ جِبَالٍ وَأَبْنِيَةٍ، وَيُلْقَى مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْمَوْتَى؛ امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى الَّذِي ذَلَّ كُلُّ مَنْ فِي الْكَوْنِ لِعَظَمَتِهِ(١).

الدُّنْيا دارُ الْعَمَلِ والسَّعْيِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [سورة الانشقاق:٦]: أَنَّ الْإِنْسَانَ سَاعٍ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَعَامِلٌ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا إِمَّا خَيْرًا وَإِمَّا شَرًّا، ثُمَّ يُلاقِي اللهَ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَيُجازِيهِ عَلَى عَمَلِهِ(٢).

أَهَمِيَّةُ اسْتِشْعَارِ خَوْفِ اللهِ وَمُلَاقَاتِهِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [سورة الانشقاق:٦]: بيانُ أَنَّ أَهَمَّ شَيْءٍ يُعِينُ الْإِنْسَانَ عَلَى تَرْكِ الْمَعْصِيَةِ خَوْفُ اللهِ ﷻ، وَمَنِ اسْتَشْعَرَ دائمًا هَذِهِ الْآيَةَ وَرَدَّدَهَا آمَنَ وَأَيْقَنَ بِأَنَّ أَيَّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ فَإِنَّهُ سَيُلَاقِي بِهِ اللهَ تَعَالَى، وَدَعَاهُ ذَلِكَ إِلَى فِعْلِ الْأَوَامِرِ وَاجْتِنَابِ الْمَعَاصِي.

يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ الِاشْتِغَالُ وَالْكَدْحُ بِطَاعَةِ اللهِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ [سورة الانشقاق:٦]: أَنَّ الْكَدْحَ لِلْإِنسانِ لَا بُدَّ مِنْهُ، وَهُوَ حَاصِلٌ لَا مَحَالَة، فَقَالَ: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: اكْدَحْ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٩١٧).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٣٥)، تفسير البغوي (٨/ ٣٧٤).

كَذَلِكَ فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَكُونَ كَدْحُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، فَلْيَفْعَلْ. قَالَ قَتَادَةُ: "إِنَّ كَدْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ لَضَعِيفٌ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَكُونَ كَدْحُهُ فِي طَاعَةِ اللهِ فَلْيَفْعَلْ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ"(١).

تَقْرِيرُ أَنَّ الدُّنْيَا دارُ تَعَبٍ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [سورة الانشقاق:٦]: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الدُّنيَا دارُ عَناءٍ وَتَعَبٍ، وَلَا راحَةَ وَلا فَرَحَ فِيهَا(٢).

الْمُؤْمِنُ يُؤْتَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩﴾ [سورة الانشقاق:٧-٩]: أَنَّ مَنْ يُؤْتَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ هُوَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَحْظَى بِالْحِسَابِ الْيَسِيرِ، وَيَنْقَلِبُ إِلى أَهْلِهِ فِي الْجَنَّةِ مَسْرُورًا بِمَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ الثَّوابِ.

كُلُّ النَّاسِ مُحَاسَبُونَ حَتَّى أَصْحَابِ الْيَمِينِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾ [سورة الانشقاق:٨]: أَنَّ كُلَّ إِنْسانٍ مُحاسَبٌ يَوْمَ الْقِيامَةِ حَتَّى أَصْحُابَ الْيَمِينِ، وَإِنْ كانَ حِسَابًا يَسِيرًا، فَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْس بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»(٣).

بَيانُ حاجَةِ الْإِنسانِ لِأَهْلِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا﴾ [سورة الانشقاق:٩]: أَنَّ الْإِنْسَانَ مُحْتَاجٌ إِلى أَهْلِهِ، وَأَنَّهُ لا غِنَى لَهُ عَنْهُمْ بِحالٍ، يَأْوِي إِلَيْهِمْ وَيَأْنَسُ بِهِمْ، حَتَّى إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لِلْمُؤْمِنِ أَهْلونَ، تَكْمُلُ بِهِمْ فَرْحَتُهُ، وَيَتَحَقَّقُ مَعَهُمْ أُنْسُهُ، كَما فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٢٣٥).

(٢) ينظر: تفسير النيسابوري (٦/ ٤٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (٧٥١٢) واللفظ له، ومسلم (١٠١٦).

www.alukah.net

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمِ الْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا»(١).

التَّفْرِيقُ بَيْنَ السُّرُورِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ وَالْجَائِزِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا﴾ [سورة الانشقاق:١٣]: بَيَانُ أَنَّ السُّرُورَ الْمَنْهِيَّ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا هُوَ مَا يَتَوَلَّدُ مِنَ الْأَشَرِ وَالْبَطَرِ وَاتِّبَاعِ الْهَوَى(٢)، أَمَّا إِذَا كَانَ السُّرُورُ فِي مُقَابِلِ نِعْمَةِ التَّوْفِيقِ لِطَاعَةٍ مِنَ الطَّاعَاتِ، أَوْ قُرْبَةٍ مِنَ الْقُرُبَاتِ فَهُوَ مَأْمُورٌ بِهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ [سورة يونس:٥٨](٣).

ذِكْرُ بَعْضِ أَسْبَابِ الْخُسْرَانِ فِي الْآخِرَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورًا ١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ١٤ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ١٥﴾ [سورة الانشقاق:١٠-١٥]: أَنَّ سَبَبَ خَسَارَةِ هَذَا الْإِنْسَانِ وَإِعْطَائِهِ صَحِيفَةَ أَعْمَالِهِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ- هُوَ: الْبَطَرُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنْكَارُ الْمَعَادِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَا تَنْفَعُ فِيهِ النَّدَامَةُ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورًا ١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ١٢﴾ [سورة الانشقاق:١١-١٢]: أَنَّهُ لَا قِيمَةَ لِلْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ.

مِنْ حِكَمِ إِمْهَالِ الْكَافِرِينَ وَالظَّالِمِينَ:

(١) أخرجه مسلم (٢٨٣٨).

(٢) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ١٠٠)، فتح القدير (٥/ ٤٩٣).

(٣) ينظر: مدارج السالكين (٣/ ١٤٨-١٥١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ [سورة الانشقاق:١٥]: أَنَّ الإِمْهَالَ وَالاِسْتِدْرَاجَ لِلْكَافِرِينَ وَالظَّالِمِينَ سُنَّةٌ كَوْنِيَّةٌ فِي هَذِهِ الْحَياةِ الدُّنيا؛ لِحِكَمٍ بَالِغَةٍ أَرَادَها اللهُ تَعَالَى، وَمِنْ ذَلِكَ:

أولًا: الِازْدِيادُ مِنَ الإِثْمِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [سورة آل عمران:١٧٨].

ثانيًا: إِقَامَةُ الْحُجَّةِ وَالتَّحَقُّقُ مِنَ الظُّلْمِ، وَأَنَّ للهِ مَوْعِدًا لَنْ يُخْلِفَهُ، كما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا﴾ [سورة الكهف:٥٩].

ثالثًا: إِظْهَارُ عَظَمَةِ كَيْدِ اللهِ تَعَالَى بِالظَّالِمِينَ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ٤٥﴾ [سورة القلم:٤٥].

رابعًا: إِعْطَاءُ الظَّالِمِينَ حَقَّهُمْ مِنَ الإِمْهالِ رَجَاءَ تَوْبَتِهِمْ قَبْلَ أَخْذِهِمْ بِالْعَذابِ، كَمَا فِي حَدِيْثِ أَبِي مُوْسَى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [سورة هود:١٠٢]»[١].

دَلالاتُ قَسَمِ اللهِ بِمَا يَشاءُ مِنْ مَخْلُوقاتِهِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨﴾ [سورة الانشقاق:١٦-١٨]: أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِما يَشاءُ مِنْ مَخْلوقاتِهِ، وَقد أَقْسَمَ اللهُ بِأَشْياءَ مُتَنَوِّعة، وذلك يَدُلُّ عَلَى مَا يَلِي:

أولًا: أَنَّهَا مِنْ آيَاتِهِ وَأَدِلَّةِ تَوْحِيدِهِ، وَبَراهِينِ قُدْرَتِهِ، وَبَعْثِهِ الأَمْواتَ، وَإِقْسامُهُ بِهَا تَعْظِيمٌ لَهُ سُبْحانَهُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٦) واللفظ له، ومسلم (٢٥٨٣).

ثانيًا: تنبيهٌ لِلنَّاسِ إِلى مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ مِنْ أَدِلَّةِ وَحْدانِيَّتِه، وأدلَّةِ عَظيمِ قُدْرَتِه، وَتمامِ رُبوبيَّتِهِ.

ثالثًا: أَنَّها مِنْ تمامِ إِقامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى عِبادِهِ، حَيْثُ أَقْسَمَ لَهُمْ بِتِلْكَ الْمَخلوقَاتِ الْعَظيمَةِ؛ لِيَلْتَفِتُوا إِلى جَلَالِ الْمُقْسَمِ عَلَيْهِ، وَكَوْنِ الْمُقْسَمِ بِهِ دَليلًا عَلَى الْمُقسَمِ عَلَيْهِ.

قالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "إِنَّ اللهَ يُقْسِمُ بِمَا يُقسِمُ بِهِ مِنْ مَخْلُوقاتِهِ؛ لِأَنَّها آياتُهُ وَمَخْلُوقَاتُهُ، فَهِيَ دَلِيلٌ عَلَى رُبُوبيَّتِهِ وَأُلُوهِيَّتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَرَحْمَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعَظْمَتِهِ وَعِزَّتِهِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ يُقْسِمُ بِهَا لِأَنَّ إِقْسامَهُ بِهَا تَعْظِيمٌ لَهُ سُبْحَانَهُ، وَنَحْنُ الْمَخْلُوقُونَ لَيْسَ لَنَا أَنْ نُقْسِمَ بِهَا بِالنَّصِّ وَالإِجْمَاعِ"[1].

تَأكِيدُ القَسَمِ في هَذِهِ السُّورَةِ وَجَوابُه:

في قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨﴾ [سورة الانشقاق:١٦-١٨]: أَنَّ اللهَ تَعالَى أَقْسَمَ قَسَمًا مُؤَكَّدًا بِالشَّفَقِ وَاللَّيْلِ وَما جَمَعَ، وَالْقَمَرِ إِذَا اكْتَمَلَ؛ عَلَى أَنَّ الإِنْسانَ سَيُلَاقِي الصِّعابَ تِلْوَ الصِّعابِ، وَسَيَنْتَقِلُ مِنْ حَالٍ إِلى حَالٍ، إِلَى أَنْ يَلْقَى رَبَّهُ وَيُجازِيَهِ عَلَى عَمَلِهِ، إِمَّا بِدُخُولِ الْجَنَّةِ وَإِمَّا بِدُخُولِ النَّارِ، وَجَوابُ هَذَا الْقَسَمِ الْمُؤَكَّد: هُوَ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ [سورة الانشقاق:١٩][2].

أَخْذُ العِبْرَةِ مِنْ تَقَلُّباتِ اللَّيْل:

في قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨﴾ [سورة الانشقاق:١٦-١٨]: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ أَنْ يَأْخُذَ الْعِبْرَةَ وَالْعِظَةَ عِنْدَ رُؤْيَةِ انْتِهاءِ اللَّيْلِ بِالشَّفقِ وَاللَّيْلِ وَما جَمَعَ، وَالقَمَرِ إِذا اكْتَمَلَ؛ لِأَنَّ هَذا التَّغَيُّرَ دَلِيلٌ عَلَى الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ.

الْمُرادُ بالشَّفَق:

---

(١) مجموع الفتاوى (١ / ٢٩٠).

(٢) ينظر: التبيان في أقسام القرآن (ص١١١)، فتح القدير (٥/ ٤٩٥).

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ [سورة الانشقاق:١٦]: اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمُرَادِ بِالشَّفَقِ، وَوَقْتِ دُخُولِ صَلاةِ العِشَاءِ بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ عَلَى قَوْلَيْنِ:

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: الشَّفَقُ هُوَ الْحُمْرَةُ. وَهَذا هُوَ الْمَشْهُورُ مِنَ الْمَذْهَبِ عِنْدَ الْحَنابِلَةِ[1]، وَقَالَ بِهِ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلَمِ[2]، وَهذا هُوَ الرَّاجِحُ. فَإِذَا غَابَتِ الْحُمْرَةُ خَرَجَ وَقْتُ صَلاةِ الْمَغْرِبِ، وَدَخَل وَقْتُ صَلاةِ الْعِشَاءِ. **وَاسْتَدَلُّوا بِعِدَّةِ أَدِلَّةٍ**؛ مِنْهَا: أَنَّ الْمَشْهُوْرَ عِنْدَ الْعَرَبِ أَنَّ الشَّفَقَ هُوَ الْحُمْرَةُ بَعْدَ الْغُرُوبِ، وَهُوَ مَشْهورٌ فِي شِعرِهِمْ ونَثْرِهِمْ[3].

القَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ الشَّفَقَ هُوَ الْبَيَاضُ الَّذِي بَعْدَهُ. وَهَذا هُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4].

إِصْرَارُ الْكُفَّارِ عَلَى كُفْرِهِمْ مَعَ قِيَامِ الْأَدِلَّةِ وَالْبَرَاهِينِ.

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة الانشقاق:٢٠]: التَّعَجُّبُ مِنْ حالِ هَؤُلاءِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ قامَتْ أَمَامَهُمُ الْأَدِلَّةُ وَالْبَرَاهِينُ عَلَى صِدْقِ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يُبَلِّغُهُ عَنْ رَبِّهِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُمْ مُصِرُّونَ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَعَدَمِ خُضوعِهِمْ وَسُجودِهِمْ عِنْدَ تِلاوَةِ الْقُرآنِ، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْأَدِلَّةِ وَالْبَرَاهِينِ وَالْمَوَاعِظِ الَّتِي تَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ.

مَشْرُوْعِيَّةُ سُجُودِ التِّلَاوَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۝٢١﴾ [سورة الانشقاق:٢١]: أَنَّ مِنْ آدابِ التِّلاوَةِ أَنْ يَسْجُدَ الْقَارِئُ وَالْمُسْتَمِعُ دُونَ السَّامِعِ إِذَا مَرَّ بِآيَةِ سَجْدَةٍ فِي أَيِّ وَقْتٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهارٍ، وَقدْ قِيلَ بِوُجُوبِ سُجُودِ التِّلاوَةِ، وَاسْتُدِلَّ لِذَلِكَ بِالْآيَةِ.

---

(١) ينظر: المغني (١/ ٢٧٧)، المبدع (١/ ٣٠٤).

(٢) ينظر: زاد المسير (٤/ ٤٢١)، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٧٥)، بداية المجتهد (١/ ١٠٣)، المجموع للنووي (٣/ ٣٥).

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٧٥)، فتح القدير (٥/ ٤٩٤).

(٤) ينظر: المبسوط للسرخسي (١/ ١٤٤)، أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٣٤٢).

وَصِفَةُ سَجْدَةِ التِّلاوَةِ: أَنْ يُكبِّرَ لِلسُّجودِ وَيقُول: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى، وَيَدْعُو بِمَا شَاءَ، ثُمَّ يَرْفَعُ مِنَ السُّجودِ مُكبِّرًا وَيُسَلِّمُ تَسْلِيمَةً وَاحِدَةً عَنْ يَمِينِهِ، وَهَذَا هُوَ الْأَفْضَلُ. وَإِنْ رَفَعَ مِنَ السُّجودِ دُونَ تَكْبِيرٍ وَلا سَلامٍ فَلَا حَرَجَ(1).

وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي حُكْمِ سُجودِ التِّلاوَةِ عَلَى قَوْلَيْنِ:

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: إِنَّ ذَلِكِ واجِبٌ مُطْلَقًا، أَيْ: فِي الصَّلَاةِ وَخَارِجِهَا. وَهَذَا الْقَوْلُ ذَهَبَ إِلَيْهِ الحَنَفِيَّةُ(2)، وَأحْمَدُ فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ(3)، وَاخْتَارَهَا ابْنُ تَيْمِيَّةَ(4).

واستَدَلُّوا بِأَدِلَّةٍ، مِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ﴿٢١﴾﴾. **ووَجْهُ الدَّلالَةِ**: أَنَّ اللهَ ذَمَّهُمْ عَلَى تَرْكِ السُّجُودِ، وَإِنَّمَا اسْتَحَقَّ الذَمَّ بِتَرْكِ الْوَاجِبِ. **وَنُوقِشَ هَذَا الاسْتِدْلالُ**: بِأَنَّ الْآيَةَ وَرَدَتْ فِي ذَمِّ الْكُفَّارِ وَتَرْكِهِمُ السُّجُودَ اسْتِكْبَارًا، بِدَلِيلِ مَا تَعَقَّبَهُ مِنَ الْوَعِيدِ الَّذِي لَا يَسْتَحِقُّهُ مَنْ تَرَكَ سُجُودَ التِّلَاوَةِ(5).

ومن الأدلة أيضًا: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ -وَفِي رِوَايَةٍ: يَا وَيْلِي- أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارِ»(6). **وَنُوقِشَ هَذَا الاِسْتِدْلَالُ**: بِأَنَّ هَذا حِكَايَةُ قَوْلِ إِبْلِيسَ، وَلَوْ سُلِّمَ بِأَنَّهُ أَمْرٌ، فَقَدْ وَرَدَ مَا يَصْرِفُهُ عَنِ الْوُجوبِ كَمَا سَيَأْتِي.

الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهُ سُنَّةٌ مُطْلَقًا، أَيْ: فِي الصَّلَاةِ وَخارِجِهَا. وَهَذا الْقَوْلُ هُوَ الْمَشْهورُ مِنَ الْمَذْهَبِ عِنْدَ الْحَنابِلَةِ، وَبِهِ قَالَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ(7).

---

(1) ينظر: المبدع (٢/ ٣٨).
(2) ينظر: تبيين الحقائق (١/ ٢٠٥).
(3) ينظر: الإنصاف للمرداوي (١/ ١٦٣).
(4) ينظر: الإنصاف للمرداوي (١/ ١٦٣).
(5) ينظر: الحاوي الكبير (٢/ ٢٠١).
(6) أخرجه مسلم (٨١).
(7) ينظر: بداية المجتهد (١/ ٢٣٣)، المغني لابن قدامة (١/ ٤٤٦)، مغني المحتاج للشربيني (١/ ٤٤١).

وَاسْتَدَلُّوا بِأَدِلَّةٍ، مِنْها: حَديثُ زَيْدِ بْنِ ثابِتٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ «قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾ [سورة النجم:١] فَلَمْ يَسْجُدْ فيهَا»[١]، **وَوَجْهُ الدَّلالَةِ**: أَنَّهُ لَوْ كَانَ السُّجودُ وَاجِبًا لَسَجَدَ رَسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَأَمَرَ بِهِ زَيْدًا.

ومن الأدلة أيضًا: مَا ثَبَتَ عَنْ عُمَرَ بنِ الْخطّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّهُ قَرَأَ يَوْمَ الجُمُعَةِ عَلَى الْمِنبَرِ بِسُورَةِ النَّحْلِ حَتَّى إِذَا جاءَ السَّجْدَةَ نَزَلَ، فَسَجَدَ وَسَجَدَ النَّاسُ، حَتَّى إِذَا كَانَتِ الْجُمُعَةُ الْقابِلَةُ قَرَأَ بِهَا، حَتَّى إِذَا جاءَ السَّجْدَةَ، قَالَ: «يَا أَيُّها النَّاسُ إِنَّا نَمُرُّ بِالسُّجُودِ، فَمَنْ سَجَدَ فَقَدْ أَصابَ، وَمَنْ لَمْ يَسْجُدْ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَسْجُدْ عُمَرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ»[٢].

واخْتَلَفَ الْعلماءُ رَحِمَهُمُٱللَّهُ أيضًا في حُكْمِ السُّجودِ في سُورَةِ الانْشِقَاقِ وَغَيْرِهَا مِنْ سُوَرِ الْمُفَصَّلِ -كالنَّجْمِ وَالْعَلَقِ- عَلَى قَوْلَيْنِ:

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: أَنَّ هَذِهِ السُّوَرَ مِنْ عَزائِمِ السُّجُودِ، وَهَذا الْقَوْلُ هُوَ الْمَشْهُورُ مِنَ الْمَذْهَبِ عِنْدَ الْحَنابِلَةِ[٣]، وَبِهِ قَالَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ[٤]، وَهُوَ الرّاجِحُ.

وَاستَدَلُّوا بِأَدِلَّةٍ، مِنْهَا: حَديثُ أَبِي رَافِعٍ قالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ الْعَتَمَةَ، فَقَرَأَ: (إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ) فَسَجَدَ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ؟ قَالَ: سَجَدْتُ بِهَا خَلْفَ أَبِي الْقَاسِمِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَلاَ أَزالُ أَسْجُدُ فِيهَا حَتَّى أَلْقاهُ»[٥]. **وكذلك استدلوا**: بِحَديث أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: «سَجَدَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ وَ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾»[٦]. **واسْتَدَلُّوا أيضًا**: بِحَدِيث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: «سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِالنَّجْمِ وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ»[٧].

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٧٣) واللفظ له، ومسلم (٥٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٧٧) وقال: وزاد نافع، عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا «إن الله لم يفرض السجود إلا أن نشاء».

(٣) ينظر: المغني لابن قدامة (١/ ٤٤١)، كشاف القناع (١/ ٤٤٧).

(٤) ينظر: مغنى المحتاج (١/ ٤٤٢).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) أخرجه مسلم (٥٧٨).

(٧) أخرجه البخاري (٤٨٦٢).

الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ هَذِهِ السُّوَرَ لَيْسَتْ مِنْ عَزائِمِ السُّجودِ، فَلا سُجُودَ فِيهَا. وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الإِمَامُ مَالِكٌ فِي الْمَشْهورِ عَنْهُ، وَهوَ الْمَذْهَبُ عِنْدَ أَصْحَابِهِ، وَقالَ بِهِ الشَّافِعِيُّ فِي الْقَدِيمِ(١).

وَأَقْوَى أَدِلَّتِهِمْ: حَديثُ زَيْدِ بْنِ ثابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «قَرَأتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...: ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾ [سورة النجم:١]؛ فَلَمْ يَسْجُدْ فِيهَا»(٢). **وَأُجيبَ عَنْ هَذا**: بِأَنَّ كَوْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَسْجُدْ لَا يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ السُّجودِ، وَإِنَّما يَدُلُّ عَلَى جوازِ التَّرْكِ. **وَيَحْتَمِلُ**: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَكَ السُّجُودَ؛ لِأَنَّ زَيْدًا وَهُوَ الْقَارِئُ لَمْ يَسْجُدْ، وَلَوْ سَجَدَ لَسَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كَمَا اخْتَلَفَ الْقَائِلُونَ بِالسُّجُودِ فِي (الانْشِقَاقِ): فِي مَوْضِعِ السَّجْدَةِ مِنَ السُّورَةِ عَلَى قَوْلَيْنِ:

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: أَنَّهُ عِنْدَ آخِرِ قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۝٢١﴾ [سورة الانشقاق:٢١]. وَهَذا قَوْلُ الْحَنابِلَةِ(٣) وَقَوْلُ الْجُمْهورِ(٤)؛ لِأَنَّ مَا بَعْدَهُ لَا تَعَلُّقَ لَهُ بِذِكْرِ السُّجُودِ.

الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهُ عِنْدَ آخِرِ السُّورَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾ [سورة التين:٦]. وَذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْمَالِكِيَّةِ(٥)، وَلَمْ أَعْثُرْ عَلَى دَليلٍ لِهَذا الْقَوْلِ.

التَّحْذِيرُ مِنَ الْكَذِبِ وَشُؤْمِهِ:

(١) ينظر: بداية المجتهد (١/ ٢٣٤)، شرح مختصر خليل للخرشي (١/ ٣٥٠)، الحاوي الكبير للماوردي (٢/ ٢٠٣).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) ينظر: المغني (١/ ٤٤٣).
(٤) ينظر: مغني المحتاج للشربيني (١/ ٤٤٢).
(٥) ينظر: المنتقى شرح الموطأ (١/ ٣٥٢)، عمدة القاري (٧/ ٩٧).

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾ [سورة الانشقاق:٢٢]: ذِكْرُ صِفَةِ الْكَذِبِ، وَهَذِهِ الصَّفَةُ فِيهَا دَلَالَتَانِ:

الْأُولَى: أَنَّ سَجِيَّةَ الْكُفَّارِ وَطَبِيعَتَهُمُ التَّكْذِيبُ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِمَا جاءَ بِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قالَ: ﴿يُكَذِّبُونَ﴾، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْفِعْلَ الْمُضَارِعَ يُفِيدُ الِاسْتِمْرارَ وَالتَّجَدُّدَ.

الثَّانِيَةُ: أَنّ تَكْذِيبَ الْكُفَّارِ بِمَا جاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ، وَعَدَمَ خُضُوعِ قُلُوبِهِمْ لَهُ؛ كَانَ سَبَبًا فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ الَّذِي يَلْقَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ.

تَنَوُّعُ مَفْهُومِ الْبِشَارَةِ بِدَلَالَةِ السِّيَاقِ وَالْحَالِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾: ذِكْرُ الْبِشَارَةِ وَالتَّبْشِيرِ، وَهِيَ أَنْوَاعٌ؛ مِنْهَا: **الأولى**: تَكُونُ خَبَرًا سَارًّا -وَهُذا الْغَالِبُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ-، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [سورة الذاريات:٢٨].

الثانية: تَكُونُ خَبَرًا مُحْزِنًا، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ﴾ [سورة النحل:٥٨].

الثالثة: تَكونُ وَعِيدًا يَنْطَوِي عَلَى التَّهَكُّمِ، كَما فِي الآيَةِ هُنَا: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾؛ وَلِهَذا سُمِّيَتِ الْبِشَارَةُ بِشارَةً؛ لِأَنَّها تُؤَثِّرُ فِي الْبَشَرَةِ سُرُورًا أَوْ غَمًّا[١].

بِشَارَةُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْأَجْرِ غَيْرِ الْمُنْقَطِعِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾ [سورة الانشقاق:٢٥]: أَنَّ اللهَ تَعَالَى بَشَّرَ عِبادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْأَجْرِ غَيْرِ الْمُنْقَطِعِ أَوِ الْمَنْقُوصِ؛ نَظِيرَ اتِّبَاعِهِمْ أَوَامِرَ اللهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالإِيمَانِ، وَالْأَعْمالِ الصَّالِحَةِ.

ضَرُورَةُ تَبْلِيغِ الْآيَاتِ لِلْكُفَّارِ:

(١) ينظر: النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم (١/ ٤٢٤)، بصائر ذوي التمييز (٢/ ٢٠٠-٢٠١).

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۝٢١﴾، وَمَا بَعْدَهُمَا مِنْ آيَاتٍ: تَوْجِيهٌ إِلَهِيٌّ بِضَرُورَةِ تَبْلِيغِ الْآيَاتِ إِلَى الْكُفَّارِ مَهْمَا كَانَ عِنادُهُمْ، حَيْثُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى وَتِيرَةٍ واحِدَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتُوبُ إِلَيْهِ وَيُؤْمِنُ بِقَلْبِهِ، وَيَعْمَلُ الصّالحَاتِ بِجَوارِحِهِ.

❊❊❊

سُورَةُ الْبُرُوجِ

سُورَةُ (الْبُرُوجِ): مَكِّيَّةٌ بِالإِجْمَاعِ[(١)]، وَآيُهَا ثِنْتَانِ وَعِشْرُونَ آيَةً[(٢)].

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمائِهَا: سُورَةُ (السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ)، وَسُورَةُ (الْبُرُوجِ)[(٣)].

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ مِنَ السُّورَةِ:

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْمَقاصِدِ وَالمَعَانِي الْعَظِيمَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ[(٤)]:

- ✓ الْقَسَمُ عَلَى أَصْحابِ الأُخْدُودِ.
- ✓ تَسْلِيَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ عَنْ إِيْذَاءِ الْكُفَّارِ لَهُمْ بِهَلَاكِ فِرْعَونَ وَثَمُودَ.
- ✓ إِشْعَارُ الْمُسْلِمِينَ بِأَنَّ قُوَّةَ اللهِ عَظِيمَةٌ، وَبِكَرامَتِهِمْ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى.
- ✓ التَّنْوِيهُ بِشَأْنِ الْقُرْآنِ وَمَنْزِلَتِهِ الْعَظِيمَةِ.

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾، وَهِيَ: النُّجُومُ الْعِظَامُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾[سورة الفرقان:٦١][(٥)]، وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّهَا: مَنَازِلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ[(٦)].

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾، أَيْ: يَوْمِ الْقِيامَةِ[(٧)].

---

(١) ينظر: زاد المسير (٤/ ٤٢٣)، تفسير ابن عطية (٥/ ٤٦٠).
(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٨٣).
(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٣٦).
(٤) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ١٠٦)، بصائر ذوي التمييز (١/ ٥١٠)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٣٦-٢٣٧).
(٥) ينظر: تفسير السمعاني (٦/ ١٩٤)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٦٣).
(٦) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٦١).
(٧) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٦٢)، تفسير البغوي (٨/ ٣٧٨).

قَوْلُهُ: ﴿وَشَاهِدٍ﴾، أَيْ: يَوْمِ الْجُمعَةِ، ﴿وَمَشْهُودٍ﴾، أَيْ: يَوْمِ عَرَفَةَ الَّذِي يَشْهَدُهُ أَهْلُ الْمَوْقِفِ فِي الْحَجِّ، وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِين(١).

قَوْلُهُ: ﴿قُتِلَ﴾، أَيْ: لُعِنَ(٢)، ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾، أَيْ: الَّذِينَ شَقُّوا فِي الأَرْضِ شَقًّا عَظِيمًا(٣)، لِإِحْرَاقِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَقِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ [سورة البروج:٤]: جَوابُ الْقَسَمِ عَلَى تَقْدِيرِ: لَقَدْ قُتِلَ، وهذا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ(٤).

وَاسْتَبْعَدَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لِأَنَّ الدُّعَاءَ لَا يَكُونُ جَوابًا لِلْقَسَمِ، وَقالَ: "وَالْأَحْسَنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْقَسَمُ مُسْتَغْنِيًا عَنِ الْجَوابِ؛ لِأَنَّ الْقَصْدَ التَّنْبِيهُ عَلَى الْمُقْسَمِ بِهِ، وَأَنَّهُ مِنْ آيَاتِ الرَّبِّ الْعَظِيمَةِ"(٥).

قَوْلُهُ: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥﴾، أَيْ: قُتِلَ وَلُعِنَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ الَّذِينَ أَشْعَلُوا فِيهَا النِّيرَانَ ذَاتِ اللَّهَبِ الشَّدِيدِ مِنَ الْحَطَبِ الْكَثِيرِ الْمُتَأَجِّجِ نَارًا؛ لِيُلْقُوا الْمُؤْمِنِينَ فِيهَا(٦).

و(النار): بدل من الأخدود، بدلاشتمال(٧).

قَوْلُهُ: ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾، أَيْ: هُمْ عَلَى حَافَّةِ النَّارِ قَاعِدُونَ(٨).

قَوْلُهُ: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾، أَيْ: والكُفَّارُ حُضُورٌ يُشَاهِدُونَ تَعْذِيبَ الْمُؤمِنِينَ(٩).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٦٣)، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٨٣)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٦٤).
(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٧٠)، تفسير البغوي (٨/ ٣٨٣).
(٣) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٨٦-٢٨٧)، فتح القدير (٥/ ٥٠٠).
(٤) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٨٨)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٠)، الدر المصون (١٠/ ٧٤٣).
(٥) التبيان في أقسام القرآن (ص٩١).
(٦) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠١)، تفسير النسفي (٣/ ٦٢٣).
(٧) ينظر: غرائب التفسير (٢/ ١٣٢٤)، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٨٧).
(٨) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠١).
(٩) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٧٩)، تفسير البغوي (٨/ ٣٨٧).

قَوْلُهُ: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾، أَيْ: وَمَا أَنْكَرُوا مِنْهُمْ وَلَا عَابُوا عَلَيْهِمْ[1]، ﴿إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ﴾، أَيْ: الشَّدِيدِ فِي انْتِقَامِهِ مِنَ الْكَافِرِينَ[2]، الْقَادِرِ عَلَى نُصْرَةِ الْمُؤمِنِينَ، ﴿ٱلۡحَمِيدِ ٨﴾، أَيْ: الْمَحْمُودِ فِي كُلِّ شَيْءٍ[3].

قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾، أَيْ: خَلْقًا وَعَبِيدًا يَتَصَرَّفُ فِيهِمْ تَصَرُّفَ الْمَالِكِ بِمُلْكِهِ[4]، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٩﴾، أَيْ: فَكَيْفَ يُعابُ عَلَى الْمُؤْمِنِ إِيمَانُهُ بِاللهِ الَّذِي لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَى، وَمَنْ كَانَ مَوْصُوفًا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ -أَعْنِي: كَوْنَهُ عَزِيزًا غَالِبًا قَادِرًا، يُخْشَى عِقَابُهُ، وَيُرْجَى نَصْرُهُ، حَمِيدًا مُنْعِمًا- كَانَ هُوَ الْمُسْتَحِقّ لِلْإِيمانِ بِهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾، أَيْ: بِالتَّعْذِيبِ وَالْإِحْرَاقِ عَلَى أَنْ يَرْجِعُوا عَنْ دِينِهِمْ[5]، ﴿ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ﴾، أَيْ: إِلَى اللهِ مِنْ هَذَا الذَّنْبِ الْعَظِيمِ، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الْكَرَمِ وَالْجُودِ، هُمْ قَتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ وَأَهْلَ طَاعَتِهِ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْمَغْفِرَةِ[6].

قَوْلُهُ: ﴿فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾، أَيْ: بِكُفْرِهِمْ[7]، ﴿وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾، أَيْ: لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ مُحْرِقٌ[8]؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [سورة النساء:١٢٣].

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٨٧)، تفسير النسفي (٣/ ٦٤٢)، فتح القدير (٥/ ٥٠٠).
(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٤).
(٣) ينظر: فتح القدير (٥/ ٥٠٠)، تفسير الجلالين (ص٨٠١).
(٤) ينظر: تفسير السعدي (ص٩١٨).
(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٨٠)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠١).
(٦) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٩٤)، تفسير القاسمي (٧/ ٤١٩).
(٧) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٥/ ٣٠٨)، تفسير السمعاني (٦/ ١٩٩).
(٨) ينظر: تفسير السعدي (ص٩١٨).

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾، أَيْ: حَقًّا هُوَ فَوْزٌ كَبِيرٌ لَا فَوْزَ مِثْلُهُ(١)؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَكْرَمَهُمْ بِالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ وَدُخولِ الْجَنَّةِ، وَهَذِهِ -وَاللهِ- غَايَةُ مَا يَطْلُبُ الْمُؤْمِنُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [سورة آل عمران:١٨٥].

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾، الْبَطْشُ: هُوَ الْأَخْذُ بِعُنْفٍ(٢)، والمعنى: إن أخذَ رَبِّكَ بِالْكُفَّارِ مُضاعَفٌ عُنْفُهُ، فَإِنَّ البَطْشَ أَخْذٌ بِعُنْفٍ(٣)، وَإِذا وُصِفَ بِالشِّدَّةِ فَقَدْ تَضاعَفَ(٤)، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [سورة هود:١٠٢]»(٥).

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾، أَيْ: إِنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ مِنَ الْعَدَمِ، ثُمَّ يُعيدُهُ حَيًّا بَعْدَ الْمَوْتِ(٦)، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سورة الروم:٢٧].

قَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾، أَيْ: لِمَنْ تَابَ، ﴿ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾، أَيْ: الْمُحِبُّ لِمَنْ أَطَاعَهُ(٧)، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٩٥)، فتح القدير (٥/ ٥٠١)، تفسير القاسمي (٩/ ٤٤٦).
(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠١)، تفسير النسفي (٩/ ١٣٨).
(٣) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠١).
(٤) ينظر: تفسير الكشاف (٤/ ٧٣٢)، تفسير القاسمي (٩/ ٤٤٦).
(٥) سبق تخريجه.
(٦) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٨٨)، فتح القدير (٥/ ٥٠١).
(٧) ينظر: تفسير القاسمي (٩/ ٤٤٦).

أَحبَّ اللهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»[(١)].

قَوْلُهُ: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾، أَيْ: صَاحِبُ الْعَرْشِ[(٢)]، وَإِضافَةُ الْعَرْشِ إِلى نَفسِهِ: يَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ الْعَرْشِ وَقُرْبِهِ مِنْهُ[(٣)]، وَلَا يَعْلَمُ عَظَمَتَهُ إِلَّا هُوَ وَمَنْ يُطْلِعُهُ عَلَيْهِ[(٤)]، ﴿ٱلْمَجِيدُ ١٥﴾: بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ للهِ ﷻ، وَقُرِئَ بِالجرِّ عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِلعَرْشِ، كَمَا هِيَ قِرَاءَةُ حَمْزَةَ وَالْكِسَائِيِّ[(٥)].

قَوْلُهُ: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾، أَيْ: لِمَا يَشَاءُ، فَلا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ يُرِيدُهُ[(٦)]، فَمَهْمَا أَرادَ شَيْئًا فَعَلَهُ سُبْحانَهُ وَبِحَمْدِهِ؛ لِأَنَّ الْخَلْقَ خَلْقُهُ وَالْأَمْرَ أَمْرُهُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [سورة الأعراف:٥٤]، وَقَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة النحل:٤٠].

قَوْلُهُ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ١٧﴾، أَيْ: هَلْ جَاءَكَ يَا مُحَمَّدُ خَبَرُ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ لِرُسُلِهِمْ، وَكَيْفَ أَهْلَكَهُمُ اللهُ تَعَالَى[(٧)]؟

وَالْجَوابُ: قَدْ أَتاكَ ذَلِكَ وَعَلِمْتَهُ، فَاصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ عَلَى مَا أَصابَكَ مِنْ أَذَى قَوْمِكَ الْمُكَذِّبِينَ لَكَ[(٨)]، كَما صَبَرَ الرُّسُلُ مِنْ قَبْلِكَ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعالَى لَهُ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٩) واللفظ له، ومسلم (٢٦٣٧).
(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٧٢)، تفسير السعدي (ص٩١٨).
(٣) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٤٦٣).
(٤) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ١١٤).
(٥) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٤٦٣)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٧٢).
(٦) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٤٦٢)، تفسير البغوي (٨/ ٣٨٨).
(٧) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٩٧)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٢)، فتح القدير (٥/ ٥٠٢).
(٨) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٢).

أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭۚ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الأحقاف:٣٥].

قَوْلُهُ: ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾، هُنَا: بَيَّنَ الْمُرَادَ بالجُنُودِ بأنهم: (فِرْعَوْنُ وَثَمُودُ)؛ فَأَبْدَلَهُما مِنَ الجُنُودِ؛ لِأَنَّ الْمُرادَ بِـ (فِرْعَوْنَ): هُوَ وَقَوْمُهُ، وَالْمُرادَ بِثَمُودَ: قَوْمُ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ(١)، وَخَصَّ اللهُ تَعَالَى فِرْعَوْنَ وَثَمودَ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْ غَيْرِهِمْ كُفْرًا وَتَكْذِيبًا، وَلِأَنَّ قِصَّتَهُمْ أَيْضًا مَعْروفَةٌ لِكُفارِ قُرَيشٍ.

قَوْلُهُ: ﴿بَلِ﴾، أَيْ: لَمْ يَعْتَبِرْ قَوْمُكَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾، أي: في تكذِيبٍ دَائِمٍ مُسْتَمِرٍّ كَعَادَةِ مَنْ قَبْلَهُمْ، فَلا تَنْفَعُ فِيهِمُ الْآيَاتُ، وَلا تُجْدِي لَدَيْهِمُ الْعِظَاتُ(٢)؛ لِأَنَّ تَكْذِيبَهُمْ نَاشِئٌ مِنَ الْكِبْرِ وَالْحَسَدِ وَالْعِنَادِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة يونس: ٩٦-٩٧].

قَوْلُهُ: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾، أَيْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِمْ عِلْمًا وَقُدْرَةً، فَهُمْ في قَبْضَتِهِ وَتَحْتَ سُلْطَانِهِ وَقَهْرِهِ(٣)، لَا يَفُوتُونَهُ وَلَا يُعْجِزُونَهُ(٤)، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِمْ(٥)، كَما قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة البقرة:١٩].

قَوْلُهُ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾، أَيْ: وَلَيْسَ الْقُرآنُ كَما زَعَمُوا بِأَنَّهُ شِعْرٌ وَسِحْرٌ لِيَصْرِفُوا النَّاسَ عَنْهُ(٦)، وَلَكِنَّهُ قُرآنٌ عَظِيمُ الْخَيْرِ وَالنَّفْعِ، وَحِيدٌ في النَّظْمِ وَالْمَعْنى(٧)، مَكْتُوبٌ ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظِۭ﴾ [سورة البروج:٢٢]، أَيْ: مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا

(١) ينظر: تفسير الكشاف (٤/ ٧٣٣)، فتح القدير (٥/ ٥٠٢).
(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص٩١٨).
(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص٩١٨).
(٤) ينظر: تفسير النسفي (٣/ ٦٢٦)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٧٣).
(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٨٥)، تفسير البغوي (٨/ ٣٨٩).
(٦) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٨٩).
(٧) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٢)، تفسير الخازن (٤/ ٤١٤).

﴿نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [سورة الحجر:٩][1]، وقَرَأَ نافِعٌ (مَحْفُوظٌ) بِالرَّفْعِ صِفَةً لِـ(قُرْآنٌ)[2].

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

بَيَانُ جَزَاءِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّصْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْأَجْرِ فِي الْآخِرَةِ.

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨﴾ [سورة البروج:٤-٨]: وعْدٌ عَظِيمٌ لِلْمُؤمنين، ووَعِيد شَدِيد لِلْكَافِرِينَ، وأنَّ الْعَاقِبَةَ وَالْغَلَبَةَ وَالظَّفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ الصَّابِرِينَ مَهْمَا لَاقَوا مِنْ عَذَابٍ وَأَهْوَالٍ، والْهَزِيمَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْعَذَابَ فِي الْآخِرَةِ لِلْكَافِرِينَ الْمُكَذِّبِينَ مَهْمَا اشْتَدَّ بَطْشُهُمْ وَظُلْمُهُمْ.

تَثْبِيتُ الْمُؤمنِينَ وَالدُّعَاةِ إِلَى اللهِ ﷻ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨﴾: دَرْسٌ وَعِظَةٌ وَتَذْكِيرٌ لِلْمُؤْمِنِيْنَ بِالصَّبْرِ عَلَىْ مَا يُلَاقُوْنَهُ مِنَ الْأَذَى وَالْآلَامِ، وَالْمَشَقَّاتِ الَّتِيْ يَتَعَرَّضُوْنَ لَهَا فِيْ كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ؛ لِيَتَأَسَّوا بِصَبْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ وَتَصَلُّبِهِمْ فِيْ الْحَقِّ وَتَمَسُّكِهِمْ بِهِ، وَبَذْلِهِمْ أَنْفُسَهم مِنْ أَجْلِ إِظْهَارِ دَعْوَةِ اللهِ[3]؛ ولذا فَإِنَّ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يُضَحِّيَ بِنَفْسِهِ فِي سَبِيلِ عَقِيدَتِهِ وَإِيمَانِهِ، وأنَّ عَلَيْهِ الاعْتِبار بِأَحْوالِ مُؤْمِنِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ وَمَا قَدَّموهُ مِنْ تَضْحِيَاتٍ عَظِيمَةٍ فِي سَبِيلِ نُصْرَةِ دِينِ اللهِ.

قَسْوَةُ قُلُوبِ الْكُفَّارِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ﴾ [سورة البروج:٧]: بَيَانُ عِظَمِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّجَبُّرِ وَقَسَاوَةِ الْقَلْبِ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ- جَمَعُوا بَيْنَ الْكُفْرِ بِآيَاتِ اللهِ،

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٨٩)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٧٣).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٨٦)، تفسير ابن عطية (٥/ ٤٦٣).

(٣) ينظر: التفسير المنير (٣٠/ ١٦٠).

وَمُحَارَبَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعْذِيبِهِمْ بِهَذا الْعَذابِ الشَّدِيدِ، الَّذِي تَنْفَطِرُ مِنْهُ الْقُلوبُ أَلَمًا، وَتَذْرِفُ مِنْهُ الْعُيونُ دَمًا، بِالْإِضَافَةِ إِلى حُضُورِهِمْ إِيَّاهُمْ عِنْدَ إِلْقَائِهِمْ فِيهَا[1].

المُرادُ بأَصْحَابِ الْأُخْدُودِ:

اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ فِي الْمُرَادِ بِأَصْحَابِ الْأُخْدودِ، وَأَصَحُّ مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ: مَا رَوَاهُ صُهَيْبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلامَهُ فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ، فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ ! إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ، أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ، فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ ! قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ،

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٩١٨)، التفسير المنير (٣٠/ ١٦٠).

فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ[1]، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ ! اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ، فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ[2] فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ ! اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ، فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ

(١) قال النووي في شرح مسلم (١٧/ ٧٣-٧٤): "هكذا الرواية يؤشر بالهمز والمئشار بهمزة بعد الميم وهو الأفصح، ويجوز تخفيف الهمزة فيهما؛ فيجعل في الأول واوًا، وفي الثاني ياء، ويجوز المنشار بالنون، وعلَى هذا يقال: نشرت الخشبة، وعلَى الأول يقال: أشرتها". وينظر: لسان العرب (٤/ ٢١).

(٢) قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ١٣١): "القرقور بضم القافين السفينة الصغيرة. وقيل: الكبيرة".

امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ ! اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ»(١).

فَتْحُ بَابِ التَّوْبَةِ وَالْوَعِيدُ الشَّدِيدُ لِمَنْ آذَى الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ يَتُبْ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ﴾ [سورة البروج:١٠]: الْإِشَارَةُ إِلَى أَمْرَينِ مُهِمَّيْنِ، وهما: فَتْحُ بابِ التَّوْبَةِ مِنْ إِيذَاءِ الْمُؤمنينَ، فَلا يَزالُ الْبَابُ مَفْتُوحًا لِلْمُذْنِبِينَ وَإِنْ عَظُمَتْ ذُنوبُهُمْ. والْوَعِيدُ الشَّدِيدُ عَلَى كُلِّ مَنْ آذَى الْمُؤْمِنِينَ لِيَفْتِنَهم عَنْ دِينِهِمْ، وَيَرُدَّهُمْ عَنْهُ بِأَيِّ أَنْوَاعِ الْفِتْنَةِ وَالتَّعْذِيبِ.

شِدَّةُ انْتِقَامِ اللهِ تَعَالَى مِنَ الْكُفَّارِ وَتَأَكُّدُ وُقُوعِهِ بِهِمْ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [سورة البروج:١٢]: بَيَانُ شِدَّةِ بَطْشِ اللهِ تَعَالَى وَعَذَابِهِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِهِ وَبِرُسُلِهِ، وَالْمُخَالِفِينَ لِأَمرِهِ، وَالْمُرْتَكِبِينَ لِنَهْيِهِ، وتَأْكِيد جَازِمِ عَلَى انْتِقَامِ اللهِ تَعَالَى لِأَوليائِهِ مِنْ أَعْدائِهِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ، فَاللهُ يُمْهِلُ وَلَا يُهْمِلُ.

الدَّلَالَاتُ الْبَلَاغِيَّةُ فِي اقْتِرَانِ اسمِ اللهِ (الْغَفُورِ) بِاسْمِهِ (الْوَدُودِ):

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾: جَانِبانِ بَلاغِيّانِ مُهِمَّانِ:

الْأَوَّلُ: الرَّدُّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ وُقُوعَ الْوُدِّ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لِعِبادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، يَقولُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَتَأَمَّلْ سِرَّ اقْتِرانِ هَذَيْنِ الاسْمَيْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾: تَجِدُ فِيهِ مِنَ الرَّدِّ وَالْإِنْكارِ عَلَى مَنْ قَالَ: لَا يَعُودُ الْوُدُّ وَالْمَحَبَّةُ مِنْهُ لِعَبْدِهِ أَبَدًا، ما هُوَ مِنْ كنُوزِ الْقُرْآنِ وَلطائِفِ فَهْمِهِ، وَفِي ذَلِكَ مَا يُهَيِّجُ الْقَلْبَ السَّلِيمَ، وَيَأْخُذُ بِمَجامِعِهِ، وَيَجْعَلُهُ عاكِفًا عَلَى رَبِّهِ الَّذي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَلَا رَبَّ لَهُ سِواهُ، عُكُوفَ الْمُحِبِّ الصَّادِقِ عَلَى مَحْبوبِهِ الَّذي لَا غِنَى لَهُ عَنْهُ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ، وَلا تَنْدَفِعُ ضَرورَتُهُ بِغَيْرِهِ أَبَدًا"(٢).

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٥).

(٢) طريق الهجرتين (ص٢٣٣).

الثَّانِي: أَنَّ الْمَغْفِرَةَ مِنَ اللهِ لَا تَكونُ إِلَّا لِمَنْ أَحبَّ مِنْ عِبادِهِ إِنْ أَقْبَلَ تَائِبًا مُتَوَدِّدًا لَهُ. يَقولُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَمَا أَلْطَفَ اقْتِرانَ اسْمِ اللهِ الْوَدُودِ بِالرَّحيمِ وَبِالْغفورِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَغْفِرُ لِمَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ وَلَا يُحِبُّهُ، وَكَذَلِكَ قَدْ يَرْحَمُ مَنْ لَا يُحِبُّ، وَالرَّبُّ تَعَالَى يَغْفِرُ لِعَبْدِهِ إِذا تابَ إِلَيْهِ، وَيَرْحَمُهُ وَيُحِبُّه مَعَ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ التَّوَّابِيْنَ، وَإِذَا تَابَ إِلَيهِ عَبْدُهُ أَحَبَّهُ، وَلَوْ كَانَ مِنْهُ مَا كَانَ"[1].

اخْتِلَافُ مَعْنَى (الْمَجِيدِ) لِاخْتِلَافِ الْقِرَاءَةِ، وَبَيَانُ مَا يَدلُّ عَلَيْهِ كُلٌّ مِنْهُمَا:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ﴾ [سورة البروج:١٥]: قِراءَتَانِ، وَلِكُلِّ قِراءَةٍ مَدْلُولٌ وَمَعْنًى:

• قِراءَةُ الرَّفْعِ: ﴿ٱلۡمَجِيدُ﴾ فِيهَا إِثْبَاتُ اسْمِ الْمَجِيدِ للهِ تَعَالَى، وَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مِنْ إِثْبَاتِ صِفَةِ الْمَجْدِ وَالرِّفْعَةِ وَالْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ الْكَرِيمِ، وَاللهُ تَعَالَى وَحْدَهُ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلتَّمْجيدِ وَالتَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ فِي قُلُوبِ أَوْلِيائِهِ وَعِبادِهِ الصَّالِحِينَ.

وَمِنْ مَعَانِي الْمَجِيدِ: الوَاسِعُ الْكَرِيمُ الْمِعْطَاءُ، الْكَثيرُ الْإِحْسَانِ إِلى عِبَادِهِ بِمَا يُفِيضُهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْخَيْراتِ[2].

• قِراءَةُ الْجَرِّ: (المجيدِ) فيهَا إِثْبَاتُ الْعَرْشِ وَعَظَمَتِهِ وَسَعَتِهِ، وَهُوَ أَكْبَرُ الْمَخْلوقاتِ وَأَعْلاهَا، كَما جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ[3]»، وَهَذِهِ نِسْبَةٌ قَلِيلَةٌ، وَفِي ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥]، وَقَالَ: «مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ»[4]، فَالْعَرْشُ أَعْظَمُ مِنَ الْكُرْسِيِّ. وَإِذَا كانَ الْعَرْشُ بِهَذِه الْعَظَمَةِ وَالسَّعَةِ وَالْمَجْدِ، فَاللهُ أَعْظَمُ مِنْهُ، كَما دَلَّتْ عَلَيْهِ قِراءَةُ الرَّفْعِ.

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص٩٣).

(٢) ينظر: المقصد الأسنى (ص١٥٩).

(٣) الترس: صفيحة مستديرة من حديد، يتَّقُونَ بها في الحرب ضربَ السيوف. ينظر: تيسير العلام شرح عمدة الأحكام (ص٢٦٩).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٥٣٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٨٧).

إِثْبَاتُ تَوَحُّدِ اللهِ تَعَالَى بِالتَّصَرُّفِ فِيمَا يَشَاءُ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [سورة البروج:١٦]: أَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ وَحْدَهُ الْمُتَصَرِّفُ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ، فَلَهُ وَحْدَهُ تَعَالَى الخَلْقُ كُلُّهُ، وَلَهُ الْأَمْرُ كُلُّهُ.

إِثْبَاتُ الْإِرَادَةِ الْكَوْنِيَّةِ للهِ تَعَالَى:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [سورة البروج:١٦]: إِثْبَاتُ الْإِرَادَةِ الْكَوْنِيَّةِ، الَّتِي بِمَعْنَى الْمَشِيئَةِ، وَهَذِهِ الْإِرَادَةُ لَا تَتَعَلَّقُ بِما يُحِبُّهُ اللهُ تَعَالَى، بَلْ تَكُونُ فِيمَا يُحِبُّهُ وَفِيمَا لَا يُحِبُّهُ، كَما قَالَ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [سورة إبراهيم:٢٧](١).

تَسْلِيَةُ اللهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِحَاطَتُهُ سُبْحَانَهُ بِخَلْقِهِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة البروج:١٧-٢٠]: التَّنْبِيهُ إِلَى أَمْرَيْنِ:

الْأَوَّلُ: تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَثٌّ لَهُ عَلَى الصَّبْرِ، وَقَدِ امْتَثَلَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَسَلَّى وَصَبَرَ عَلَى تَكْذِيبِ قَوْمِهِ لَهُ.

الثَّانِي: إِحَاطَةُ اللهِ تَعَالَى بِخَلْقِهِ، وَأَنَّهُمْ فِي قَبْضَتِهِ وَتَحْتَ سُلْطَانِهِ وَقَهْرِهِ.

مَكَانَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ [سورة البروج:٢١]: أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ عَظِيمُ الْمَعَانِي، كَثِيرُ الْخَيْرِ وَالْعِلْمِ، مَحْفُوظٌ مِنَ التَّغْيِيرِ وَالتَّحْرِيفِ وَالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ(٢).

كِتَابَةُ كُلِّ مَا هُوَ كَائِنٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [سورة البروج:٢٢]: إِثْبَاتُ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَتَقْرِيرِهِ.

وَاللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ: هُوَ أُمُّ الْكِتَابِ، وَهُوَ الْكِتَابُ الْمُبِينُ، وَهُوَ كِتَابُ الْأَقْدَارِ، كَمَا فِي الْآيَةِ، وَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾

(١) ينظر: شفاء العليل (ص٢٨٠).
(٢) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٨٩).

﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ٤﴾ [سورة الزخرف:٣-٤]، وقَوْلِهِ: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ﴾ [سورة الحج:٧٠]، وقَوْلِهِ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ [سورة الحديد:٢٢]. وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أَنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»(١).

فَدَلَّتْ هَذِهِ النُّصوصُ: علَى أَنَّ كُلَّ مَا هُوَ كائِنٌ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مُقَدَّرٌ مَكْتُوبٌ في اللَّوْحِ الْمَحْفوظِ، لا يُبَدَّلُ، وَلَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يُمْحَى، وَإِنَّمَا الَّذي يَقْبَلُ التَّغْيِيرَ وَالْمَحْوَ وَالإِثْبَاتَ هُوَ مَا في صُحُفِ الْمَلَائِكَةِ، كَمَا في قَوْلِهِ: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [سورة الرعد:٣٩]، وَكُلٌّ مِنَ التَّغْيِيرِ وَالإِثْبَاتِ في صُحِفِ الْمَلَائِكَةِ مَكْتوبٌ في اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ تَفْصِيلُهُ وَنِهايَتُهُ.

❁❁❁

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

سُورَةُ الطَّارق

سُورَةُ (الطَّارِقِ): سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ بِالْإِجْمَاعِ[1]، وَآيُهَا سَبْعَ عَشْرَةَ آيَةً.

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمائِهَا: سُورَةُ (السَّمَاءِ وَالطَّارِقِ)، وَسُورَةُ (الطَّارِقِ)، وَسُورَةُ (وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ)[2].

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

حَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَقاصِدِ وَالمَعاني العَظيمَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ[3]:

- ✓ التَّذْكيرُ بِدَقيقِ صُنْعِ اللهِ وحِكْمَتِهِ في خَلْقِ الْإِنْسَانِ.
- ✓ إِثْبَاتُ إِحْصَاءِ الْأَعْمالِ وَالْجَزاءِ عَلَيْهَا حِينَ تُبْلَى السَّرائِرُ، وَتُكْشَفُ الضَّمائِرُ.
- ✓ التَّنْوِيهُ بِشَأْنِ الْقُرآنِ.
- ✓ تَثْبِيتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَعْدُهُ بِأَنَّ اللهَ مُنْتَصِرٌ لَهُ غَيْرَ بَعيدٍ.

مِنْ فَضَائِلِ السُّورَةِ:

جَاءَ فِي فَضْلِ هَذِهِ السُّورَةِ بَعْضُ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

أولًا: ما ورد عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ يَأْتِي قَوْمَهُ فَيُصَلِّي بِهِمُ الصَّلاةَ، فَقَرَأَ بِهِمُ البَقَرَةَ، قَالَ: فَتَجَوَّزَ رَجُلٌ فَصَلَّى صَلاةً خَفِيفَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعاذًا، فَقَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّجُلَ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا قَوْمٌ نَعْمَلُ بِأَيْدِينَا، وَنَسْقِي بِنَوَاضِحِنَا، وَإِنَّ مُعاذًا صَلَّى بِنَا الْبَارِحَةَ، فَقَرَأَ البَقَرَةَ، فَتَجَوَّزْتُ، فَزَعَمَ أَنِّي مُنَافِقٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ - ثَلَاثًا -؟ اقْرَأْ: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، وَ{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعَلَى}،

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٤٦٤).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٥٧).

(٣) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ١١٧)، بصائر ذوي التمييز (١/ ٥١٢)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٥٧-٢٥٨).

وَنَحْوَهَا»[1]، وفي هذا مَشْروعِيَّةُ الْقِراءَةِ بِها فِي صَلاةِ الْجماعَةِ؛ تَخْفِيفًا عَلَى النَّاسِ، وَتَرْغيبًا لَهُمْ فِي الْمُحافَظَةِ عَلَى صَلاةِ الْجَماعَةِ.

ثانيًا: ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ بِالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ، {وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ}»[2]، وفي هذا مَشْروعِيَّةُ الْقِراءَةِ بِها فِي صَلاةِ الْعِشاءِ.

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾، أَقْسَمَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالسَّماءِ وبالنَّجْمِ الَّذِي يَطْلُعُ لَيْلًا[3]؛ وَسُمِّيَ النَّجْمُ طارِقًا لِأَنَّهُ يَظْهَرُ بِاللَّيْل بَعْدَ اخْتِفَائِهِ بِضَوْءِ الشَّمْسِ؛ فَشُبِّهَ بِالطَّارِقِ الَّذي يَطْرُقُ النَّاسَ أَوْ أَهْلَهُ لَيْلًا[4].

قَوْلُهُ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢﴾، أَيْ: وَمَا أَعْلَمَكَ ما هُوَ الطارق[5]، ثُمَّ فَسَّرَ الطَّارِقَ بِالْآيَةِ التَّالِيَةِ.

قَوْله: ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾، أَيْ: النَّجْمُ الْمُضِيءُ، كَأَنَّه يَثْقُبُ الظَّلَامَ بِنُورِهِ، وَقَدْ عَبَّرَ عَنْهُ أَوَّلًا بِوَصْفٍ عامٍّ، ثُمَّ فَسَّرَهُ بِما يَخُصُّهُ تَفْخِيمًا لِشَأْنِهِ[6].

قَوْلُهُ: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا﴾، أَيْ: مَا كُلُّ نَفْسٍ[7] إِلَّا ﴿عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾، أَيْ: رَقِيبٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ يَحْفَظُ أَعْمالَها[8]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [سورة الانفطار: ١٠-١٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٦) واللفظ له، ومسلم (٤٦٥).

(٢) أخرجه أحمد (٨٣٣٢).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٤٦٤)، فتح القدير (٥/ ٥٠٧).

(٤) ينظر: التبيان في أقسام القرآن (ص١٠٠)، وَقَدْ «نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ لَيْلًا» كَمَا فِي حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه مسلم برقم (٧١٥).

(٥) مُبْتَدَأ وخَبَره، والجملة سدت مسد مفعول (أدراك) الثاني. ينظر: تفسير الجلالين (ص٨٠٢).

(٦) ينظر: تفسير الكشاف (٧/ ٧٣٤)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٣).

(٧) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٩١)، تفسير القرطبي (٢٠/ ٣).

(٨) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٣)، تفسير الجلالين (ص٨٠٢)، فتح القدير (٥/ ٥٠٨).

وَيَحْتَمِلُ أَنَّ مَعْنَى: ﴿حَافِظٌ﴾، أَيْ: حَارِسٌ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [سورة الرعد: ١١](١).

وَجوابُ هَذَا الْقَسَمِ: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٍ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٌ﴾ [سورة الطارق: ٤](٢).

قَوْلُهُ: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾، أَيْ: لِيَنْظُرْ نَظَرَ اعْتِبَارٍ وَتَأَمُّلٍ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَى؟؛ لِيَعْلَمَ صِحَّةَ إِعادَتِهِ، فَلا يُمْلِي عَلَى حَافِظِهِ إِلّا مَا يَسُرُّهُ فِي عَاقِبَتِهِ(٣)، ثُمَّ بَيَّنَ أصل خلقه:

قَوْلُهُ: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ﴾، أَيْ: مِنْ مَاءٍ مُنْصَبٍّ بِسُرْعَةٍ فِي الرَّحِمِ، وَهُوَ الْمَنِيُّ(٤).

قَوْلُهُ: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾، أَيْ: يَخْرُجُ هَذَا الْمَاءُ مِن بَيْنِ صُلْبِ الرَّجُلِ، وَهُوَ: الْعَمودُ الْعَظْمِيُّ الْفِقرِيُّ لِلرَّجُلِ، وَترائِبِ الْمَرْأَة، وَهِيَ: عِظَامُ صَدْرِهَا(٥).

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُۥ﴾ تَعَالَى، ﴿عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ﴾، أَيْ: عَلَى بَعْثِ الإنسانِ بَعْد مَوْتِهِ(٦)، ﴿لَقَادِرٌ ۝٨﴾؛ لِأَنَّ الْإعادَةَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ تَعَالَى مِنَ الْبَدَاءَة، وَكِلاهُمَا عَلَيْهِ هيِّنٌ(٧)، كما قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢٧﴾ [سورة الروم: ٢٧].

قَوْلُهُ: ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى﴾، أَيْ: تُخْتَبَرُ وَتُكْشَفُ، ﴿ٱلسَّرَآئِرُ﴾، وَهِيَ مَا خَفِيَ فِي الْقُلُوبِ مِنَ العَقائِدِ والنِّيَّاتِ وَالْأَعْمالِ(٨).

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٧٥)، أضواء البيان (٨/ ٤٩٢).
(٢) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٩١)، تفسير القرطبي (٢٠/ ٣).
(٣) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٣)، تفسير الخازن (٤/ ٤١٥)، تفسير الجلالين (ص٨٠٢).
(٤) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٩٤)، تفسير أبي السعود (٩/ ١٤١)، فتح القدير (٥/ ٥٠٨).
(٥) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٣)، تفسير أبي السعود (٩/ ١٤١).
(٦) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٩٩)، فتح القدير (٥/ ٥١٠).
(٧) ينظر: تفسير الخازن (٤/ ٤١٦)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٧٥).
(٨) ينظر: تفسير النسفي (٣/ ٦٢٨)، تفسير أبي السعود (٩/ ١٤١)، فتح القدير (٥/ ٥١٠).

قَوْلُهُ: ﴿فَمَا لَهُۥ﴾، أَيْ: فَمَا لِلْإِنْسَانِ فِي يَوْمِ الْقِيامَةِ(١)، ﴿مِن قُوَّةٖ﴾، أَيْ: مِنْ مَنَعَةٍ يَمْتَنِعُ بِها عَنْ نَفْسِهِ، ﴿وَلَا نَاصِرٖ ١٠﴾، أي: يَمْنَعُهُ مِنْ عَذابِ اللهِ تَعَالَى(٢)، كَمَا قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ﴾ [سورة الأنبياء:٤٣].

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾، أَيْ: ذاتِ الْمَطَرِ؛ وسُمِّيَ الْمَطَرُ رَجْعًا لِأَنَّهُ يَجِيءُ وَيَرْجِعُ وَيَتَكَرَّرُ(٣).

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾، أَيْ: ذَاتِ النَّبَاتِ؛ وَفَسَّرَ الصَّدْعَ بِالنَّبَاتِ لِأَنَّهُ يَصْدَعُ الْأَرْضَ، أَيْ: يَشُقُّها(٤). ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى أَرْدَفَ هَذا القَسَمَ بِالْمُقْسَمِ عَلَيْهِ، وهو:

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُۥ﴾، أَيْ: القُرْآنَ، ﴿لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾، أَيْ: فاصِلٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ(٥).

قَوْلُهُ: ﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾، أَيْ: بِاللَّعِبِ وَالبَاطِلِ، بَلْ جِدٌّ كُلُّهُ(٦).

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمۡ﴾، أَيْ: الكُفَّارَ(٧)، ﴿يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥﴾، أَيْ: يَمْكُرُونَ مَكْرًا عَظِيمًا فِي إِطْفَاءِ نُورِ الإِسْلَامِ، وَإِيذَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَدِّ النَّاسِ عَنِ الْإِيمانِ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٨).

قَوْلُهُ: ﴿وَأَكِيدُ كَيۡدٗا﴾، أَيْ: وَأُقابِلُهم بِكَيْدٍ فِي اسْتِدْرَاجِي لَهُمْ وَانْتِقامِي مِنْهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ، وَأُبْطِلُ كَيْدَهُمْ(٩)، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٧٦).
(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٣)، تفسير الخازن (٤/ ٤١٦)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٧٦).
(٣) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٤٦٧)، تفسير البغوي (٨/ ٣٩٥).
(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٣٠٤)، تفسير القرطبي (٢٠/ ١١)، تفسير القاسمي (٩/ ٤٥٢).
(٥) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٤)، تفسير النسفي (٣/ ٦٢٨).
(٦) ينظر: تفسير النسفي (٣/ ٦٢٨).
(٧) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٧٦).
(٨) ينظر: فتح القدير (٥/ ٥١١)، تفسير القاسمي (٩/ ٤٥٢).
(٩) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٩٥)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٤).

سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ [الأعراف:١٨٢-١٨٣].

قَوْلُهُ: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾، أَيْ: أَنْظِرْهُمْ ولَا تَسْتَعْجِلْ إهْلاكهم، وَلَا تَشْتَغِلْ بِالِانْتِقامِ مِنْهُمْ، ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾، أَيْ: إِمْهَالًا قَلِيلًا(١).

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

اللهُ تَعَالَى يُقْسِمُ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِه:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾﴾ [سورة الطارق:١-٣]: أَنَّ اللهَ تَعَالَى يقسمُ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ؛ كَمَا أَقْسَمَ هُنَا بالسَّماءِ وَالنَّجْمِ الثَّاقِبِ الَّذِي يَظْهَرُ فِي أُفُقِ السَّماءِ لَيْلًا بِقُدْرَةٍ عَظِيمَةٍ لَا يَرُدُّهُ أَحَدٌ، وَلَا يَمْنَعُهُ أَحَدٌ، فَيَثْقُبُ ظُلْمَةَ الدُّنْيَا بِنُورِهِ وَضِيائِهِ، فَيَكونُ الشُّعاعُ مِنْهُ كَالمِسْمارِ يَثْقُبُ الْجِسْمَ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ عَظِيمِ خَلْقِهِ تَعَالَى.

تَنْبِيهُ الْإِنْسَانِ بِأَنْ يَتَفَكَّرَ فِي أَصْلِ خِلْقَتِه:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾﴾ [سورة الطارق:٥-٦]: تَنبِيهٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى لِلْإِنْسانِ بِأَنْ يَتَأَمَّلَ وَيَتَفَكَّرَ، وَيَنْظُرَ فِي أَصْلِ خَلْقِهِ، فَاللهُ خَلَقَهُ مِنْ مَاءٍ مُنْصَبٍّ فِي رَحِمِ الْمَرْأَةِ، وَهَذا الْمَاءُ يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ الرَّجُلِ وَتَرائِبِ الْمَرْأَةِ، وَمِنْ هَذَيْنِ الْمَاءَيْنِ يُخْلَقُ الْإِنْسَانُ فِي الرَّحِمِ، وَالْمَقْصُودُ: تَنْبِيهُهُ إِلَى قُدْرَةِ اللهِ عَلَى إِعادَتِهِ مَرَّةً أُخْرَى.

تَحَقُّقُ الْبَعْثِ وَالرُّجُوعِ إِلَى اللهِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ [سورة الطارق:٨]: التَّأْكِيدُ عَلَى أَمْرِ الْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَرَجْعَةِ الْإِنْسَانِ إِلَى رَبِّهِ(٢).

ظُهُورُ مَا تُخْفِيهِ الْقُلُوبُ:

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ١٢)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٤)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٧٦).

(٢) ينظر: تفسير ابن جزي (٢/ ٤٧٢)، تفسير السعدي (ص٩١٩).

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [سورة الطارق:٩]: الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَوْمٌ شَديدُ الْأَهْوَالِ، يَكْشِفُ اللهُ تَعَالَى فِيهِ عَنْ مَكْنُونَاتِ الصُّدُورِ، وَمَا أَضْمَرَتْهُ مِنَ الْإِيمَانِ أَوِ الْكُفْرِ، وَمَا أَخْفَتْهُ مِنْ أَعْمَالٍ سَيِّئَةٍ؛ ولِذَا فَمَا أَحْسَنَ وَأَجْمَلَ أَنْ يَكُونَ لِلْإِنسانِ سَريرَةٌ حَسَنَةٌ وَخَبيئَةٌ صالِحَةٌ تَنْفَعُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ، إِذَا تَكَشَّفَتِ السَّرائِرُ، وَظَهَرَ مَا فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْأَسْرارِ وَالْمَكْنُونَاتِ، وَأَصبَحَ السِّرُ عَلَانِيَةً؛ وَلِهَذا قِيلَ: «الكَيِّسُ مَن كانَتْ لَهُ عِنْدَ اللهِ خَبيئَةُ سِرٍّ»[(١)]. وَقَدْ جاءَ عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ خِبْءٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلْيَفْعَلْ»[(٢)]، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الحَرْبِيُّ: "كَانُوا يسْتَحِبُّونَ أَنْ يَكُونَ لِلرَّجُلِ خَبِيئَةٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ، لَا تَعْلَمُ بِهِ زَوْجَتُهُ وَلَا غَيْرُهَا"[(٣)].

ظُهُورُ ضَعْفِ الْإِنْسانِ وَعَجْزِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ﴾ [سورة الطارق:١٠]: بَيانُ ضَعْفِ الْإِنْسانِ، وَأَنَّهُ لَا يَمْلِكُ أَيَّ قُوَّةٍ فِي يَوْمِ الْقِيامَةِ، فَقُوتُهُ: إِمَّا قُوَّةٌ مِنْ نَفْسِهِ، وَقَدْ نَفاهَا اللهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ﴾، وَإِمَّا مِنْ غَيْرِهِ، وَقَدْ نَفَاهَا اللهُ تَعَالَى أَيْضًا بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا نَاصِرٖ﴾[(٤)].

دَلَائِلُ الْقَسَمِ بِالسَّماءِ وَالْأَرْضِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢﴾ [سورة الطارق:١١-١٢]: أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِالسَّماءِ ذَاتِ الْمَطَرِ، وَالأَرْضِ ذَاتِ النَّبَاتِ، وَكُلٌّ مِنْ ذَلِكَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ تَعَالَى الدَّالَّةِ عَلَى رُبوبِيَّتِهِ، وَالدَّالَّةِ أَيْضًا عَلَى قُدْرَتِهِ عَلَى الْبَعْثِ وَالْجَزاءِ، فذَكَرَ اللهُ تَعَالَى دَلِيلَيْنِ عَلَى الْبَعْثِ، وهما: خَلْقُ الإِنْسَانِ مِنْ مَاءٍ، وإِحْياءُ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا.

دَلَالَاتُ وَصْفِ الْقُرْآنِ بِأَنَّهُ فَصْلٌ وَلَيْسَ هَزْلًا:

---

(١) ينظر: أضواء البيان (٨/ ٤٩٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٦٢٥).

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٤٩).

(٤) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٩٥).

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الطارق:١٣-١٤]: الإِشَارَةُ إِلى الْقُرْآنِ الْعظِيم، ومن عَظمَتِهِ أنَّ اللهَ قَدْ ذَكَرَ لَهُ أَوْصافًا كَثيرَةً جِدًّا، وَإِنَّما تَكْثُرُ أَوْصافُ الشَّيْءِ إِذا كَثُرَتْ مَنافِعُهُ، وَلَيْسَ لِلنَّاسِ شَيْءٌ أَنْفَعُ لَهُمْ مِنَ الْقُرآنِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [سورة الأنبياء:٢٤]، وَمِنْ أَوْصافِهِ الدَّالَّةِ عَلى عَظمَتِهِ: أَنَّهُ فَاصِلٌ بَينَ الْحَقِّ وَالْباطِلِ، وَلَا مَجالَ لِلشَّكِّ وَالرَّيْبِ فِيهِ، وَمَا هُوَ بِاللَّعِبِ وَلَا بِالْهَزْلِ، فَعَلَى الْمُؤْمِنينَ أَنْ يَعْلَمُوْا أَحْكامَهُ، وَيَمْتَثِلُوا أَوامِرَهُ وَيَجْتَنِبُوا نَواهِيَهُ. وَمِمَّا يُؤَكِّدُ هذه العَظَمَةَ: أَنَّ اللهَ تَعالَى أَقْسَمَ بِالسَّماءِ ذاتِ الْمَطَرِ، وَالْأَرْضِ ذاتِ النَّباتاتِ وَالزُّرُوعِ الْمُخْتَلِفَةِ عَلَى أنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ جِدٌّ لَا هَزْلَ فيهِ، وَصِدْقٌ كُلُّهُ؛ لِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهُوَ فَاصِلٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْباطِلِ[1].

التَّخَلُّقُ بِالْكَيْدِ وَالابْتِداءِ بِهِ مِنْ صِفَةِ أَعْداءِ الرُّسُلِ وَأَتْباعِهِمْ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [سورة الطارق:١٥-١٦]: ذِكْرُ صِفَةِ الْكَيْدِ، وَفِي ذَلِكَ إِشارَةٌ إِلَى أَنَّ التَّخَلُّقَ بِالْكَيْدِ وَالابْتِداءَ بِهِ مِنْ صِفَةِ أَعْداءِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، فَمَا مِنْ نَبِيٍّ وَلَا أَتْباعِ نَبِيٍّ إِلَّا كَادَ بِهِمْ أَعْداؤُهُمْ كَيْدًا عَظِيمًا، وَتِلْكَ سُنَّةٌ مَاضِيَةٌ فِي الْقُرونِ يَلْقَاهَا أَتْباعُ الرُّسُلِ مِنْ أَعْدائِهِمْ، وَفِي هَذَا يَقولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٢٣]، فَفِي كُلِّ زَمانٍ وَفِي كُلِّ مَكانٍ وَفِي كُلِّ مَدِينَةٍ وَفِي كُلِّ قَرْيَةٍ مُجْرِمُونَ يَكِيْدُونَ بِأَهْلِ الإِيمانِ وَيَمْكُرُوْنَ بِهِمْ، وَيَسْعَوْنَ لِاجْتِثاثِهِمْ، وَيُؤْذُونَهُمْ فِي دِينِهِمْ.

تَطْمِينُ الْمُؤْمِنِينَ بِعَدَمِ الْخَوْفِ مِنْ كَيْدِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [سورة الطارق:١٥-١٦]: أَنَّ مَكْرَ الْكُفارِ وَالْمُنافِقِينَ بِالْمُؤْمِنِينَ سُنَّةٌ ماضِيَةٌ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ؛ ولِذَا فَعَلَىْ الْمُؤْمِنِينَ

(١) ينظر: التبيان في أقسام القرآن (ص١٠٧).

أَنْ لَا يَجْزَعُوْا مِنْهُ وَلا يَخافُوا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [سورة النحل:١٢٧]، وَلا يَتَنازَلُوا عَنْ شَيْءٍ مِنْ دِينِهِمْ لِاتِّقائِه، بَلْ يُواجِهُونَهُ بِالتَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ تَعَالَى وَالاِعْتِصامِ بِهِ، وَاجْتِماعِهِمْ عَلَى كَلِمَةٍ سَواءٍ، فَإِنَّ كَيْدَ الْكُفَّارِ وَمَكْرَهُمْ لَا يَمْضِي فِي الْمُؤمِنِينَ إِلَّا فِي حَالِ اخْتِلافِهِمْ وَفُرْقَتِهِمْ وَتَمَزُّقِهِمْ، قَالَ تَعالَى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [سورة آل عمران:١٠٣]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ في كَيْدِ الْكُفَّارِ: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [سورة غافر:٢٥]، وَفي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة الأنفال:١٨]، وَقال فِي أَصْحَابِ الْفِيلِ: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ﴾ [سورة الفيل:٢]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ فِي كَيْدِ الْمُنافِقِينَ: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [سورة آل عمران:١٢٠].

لَفْظُ الْكَيْدِ لَا يُذْكَرُ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى إِلَّا عَلَى وَجْهِ الْمُقَابَلَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [سورة الطارق:١٥-١٦]: أَنَّ لَفْظَ الْكَيْدِ لَمْ يُذْكَرْ في حَقِّ اللهِ تَعَالَى إِلَّا عَلَى وَجْهِ الْمُقابَلَةِ، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [سورة الطارق:١٥-١٦]، والْمَعْنَى: أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَكِيْدُ بِمَنْ يَكِيدُ بِهِ أَوْ بِأَوْلِيائِهِ، وَمُقابَلَةُ الْكائِدِ بِكَيدِهِ وَقَلْبُهُ عَلَيْهِ يُمْدَحُ وَلَا يُذَمُّ، وَإِنَّما الذَّمُّ فِي الاِسْتِسْلَامِ لِكَيْدِ الْعَدُوِّ وَمَكْرِهِ؛ وَلِذَا قَالَ سُبْحانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الأنفال:٣٠][1].

سُوءُ عَاقِبَةِ كَيْدِ الْكُفَّارِ بِالْمُؤْمِنِينَ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ [سورة الطارق:١٧]: أَنَّ أَعْداءَ الدِّينِ مَهْمَا انْتَصَرُوا وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُمْ وَظَهَرَ كَيْدُهُمْ فَإِنَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَثِقُوا بِنَصْرِ اللهِ،

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ١١١ و٢٠/ ٤٧١)، إعلام الموقعين (٣/ ١٧٠-١٧١).

وَأَنْ يَعْمَلُوا لِنَصْرِ رَايَةِ الإِسْلامِ، فَإِنَّ النَّصْرَ قَرِيبٌ، وَهُوَ قادِمٌ لا مَحالَةَ، وَمَا هَذَا الْكَيْدُ الَّذي يَكِيدُونَ وَالْمَكْرُ الَّذِي يَمْكُرُونَ إِلَّا اسْتِدْرَاجٌ لَهُمْ(١).

❀❀❀

(١) ينظر: أضواء البيان (٨/ ٤٩٧).

سُورَةُ الْأَعْلَى

سُورَةُ (الْأَعْلَى): سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ[1]، وَآيُهَا تِسْعَ عَشْرَةَ آيَةً.

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمَائِهَا: سُورَةُ (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى)، وَسُورَةُ (سَبِّحْ)، وَسُورَةُ (الأَعْلَى)[2].

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

حَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَقَاصِدِ وَالْمَعَانِي الْعظيمَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ[3]:

- ✓ تَنْزِيهُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَالإِشَارَةُ إلى وَحْدانِيَّتِهِ؛ لِانْفِرادِهِ بِخَلْقِ الْإِنْسَانِ وَخَلْقِ مَا فِي الْأَرْضِ مِمَّا فِيهِ بَقَاؤُهُ.
- ✓ الأَمْنُ مِنْ نَسْخِ الْآيَاتِ، وَبَيَانُ سُهُولَةِ الطَّاعَاتِ.
- ✓ الْحَثُّ عَلَى الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ.
- ✓ ذِكْرُ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ الَّذِينَ يُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَلَا يَعْبَؤُونَ بِالْحيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ.

مِنْ فَضَائِلِ السُّورَةِ:

جَاءَ فِي فَضْلِ هَذِهِ السُّورَةِ كَثِيرٌ مِنَ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

أولًا: ما ورد عن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَجَعَلَا يُقْرِئَانِنَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ جَاءَ عَمَّارٌ وَبِلَالٌ وَسَعْدٌ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِهِ، حَتَّى رَأَيْتُ الْوَلَائِدَ وَالصِّبْيَانَ يَقُولُونَ: هَذَا رَسُولُ اللهِ قَدْ جَاءَ، فَمَا جَاءَ حَتَّى قَرَأْتُ: ﴿سَبِّحِ

(١) ينظر: زاد المسير (٤/ ٤٣١).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣/ ٢٧١).

(٣) ينظر: بصائر ذوي التمييز (١/ ٥١٤). مصاعد النظر بالإشراف على مقاصد السور (٣/ ١٨١)، التحرير والتنوير (٣/ ٢٧٢).

ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [سورة الأعلى:١] فِي سُوَرٍ مِثْلِهَا»[1]، وفي هذا: مَشْروعِيَّةُ تَعلُّمِ وَحِفْظِ سُورَةِ الأَعْلى.

ثانيًا: ما ورد عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ وَفِي الْجُمُعَةِ بِـ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾، وَ{هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ}»[2]، وفي هذا: مَشْروعِيَّةُ قِراءَةِ هَذِهِ السُّورَةِ في صَلاَتَي الْعِيدَيْنِ وَالْجُمُعَةِ.

ثالثًا: ما ورد عن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ بِـ ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾»[3]، وفي هذا مَشْروعِيَّةُ قِراءَةِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي صَلاةِ الظُّهْرِ.

رابعًا: مَا وَرَدَ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوتِرُ بِـ ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾، وَ{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، وَ{قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ}»[4]، وفي هذا: مَشْروعِيَّةُ قِراءَةِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي صَلاةِ الْوِتْرِ.

خامسًا: ما ورد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِمُعَاذٍ: «فَلَوْلاَ صَلَّيْتَ بِـ{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ}، {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى}، فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَاءَكَ الكَبِيرُ وَالضَّعِيفُ وَذُو الحَاجَةِ»[5]، وفي هذا: مَشْروعِيَّةُ الْقِراءَةِ بِهذِهِ السُّورَةِ في صَلاةِ الْجَماعَةِ تَخْفيفًا عَلى النَّاسِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤١).

(٢) أخرجه مسلم (٨٧٨).

(٣) أخرجه مسلم (٤٦٠).

(٤) أخرجه أحمد (١٥٣٥٤)، وأبو داود (١٤٢٣)، والنسائي (١٧٣٠) واللفظ له، وابن ماجه (١١٧١).

(٥) أخرجه البخاري (٧٠٥) واللفظ له، ومسلم (٤٦٥).

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾، أَيْ: نَزِّهْ رَبَّكَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الشَّرِيكِ وَالصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النَّقَائِصِ[1]، ﴿ٱلۡأَعۡلَى﴾، الَّذِي لَهُ الْعُلُوُّ الْمُطْلَقُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ: عُلُوُّ الذَّاتِ، وَعُلُوَّ الْقَدْرِ، وَعُلُوُّ الْقَهْرِ[2].

قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾، أي: خلقَ الْإِنْسَانَ مِنَ الْعَدَمِ، ﴿فَسَوَّىٰ ۝٢﴾، أَيْ: فَأَتْقَنَ خَلْقَهُ عَلَى أَحْسَنِ صُورَةٍ[3]، وَجَعَلَهُ مُتَنَاسِبَ الْأَجْزَاءِ غَيْرَ مُتَفَاوِتٍ[4]، كَمَا قَالَ اللهُ: ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [سورة القيامة:٣٨]، وَقَالَ اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [سورة الانفطار:٦-٨]، وَقَالَ اللهُ: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِىٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ﴾ [سورة التين:٤].

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾، أَيْ: قَدَّرَ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيءٍ[5]، كَمَا قَالَ تعالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىۡءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرًا﴾[سورة الفرقان:٢]، وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»[6][7]، ومعنى: (هدى)، أَيْ: يَسَّرَ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ مَا قَدَّرَهُ لَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ: بَيَانُهُ لِلْإِنْسَانِ سَبِيلَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ[8]، كَمَا قَالَ اللهُ: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ [سورة البلد: ١٠].

---

(١) ينظر: تفسير الجلالين (ص٨٠٣)، تفسير القاسمي (٩/ ٤٥٤).
(٢) ينظر: اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ١٩٧).
(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٧٩)، تفسير السعدي (ص٩٢٠).
(٤) ينظر: تفسير الجلالين (ص٨٠٣).
(٥) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٥)، تفسير أبي السعود (٩/ ١٤٣).
(٦) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).
(٧) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٧٩).
(٨) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٠٠)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٧٩).

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ﴾ مِنَ الأَرْضِ، ﴿ٱلۡمَرۡعَىٰ﴾ مِمَّا تَرْعَاهُ الدَّوَابُّ مِنْ أَنْوَاعِ النَّبَاتِ وَالْعُشْبِ(1).

قَوْلُهُ: ﴿فَجَعَلَهُۥ﴾، أي: بَعْدَ خُضْرَتِهِ، ﴿غُثَآءً﴾، أَيْ: هَشِيمًا جافًّا(2)، ﴿أَحۡوَىٰ ٥﴾، أَيْ: مَائِلًا إِلَى السَّوَادِ بَعْدَ الخُضْرَةِ(3)؛ لِأَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ نِهَايَةً.

قَوْلُهُ: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦﴾، أَيْ: سَنُعلِّمُكَ أيُّها الرَّسُولُ الْقُرآنَ عَلَى لِسانِ جِبْرِيلَ عليه الصلاة والسلام، فَتحْفَظُهُ، ولا تَنْسَى مِنْهُ شيئًا(4).

قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾، أَيْ: نِسْيانَهُ مِمَّا اقْتَضَتْهُ حِكْمَتُهُ(5).

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ٧﴾، أَيْ: إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا ظَهَرَ مِنْ أَحْوالِكُمْ وَمَا بَطَنَ، فَلَا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ(6).

قَوْلُهُ: ﴿وَنُيَسِّرُكَ﴾، أَيْ: وَنُوَفِّقُكَ، ﴿لِلۡيُسۡرَىٰ ٨﴾، أَيْ: لِلشَّرِيعَةِ السَّهْلَةِ السَّمْحَةِ، وَهِيَ الإِسْلامُ(7).

قَوْلُهُ: ﴿فَذَكِّرۡ﴾، أَيْ: عِظْ بِالْقُرْآنِ، ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ٩﴾، أَيْ: ذَكِّرْ مُطْلَقًا إِنْ نَّفَعتِ الْمَوْعِظَةُ، وَإِنْ لَمْ تَنْفعْ، وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ(8).

وَذَهَبَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ إِلَى الْأَخْذِ بِظَاهِرِ الْآيةِ، وَأَنَّهُ مَأمورٌ بِالتَّذْكِيرِ إِنْ نَّفَعَتِ الْمَوْعِظَةُ فَقَطْ، وَأَمَّا إِنْ لَمْ تَنْفعْ فَلَيْسَ بِمَأْمُورٍ(9).

---

(1) ينظر: تفسير البيضاوي (5/ 305)، فتح القدير (5/ 514).
(2) ينظر: معاني القرآن للزجاج (5/ 315)، فتح القدير (5/ 514).
(3) ينظر: تفسير البغوي (8/ 400)، البرهان في علوم القرآن (3/ 280).
(4) ينظر: الوجيز للواحدي (ص1194)، تفسير البغوي (8/ 401)، تفسير القرطبي (20/ 18).
(5) ينظر: تفسير السعدي (ص920).
(6) ينظر: تفسير البيضاوي (5/ 305).
(7) ينظر: تفسير البغوي (8/ 401).
(8) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (4/ 470)، تفسير البغوي (8/ 401)، تفسير القرطبي (20/ 20).
(9) ينظر: زاد المسير (4/ 432).

وَالْأَقْرَبُ -واللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِمُرادِهِ- **هُوَ**: ما ذَهَبَ إِلَيْهِ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ؛ لِوُجوهٍ أَهَمُّها ثَلاثَةٌ[1]:

الْأَوَّلُ: الْأَدِلَّةُ الْكَثِيرَةُ الَّتِي تَدُلُّ عَلى وُجُوبِ التَّذْكيرِ وَالْمَوْعِظَةِ نَفَعَتْ أَوْ لَمْ تَنْفَعْ، كَقوْلِهِ تَعالَى: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة الذاريات:٥٥]، وقوْلِهِ: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ﴾ [سورة الغاشية:٢١]، وقَوْلِهِ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [سورة المائدة:٦٧]، وقوْلِهِ: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾ [سورة الرعد:٤٠]، وَغَيْرِها مِنَ الْآياتِ.

الثَّانِي: أَنَّ الْمُعَلَّقَ بِـ: (إِنْ) عَلى الشَّيْءِ لا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ عَدَمًا عِنْدَ عَدمِ ذَلِكَ الشَّيْءِ، ويَدُلُّ عَلَيْهِ آياتٌ؛ مِنْها: هَذِهِ الْآيَةُ، وَمِنْها قوْلُهُ: ﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا﴾ [سورة النور:٣٣]، وقوْلُهُ: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [سورة البقرة:١٧٢]، وقَوْلُهُ: ﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ﴾ [سورة النساء:١٠١]، فَإِنَّ القَصْرَ جائِزٌ وإِنْ لَمْ يُوجَدِ الخَوْفُ.

الثَّالِثُ: أَنَّ الْآيَةَ اكْتَفَتْ بِذِكْرِ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ لِدَلالَتِهِ عَلى الثَّانِي، وَالتَّقْدِيرُ: (فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى أَوْ لَمْ تَنْفَعْ)، كَقَوْلِهِ تَعالَى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ [سورة النحل:٨١] الآيَةَ، وَالْمَعْنى: وَتَقِيكُمُ الْبَرْدَ، فَحُذِفَ الْبَرْدُ لِلْعِلْمِ بِهِ.

قَوْلُهُ: ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾، أَيْ: سَيَتَّعِظُ وَيَنْتَفِعُ بِالْمَوْعِظَةِ[2]، ﴿مَن يَخۡشَىٰ ١٠﴾، أَيْ: مَنْ يَخافُ اللهَ تَعالَى، كَما قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾ [سورة النازعات:٤٥][3].

---

(١) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ١٣٢)، مجموع الفتاوى (١٦/ ١٥٣-١٥٥)، فتح القدير (٥/ ٥١٥-٥١٦).

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٦)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٨٠).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١٦/ ١٧١).

قَوْلُهُ: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾، أَيْ: يَتْرُكُ الْمَوْعِظَةَ وَلَا يَلْتَفِت إِلَيْها[1]، ﴿ٱلْأَشْقَى ۝١١﴾، بِمَعْنى: الشَّقِيِّ، وَهُوَ الشَّدِيْدُ الشَّقْوَةِ، وَهُوَ الْكَافِرُ؛ لِأَنَّهُ أَشَدُّ النَّاسِ شَقاءً فِي الْآخِرَةِ؛ لِخُلُودِهِ فِي النَّارِ[2].

قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ﴾، أَيْ: يَدْخُلُهَا[3]، ويُقاسِي حَرَّهَا، ﴿ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢﴾، وَهِيَ نَارُ الْآخِرَةِ[4]، كَما قال الله تَعالَى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥﴾ [سورة الليل:١٤-١٥]، وَوَصْفُ النَّارِ بِـ: (الْكُبْرى) لِلتَّهْوِيلِ وَالْإِنْذارِ، وَالْمُرَادُ بِهَا: جَهَنَّمُ[5].

قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾، فَيَسْتَرِيحُ، ﴿وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾، أَيْ: حَياةً طَيِّبَةً تَنْفَعُهُ[6].

قَوْلُهُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾، أَيْ: ظَفِرَ وَفازَ، ﴿مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾، أَيْ: طَهَّرَ نَفْسَهُ مِنَ الشِّرْكِ وَالْمَعاصِي وَسَيِّئِ الْأَخْلاقِ، وَحَلَّاها بِالْإِيمانِ وَالطَّاعَةِ[7].

قَوْلُهُ: ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾، أَيِ: بِمَا شَرَعَ مِنْ أَنْواعِ الذِّكْرِ بِقَلْبِهِ وَلِسانِهِ، ﴿فَصَلَّىٰ﴾، أَيْ: الصَّلَواتِ الخَمْسَ فِي أَوْقاتِهَا وَغَيْرَها مِنَ النَّوافِلِ، وَقِيلَ: الْمُرادُ بِالصَّلاةِ هُنا: صَلاةُ الْعِيدِ[8].

كَما أَنَّ الْمُرادَ بِالتَّزَكِّي فِي الْآيَةِ الْأُولى: زَكاةُ الْفِطْرِ[9]، وهَذَا فِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ، ولَمْ تُفْرَضْ زَكاةُ الْفِطْرِ وَصَلاةُ الْعِيدِ إِلَّا بِالْمَدِينَةِ[10].

(١) ينظر: الوجيز للواحدي (ص١١٩٥)، تفسير الجلالين (ص٨٠٤).
(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٦)، تفسير النسفي (٣/ ٦٣١)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٨٥).
(٣) ينظر: تفسير النسفي (٣/ ٦٣٢).
(٤) ينظر: تفسير الجلالين (ص٨٠٤).
(٥) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٨٦).
(٦) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٣١٨)، تفسير البغوي (٨/ ٤٠٢).
(٧) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٨١)، تفسير السعدي (ص٩٢٠).
(٨) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٣٢١)، تفسير أبي السعود (٩/ ١٤٦).
(٩) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٣٢٠)، تفسير البغوي (٨/ ٤٠٢).
(١٠) ينظر: فتح القدير (٥/ ٥١٦-٥١٧).

قَوْلُهُ: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ﴾، أَيْ: تُقدِّمونَ وَتُفضِّلون أَيُّهَا النَّاسُ[1]، ﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦﴾، أَيْ: الْفَانِيَةَ عَلى الْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ[2].

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ﴾ الْمُشْتَمِلَةُ عَلى الجَنَّةِ، ﴿خَيۡرٞ﴾ مِنَ الدُّنْيا ﴿وَأَبۡقَىٰٓ ١٧﴾؛ لِمَا فيهَا مِنَ النَّعيمِ الدَّائِمِ الَّذِيْ لَا يَنْقَطِعُ وَلَا يَزولُ[3]؛ وَلِهَذا فَالدُّنيا لَا شَيْءَ بِالنِّسْبَةِ للآخِرَة، كَمَا فِي حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وَمَا فِيهَا، وَلَغَدْوَةٌ فِي سَبيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[4].

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الْإِشَارَةُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧﴾[5].

وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: الْمُشَارِ إِلَيْهِ بِلَفْظِ: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: جَمِيعُ السُّورَةِ؛ وذَلِكَ لِأَنَّ السُّورَةَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى التَّوْحِيدِ والنُّبُوَّةِ وَالْوَعِيدِ عَلى الْكُفْرِ بِاللهِ وَالْوَعْدِ عَلَى طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى[6].

قَوْلُهُ: ﴿لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨﴾، أَيْ: الْمُنَزَّلَةْ قَبْلَ الْقُرْآنِ[7].

قَوْلُهُ: ﴿صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾، قوله: (صُحُفِ): بدل من (الصحف) في الآية السابقة مجرور، وعلامة جرِّهِ الكسرة[8]، وَالْمُرَادُ بِهَا -الصُّحُف-: صُحُفٌ أَنْزَلَهَا اللهُ تَعَالَى اشْتَمَلَتْ عَلى جُمْلَةٍ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْمَواعِظِ[9].

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٨٢).
(٢) ينظر: تفسير أبي السعود (٩/ ١٤٦)، فتح القدير (٥/ ٥١٧).
(٣) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٤)، فتح القدير (٥/ ٥١٧).
(٤) أخرجه البخاري (٦٤١٥).
(٥) وهذا اختيار ابن جرير كما في تفسيره (٢٤/ ٣٢٤). وقال ابن كثير في تفسيره (٨/ ٣٨٣): "وَهَذَا اخْتِيَارٌ حَسَنٌ قَوِيٌّ".
(٦) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ١٣٧)، تفسير النسفي (٣/ ٦٣٢).
(٧) ينظر: تفسير الجلالين (ص٨٠٤).
(٨) ينظر: فتح القدير (٥/ ٥١٧).
(٩) ينظر: أضواء البيان (٨/ ٥٠٧).

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

الْأَمْرُ بِالتَّسْبِيحِ وَفَضْلُه:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [سورة الأعلى:١]: الْأَمْرُ بِالتَّسْبِيحِ، وَفِي ذَلِكَ وُجوبُ تَسْبِيحِ اسْمِ اللهِ وَتَنْزِيهِهِ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ، فَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِتَسْبِيحِهِ الْمُتَضَمِّنِ لِذِكْرِهْ وَعِبَادَتِهِ، وَالْخُضُوْعِ لِجَلَالِهِ، وَالْاسْتِكَانَةِ لِعَظَمَتِهِ، وَأَنْ يَكُوْنَ تَسْبِيحًا، يَلِيْقُ بِعَظَمَةِ اللهِ تَعَالَىْ، بِأَنْ تُذْكَرَ أَسْمَاؤُهُ الْحُسْنَى الْعَالِيَةِ عَلَىْ كُلِّ اسْمٍ بِمَعْنَاهَا الْحَسَنِ الْعَظِيْمِ، وَتُذكَرَ أَفْعَالَهُ الَّتِيْ مِنْهَا أَنَّهُ خَلَقَ الْمَخْلُوْقَاتِ فَسَوَّاهَا"[١].

وَقَدْ جَاءَتِ السُّنَّةُ بِالْأَمْرِ بِالتَّسْبِيحِ فِي الرُّكوعِ وَالسُّجودِ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: أَنَّهُ قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ۝٧٤﴾ [سورة الواقعة:٧٤]، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: اجْعَلُوهَا فِي رُكوعِكُمْ، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [سورة الأعلى:١]، قَالَ: اجْعَلُوهَا فِي سُجودِكُمْ»[٢]. وَثَبَتَ مِنْ فِعْلِهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ كما ورد عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ذاتَ لَيْلَةٍ»، ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ: «ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، فَكَانَ رُكوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيامِهِ، ثُمَّ قالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، ثُمَّ قامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَد، فَقَالَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»[٣].

وَقَدِ اخْتَلَفَ الْفُقَهاءُ فِي حُكْمِ التَّسْبِيحِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ على قَوْلَيْن:

القول الأول: أَنَّهُ مُسْتَحَبٌّ، وهذا مَذْهَبُ الْجُمْهورُ[٤].

القول الثاني: أَنَّهُ وَاجِبٌ، وَهذا مَذْهَبُ الإِمَامِ أَحْمَد وَغَيْرِه[٥]، وَهُوَ الرَّاجِحُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أَمَرَ بِهِ وَأَمْرُهُ لِلْوُجوبِ، وَقَالَ: «صَلُّوا كَما رَأَيْتُمونِي أُصَلِّي»[١].

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٤١٤)، وأبو داود (٨٦٩)، وصححه ابن حبان (١٨٩٨).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٤١٤)، وأبو داود (٨٦٩)، وصححه ابن حبان (١٨٩٨).

(٣) أخرجه مسلم (٧٧٢).

(٤) ينظر: البحر الرائق (١/ ٣٣٣)، الذخيرة للقرافي (٢/ ٢٢٤)، المجموع للنووي (٣/ ٤١٣).

(٥) ينظر: المغني لابن قدامة (١/ ٣٦٢).

- (الْأَعْلَى) مِنْ أَسْماءِ اللهِ الْحُسْنى، وَبَيَان دلالَتِهِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [سورة الأعلى:١]: أَنَّ (الْأَعْلَى) مِنْ أَسْماءِ اللهِ الْحُسْنى، وَيَدُلُّ على الْعُلُوِّ الْمُطْلَقِ الْكامِلِ لَلهُ سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وَقَدْ وَصفَ نَفْسَهُ سُبْحانَهُ بِالْأَعْلى؛ لِأَنَّهُ تَعالَى يَخْضَعُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ.

تَسْوِيَةُ الله تَعَالَى لِخَلْقِهِ عَلى صُورٍ مُخْتَلِفَة، لِكُلِّ مَخْلُوقٍ هَيْئَةٌ تُناسِبُه:

فِي قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [سورة الأعلى:٢]: أَنَّ اللهَ تَعالَى جَعَلَ لِكُلِّ مَخْلوقٍ خِلْقَتَهُ الْمُناسِبَةَ وَالْمُلائِمَةَ لَهُ، كَما قالَ اللهُ تَعالَى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [سورة السجدة:٧]، وَقالَ: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [سورة الملك:٣]، وَهَذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ لَا يُحْصِيها إِلَّا الْخالِقُ سُبْحانَهُ، وَهِيَ على صُوَرٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَطِباعٍ مُتَبايِنَةٍ، ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [سورة النمل:٨٨][٢].

الاسْتِدْلالُ عَلى وُجُوبِ تَنْزِيهِ الله تَعالَى بِالنَّباتِ وَالزَّرْعِ:

فِي قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [سورة الأعلى:٤-٥]: أَنَّ مِنْ أَجَلِّ وَأَعْظَمِ الْأَدِلَّةِ الَّتِي تُوجِبُ تَنْزِيهَ اللهِ تَعالَى وَتَسْبيحَهُ: تَفَرُّدُهُ سُبْحانَهُ بِالْخَلْقِ وَالتَّقْدِيرِ وَإِنْباتِ الزَّرْعِ، وَإِثْباتُ رُبُوبِيَّةِ اللهِ تَعالَى مُسْتَلْزِمٌ لِإِثْباتِ أُلُوهِيَّتِهِ سُبْحانَهُ.

الدَّعْوَةُ إِلى التَّفَكُّرِ فِي إِبْداعِ الله فِي خَلْقِه:

فِي قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [سورة الأعلى:٢-٥]: دَعْوَةٌ لِلتَّفَكُّرِ فيمَا أَبْدَعَهُ اللهُ في خَلْقِهِ، تَقودُ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ إِلى عُبودِيَّتِهِ، وَالْإِخْلاصِ لَهُ، وَالتَّعَلُّقِ بِهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، فَيَزدادُ إِيمانُهُ، وَيُواجِهُ الْحَياةَ وَشِدَّتَها وَهُمُومَها بِقَلْبٍ عامِرٍ بِالْإِيمانِ، ثَابِتٍ بِاليَقِينِ، قَوِيٍّ بِالتَّوَكُّلِ، لَا تُزَعْزِعُهُ الْخُطوبُ وَالْمُدْلَهِمَّاتُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣١).

(٢) ينظر: أضواء البيان (٨/ ٥٠١).

وجه تشبيه الحياة الدنيا بالنبات.

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [سورة الأعلى:٥]: مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَالنَّبَاتِ تَبْدُو زَاهِيَةً جَمِيلَةً ثُمَّ تَذْبُلُ وَتَنْتَهِي، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الحديد:٢٠].

لفت الانتباه إلى مراقبة الله في الأقوال والأفعال:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ [سورة الأعلى:٧]: أَنَّهُ يَنْبَغِي عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يُرَاقِبَ اللهَ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَأَحْوَالِهِ وَخَطَرَاتِهِ، وَأَنْ يَسْتَحِيَ مِنَ اللهِ أَنْ يَرَى مِنْهُ سُوءَ سِيرَةٍ أَوْ سَرِيرَةٍ.

تيسير الله لنبيه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حفظ القرآن:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [سورة الأعلى:٦-٧]: بِشَارَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ تَعَالَى سَيُعَلِّمُهُ هَذَا الْقُرآنَ، وَيَحْفَظُهُ عَلَيْهِ، كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ كَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ، فَكَانَ ذَلِكَ يُعْرَفُ مِنْهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ [سورة القيامة:١٦] أَخْذَهُ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾، أَيْ: إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَهُ فِي صَدْرِكَ فَتَقْرَؤُهُ؛ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [سورة القيامة:١٨]، قَالَ: أَنْزَلْنَاهُ فَاسْتَمِعْ لَهُ، ﴿إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [سورة القيامة:١٩]: أَنْ نُبَيِّنَهُ بِلِسَانِكَ، فَكَانَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ، فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللهُ»[1].

(١) أخرجه البخاري (٥)، ومسلم (٤٤٨).

فَدَلَّ الْحَديثُ على أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُبَادِرُ إِلَى أَخْذِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَيُسابِقُ الْمَلَكَ في قِرَاءَتِهِ؛ حِرْصًا على حِفْظِهِ، وَخَشْيَةَ نِسْيانِهِ وَتفَلُّتِهِ، فَأَمَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إذا جاءَهُ الْمَلَكُ بِالْوَحْيِ أَنْ يَسْتَمِعَ لَهُ، وَتكَفَّلَ لَهُ سُبْحانهُ أَنْ يَجْمَعَهُ في صَدْرِهِ، وَأَنْ يُيَسِّرَهُ لِقِراءَتِهِ على الْوَجْهِ الَّذِي أَلْقاهُ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُبَيِّنَهُ لَهُ وَيُفَسِّرَهُ وَيُوَضِّحَهُ، فَقالَ سُبْحانَهُ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [سورة القيامة:١٦-١٩].

وَفي ذَلِكَ: تَيْسيرٌ مِنَ اللهِ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى كُلِّ مَنْ أَرادَ أَنْ يَحْفَظَ الْقُرآنَ الْكَريمَ: أَنْ يَجْتَهِدَ في تِلاوَتِهِ وَحِفْظِهِ وَمراجَعَتِهِ، وَيَتَوَجَّهَ إِلى اللهِ بِالدُّعاءِ أَنْ يُيَسِّرَهُ عَلَيْهِ وَيُثَبِّتَهُ فِي قَلْبِهِ.

بِشارَةُ اللهِ لِنَبِيِّهِ بِتَيْسيرِهِ لِلْيُسْرَى في جَميعِ أُمورِهِ، وَيَجْعَلُ شَرْعَهُ وَدِينَهُ سَهْلًا مُيَسَّرًا:

فِي قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [سورة الأعلى:٨]: بِشارَةٌ عَظيمَةٌ بِأَنَّ اللهَ تَعالَى يُيَسِّرُ رَسولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْيُسْرَى في جَميعِ أُمورِهِ، وَيَجْعَلُ شَرْعَهُ وَدِينَهُ سَهْلًا مُيَسَّرًا(١). قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "نُسَهِّلُ عَلَيْكَ أَفْعالَ الْخَيْرِ وَأَقْوالَهُ، وَنُشَرِّعُ لَكَ شَرْعًا سَهْلًا سَمْحًا مُسْتَقِيمًا عَدْلًا لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ وَلَا حَرَجَ وَلَا عُسْرَ"(٢).

أَهْلُ الْخَشْيَةِ هُمْ أَهْلُ التَّذَكُّرِ وَالاتِّعاظِ، بِخِلافِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾﴾ [سورة الأعلى:١٠-١١]: أَنَّ النَّاسَ تجاهَ التَّذْكيرِ عَلى فَريقَيْنِ: فَرِيقٍ يَخْشَى، وَآخَرَ يَشْقَىْ؛ فَالذِي يَخْشَى هُوَ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِالْمَوْعِظَةِ، وَحُصُولُ التَّذَكُّرِ صِفَةٌ لَازِمَةٌ لَهُ. قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَقَدْ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَنْ يَخْشَى فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَذَكَّرَ، فَقَدْ يَتَذَكَّرُ فَتَحْصُلُ لَهُ بِالتَّذَكُّرِ خَشْيَةٌ، وَقَدْ يَخْشَى فَتَدْعُوهُ الْخَشْيَةُ إِلَى التَّذَكُّرِ، وَهَذَا الْمَعْنَى ذَكَرَهُ قتادة فَقَالَ: «وَاللهِ مَا خَشِيَ اللهَ عَبْدٌ قَطُّ إِلَّا

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٨٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٨٠).

ذَكَرَهُ»[1]"[2]، وَأَمَّا الْأَشْقَى فَهُوَ الَّذي لَا يَنْتَفِعُ بِالْمَوْعِظَةِ، وَلا يُلْقِي لَهَا بَالًا -وَالْعِياذُ بِاللهِ-، وَلِكُلِّ فَرِيقٍ مَآلُهُ وَنِهايَتُهُ.

وَجْهُ وَصْفِ النَّارِ بِالْكُبْرَى:

فِي قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿ٱلَّذِى يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ [سورة الأعلى:١٢]: تَسْمِيَةُ النَّارِ بِالْكُبْرى؛ لِأَنَّها أَعْظَمُ وَأَشَدُّ حَرًّا مِنْ نَارِ الدُّنْيا[3]؛ وَلِهَذا ضُوعِفَتْ عَلَى نَارِ الدُّنْيا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كَما فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ»[4].

الْعَذابُ وَالْخَسارُ لِلْكافِرِ فِي النَّارِ:

فِي قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ۝١٣﴾ [سورة الأعلى:١١-١٣]: أَنَّ الْأَشْقَى -وَهُوَ الْكافِرُ- يُعَذَّبُ عَذابًا أَلِيمًا مِنْ غَيْرِ رَاحَةٍ وَلَا اسْتِراحَةٍ، حَتَّى إِنَّهُ يَتَمَنَّى الْمَوْتَ فَلا يَحْصُلُ لَهُ -وَالعِيَاذُ باللهِ-، كَما قَالَ تَعالَى: ﴿لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ﴾ [سورة فاطر:٣٦][5].

الْفَلاحُ وَالْفَوْزُ لِمَنْ زَكَّى نَفْسَهُ:

فِي قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [سورة الأعلى:١٤]: أَنَّ الْفَلاحَ وَالْفَوْزَ لِمَنْ زَكَّى نَفْسَهُ بِطاعَةِ اللهِ، وَطَهَّرَهَا مِنَ الرَّذائِلِ وَالأَخْلاقِ الدَّنِيئَةِ، كَما قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [سورة الشمس:٩-١٠][6].

فَعَلَى الْمُؤْمِنِ: أَنْ يُجاهِدَ نَفْسَهُ أَشَدَّ الْمُجاهَدَةِ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ مِنْ أَشَدِّ الْأَعْداءِ، فَهِيَ تَدْعُو إِلَى الطُّغْيانِ، وَإِيثارِ الْحَياةِ الدُّنْيا، وَأَمْراضُ الْقَلْبِ إِنَّما تَنْشَأُ مِنْ جانِبِها؛ وَلِهَذا كَانَ

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٣١٧).
(٢) مجموع الفتاوى (١٦/ ١٧٣-١٧٤).
(٣) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٤٧١)، تفسير البغوي (٨/ ٤٠١).
(٤) أخرجه البخاري (٣٢٦٥) واللفظ له، ومسلم (٢٨٤٣).
(٥) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ٢٨٤)، تفسير السعدي (ص٩٢٠).
(٦) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤١٢).

النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعيذُ باللهِ كَثِيرًا مِنْ شَرِّ نَفْسِهِ كَما في خُطْبَةِ الْحاجَةِ وَغَيْرِها، وَكانَ يَقولُ: «اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا»(١).

التَّزْهيدُ في الدُّنْيَا، وَتَرْقيقُ الْقُلوبِ بِذِكْرِ الْآخِرَةِ، إيثَارُهَا عَلَى الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الأعلى:١٦-١٧]: التَّزْهيدُ في الدُّنْيَا، وَتَرْقيقُ الْقُلوبِ بِذِكْرِ الْآخِرَةِ، وَهَذا أَصْلٌ مِنْ أُصولِ الْمَواعِظِ، وَفيهِ إِصْلاحٌ لِأَحْوالِ الْعِبادِ، فَإِنَّ الانْغِماسَ في الدُّنْيَا يُلْهِي عَنْ تَذَكُّرِ الْآخِرَةِ(٢).

اتِّفاقُ الْقُرْآنِ مَعَ بَقِيَّةِ الشَّرائِعِ، واشْتِمالُهُ عَلَى كُلِّ مَا سَبَقَهُ مِنْ كُتُبٍ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الأعلى:١٨-١٩]: أَنَّ ما سَبَقَ ذِكْرُهُ مِنَ الْآيَاتِ مَذْكورٌ فِي الصُّحُفِ الْأُولَى؛ صُحُفِ إِبْراهيمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى اتِّفاقِ الشَّرائِعِ في هَذِهِ العِبادَاتِ الْعَظيمَةِ(٣). وأَنَّ الْقُرْآنَ قَدِ اشْتَمَلَ عَلى كُلِّ مَا سَبَقَهُ مِنْ كُتُبٍ، وَهُوَ سَليمٌ مِنْ أَيِّ تَحْريفٍ، فَالقُرْآنُ مُصَدِّقٌ بِالْكُتُبِ السَّابِقَةِ، وَهُوَ الْمَرْجِعُ الْوَحيدُ لِبَيانِ مَا فيهَا مِنْ حَقٍّ، قالَ تَعالَى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [سورة المائدة:٤٨](٤)، وَقَدْ جاءَ في حَديثِ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الإِنْجِيلِ الْمَثَانِي، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ»(٥).

ومِنْ جُمْلَةِ الْكُتُبِ السَّماوِيَّةِ الْمُنَزَّلَةِ الَّتي يَجِبُ أَنْ نُؤْمِنَ بِها: صُحُفَ إِبْراهيمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، كَما قالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٢).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص٨٤٤).

(٣) ينظر: تفسير الخازن (٤/ ٤١٩).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٧٧).

(٥) أخرجه أحمد في المسند (١٦٩٨٢).

رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [سورة البقرة:٢٨٥][1]:

فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْعَظِيمَةِ أُصولُ الدِّينِ الَّتي جاءَ بِها الرُّسُلُ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾ [سورة الأعلى:١٨-١٩]: أَنَّ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْعَظِيمَةِ أُصولُ الدِّينِ الَّتي جاءَ بِهَا الرُّسُلُ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، وَلِذا أَخْبَرَ اللهُ تَعالَى أَنَّ ما حوَتْهُ قَدْ جاءَتْ بِهِ الكُتُبُ السَّابِقَةُ[2].

❁❁❁

(١) ينظر: معارج القبول (٢/ ٦٧٥).

(٢) ينظر: تفسير الرازي (٢٩/ ٢٧٤).

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

سُورَةُ (الْغَاشِيَةِ): مَكِّيَّةٌ بِلَا خِلَافٍ[1]، وَهِيَ سِتٌّ وَعِشْرُونَ آيَةً.

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمَائِهَا: سُورَةُ (الْغَاشِيَةِ)، وَسُورَةُ (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ)، وَسُورَةُ (هَلْ أَتَاكَ)[2].

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ مِنَ السُّورَةِ:

حَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَقَاصِدِ وَالْمَعَانِي الْعَظِيمَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ[3]:

- ✓ تَهْوِيلُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَا فِيهِ مِنْ عِقَابِ أَهْلِ النَّارِ.
- ✓ ذِكْرُ ثَوَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَا هُمْ فِيهِ مِنْ نَعِيمٍ.
- ✓ تَثْبِيتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَنْ لَا يَعْبَأَ بِإِعْرَاضِ الْمُكَذِّبِينَ وَالْمُعَانِدِينَ.

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝١﴾، (هل): اسْتِفْهَامٌ بِمَعْنَى: قَدْ[4]، (الغاشية): الْقِيَامَةُ الَّتِي تَغْشَى النَّاسَ بِشَدَائِدِها وَأَهْوَالِهَا[5]؛ وَسُمِّيَتْ غَاشِيَةً لِأَنَّهَا إِذَا حَصَلَتْ لَمْ يَجِدِ النَّاسُ مَفَرًّا مِنْ أَهْوَالِهَا، فَكَأَنَّهَا غَاشٍ يَغْشَى عَلَى عُقُولِهِمْ[6]، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [سورة الحج: ١-٢].

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٤٧٢).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٩٣).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٩٣-٢٩٤).

(٤) ينظر: تفسير الرازي (٣٠/ ٧٣٩)، تفسير أبي السعود (٩/ ١٤٨).

(٥) ينظر: تفسير الزمخشري (٤/ ٧٤١)، تفسير القاسمي (٩/ ٤٦٠).

(٦) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٩٤).

وَحِينَهَا يَنْقَسِمُ النَّاسُ إِلَى فَرِيقَيْنِ؛ فذكرَ الفَرِيقَ الْأَوَّل، وَهُوَ:

قَوْلُهُ: ﴿وُجُوهٌ﴾، أَيْ: وُجُوهُ الْكُفَّارِ، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿خَٰشِعَةٌ ۝٢﴾، أي: ذَلِيلَةٌ يَظْهَرُ عَلَيْهَا الْخِزْيُ وَالْهَوَانُ(١).

قَوْلُهُ: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾، أي: مُجْهَدَةٌ بِالْعَمَلِ وَالتَّعَبِ فِي النَّارِ مِنْ جَرِّ السَّلَاسِلِ، وَصُعُودِهِمْ وَهُبُوطِهِمِ الْوِهَادَ وَالْوِدْيَانَ(٢)، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [سورة المدثر:١٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا﴾ [سورة الجن:١٧](٣).

وَمِنَ الْمُفَسِّرِينَ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْعَمَلَ وَالنَّصَبَ كَانَ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَيْسَ فِي الْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [سورة الفرقان:٢٣](٤).

وَالْأَقْرَبُ: أَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّ سِيَاقَ الْآيَاتِ فِي أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ -وَاللهُ أَعْلَمُ-(٥).

قَوْلُهُ: ﴿تَصْلَىٰ﴾، أي: تَدْخُلُ، ﴿نَارًا حَامِيَةً﴾، أَيْ: حَارَّةً شَدِيدَةَ الْحَرَارَةِ(٦).

قَوْلُهُ: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾، أَيْ: مُتَنَاهِيَة فِي الْحَرَارَةِ(٧)؛ لأَنَّ الْآنِي: هُوَ الَّذِي قَدِ انْتَهَى حَرُّهُ، مِنَ الْإِينَاءِ، بِمَعْنَى: التَّأْخِيرِ(٨).

قَوْلُهُ: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ﴾ فِي النَّارِ، ﴿طَعَامٌ﴾: يَأْكُلُونَهُ، ﴿إِلَّا﴾ طَعَامًا ﴿مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الشَّوْكِ لَا تَرْعَاهُ الدَّوَابُّ لِخُبْثِهِ(٩).

(١) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ١٣٨).
(٢) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٠٤)، تفسير النسفي (٣/ ٦٣٣).
(٣) ينظر: أضواء البيان (٨/ ٥١٠).
(٤) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٦).
(٥) ينظر: مجموع الفتاوى (١٦/ ٢١٧)، فتح القدير (٥/ ٥٢١).
(٦) ينظر: تفسير السمرقندي (٣/ ٥٧٤)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٨٥).
(٧) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٥/ ٣١٧)، تفسير البغوي (٨/ ٤٠٨).
(٨) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٩).
(٩) ينظر: تفسير الجلالين (ص٨٠٥).

قَوْلُهُ: ﴿لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ﴾، السِّمَنُ: وَفْرَةُ اللَّحْمِ وَالشَّحْمِ. وَالْإِغْنَاءُ: الْإِكْفَاءُ وَدَفْعُ الْحَاجَةِ[1]. وَمَعْلُوْمٌ أَنَّ فَائِدَةَ الطَّعَامِ أَحَدُ أَمْرَينِ: إِفَادَةُ السِّمَنِ فِيْ الْبَدَنِ، أَوْ إِمَاطَةُ الْجُوعِ، وَهُمَا مَنْفِيَّانِ عَنْ هَذَا الطَّعَامِ الذِيْ هُوَ الضَّرِيْعُ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-[2].

ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى الْفَرِيقَ الثَّانِي، وَهُوَ:

قَوْلُهُ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ﴾، أي: يَوْمَ القِيَامَةِ، ﴿نَّاعِمَةٞ﴾، أي: ذَاتُ نِعْمَةٍ وَبَهْجَةٍ[3]، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [سورة القيامة:٢٢-٢٣]، فَإِنَّهُ بِالنَّظَرِ إِلَى اللهِ تَعَالَى تَحْصُلُ النُّضْرَةُ وَالنَّعِيمُ[4].

قَوْلُهُ: ﴿لِّسَعۡيِهَا﴾، أَيْ: الَّذِي قَدَّمَتْهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، ﴿رَاضِيَةٞ ٩﴾، أي: رَاضِيَةٌ بِالْآخِرَة، فَإِذْ رَأَتْ ثَوَابَ عَمَلِهَا مَوْفُورًا فِي الْآخِرَةِ، فَحَمِدَتْ عُقْبَاهُ، وَحَصَلَ لَهَا كُلُّ مَا تَتَمَنَّاهُ[5].

قَوْلُهُ: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ١٠﴾، أَيْ: عَلِيَّةِ الْمَحَلِّ وَالْمَكَانَةِ[6].

قَوْلُهُ: ﴿لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا﴾، أَيْ: فِي الْجَنَّةِ، ﴿لَٰغِيَةٗ﴾، أي: لَغْوًا أَوْ كَلِمَةً ذَاتَ لَغْوٍ أَوْ نَفْسًا تَلْغُو، فَضْلًا عَنِ الْكَلَامِ الْمُحَرَّمِ[7]، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ﴾ [سورة الطور:٢٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ٢٥ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ٢٦﴾ [سورة الواقعة:٢٥-٢٦][8]، وَاللَّغْوُ هو: الكَلَامُ السَّاقِطُ غَيْرَ الْمَرْضِيِّ، والْكَلَامُ الَّذِيْ لَا فَائِدَةَ لَهُ[9].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٩٧).

(٢) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ١٤١)، تفسير القاسمي (١٥/ ٣٢٦).

(٣) ينظر: فتح القدير (٥/ ٥٢٢).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٥٠٧)، تفسير ابن كثير (٨/ ٢٨١).

(٥) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٣٢)، تفسير السعدي (ص٩٢١).

(٦) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٧)، تفسير القاسمي (٩/ ٤٦١).

(٧) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٧)، تفسير السعدي (ص: ٩٢٢).

(٨) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٨٦)، تفسير السعدي (ص٩٢١).

(٩) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٣٣)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٠٠).

قَوْلُهُ: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾، أَيْ: يَجْرِي مَاؤُهَا، وَلَا يَنْقَطِعُ، وَالتَّنْكِيرُ لِلتَّعْظِيمِ[(١)].

قَوْلُهُ: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾، أَيْ: فِي الْجَنَّةِ أَسِرَّةٌ مُرْتَفِعَةٌ فِي ذَاتِها وبِما عَلَيْهَا مِنَ الْفُرُشِ[(٢)].

قَوْلُهُ: ﴿وَأَكْوَابٌ﴾: جَمْعُ كُوبٍ، وَهِيَ آنِيَةٌ لَا عُرْوَةَ لَها[(٣)]، ﴿مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤﴾ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمُعَدَّةٌ لِلشُّرْبِ[(٤)]، يَطُوفُ بِهَا عَلَيْهِمْ لِخِدْمَتِهِمْ غِلْمَانٌ مُخَلَّدُونَ[(٥)]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩﴾ [سورة الواقعة:١٧-١٩].

قَوْلُهُ: ﴿وَنَمَارِقُ﴾، أَيْ: وَسَائِدُ مِنَ الْحَرِيرِ وَالْإِسْتَبْرَقِ وَغَيْرِهِمَا[(٦)]، ﴿مَصۡفُوفَةٞ ۝١٥﴾، أي: مَرْصُوصَةٌ مُرَتَّبَةٌ بَعْضُها إِلَى بَعْضٍ[(٧)].

قَوْلُهُ: ﴿وَزَرَابِيُّ﴾، أي: بُسُطٌ فَاخِرَةٌ، ﴿مَبۡثُوثَةٌ﴾، أي: كَثِيرَةٌ مَفْرُوشَةٌ[(٨)].

قَوْلُهُ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾، أي: نَظَرَ تَأَمُّلٍ وَاعْتِبَارٍ[(٩)]، ﴿إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ﴾، أَيْ: كَيْفَ خَلَقَهَا اللهُ تَعَالَى خَلْقًا دَالًّا عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ وَحُسْنِ تَدْبِيرِهِ[(١٠)].

قَوْلُهُ: ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ﴾، أَيْ: كَيْفَ رَفَعَهَا اللهُ تَعَالَى هَذَا الرَّفْعَ الْعَظِيمَ بِلَا عَمَدٍ[(١١)]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٨).
(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٨٦)، تفسير السعدي (ص٩٢١).
(٣) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٠٩)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٨).
(٤) ينظر: تفسير الكشاف (٤/ ٧٤٤)، تفسير النسفي (٣/ ٦٣٥).
(٥) ينظر: تفسير السعدي (ص٩٢١).
(٦) ينظر: تفسيرالسعدي (ص٩٢١).
(٧) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٣٤).
(٨) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٣٣٧)، تفسير الماوردي (٦/ ٢٦١)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٨).
(٩) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٨)، تفسير الجلالين (ص٨٠٥).
(١٠) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٨).
(١١) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٣٦)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٨٧).

عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [سورة الرعد: ٢].

قَوْلُهُ: ﴿وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ﴾: عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ نَصْبًا ثَابِتًا رَاسِخًا؛ لِئَلَّا تَمِيدَ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا[1]، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ﴾ [سورة الأنبياء: ٣١].

قَوْلُهُ: ﴿وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾، أي: بُسِطَتْ حَتّى صَارَتْ مِهَادًا[2]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا﴾ [سورة النبأ: ٦]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ﴾ [سورة الذاريات: ٤٨].

قَوْلُهُ: ﴿فَذَكِّرۡ﴾، أَيْ: عِظِ النَّاسَ وَخَوِّفْهُمْ، وَبَشِّرْهُمْ وَأَنْذِرْهُمْ[3]، ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ﴾، أَيْ: هَذِهِ مُهِمَّتُكَ: وَاعِظٌ وَمُنْذِرٌ[4]، وَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ [سورة الشورى: ٤٨][5]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [سورة ق: ٤٥]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ﴾ [سورة الرعد: ٧].

قَوْلُهُ: ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾، أَيْ: بِمُتَسَلِّطٍ تجبرُهُمْ وَتُكْرِهُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ﴾ [سورة ق: ٤٥][6]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة يونس: ٩٩].

قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا﴾: اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ عَمَّا قَبْلَهُ، وَمَعْنَاهُ: لَكِنْ، ﴿مَن تَوَلَّىٰ﴾ أَعْرَضَ عَنِ الْوَعْظِ وَالتَّذْكِيرِ، ﴿وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾﴾ بِاللهِ تَعَالَى[1].

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤١٠)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٨٧)، تفسير الخازن (٤/ ٤٢٢).

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٨).

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٣٧)، تفسير السعدي (ص٩٢٢).

(٤) ينظر: تفسير الماوردي (٦/ ٢٦٢)، تفسير القرطبي (٢٠/ ٣٧).

(٥) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٨).

(٦) ينظر: تفسير أبي السعود (٩/ ١٥١)، تفسير القاسمي (٩/ ٤٦٣).

قَوْلُهُ: ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾، وَهُوَ أَنْ يُدْخِلَهُ النَّارَ[٢]؛ وَإِنَّمَا قَالَ: (الْأَكْبَرَ) لِأَنَّهُ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَدِيدٌ، وَكُلُّ عَذَابٍ نَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ دُونَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [سورة السجدة:٢١].

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾، أَيْ: رُجُوعَهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ[٣]، وَالْجُمْلَةُ تَعْلِيلٌ لِتَعْذِيبِهِ تَعَالَى لَهُمْ بِالْعَذَابِ الْأَكْبَرِ[٤].

قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾، أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَنُجَازِيهُمْ بِالْعَذَابِ الْأَكْبَرِ، فَإِنَّ الْقَهْرَ وَالْغَلَبَةَ لَهُ تَعَالَى وَحْدَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ[٥].

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

تَقْرِيرُ عَقِيدَةِ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾: تَقْرِيرُ عَقِيدَةِ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ، وَأَنَّ الْقِيَامَةَ يَوْمٌ رَهِيبٌ، يَغْشَى النَّاسَ فِيهِ غَاشِيَةٌ شَدِيدَةٌ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالْمَخَاوِفِ.

وَصْفُ وُجُوهِ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢﴾: أَنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَلِيلَةً بِالْعَذَابِ، خَاضِعَةً لِلْعِقَابِ، وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُهَا فِي الدُّنْيَا يَعْمَلُونَ وَيُتْعِبُونَ أَنْفُسَهُمْ[٦].

وَصْفُ بَعْضِ طَعَامِ أَهْلِ النَّارِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ [سورة الغاشية:٦]: ذِكْرُ أَنَّ طَعَامَ أَهْلِ النَّارِ هُوَ الضَّرِيعُ، وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [سورة الحاقة:٣٦]، وَالضَّرِيعُ غَيْرُ الغِسْلِينِ، وَلَا تَعَارُضَ. قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فَإِنَّ النَّارَ دَرَكَاتٌ وَالْجَنَّةَ

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤١١).

(٢) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤١١).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤١١)، تفسير القرطبي (٢٠/ ٣٨).

(٤) ينظر: تفسير أبي السعود (٩/ ١٥٢).

(٥) ينظر: تفسير القاسمي (٩/ ٤٦٣).

(٦) ينظر: زاد المسير (٤/ ٤٣٥)، تفسير الكشاف (٧/ ٧٤٣).

دَرَجَاتٌ، وَعَلَى قَدْرِ الذُّنُوبِ وَالْحَسَنَاتِ تَقَعُ الْعُقُوبَاتُ وَالْمَثُوبَاتُ، فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ مَنْ طَعَامُهُ الزَّقُّومُ، وَمِنْهُمْ مَنْ طَعَامُهُ غِسْلِينٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ شَرَابُهُ الْحَمِيمُ، وَمِنْهُمْ مَنْ شَرَابُهُ الصَّدِيدُ"(١)، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [سورة الحجر: ٤٤](٢).

مَا يُفِيْدُهُ وَصْفُ أَحْوَالِ أَهْلِ النَّارِ:

فِيْ وَصْفِ أَحْوَالِ النَّارِ عَلَىْ النَّحْوِ الْمَذْكُوْرِ مَا يَسْتَدْعِيْ الْفِرَارَ مِنْهُ، وَإِبْعَادَ النَّفْسِ عَنْ مُوْجِبَاتِ هَذَا الْعَذَابِ، مِنَ الْعَقِيْدَةِ الْفَاسِدَةِ، وَالْعَمَلِ الْخَاسِرِ، وَلَا عَقِيْدَة صَحِيْحَة إِلَّا بِتَوْحِيْدِ اللهِ وَالْإِيْمَانِ بِالْقُرْآنِ وَالرَّسُوْلِ محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا عَمَل مَقْبُوْل إِلَّا عَلَىْ وِفْقِ مَا جَاءَ بِهِ الْإِسْلَامُ(٣).

عَاقِبَةُ السَّعْيِ وَالاجْتِهَادِ فِي الدُّنْيَا رِضَاءُ اللهِ وَالْفَوْزُ بِجَنَّتِه:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾: أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الدُّنْيَا قَدِ اجْتَهَدُوْا وَجَدُّوْا فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى، وَقُوَّةِ الاسْتِجَابَةِ إِلَيْهِ، وَالْمُبَادَرَةِ إِلى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ، فَهِيَ تَسْعَى فِي الدُّنْيَا لِمَا يُرْضِي اللهَ تَعَالَى، وَتتْرُكُ مَا عَدَاهُ، كَمَا قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الجمعة: ٩].

بيان بَعْضِ مَا أَعَدَّهُ اللهُ تَعَالَى لِأهل الْجَنَّة:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الغاشية: ١٥-١٦]: بَيَانُ عِظَمِ مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمِنْ أَنْوَاعِ نَعِيمِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ: أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ مَرْفُوعَةً عَالِيَةَ الْقَدْرِ، وَلَا يَسْمَعُونَ فِيهَا كَلِمَةَ لَغْوٍ وَلَا بَاطِلٍ، وَلَهُمْ فِيهَا الْعُيُونُ

(١) تأويل مشكل القرآن (ص٤٨).

(٢) ينظر: زاد المسير (٤/ ٤٣٥)، تفسير الكشاف (٧/ ٧٤٣).

(٣) ينظر: زاد المسير (٤/ ٤٣٥)، تفسير الكشاف (٧/ ٧٤٣).

الْجَارِيَةُ، وَالسُّرُرُ الْعَالِيَةُ النَّاعِمَةُ كَثِيرَةُ الْفُرُشِ، وأَوَانِي الشُّرْبِ مُعَدَّةٌ لِمَنْ أَرَادَهَا مِنَ الشَّارِبِينَ، وَفِيهَا الْوَسَائِدُ الْمُصْفُوفَةُ بَعْضُهَا إِلَى جَانِبِ بَعْضٍ، وَفِيهَا الْبُسُطُ الْفَاخِرَةُ الْكَثِيرَةُ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أَعَدَّهُ اللهُ تَعَالَى لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، وَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٧﴾ [سورة السجدة:١٧]»(١).

الدَّعْوَةُ إِلَى التَّأَمُّلِ فِي خَلْقِ الْإِبِلِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [سورة الغاشية:١٧]: ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى شَيْئًا مِنْ مَنَافِعِهَا الْعَظِيمَةِ مَعَ غَيْرِهَا فِي مَعْرِضِ امْتِنَانِهِ تَعَالَى عَلَى النَّاسِ بِهَا، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [سورة النحل:٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [سورة النحل:٦]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة النحل:٧](٢).

بَعْضُ فَوَائِدِ التَّفَكُّرِ فِي مَخْلُوقَاتِ الله:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ١٧ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ٢٠﴾ [سورة الغاشية:١٧-٢٠]: دَعْوَةٌ لِلنَّظَرِ وَالتَّأَمُّلِ فِي حَالِ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ، **وَفِي ذَلِكَ عِدَّةُ فَوَائِدَ، مِنْهَا:**

- أَنَّ التَّفَكُّرَ وَالتَّأَمُّلَ فِي هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْعَظِيمَةِ يَصِلُ بِالْمُؤْمِنِ إِلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤) واللفظ له، ومسلم (٢٨٢٤).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص٩٢٢).

• أَنَّ فِيه تَنْبِيهًا لِلْكُفَّارِ بِأَنَّ مَنْ خَلَقَ هَذِهَ الْمَخْلُوقَاتِ الْعَظِيمَةِ هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَدَيْهِ الْقُدْرَةُ التَّامَّةُ عَلَى الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ. قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: "وَالْمَعْنَى: أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى أَنْوَاعِ الْمَخْلُوقَاتِ مِنَ الْبَسَائِطِ وَالْمُرَكَّبَاتِ؟ لِيَتَحَقَّقُوا قُدْرَةَ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَلَا يُنْكِرُوا اقْتِدَارَهُ عَلَى الْبَعْثِ"[1].

أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِالتَّذْكِيرِ، دُونَ الْالْتِفَاتِ إِلَى النَّتِيْجَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ٢١﴾: ذَكَرَ اللهُ الذِّكْرَ وَالتَّذْكِيرَ، وَأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِهِ، وَوَاجِبٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ دُونَ الِالْتِفَاتِ إِلَى قَبُولِ النَّاسِ أَوْ رَفْضِهِمْ، فَإِنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ مَنْ لَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ أَحَدٌ، وَمِنْهُمْ مَنِ اسْتَجَابَ لَهُ وَاحِدٌ أَوِ اثْنَانِ، كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ»[2].

أَنَّ مُهِمَّةَ الْأَنْبِيَاءِ وَالدُّعَاةِ هِيَ تَبْلِيغُ الرِّسَالَةِ لِلنَّاسِ وَلَيْسَ إِجْبَارَهُمْ عَلَى الْهِدَايَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ٢٢﴾: أَنَّ مُهِمَّةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي كُلِّفَ بِهَا هِيَ مُهِمَّةُ تَبْلِيغِ النَّاسِ الرِّسَالَةَ وَدَعْوَتِهِمْ، وَأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِهِمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَهِيَ مَا يُعْرَفُ بِهِدَايَةِ الدَّلَالَةِ وَالْإِرْشَادِ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ هُدَاهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [سورة البقرة:٢٧٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [سورة القصص:٥٦][3].

---

(١) تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٠٥) واللفظ له، ومسلم (٢٢٠).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤١٢).

وَهَذِهِ أَيْضًا هِيَ: وَظِيفَةُ الْمُذَكِّرِ وَالدَّاعِيَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَالْآمِرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِي عَنِ الْمُنْكَرِ؛ فَهُوَ لَيْسَ بِمُسَلَّطٍ عَلَى النَّاسِ، يُجْبِرُهُمْ وَيُلْزِمُهُمْ بِالْهِدَايَةِ، وَكَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس:٩٩][(١)].

جَزَاءُ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الذِّكْرَى:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ [سورة الغاشية:٢٤]: بَيَانُ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ لِمَنْ تَوَلَّى وَأَعْرَضَ عَنِ الْوَعْظِ وَالتَّذْكِيرِ، وَكَفَرَ بِاللهِ تَعَالَى.

مَصِيرُ الْعِبَادِ وَمَرْجِعُهُمْ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الغاشية:٢٥-٢٦]: أَنَّ مَصِيرَ الْعِبَادِ وَمَرْجِعَهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى الَّذِي سَيُحَاسِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَيُجَازِيهُمْ عَلَيْهَا، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [سورة الزلزلة:٨][(٢)].

❀❀❀

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٩٨).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٨٩).

سُورَةُ الفَجْرِ

سُورَةُ الْفَجْرِ سورةٌ مَكِّيَّةٌ[1]، وَآيُهَا ثَلاثُون آيَةً.

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

حَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَقَاصِدِ وَالْمَعَانِي الْعَظِيمَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ[2]:

- ✓ تَسْلِيَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِضَرْبِ الْمَثَلِ لِمُشْرِكِي أَهْلِ مَكَّةَ فِي إِعْرَاضِهِمْ عَنْ قَبُولِ رِسَالَةِ رَبِّهِمْ بِمِثْلِ عَادٍ وَثَمودَ وَقَوْمِ فِرْعَوْنَ.
- ✓ إِبْطَالُ غُرُورِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَنَّ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ عَلَامَةٌ عَلَى أَنَّ اللهَ أَكْرَمَهُمْ، وَأَنَّ مَا فِيهِ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْخَصَاصَةِ عَلَامَةٌ عَلَى أَنَّ اللهَ أَهَانَهُمْ.
- ✓ حُصولُ النَّدَمِ يَوْمَ الْقِيامَةِ لِمَنْ لَمْ يُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْأَعْمالِ مَا يَنْتَفِعونَ بِهِ.

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾، أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِالْفَجْرِ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ النَّهَارِ[3].

قَوْلُهُ: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾، أَيْ: عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ[4]. **وَالْمُرَادُ بِالْعَشْرِ**: الْأَيَّامُ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ جُمْهورُ الْمُفَسِّرِينَ مِنَ السَّلَفِ وَغَيْرِهِمْ[5]، بِدَلِيلِ: حَديثُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْعَشْرَ عَشْرُ الْأَضْحَى، وَالْوِتْرَ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّفْعَ يَوْمُ النَّحْرِ»[6].

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٤٧٦)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣١١).

(٢) ينظر: مصاعد النظر بالإشراف على مقاصد السور (٣/ ١٩٠)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣١١-٣١٢).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٣٤٤)، أحكام القرآن لابن عربي (٤/ ٣٨٥).

(٤) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤١٢).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٩٠-٣٩١).

(٦) أخرجه أحمد (١٤٥١١)، والنسائي في الكبرى (١١٦٠٨)، والحاكم في المستدرك (٧٥١٧) وقال: "صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه".

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلشَّفۡعِ﴾، أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِكُلِّ مَا هُوَ زَوْجِيُّ الْعَدَدِ، كَيَوْمِ النَّحْرِ الَّذِي هُوَ الْيَوْمُ العَاشِرُ[1]، ﴿وَٱلۡوَتۡرِ﴾، أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِكُلِّ مَا هُوَ فَرْدِيُّ الْعَدَدِ كَيَوْمِ عَرَفَةَ الَّذِي هُوَ الْيَوْمُ التَّاسِعُ[2].

وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: ﴿وَٱلۡوَتۡرِ﴾: هُوَ اللهُ تَعَالَى؛ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ»[3]، ﴿وَٱلشَّفۡعِ﴾: الْمَخْلُوقَاتُ كُلُّهَا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الذاريات:٤٩][4].

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾، أَيْ: إِذَا يَمْضِي[5]، كَقَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ [سورة المدثر:٣٣]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ [سورة التكوير:١٧][6].

قَوْلُهُ: ﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ﴾، اِسْمُ الْإِشَارَةِ يَعُودُ إِلَى تِلْكَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِهَا، وَالْمَعْنَى: أَلَيْسَ فِيهَا مَقْنَعٌ وَمُكْتَفًى[7]، ﴿قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ﴾، أَيْ: لِصَاحِبِ عَقْلٍ؛ وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَحْجُرُ صَاحِبَهُ، وَيَمْنَعُهُ عَنِ ارْتِكَابِ مَا لَا يَنْبَغِي، كَمَا سُمِّيَ عَقْلًا لِأَنَّهُ يَعْقِلُ صَاحِبَهُ عَنِ ارْتِكَابِ السَّيِّئَاتِ[8].

وَالْمُقْسَمُ عَلَيْهِ: مَحْذُوفٌ وَتَقْدِيرُهُ: لَتُعَذَّبُنَّ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦﴾، وَالتَّقْدِيرُ: وَحَقِّ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ لَتُعَذَّبُنَّ -أَيُّهَا الكَافِرُونَ- كَمَا عُذِّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، مِثْلَ عَادٍ وَثَمُودَ وَفِرْعَوْنَ[9].

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٩)، تفسير النسفي (٣/ ٦٣٧).
(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٩١).
(٣) أخرجه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧).
(٤) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤١٦)، بصائر ذوي التمييز (٣/ ٣٢٨).
(٥) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٢٥).
(٦) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٩)، تفسير أبي السعود (٩/ ١٥٣).
(٧) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٣٥٨)، تفسير البغوي (٨/ ٤١٧).
(٨) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤١٧)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٩٤).
(٩) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٩)، تفسير النسفي (٣/ ٦٣٨)، التفسير الوسيط لطنطاوي (١٥/ ٣٨٥).

قَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، أَيْ: أَلَمْ تَعْلَمْ يا مُحَمَّدُ[1]، ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦﴾، وَهُمْ قَوْمُ نَبِيِّ اللهِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ سُمُّوْا بِاسْمِ أَبِيْهِمْ كَمَا سُمِّيَ بَنُوْ هَاشِمٍ بِاسْمِهِ[2].

قَوْلُهُ: ﴿إِرَمَ﴾[3]، هِيَ قَبِيلَةُ عَادٍ؛ سُمِّيَتْ بِاسْمِ أَحَدِ أَجْدَادِهَا[4]، وَقِيلَ: إِنَّهُ اسْمُ بَلْدَةِ عَادٍ[5]، ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧﴾، أَيْ: صَاحِبَةِ الْخِيامِ الَّتِي تُرْفَعُ بِالْأَعْمِدَةِ الشِّدَادِ[6].

قَوْلُهُ: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾، الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: (مِثْلِهَا) يَعُوْدُ عَلَى عَادٍ، أَيْ: لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُ عَادٍ فِي قُوَّتِهِمْ، وَطُولِ أَجْسَامِهِمْ[7].

قَوْلُهُ: ﴿وَثَمُودَ﴾، وَهُمْ قَوْمُ نَبِيِّ اللهِ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ﴾، أَيْ: قَطَعُوا الصَّخْرَ -جَمْعُ صَخْرَةٍ- وَاتَّخَذُوهَا بُيُوتًا[8]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [سورة الشعراء:١٤٩][9]، ﴿بِالْوَادِ ۝٩﴾، هُوَ وَادِيْ الْقُرَى شَمَالَ غَرْبِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ[10].

قَوْلُهُ: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾، أَيْ: صَاحِبَ الْأَوْتَادِ، والأَوْتَادُ: جَمْعُ وَتَدٍ، وَهُوَ الْحَبْلُ، أَيْ: صَاحِبَ الْحِبَالِ الَّتِي يُعَذِّبُ بِهَا النَّاسَ، وَيُعَلِّقُهُمْ بِهَا وَيَشُدُّهُمْ عَلَيْهَا إِلَى أَنْ يَمُوتُوا، وَقِيلَ: الْأَوْتادِ: جُنُودُهُ الَّتِي تُعَضِّدُهُ وَتَشُدُّ مُلْكَهُ[11]، وَالْمَعْنَى الْأَوَّلُ أَظْهَرُ.

قَوْلُهُ: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝١١﴾، أَيْ: الذِيْنَ تَجَاوَزُوْا الْحَدَّ فِي الظُّلْمِ وَالْفَسَادِ فِيْ الْبِلَادِ[1].

---

(١) ينظر: تفسير الجلالين (ص٨٠٦)، تفسير القاسمي (٩/ ٤٦٦).
(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٩)، تفسير النسفي (٩/ ١٥٤).
(٣) مُنِعَ صَرْفُهُ لِلْعَلَمِيَّةِ والتَّأْنِيثِ. ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٤٤)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣٠٩).
(٤) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٤٥).
(٥) ينظر: زاد المسير (٤/ ٤٤٠).
(٦) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٣٦٦)، تفسير الرازي (٣١/ ١٥١).
(٧) ينظر: الوجيز للواحدي (ص١٢٠٠)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٩٥).
(٨) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٤٧).
(٩) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٣٦٨)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٩٦).
(١٠) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٤٨)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣١٠).
(١١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٣٧٠، ٣٧٢)، تفسير القرطبي (٢٠/ ٤٨).

قَوْلُهُ: ﴿فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ﴾، أَيْ: بِالْكُفْرِ وَالظُّلْمِ وَسَائِرِ الْمَعَاصِي[٢].

قَوْلُهُ: ﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ﴾، أَيْ: أَنْزَلَ وَأَفْرَغَ عَلَيْهِمْ، ﴿سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣﴾، أَيْ: نَصِيبًا مِنَ الْعَذَابِ، هُوَ غَايَةُ الْعَذَابِ وَشِدَّتِه[٣].

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾، أَيْ: يَرْقُبُ الْعَاصِينَ، وَيرْصُدُ أَعْمَالَهُمْ، وَلَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ مِنْهَا، وَيُمْهِلُهُمْ ثُمَّ يَأْخُذُهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ[٤].

قَوْلُهُ: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾، أَيْ: فَإِنَّ مِنْ طَبْعِهِ وَسَجِيَّتِهِ أَنَّهُ إِذَا اخْتَبَرَهُ رَبُّهُ بِالْغِنَى وَالْيُسْرِ، ﴿فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾، أَيْ: بِالْجَاهِ وَالْمَالِ وَالصِّحَةِ، ﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ﴾، أَيْ: فَضَّلَنِيْ بِمَا أَعْطَانِي[٥].

قَوْلُهُ: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾، أَيْ: فَضيَّقَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، ﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾، فَهُوَ يَرَى أَنَّ الْهَوَانَ فِي قِلَّةِ حَظِّهِ مِنَ الدُّنْيَا، وَهَذِهِ صِفَةُ الْكَافِرِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَالْكَرامَةُ عِنْدَهُ أَنْ يُكْرِمَهُ اللهُ بِطَاعَتِهِ، وَالْهَوانُ أَنْ يُهِينَهُ بِمَعْصِيَتِهِ[٦].

قَوْلُهُ: ﴿كَلَّاۖ﴾: كَلِمَةُ رَدْعٍ لِلْإِنسانِ عَنْ تِلْكَ الْمَقالَةِ[٧]، أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُكْرِمُ مَنْ أَكْرَمَ بِكَثْرَةِ الرِّزْقِ، وَلَا يُهِينُ مَنْ أَهَانَ بِتَضْيِيقِهِ، وَإِنَّمَا الْإِكْرامُ بِطَاعَةِ اللهِ، وَالْإِهَانَةُ بِمَعْصِيَتِهِ[٨].

ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى بَعْضَ أَفْعالِ الْكُفَّارِ، وَهِيَ:

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٤٩).
(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣١٠)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٩٧).
(٣) ينظر: تفسير القرطبي (٨/ ٤٢٠)، فتح القدير (٥/ ٥٣١).
(٤) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٥٠)، تفسير السعدي (ص٩٢٣).
(٥) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٤٨٣)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣١٠).
(٦) ينظر: الوجيز للواحدي (ص١٢٠٠)، تفسير البغوي (٨/ ٤٢١).
(٧) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ١٥٧).
(٨) ينظر: التفسير الميسر (ص٥٩٣).

قَوْلُهُ: ﴿بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ١٧﴾، أَيْ: بَلْ هُناكَ شَرٌّ مِن هَذِهِ الْمَقَالَةِ، وَهُوَ أَنَّكُمْ لَا تُحْسِنُونَ إِلَى الْيَتِيمِ، وَلا تُعْطونَهُ حَقَّهُ مع غِناكُمْ[1].

قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ﴾، أَيْ: وَلَا يَحُثُّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ١٨﴾[2].

قَوْلُهُ: ﴿وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾، أَيْ: الْمِيراثَ، ﴿أَكۡلٗا لَّمّٗا﴾، أَيْ: شَدِيدًا بِنَهَمٍ وَشَرَهٍ، فَلا تَسْأَلونَ عَنْهُ أَحَلالٌ هُوَ أَمْ حَرامٌ[3].

قَوْلُهُ: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا﴾، أَيْ: كَثِيرًا عَظِيمًا[4].

قَوْلُهُ: ﴿كَلَّآ﴾: رَدْعٌ لَهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَإِنْكارٌ لِفِعْلِهِمْ، أَيْ: لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حالُكُم كَمَا ذُكِرَ، ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾، أَيْ: حُرِّكَتْ حَرَكَةً شَديدَةً، وَزُلْزِلَتْ زِلْزَالًا قَوِيًّا[5]، حَتَّى تَهَدَّمَ كُلُّ بِناءٍ عَلَيْها[6]، وَسُوِّيَتْ وَبُسِطَتْ[7]، كَمَا قالَ اللهُ تَعالَى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [سورة الحاقة:١٤]، وَقالَ تَعالَى: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا﴾ [سورة المزمل:١٤]. ﴿دَكّٗا دَكّٗا﴾، أَيْ: حَصَلَ ذَلِكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ[8]، بِحَيْثُ لَا يَبْقَى مِنَ الْأَرْضِ شَيْءٌ إِلَّا دُكَّ حَتَّى صارَتْ هَباءً مَنْثُورًا[9].

(١) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٢١).
(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٩٩).
(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٣٧٩-٣٨١)، تفسير البغوي (٨/ ٤٢٢).
(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٩٨).
(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٣٨٣).
(٦) ينظر: تفسير الجلالين (ص٨٠٧).
(٧) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٤٨٠)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٩٩).
(٨) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٥٤).
(٩) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣١١)، تفسير الألوسي (١٥/ ٣٤٢).

قَوْلُهُ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ لِلفَصْلِ بَيْنَ العِبادِ[1]، ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾، أَيْ: المَلائِكَةُ، ﴿صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾، أَيْ: صُفوفًا كَثِيرَةً، لَا يَتَكَلَّمُونَ في هَذا الْمَوْقِفِ الْعَظيمِ؛ إِجْلالًا للهِ تعَالَى وَخوفًا مِنْهُ وَخُضوعًا لَهُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ اللهُ تعَالَى، كَمَا قالَ اللهُ تعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [سورة النبأ:٣٨].

قَوْلُهُ: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾، كَمَا في حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَها»[2][3].

﴿يَوْمَئِذٍ﴾، أَيْ: يَوْمَ يُجاءُ بِجَهَنَّمَ، ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾، أَيْ: يَتَذَكَّرُ مَعاصِيَهُ فَيَنْدَمُ عَلَيْها، وَلَا يَنْفَعُهُ النَّدَمُ[4]، بِدَلِيلِ: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ اِسْتِفْهامٌ بِمَعْنى النَّفْيِ، أَيْ: لَا يَنْفَعُهُ تَذَكُّرُهُ ذَلِكَ[5]؛ لِأَنَّ هَذا التَّذَكُّرَ فاتَ أَوانُهُ وَذَهَبَ زَمانُهُ[6]، وَهَذَا الْيَوْمُ هُوَ يَوْمُ الْجَزاءِ وَالْحِسَابِ عَلَى الْأَعْمالِ، وَلَيْسَ يَوْمَ التَّذَكُّرِ وَالتَّوْبَةِ وَالنَّدَمِ.

قَوْلُهُ: ﴿يَقُولُ﴾ مَعَ تَذَكُّرِهِ نادِمًا مُتَحَسِّرًا عَلَى تَفْرِيطِهِ فِي طَاعَةِ اللهِ، ﴿يَٰلَيْتَنِي﴾ لِلتَّنْبِيهِ، ﴿قَدَّمْتُ﴾ في الدُّنْيا أَعْمالًا صالِحَةً، ﴿لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾﴾ الباقِيَةِ فِي الْآخِرَةِ[7].

قَوْلُهُ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾، أَيْ: في يَوْمِ الْقِيامَةِ، ﴿لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾﴾، أَيْ: لَا يُعَذِّبُ أَحَدٌ كَتَعْذِيبِ اللهِ[8].

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٩٩)، تفسير القاسمي (٩/ ٤٧١-٤٧٢).
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٢).
(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٣٨٩)، تفسير البغوي (٨/ ٤٢٢).
(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣١١).
(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٠٠)، تفسير الجلالين (ص٨٠٧).
(٦) ينظر: تفسير السعدي (ص٩٢٤).
(٧) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٣٩٠)، تفسير النسفي (٣/ ٦٤٢)، تفسير السعدي (ص٩٢٤)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٣٩).
(٨) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٠٠).

قَوْلُهُ: ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾، أَيْ: وَلَا يُقَيِّدُ بالسَّلاسِلِ وَالْأَغْلالِ لِلْعَذَابِ أَحَدٌ كَتَقْيِيدِ اللهِ تَعَالَى(١).

قَوْلُهُ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾، أَيْ: الْمُطْمَئِنَّة بِالْإِيمَانِ، الْمُصَدِّقَةُ بِالْبَعْثِ وَالثَّوَابِ(٢).

قَوْلُهُ: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾، أَيْ: إِلى جِوارِ اللهِ وَجَنَّتِهِ وَنَعيمِهِ الَّذِي أَعْلاهُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ(٣)، ﴿رَاضِيَةً﴾ بِمَا آتاهَا اللهُ تَعَالَى، ﴿مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى(٤).

قَوْلُهُ: ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾، أَيْ: فِي جُمْلَةِ عِبادِي الصَّالِحِينَ(٥).

قَوْلُهُ: ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾، وَالَّتِي أَعْدَدْتُها لَهُمْ، وَفِي إِضافَتِهَا إِلَيْهِ تَعَالَى تَشْرِيفٌ وَتَعْظِيمٌ لَهَا(٦).

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

فَضْلُ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾: بَيَانُ فَضْلِ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ، وَذَلِكَ مِنْ وُجُوهٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَقْسَمَ بِها فَقَالَ: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾، وَلَا يُقْسِمُ تَعَالَى إِلَّا بِعَظِيمٍ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ لَا يُقْسِمُ إِلَّا بِأَعْظَمِ الْمَخْلوقَاتِ، كَالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَا يُقْسِمُ إِلَّا بِأَعْظَمِ الْأَزْمانِ كَالْفَجْرِ وَالْعَصْرِ، وَلَا يُقْسِمُ إِلَّا بأَعْظَمِ الْأَمْكِنَةِ، كَالْقَسَمِ بِمَكَّةَ، وَلَهُ أَنْ يُقْسِمَ مِنْ خَلْقِهِ بِما يَشَاءُ، وَلا يَجوزُ لِخَلْقِهِ أَنْ يُقْسِمُوا إِلَّا بِهِ، فَالْقَسَمُ بِهَا يَدُلُّ عَلَى عَظَمَتِهَا، وَرِفْعَةِ مَكَانَتِها، وَتَعْظِيمِ اللهِ لَهَا.

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٥٦).
(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٣٩٨).
(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٠٠).
(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣١١)، تفسير النسفي (٣/ ٦٤٢).
(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٣٩٧)، تفسير البغوي (٨/ ٤٢٤).
(٦) ينظر: تفسير العثيمين – جزء عم (ص٢٠٨).

الثاني: أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَرَنَهَا بِأَفْضَلِ الْأَوْقَاتِ، وَالْقَرِيْنُ بِالْمُقَارَنِ يَقْتَدِيْ، فَقَدْ قَرَنَهَا بِالْفَجْرِ وَبِالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَبِاللَّيْلِ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ: مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامِ الْعَشْرِ أَفْضَلَ مِنَ الْعَمَلِ فِي هَذِهِ، قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ؟ قَالَ: وَلَا الْجِهَادُ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ»[(١)]، وَفِي رِوَايَةٍ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ -يَعْنِي: أَيَّامَ الْعَشْرِ-، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ»[(٢)]، وَفِي رِوَايَةٍ: «مَا مِنْ عَمَلٍ أَزْكَى عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ خَيْرٍ يَعْمَلُهُ فِي عَشْرِ الْأَضْحَى...»[(٣)].

فَكُلُّ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ تَدُلُّ عَلَى فَضِيلَةِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِي عَشْرِ الْحِجَّةِ الَّتِي أَقْسَمَ اللهُ بِهَا[(٤)].

تَوْجِيهُ كَثْرَةِ الْإِقْسَامِ بِاللَّيْلِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ [سورة الفجر:٤]: أَقْسَمَ اللهُ بِاللَّيْلِ كَثِيرًا؛ لِعِدَّةِ أُمُورٍ، مِنْهَا:

الأول: أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِتْيَانِ بِهِ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ﴾ [سورة القصص:٧١].

الثاني: أَنَّهُ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ أَحْكَامٌ شَرْعِيَّةٌ؛ مِثْلُ: إِمْسَاكِ الصَّائِمِ، وَدُخُولِ وَقْتِ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَهُمَا حُكْمَانِ شَرْعِيَّانِ عَظِيمَانِ، وَدُخُولُ وَقْتِ الصَّلَاةِ أَهَمُّ، أَيْ: أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٩٦٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٤٣٨).

(٣) أخرجه الدارمي (١٨١٥).

(٤) ينظر: لطائف المعارف (ص٢٦٦-٢٦٧).

نُرَاعِي الْفَجْرَ مِنْ أَجْلِ دُخُولِ وَقْتِ الصَّلَاةِ أَكْثَرَ مِمَّا نُرَاعِيهِ مِنْ أَجْلِ الْإِمْسَاكِ فِي حَالَةِ الصَّوْمِ؛ لِأَنَّنَا فِي الْإِمْسَاكِ عَنِ الْمُفْطِرَاتِ فِي الصِّيَامِ لَوْ فَرَضْنَا أَنَّنَا أَخْطَأْنَا فَإِنَّنَا بَنَيْنَا عَلَى أَصْلٍ وَهُوَ بَقَاءُ اللَّيْلِ، لَكِنْ فِي الصَّلَاةِ لَوْ أَخْطَأْنَا وَصَلَّيْنَا قَبْلَ الْفَجْرِ لَمْ نَكُنْ بَنَيْنَا عَلَى أَصْلٍ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ بَقَاءُ اللَّيْلِ وَعَدَمُ دُخُولِ وَقْتِ الصَّلَاةِ؛ وَلِهَذَا لَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ صَلَّى الْفَجْرَ قَبْلَ دُخُولِ وَقْتِ الصَّلَاةِ بِدَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ فَصَلَاتُهُ نَفْلٌ، وَلَا تَبْرَأُ بِهَا ذِمَّتُهُ.

الثالث: لِمَا فِي اللَّيْلِ مِنَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ وَالْأَوْقَاتِ الْفَاضِلَةِ، إِذْ هُوَ أَفْضَلُ وَقْتٍ لِصَلَاةِ النَّافِلَةِ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى الْإِخْلَاصِ؛ لِأَنَّهُ زَمَنُ خُلْوَةٍ وَانْفِرَادٍ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى مُرَاقَبَةِ الرَّبِّ تَعَالَى، إِذْ لَا يَرَاهُ وَلَا يَسْمَعُهُ وَلَا يَعْلَمُ بِحَالِهِ إِلَّا اللهُ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى إِجَابَةِ الدُّعَاءِ وَإِلَى إِعْطَاءِ السُّؤَالِ وَمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ، إِذْ يَقُولُ الرَّبُّ فِي آخِرِهِ: «هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟»[1].

اتِّعَاظُ أَصْحَابِ الْعُقُولِ بِالْآيَاتِ وَالدَّلَائِلِ الرَّبَّانِيَّةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾ [سورة الفجر:٥]: دِلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى أَنَّ أَصْحَابَ الْعُقُولِ النَّيِّرَةِ وَالْفِطَرِ السَّلِيمَةِ يَقْتَنِعُونَ وَيَكْتَفُونَ بِمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَا يَعْدِلُونَ عَنْهُمَا، وَأَنَّ صَاحِبَ الْعَقْلِ السَّلِيمِ يَفْهَمُ كَلَامَ اللهِ وَيَعْلَمُ مُرَادَهُ.

التَّنْبِيهُ إِلَى الِاعْتِبَارِ بِسُوءِ عَاقِبَةِ الْمُفْسِدِينَ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ [سورة الفجر:٦-١٤]: عِبَرٌ وَعِظَاتٌ، مِنْهَا:

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَوَّفَ مُشْرِكِي مَكَّةَ بِذِكْرِ ثَلَاثِ أُمَمٍ كَذَّبَتْ وَطَغَتْ وَأَكْثَرَتْ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ، فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ تَعَالَى، وَهُمْ عَادٌ وَثَمُودُ وَفِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، وَقَدْ كَانُوا أَشَدَّ قُوَّةً مِنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ.
- فِي ذِكْرِ قَصَصِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ تَخْوِيفٌ لِلْكُفَّارِ مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَتَذْكِيرٌ لَهُمْ بِالْعَوْدَةِ إِلَى الْحَقِّ.
- أَنَّ الْخَلْقَ مَهْمَا أُوتُوا مِنْ قُوَّةٍ وَمَنَعَةٍ فَإِنَّهُمْ لَا يَمْتَنِعُونَ مِنْ عَذَابِ اللهِ تَعَالَى.
- أَنَّ اللهَ تَعَالَى تَوَعَّدَ مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ وَارْتَكَبَ نَهْيَهُ بِأَنَّهُ تَعَالَى يَرْقُبُهُ وَيُمْهِلُهُ وَيُحْصِي أَعْمَالَهُ، وَلَا يَفُوتُهُ مِنْهَا شَيْءٌ، ثُمَّ يَأْخُذُهُ أَخْذًا أَلِيمًا.
- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَأْخُذَ الْعِبْرَةَ وَالْعِظَةَ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ، وَيَبْتَعِدَ عَنِ الصِّفَاتِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ؛ كَالتَّكْذِيبِ وَالطُّغْيَانِ وَالْفَسَادِ؛ حَتَّى لَا يَحِلَّ بِهِ مَا حَلَّ بِهِمْ.

إِبْهَامُ الْعَذَابِ الْوَاقِعِ بِالْأُمَمِ السَّابِقَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾: لَمْ يُبَيِّنْ كَيْفِيَّةَ ذَلِكَ الْعَذَابِ، وَذَكَرَ فِي سُورَةِ الْقَمَرِ وَغَيْرِهَا بَيَانَ مَا أُبْهِمَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ؛ فَقَالَ تَعَالَى فِي عَادٍ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة القمر:١٩-٢٠]، وَقَالَ فِي ثَمُودَ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ [سورة القمر:٣١]، وَقَالَ تَعَالَى فِي فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة القصص:٤٠].

بَيَانُ حَقِيقَةِ الدُّنْيَا وَأَنَّهَا دَارُ ابْتِلَاءٍ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ [سورة الفجر:١٥]: أَنَّ الدُّنْيَا لِلِامْتِحَانِ وَالِابْتِلَاءِ، وَلَيْسَتْ لِلتَّكْرِيمِ كَمَا يَتَصَوَّرُ بَعْضُ

النَّاسِ، فَسَعَةُ الْمَالِ أَوْ تَضْيِيقُهُ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ ابْتِلَاءٌ وَاخْتِبَارٌ لِلْإِنْسَانِ، وَسَعَةُ الرِّزْقِ وَتَضْيِيقُهُ صَادِرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى؛ لِحِكَمٍ إِلَهِيَّةٍ يَعْلَمُهَا سُبْحَانَهُ، فَرُبَّمَا وُسِّعَ عَلَى الْكَافِرِ إِمْلَاءً وَاسْتِدْرَاجًا لَهُ، وَضُيِّقَ عَلَى الْمُؤْمِنِ زِيَادَةً لِأَجْرِهِ(١).

التَّكْرِيمُ الْحَقِيقِيُّ لِلْعَبْدِ أَنْ يُوَفِّقَهُ اللهُ تَعَالَى لِتَقْوَاهُ وَطَاعَتِهِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾: أَنَّ التَّكْرِيمَ الْحَقِيقِيَّ لِلْعَبْدِ أَنْ يُوَفِّقَهُ اللهُ تَعَالَى لِتَقْوَاهُ وَطَاعَتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [سورة الحجرات:١٣]؛ وَلِهَذَا يُعْطِي اللهُ تَعَالَى الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَأَمَّا الدِّينُ وَالْإِيمَانُ فَلَا يُعْطِيهِ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «إِنَّ اللهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ»(٢)، وَفِي رِوَايَةٍ: «إِنَّ اللهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللهُ الدِّينَ، فَقَدْ أَحَبَّهُ...»(٣)؛ فَاللهُ تَعَالَى إِذَا أَنْعَمَ عَلَى الْإِنْسَانِ وَوَسَّعَ عَلَيْهِ فَلَيْسَ هَذَا دَلِيلًا عَلَى رِضَا اللهِ عَنْهُ، فَالْأُمَمُ السَّابِقَةُ كَعَادٍ وَثَمُودَ وَغَيْرِهِمْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِالْقُوَّةِ وَالْمَنَعَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ أَهْلَكَهُمُ اللهُ وَعَذَّبَهُمْ.

تَنَكُّرُ الْإِنْسَانِ لِنِعْمَةِ الْمَالِ بِعَدَمِ أَدَاءِ مَا يَجِبُ فِيهَا؛ مِنْ إِكْرَامِ الْيَتِيمِ وَإِطْعَامِ الْمِسْكِينِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الفجر:١٧-١٨]: أَنَّهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ يُكْرِمُ الْإِنْسَانَ بِالْمَالِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُؤَدِّي حَقَّهُ، فَلَا يُكْرِمُ الْيَتِيمَ بِالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِ وَكَفَالَتِهِ وَإِعَانَتِهِ، وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ

(١) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٢١)، التفسير القيم (ص٧٥).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٩٤) وقال: "صحيح الإسناد".

(٣) أخرجه أحمد (٣٦٧٢). وقال الدارقطني في "العلل" (٥/ ٢٦٩): "الصحيح موقوف".

الْمِسْكِينِ لَا عَيْنًا وَلَا قَوْلًا، مَعَ أَنَّ الْإِسْلَامِ قَدِ اعْتَنَى بِالْيَتَامَى وَالْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ، وَحَثَّ عَلَى إِعْطَائِهِمْ.

التَّرْهِيبُ الشَّدِيدُ مِنْ عَدَمِ إِكْرَامِ الْيَتِيمِ وَإِطْعَامِ الْمِسْكِينِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الفجر:١٧-١٨]: التَّرْهِيبُ الشَّدِيدُ مِنْ عَدَمِ إِكْرَامِ الْيَتِيمِ، وَهَذَا الْوَعِيدُ فِي عَدَمِ إِكْرَامِهِ؛ فَكَيْفَ بِمَنْ يَأْخُذُ مَالَهُ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-؟، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [سورة النساء:١٠]. وَفِي الْآيَتَيْنِ أَيْضًا: التَّرْهِيبُ الشَّدِيدُ مِنْ عَدَمِ الْحَضِّ عَلَى إِطْعَامِ الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ [سورة الماعون:١-٣]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى فِي صِفَاتِ مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الحاقة:٣٠-٣٤].

التَّحْذِيرُ مِنْ أَكْلِ أَمْوَالِ الْمِيرَاثِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر: ١٩-٢٠]: أَنَّ الْكَافِرَ يَجْمَعُ الْمَالَ مِنْ هُنَا وَهُنَاكَ، فَيَأْتِي إِلَى مِيرَاثِ الضُّعَفَاءِ وَالْيَتَامَى الَّذِينَ لَا قُدْرَةَ لَهُمْ، فَيَحْوِي هَذَا الْمِيرَاثَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَجْمَعُهُ وَيَلُمُّهُ لَمًّا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى حَرَامٍ أَوْ إِلَى حَلَالٍ(١)، وَيَضَعُ أَمْوَالَهُ فِي الْبُنُوكِ الرِّبَوِيَّةِ ثُمَّ يَقُولُ: رَبِّي أَكْرَمَنِي.

إِثْبَاتُ صِفَةِ الْمَجِيءِ للهِ تَعَالَى:

(١) ينظر: تفسير السمعاني (٦/ ٢٢٢)، تفسير البغوي (٨/ ٤٢٢).

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [سورة الفجر:٢٢]: إِثْبَاتُ صِفَةِ الْمَجِيءِ للهِ تَعَالَى عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ سُبْحانَهُ؛ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَأَخْطَأَ مَنْ فَسَّرَ الْمَجِيءَ هُنَا بِمَجِيءِ أَمْرِهِ(١)؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِيمَا أَضَافَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا لِنَفْسِهِ مِنَ الْأَفْعَالِ أَنَّهُ لَهُ سُبْحَانَهُ، وَلَا يُضَافُ لِغَيْرِهِ حَتَّى يَدُلَّ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ لِغَيْرِهِ.

حَقِيقَةُ الدُّنْيَا وَالنَّدَمُ عَلَى التَّفْرِيطِ فِيهَا:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [سورة الفجر:٢٤]: الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ الْحَيَاةَ الْحَقِيقِيَّةَ الدَّائِمَةَ الَّتِي لَا مَوْتَ فِيهَا هِيَ حَيَاةُ الْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة العنكبوت:٦٤]، فَيَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يُؤْثِرَ الْحَيَاةَ الْبَاقِيَةَ عَلَى الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ؛ حَتَّىٰ لَا يَنْدَم كَمَا يَنْدَمُ الْكَافِرُ وَالْعَاصِي عَلَى مَا فَرَّطَ فِي حَيَاتِهِ وَأَضَاعَ مِنْ فُرَصٍ لِطَاعَةِ اللهِ.

التَّهْدِيْدُ وَالْوَعِيْدُ الشَّدِيْدُ لِلْكُفَّارِ وَالْعُصَاةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الفجر:٢٥-٢٦]: أَشَدُّ الْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ لِلْكَفَرَةِ وَالْعُصَاةِ، وَأَنَّ الْكَافِرَ يَنْتَظِرُهُ مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ مَا لَا يَقْدِرُ أَنْ يَتَصَوَّرَهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ.

النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ وَمَا يُعِينُ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى مَرْتَبَتِهَا:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الفجر:٢٧-٢٨]: أَنَّ النَّفْسَ الرَّاضِيَةَ عَنْ رَبِّهَا فِي الدُّنْيَا مَرْضِيَّةٌ عِنْدَ رَبِّهَا فِي الْآخِرَةِ. وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يُعِينُ الْمُؤْمِنَ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ الْعَظِيمَةِ: كَثْرَةُ الذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ؛ فَالصَّلَاةُ تُعِينُ عَلَى مَنْعِ النَّفْسِ مِنَ الْفَوَاحِشِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱتْلُ مَآ

(١) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٢٢)، تفسير القرطبي (٢٠/ ٥٥)، تفسير الجلالين (ص٨٠٧)، فتح القدير (٥/ ٥٣٥).

أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [سورة العنكبوت:٤٥].

وَأَمَّا الذِّكْرُ: فَهُوَ الْعَاصِمُ لَهَا مِنْ تَسَلُّطِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهَا، كَمَا فِي حَدِيثِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللهِ ﷻ كَثِيرًا، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ، فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللهِ ﷻ»[(١)].

وَبِقَدْرِ مَا يُجَاهِدُ الْعَبْدُ نَفْسَهُ فِي التَّمَسُّكِ بِالطَّاعَاتِ، وَالْبُعْدِ عَنِ الْمَنْهِيَّاتِ؛ يَزْدَادُ إِيمَانُهُ؛ حَتَّى تَكُونَ نَفْسُهُ مُطْمَئِنَّةً خَاضِعَةً لِلَّهِ، رَاضِيَةً بِحُكْمِهِ الشَّرْعِيِّ وَالْقَدَرِيِّ.

❁❁❁

(١) أخرجه أحمد (١٧١٧٠) واللفظ له، والترمذي (٢٨٦٣) وقال: "حديث حسن صحيح غريب". وصححه ابن خزيمة (١٨٩٥).

سُورَةُ الْبَلَدِ

(سورة البلد): مَكِّيَّةٌ فِيْ قَوْلِ جُمْهُوْرِ الْمُفَسِّرِيْنَ، وَهِيَ عُشْرُوْنَ آيَةً[١].

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمَائِهَا: سُورَةُ (لَا أُقْسِمُ)، وَسُورَةُ (الْبَلَدِ)، وَسُورَةُ (الْعَقَبَةِ)[٢].

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

حَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَقَاصِدِ وَالْمَعَانِي الْعَظِيمَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ[٣]:

- ✓ التَّنْوِيهُ بِفَضْلِ مَكَّةَ، وَمَقَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا، وَبَرَكَتِهِ فِيهَا وَعَلَى أَهْلِهَا.
- ✓ بَيَانُ مَشَقَّةِ الْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَّ اللهَ مُحِيطٌ بِهِ، مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ.
- ✓ تَهْوِيلُ عَقَبَةِ الصِّرَاطِ، وَكَيْفِيَّةُ النَّجَاةِ مِنْهَا.
- ✓ مَدْحُ الْمُؤْمِنِينَ وَصَبْرُهُمْ عَلَى الْبَلَاءِ، وَرَحْمَةُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا.
- ✓ بَيَانُ سُوءِ مَصِيرِ الْكَافِرِينَ.

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾، أَيْ: أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ، وَ(لَا) هُنَا لَيْسَتْ لِلنَّفْيِ، وَإِنَّمَا هِيَ زَائِدَةٌ لِتَوْكِيدِ الْقَسَمِ، بِدَلِيلِ أَنَّ اللهَ تعالى قَدْ أَقْسَمَ بِهَذَا الْبَلَدِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣﴾ [سورة التين: ١-٣][٤]، وَالْمُرَادُ بِـ(الْبَلَدِ): مَكَّةُ بِإِجْمَاعِ الْمُفَسِّرِينَ[٥].

---

(١) ينظر: تفسير السمرقندي (٣/ ٥٨٢)، تفسير ابن عطية (٥/ ٤٨٣).

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز (١/ ٥٢٠)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٤٥).

(٣) ينظر: بصائر ذوي التمييز (١/ ٥٢٠)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٤٥-٣٤٦).

(٤) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٥٩).

(٥) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ١٦٤)، تفسير القرطبي (٢٠/ ٦٠).

قَوْلُهُ: ﴿وَأَنتَ﴾ يا مُحمَّدُ، ﴿حِلٌّ﴾، أَيْ: حَلالٌ، ﴿بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾، أَيْ: تَفعَلُ مَا شِئْتَ مِنَ الْقَتْلِ أَوِ الْعَفْوِ[1]. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أُقْسِمُ بِمَكَّةَ حَالَ حُلُولِكَ فِيهَا، فَيَكُونُ تَعْظِيمًا لِلْمُقْسَمِ بِهِ[2].

قَوْلُهُ: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾، أَيْ: وَأُقْسِمُ بِكُلِّ والِدٍ، وَبِكُلِّ مَوْلُودٍ، وَمِنْهُمْ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذُرِّيَّتُهُ[3].

قَوْلُهُ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾، أَيْ: جِنْسَ الإِنْسَانِ، ﴿فِي كَبَدٍ ۝٤﴾، أَيْ: فِي مَشَقَّةٍ وَنَصَبٍ وَتَعَبٍ وَشِدَّةٍ، يُكَابِدُ مَصَائِبَ الدُّنْيا وَشَدَائِدَ الْآخِرَةِ[4]، وَالْآيَةُ هَذِهِ هِيَ جَوَابُ الْقَسَمِ[5].

قَوْلُهُ: ﴿أَيَحْسَبُ﴾، أَيْ: أَيَظُنُّ هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهُوَ اسْتِفْهَامٌ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ[6]، ﴿أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥﴾، فَيَنْتَقِمَ مِنْهُ[7]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى عَنْ عَادٍ: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [سورة فصلت: ١٥]، فَرَدَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِم بِقَوْلِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [سورة فصلت: ١٥][8].

قَوْلُهُ: ﴿يَقُولُ﴾، أَيْ: هَذَا الْإِنْسَانُ فَخْرًا وَمُبَاهَاةً وَتَعَظُّمًا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، ﴿أَهْلَكْتُ﴾، أَيْ: أَنْفَقْتُ، ﴿مَالًا لُّبَدًا ۝٦﴾، أَيْ: كَثِيرًا، وَذَلِكَ فِي عَدَاوَةِ النَّبِيِّ

(١) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٢٦)، تفسير ابن عطية (٥/ ٤٨٣).
(٢) ينظر: توفيق الرحمن في دروس القرآن (٤/ ٤٨٨-٤٨٩).
(٣) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٣٠)، تفسير البيضاوي(٥/ ٣١٣).
(٤) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٣٠)،تفسير أبي السعود (٩/ ١٦١).
(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٠٨)، تفسير القرطبي (٢٠/ ٦٢).
(٦) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ١٦٧).
(٧) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣١٣).
(٨) ينظر: تفسير العثيمين (ص٢١٣).

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي صَدِّ أُنَاسٍ عَنْهُ(١). قَالَ الْأَلُوسِيُّ: "وَعَبَّرَ عَنِ الْإِنْفَاقِ بِالْإِهْلَاكِ إِظْهَارًا لِعَدَمِ الِاكْتِرَاثِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ رَجَاءَ نَفْعٍ، فَكَأَنَّهُ جَعَلَ الْمَالَ الْكَثِيرَ ضَائِعًا"(٢).

قَوْلُهُ: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾، أَيْ: أَيَظُنُّ هَذَا الْإِنْسَانُ حِينَ كَانَ يُنْفِقُ مَالَهُ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ أَنَّ اللهَ لَمْ يَرَهُ، وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، فَيُحَاسِبُهُ عَلَيْهِ؟(٣).

قَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾، أَيْ: يُبْصِرُ بِهِمَا(٤).

قَوْلُهُ: ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾، أَيْ: يَنْطِقُ بِهِمَا، وَيُعَبِّرُ بِهِمَا عَمَّا فِي قَلْبِهِ(٥).

قَوْلُهُ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾، أَيْ: طَرِيقَيِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [سورة الإنسان:٣](٦).

ثُمَّ إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دَلَّ عِبَادَهُ عَلَى الْوُجُوهِ الْفَاضِلَةِ الَّتِي تُنْفَقُ فِيهَا الْأَمْوَالُ، وَعَرَّفَ هَذَا الْكَافِرَ أَنَّ إِنْفَاقَهُ كَانَ فَاسِدًا وَغَيْرَ مُفِيدٍ، كَمَا سَيَأْتِي فِي الْآيَاتِ التَّالِيَةِ، وَهِيَ:

قَوْلُهُ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ﴾ فَهَلَّا تَجَاوَزَ، ﴿ٱلْعَقَبَةَ ١١﴾، وَهِيَ مَشَقَّةُ الْآخِرَةِ، وَذَلِكَ بِصِدْقِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَخُصُوصًا إِنْفَاقُ الْمَالِ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، وَتَرْكِ الْمَعَاصِي الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، فَبِهَذَا يَتِمُّ تَجَاوُزُ الْعَقَبَةِ، وَإِلَّا فَثَمَّ الشَّقَاءُ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-.

قَوْلُهُ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ١٢﴾، أَيْ: وَمَا أَعْلَمَكَ مَا الْعَقَبَةُ؟، وَهَذَا التَّكْرَارُ تَعْظِيمٌ لِشَأْنِهَا، وَتَفْخِيمٌ لِأَمْرِهَا(٧).

قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "كُلُّ شَيْءٍ قَالَ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾، فَإِنَّهُ أَخْبَرَ بِهِ، وَمَا قَالَ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾، فَإِنَّهُ لَمْ يُخْبَرْ بِهِ"(١).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤١٢).

(٢)تفسير الألوسي (١٥/ ٣٥٢).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٣١)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤٠٤).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤١٤)، تفسير القرطبي (٢٠/ ٦٤).

(٥) ينظر: تفسير النسفي (٣/ ٦٤٤)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤٠٤).

(٦) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٣١).

(٧) ينظر: تفسير الجلالين (ص٨٠٨).

قَوْلُهُ: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾، أَيْ: فَكُّهَا مِنَ الرِّقِّ وَأَسْرِ الْعُبُودِيَّةِ بِعِتْقِهَا، أَوْ مُسَاعَدَتِهَا عَلَى الْعِتْقِ، وَمِنْ بَابِ أَوْلَى فَكَاكُ الْأَسِيرِ الْمُسْلِمِ عِنْدَ الْكُفَّارِ(٢).

قَوْلُهُ: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾، أَيْ: يَوْمٍ ذِي مَجَاعَةٍ شَدِيدَةٍ، وَذَلِكَ بِأَنْ يُطْعِمَ وَقْتَ الْحَاجَةِ أَشَدَّ النَّاسِ حَاجَةً(٣)، وَهُوَ ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾، أَيْ: ذَا قَرَابَةٍ(٤)، ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾، أَيْ: فَقِيرًا مُعْدَمًا لَا شَيْءَ عِنْدَهُ(٥).

قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، أَيْ: ثُمَّ كَانَ مُقْتَحِمُ الْعَقَبَةِ مَعَ فِعْلِهِ لِلْعِتْقِ وَالْإِطْعَامِ: مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ، وَأَخْلَصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ(٦).

قَوْلُهُ: ﴿وَتَوَاصَوْاْ﴾، أَيْ: وَأَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا(٧)، ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾ عَلَى طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى، وَعَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَعَلَى أَقْدَارِ اللهِ الْمُؤْلِمَةِ(٨)، ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ١٧﴾، أَيْ: بِالرَّحْمَةِ عَلَى عِبَادِهِ(٩).

قَوْلُهُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، أَيْ: الْمَوْصُوفُونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ، ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ١٨﴾، أَيْ: الْيَمِينِ، الَّذِينَ يُعْطَوْنَ كِتَابَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ(١٠)، وَيُؤْخَذُ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَاتَ الْيَمِينِ إِلَى الْجَنَّةِ(١١).

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، أَيْ: بِالْقُرْآنِ، ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾، أَيْ: الشِّمَالِ(١٢).

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٣٢).
(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص٩٢٤).
(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص٩٢٤).
(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٢٦)، تفسير البغوي (٨/ ٤٣٣).
(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٠٨).
(٦) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٧١).
(٧) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣١٤).
(٨) ينظر: فتح القدير (٥/ ٥٤٢)، تفسير السعدي (ص٩٢٤).
(٩) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣١٤)، فتح القدير (٥/ ٥٤٢).
(١٠) ينظر: تفسير الماوردي (٦/ ٢٨٠)، تفسير القرطبي (٢٠/ ٧١).
(١١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٣١).
(١٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٠٩).

قَوْلُهُ: ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾، (مُوْصَدَةٌ)، أَيْ: مُطْبَقَةٌ مُغْلَقَةٌ عَلَيهِمْ[1].

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

فَضْلُ مَكَّةَ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١﴾: بَيَانٌ لِفَضْلِ مَكَّةَ، حَيْثُ إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَقْسَمَ بِهَا قَسَمًا مُؤَكَّدًا بِـ (لَا)؛ لِحُرْمَتِهَا وَشَرَفِهَا وَمَكَانَتِهَا، وَهِيَ الْبَلَدُ الْأَمِينُ، وَفِيهَا بَيْتُهُ الْحَرَامُ[2].

عِظَمُ مَنْزِلَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾: بَيَانُ عِظَمِ مَنْزِلَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعُلُوِّ شَأْنِهِ، وَعَظِيمِ قَدْرِهِ، حَيْثُ أَحَلَّ اللهُ لَهُ الْقِتَالَ فِي مَكَّةَ، وَهِيَ الْبَلَدُ الْحَرَامُ، وَلَمْ يَحِلَّ لِأَحَدٍ غَيْرِهِ[3].

وَقَدْ أُحِلَّتْ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي شُرَيْحٍ خُوَيْلِدِ بْنِ عَمْرٍو الْخُزَاعِيِّ الْعَدَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ: «ائْذَنْ لِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ أُحَدِّثْكَ قَوْلًا قَامَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْغَدَ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ، سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي، وَأَبْصَرَتْهُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ، أَنَّهُ حَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلَا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ بِقِتَالِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا، فَقُولُوا لَهُ: إِنَّ اللهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»[4].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٠٩)، فتحالقدير (٥/ ٥٤٢).

(٢) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ١٦٤).

(٣) ينظر: التبيان في أقسام القرآن (ص٣٧)، فتح القدير (٥/ ٥٣٩).

(٤) أخرجه البخاري (١٨٣٢)، ومسلم (١٣٥٤) واللفظ له.

وَفِيهَا أَيْضًا بِشَارَةٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِأَنَّهُ سَيَفْتَحُ مَكَّةَ، وَسَيَنْصُرُهُ اللهُ عَلَى كُفَّارِ قُرَيْشٍ(١).

فَضْلُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذُرِّيَّتِهِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾: فَضْلُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذُرِّيَّتِهِ، حَيْثُ إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَقْسَمَ بِهِ وَبِذُرِّيَّتِهِ، وَفِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْعُلَمَاءُ وَالصَّالِحُونَ(٢).

الدُّنْيَا جُبِلَتْ عَلَى الْمُعَانَاةِ وَالْمُكَابَدَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾: عُمُومٌ وَخُصُوصٌ؛ **أَمَّا الْعُمُومُ فَهُوَ:** أَنَّ جِنْسَ الْإِنْسَانِ فِي مَشَقَّةٍ وَنَصَبٍ وَعَنَاءٍ؛ مُنْذُ بِدَايَةِ خَلْقِهِ حَتَّى مَمَاتِهِ وَمَبْعَثِهِ وَمَصِيرِهِ، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ صَارَ إِلَى كَبَدٍ أَشَدَّ وَعَذَابٍ أَنْكَدَ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ اسْتَرَاحَ فِي الْجَنَّةِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [سورة الانشقاق:٦](٣).

وَأَمَّا الْخُصُوصُ فَهُوَ: أَنَّ فِيهَا تَسْلِيَةً لِلنَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ مِمَّا يُكَابِدُونَهُ مِنْ قُرَيْشٍ، مِنْ جِهَةِ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَمْ يُخْلَقْ لِلرَّاحَةِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ أَعْظَمَ فَهُوَ أَشَدُّ نَصَبًا(٤).

تَحْذِيرُ الْإِنْسَانِ مِنَ الاغْتِرَارِ بِنِعَمِ اللهِ تَعَالَى.

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾: التَّحْذِيرُ الشَّدِيدُ مِنَ الاغْتِرَارِ بِنِعَمِ اللهِ تَعَالَى، وَاسْتِعْمَالِهَا فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى؛ فَعَلَى الْإِنْسَانِ الَّذِي طَغَى وَبَطِرَ أَنْ يَسْتَشْعِرَ قُوَّةَ اللهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَادِرٌ عَلَى إِهْلَاكِهِ وَالِانْتِقَامِ مِنْهُ، وَمَا حَصَلَ لِقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَغَيْرِهِمَا سَيَحْصُلُ لِكُلِّ مُعَانِدٍ جَاحِدٍ كَفَّارٍ.

التَّفْرِيقُ بَيْنَ إِنْفَاقِ الْمَالِ فِي الْخَيْرِ، وَإِنْفَاقِهِ فِي الشَّرِّ:

---

(١) ينظر: تفسير الخازن (٤/ ٤٢٩).

(٢) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ١٦٥).

(٣) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ١٦٦)، السراج المنير للشربيني (٤/ ٥٣٧-٥٣٨).

(٤) ينظر: تفسير القاسمي (٩/ ٤٧٦).

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦﴾: أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَنْفَقَ الْمَالَ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ وَالْخَيْرِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ إِهْلَاكًا لَهُ، بَلْ تَقَرُّبًا بِهِ إِلَى اللهِ، وَتَوَصُّلًا بِهِ إِلَى رِضَاهُ وَثَوَابِهِ، وَإِذَا أَنْفَقَهُ فِي غَيْرِ مَا يُرْضِي اللهَ كَانَ ذَلِكَ إِهْلَاكًا لِمَالِهِ وَإِضَاعَةً لَهُ(١).

اِطِّلَاعُ اللهِ عَلَى أَفْعَالِ الْخَلْقِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾: أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُطَّلِعٌ عَلَى مَنْ يُنْفِقُ مَالَهُ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ، وَسَيُحْصِي عَلَيْهِ مَا أَنْفَقَهُ، وَفِي هَذَا وَعِيدٌ وَتَهْدِيدٌ لِمَنْ يَغْتَرُّ فِي مَالِهِ، وَيُنْفِقُهُ لِلصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ(٢).

وُجُوبُ شُكْرِ اللهِ عَلَى نِعَمِهِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [سورة البلد:٨-١٠]: أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَنْعَمَ عَلَى الْإِنْسَانِ بِعَيْنَيْنِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَلِسَانٍ وَشَفَتَيْنِ يَنْطِقُ بِهِمَا، وَهَدَاهُ إِلَى طَرِيقِ الْخَيْرِ وَوَضَّحَهُ لَهُ، وَأَبَانَ لَهُ طَرِيقَ الشَّرِّ وَحَذَّرَهُ مِنْهُ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَشْكُرَ اللهَ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ الْعَظِيمَةِ، وَيَتَوَجَّهَ إِلَى رَبِّهِ وَيَسْأَلَهُ الْهِدَايَةَ إِلَى طَرِيقِ الْخَيْرِ، وَلُزُومِهِ وَالِاسْتِقَامَةَ عَلَيْهِ حَتَّى الْمَمَاتِ(٣).

وُجُوبُ اقْتِحَامِ الْعَقَبَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦﴾ [سورة البلد:١١-١٦]: وُجُوبُ اقْتِحَامِ الْعَقَبَةِ -الَّتِي لَا بُدَّ مِنِ اقْتِحَامِهَا- عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بَالِغٍ عَاقِلٍ، وَمَنْ تَأَمَّلَ وَتَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ وَخِلْقَتِهِ تَبَيَّنَ لَهُ وُجُوبُ قِيَامِهِ بِاقْتِحَامِ الْعَقَبَةِ الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وذلكَ -أي: اقْتِحَامِ الْعَقَبَةِ- أَمْرٌ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ بَذْلِ الْجُهْدِ وَاسْتِفْرَاغِ الْوُسْعِ، وَمَنْ بَذَلَ جُهْدَهُ وَاسْتَفْرَغَ وُسْعَهُ فِي اتِّبَاعِ مَرْضَاةِ اللهِ، وَتَرْكِ مَعْصِيَتِهِ؛ أَعَانَهُ اللهُ، وَيَسَّرَ لَهُ أَسْبَابَ اقْتِحَامِ

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٩٢٤)، التبيان في أقسام القرآن (ص٣٧).

(٢) ينظر: تفسير السمعاني (٦/ ٢٢٧)، تفسير السعدي (ص٩٢٤).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٠٤)، تفسير ابن رجب (٢/ ٥٨٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هَذِهِ الْعَقَبَةِ الْكَؤُودِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [سورة العنكبوت:٦٩].

مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ اقْتِحَامِ الْعَقَبَةِ وَتَجَاوُزِهَا: إِطْعَامُ الطَّعَامِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾... إلى قوله: ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾﴾: أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ اقْتِحَامِ هَذِهِ الْعَقَبَةِ وَتَجَاوُزِهَا بَعْدَ الاسْتِعَانَةِ بِاللهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَخَاصَّةً عِنْدَ انْتِشَارِ الْجُوعِ وَوُجُودِ الْحَاجَةِ الشَّدِيدَةِ إِلَيْهِ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ إِخْرَاجَ الْمَالِ فِي وَقْتِ الْمَجَاعَةِ الشَّدِيدَةِ أَثْقَلُ عَلَى النَّفْسِ، وَأَوْجَبُ لِلْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [سورة البقرة:١٧٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ [سورة الإنسان:٨].

الاتِّصَافُ بِالْإِيمَانِ وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ وَالْمَرْحَمَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾ [سورة البلد:١٧]: إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْإِيمَانَ شَرْطٌ لِقَبُولِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَلَا ثَوَابَ لَهُ أَبَدًا فِي الْآخِرَةِ، فَالْإِنْسَانُ إِذَا كَانَ عَلَى غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ مَهْمَا فَعَلَ مِنَ الْخَيْرِ لَا يَكُونُ لَهُ ثَوَابٌ(١)، وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ عِدَّةُ أَدِلَّةٍ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، مِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ ﴿١٨﴾﴾ [سورة إبراهيم:١٨]، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾﴾ [سورة النساء:١٢٤]، فَبَيَّنَ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ إِنَّمَا يَقْبَلُهَا مِنَ الْمُؤْمِنِ فَقَطْ، أَيْ: الْمُسْلِمِ، أَمَّا الْكَافِرُ فَمَهْمَا فَعَلَ مِنَ الْخَيْرَاتِ فِي الدُّنْيَا

(١) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٧١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فَاللهُ تَعَالى لَا يُثِيبُهُ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ، وَتُوضَعُ سَيِّئَاتُهُ فِي كَفَّةٍ، وَتَطِيشُ الْكَفَّةُ الْأُخْرَى -أَيْ: كَفَّةُ الْحَسَنَاتِ-، إِذْ لَا حَسَنَاتَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَاللهُ يُجَازِيهِ عَلَيْهَا. ومن الأَدِلَّةِ: حَدِيثُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهَا قَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ»(١)، فَاعْتَبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَلَ ابْنِ جُدْعَانَ مِنَ التَّصَدُّقِ عَلَى الْمُحْتَاجِينَ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ غَيْرَ نَافِعٍ لَهُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ.

التَّوَاصِي بِالصَّبْرِ وَالتَّوَاصِي بِالْمَرْحَمَةِ مِنْ أَوْصَافِ الْمُؤْمِنِينَ؛ ولذا حَثَّ الله عليهما:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾: أَنَّ مِنْ أَوْصَافِ الْمُؤْمِنِينَ التَّوَاصِي بِالصَّبْرِ وَالتَّوَاصِي بِالْمَرْحَمَةِ؛ وَلِذَا فَقَدْ حَثَّ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى التَّوَاصِي بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، وَالصَّبْرِ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَالصَّبْرِ عَلَى أَقْدَارِ اللهِ الْمُؤْلِمَةِ(٢)؛ ذَلِكَ أَنَّ التَّوَاصِي بِالصَّبْرِ أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ لَا يَقِلُّ عَنِ التَّوَاصِي بِالْحَقِّ وَالتَّذْكِيرِ بِهِ، بَلْ هُوَ شَطِيرُهُ فِي هَذَا الشَّأْنِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [سورة العصر:١-٣]، وَحَثُّهُمْ -أَيْ: الْمُؤْمِنِينَ- عَلَى التَّرَاحُمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَهُوَ خُلُقٌ عَظِيمٌ مِنْ أَعْظَمِ أَخْلَاقِ هَذَا الدِّينِ، وَهُوَ يَعْنِي أَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُ رَحِيمًا بِعِبَادِ اللهِ، شَفُوقًا عَلَيْهِمْ، مُحِبًّا لَهُمْ، يُحِبُّ لَهُمْ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُ لَهُمْ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ(٣).

الْحِرْصُ عَلَى الرَّفِيقِ الصَّالِحِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾: الْحِرْصُ عَلَى الرَّفِيقِ الصَّالِحِ؛ لِأَنَّ التَّوَاصِيَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ.

الْإِشَادَةُ بِأَهْلِ الْمَيْمَنَةِ، وَشَرَفِ مَنْزِلَتِهِمْ:

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٤).

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٤٨٦).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص٩٢٤).

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ [سورة البلد:١٨]: بَيَانُ شَرَفِ أَهْلِ الْمَيْمَنَةِ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ٢٧ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ٢٨ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ٢٩ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ٣٠ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ٣١ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ٣٣ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ٣٤ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ٣٦ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ٣٧ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٣٨ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٩ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ٤٠﴾ [سورة الواقعة:٢٧-٤٠].

سُوءُ عَاقِبَةِ أَصْحَابِ الْمَشْأَمَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠﴾ [سورة البلد:١٩-٢٠]: بَيَانُ سُوءِ عَاقِبَةِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ تَعَالَى وَهُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ، وَهُمْ أَصْحَابُ الشِّمَالِ، وَأَنَّهَا النَّارُ الْمُغْلَقَةُ عَلَى مَنْ فِيهَا، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ٤١ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ٤٢ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ٤٣ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ٤٤ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ٤٥ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ ٤٦ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٤٧ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ٤٨ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ٤٩ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٥٠ ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ٥١ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ٥٢ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ٥٣ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ٥٤ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ٥٥ هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٥٦﴾ [سورة الواقعة:٤١-٥٦][1].

❀❀❀

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٠٩).

سُورَةُ الشَّمْس

سُورَةُ الشَّمْسِ: مَكِّيَّةٌ بِلَا خِلَافٍ(١)، وَآيُها خَمسَ عَشْرَةَ آيَةً.

المَقَاصِدُ العَامَّةُ لِلسُّورَة:

حَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَقَاصِدِ وَالْمَعَانِي الْعَظِيمَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ(٢):

✓ الْقَسَمُ بِأَشْياءَ مُعَظَّمَةٍ مِمَّا هُوَ دَليلٌ عَلى بَديعِ صُنْعِ اللهِ تَعالَى الَّذِي لَا يُشارِكُهُ فيهِ غَيْرُهُ.

✓ تَهْديدُ الْمُشْركينَ بِأَنْ يُصيبَهُمُ الْعَذَابُ؛ لِإِشْرَاكِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا أَصابَ قَوْمَ ثَمُودَ.

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾، أَقْسَمَ اللهُ تَعالَى بِالشَّمْسِ، وَأَقْسَمَ بِالضُّحَى الَّذِي هُوَ مِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَارْتِفاعِها إِلَى الزَّوالِ(٣)، وَاللهُ تَعالَى أَقْسَمَ بِهَذا الْمَخْلُوقِ الْعَظيمِ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ تَعالَى مُضِيئًا لِلْكَوْنِ، فَيَسْتَفيدُ مِنْ ضَوْئِهَا وَحَرِّهَا، وَمِنْ شُروقِهَا.

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾، أَيْ: إِذا تَبِعَ الْقَمَرُ الشَّمْسَ في طُلَوعِهِ وَمَغيبِهِ(٤).

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾، أَيْ: إِذَا جَلَّى النَّهَارُ الظُّلْمَةَ وَكَشَفَهَا وَأَزالَهَا(٥).

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾، أَيْ: إِذا غَطَّى اللَّيْلُ الشَّمْسَ فَأَخْفَاهَا وَسَتَرَهَا(٦).

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾، أَيْ: وَبِنَائِهَا الْمُحْكَمِ، وَسَقْفِهَا الْمَرْفُوعِ(٧)، وَقِيلَ: (مَا) هُنَا مَوْصُولَةٌ، أَيْ: وَأَقْسَمَ بِالسَّمَاءِ وَالَّذِي بَنَاهَا وَهُوَ اللهُ تَعَالَى(٨).

---

(١) ينظر: زاد المسير (٤/ ٤٥٠)، فتح القدير (٥/ ٥٤٥).

(٢) ينظر: مصاعد النظر بالإشراف على مقاصد السور (٣/ ١٩٦)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٦٦).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤١٠).

(٤) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٣٥).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٣٦)، تفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٤٩٤).

(٦) ينظر: تفسير الماوردي (٦/ ٢٨٢)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣١٥).

(٧) ينظر: تفسير القاسمي (٩/ ٤٨١).

(٨) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٥/ ٣٣٢)، تفسير النسفي (٣/ ٦٤٨).

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾، أَيْ: بَسَطَهَا[١] وَمَهَّدَهَا وَفَرَشَهَا لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ وَمَنَافِعِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ [سورة الذاريات:٤٨].

قَوْلُهُ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾، أَيْ: أَحْسَنَ خَلْقَهَا[٢].

قَوْلُهُ: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾، أَيْ: فَبَيَّنَ لَهَا طَرِيقَ الْخَيْرِ وَطَرِيقَ الشَّرِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[٣].

قَوْلُهُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾، هَذَا هُوَ جَوَابُ الْقَسَمِ، وَالتَّقْدِيرُ: (لَقَدْ أَفْلَحَ) بِمَطْلوبِهِ[٤]، ﴿مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾، أَيْ: زَكَّى نَفْسَهُ بِطَاعَةِ اللهِ وَأَصْلَحَهَا، وَطَهَّرَهَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي[٥].

قَوْلُهُ: ﴿وَقَدْ خَابَ﴾، أَيْ: خَسِرَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ﴿مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾، أَيْ: مَنْ أَخْفَى نَفْسَهُ بِالْمَعَاصِي؛ لأَنَّ (دَسَّاهَا) أَصْلُهُ: دَسَّسَهَا؛ مِنَ التَّدْسِيسِ، وَهُوَ إِخْفَاءُ الشَّيْءِ[٦].

قَوْلُهُ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾، أَيْ: كَذَبَتْ رَسُولَهَا صَالِحًا عليه السلام، ﴿بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١﴾، أَيْ: بِسَبَبِ طُغْيَانِهَا[٧].

قَوْلُهُ: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ﴾، أَيْ: أَسْرَعَ لِعَقْرِ النَّاقَةِ[٨]، ﴿أَشْقَىٰهَا﴾، أَيْ: أَشْقَى الْقَوْمِ، وَاسْمُهُ قَدَّارُ بْنُ سَالِفٍ؛ حَيْثُ أَسْرَعَ إِلَى عَقْرِ النَّاقَةِ[٩]، كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَمْعَةَ قَالَ: «خَطَبَ رَسُولُ اللهِ، فَذَكَرَ النَّاقَةَ، وَذَكَرَ الَّذِي عَقَرَهَا، فَقَالَ: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾، انْبَعَثَ بِهَا رَجُلٌ عَارِمٌ عَزِيزٌ مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ، مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ»[١٠]، وَكَانَ عَقَرَهَا بِرِضَاهُمْ -وَالعِيَاذُ بِاللهِ-.

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤١١).
(٢) ينظر: تفسير الماوردي (٦/ ٢٨٣)، تفسير البغوي (٨/ ٤٣٨).
(٣) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٧٥)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤١١).
(٤) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٧٦).
(٥) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٤٩٧)، تفسير البغوي (٨/ ٤٣٩).
(٦) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٣٩)، تفسير القرطبي (٢٠/ ٧٧)، تفسير ابن جزي (٢/ ٤٨٧).
(٧) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤١٣).
(٨) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٤٠).
(٩) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٤٨)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤١٤).
(١٠) أخرجه البخاري (٤٩٤٢)، ومسلم (٢٨٥٥) واللفظ له.

قَوْلُهُ: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾، أَيْ: ذَرُوا نَاقَةَ اللهِ، وَاحْذَرُوا عَقْرَهَا[1]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة هود:٦٤-٦٥]، وَأَضافَهَا اللهُ إِلَى نَفْسِهِ إِضَافَةَ تَشْرِيفٍ[2]. ﴿وَسُقْيَٰهَا﴾، أَيْ: وَذَرُوا شُرْبَهَا مِنَ الْمَاءِ يَوْمَ وِرْدِهَا[3]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾﴾ [سورة الشعراء:١٥٥-١٥٦]، وَالْمَعْنَى: اقْتَصِرُوا عَلَى شُرْبِكُمْ، وَلَا تُزاحِمُوْهَا فِي شُرْبِها[4].

قَوْلُهُ: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾، فِيمَا حَذَّرَهُمْ مِنْهُ مِنْ حُلُولِ الْعَذابِ إِنْ فَعَلُوا[5]، ﴿فَعَقَرُوهَا﴾، أَيْ: قَتَلُوا النَّاقَةَ.

قَوْلُهُ: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾، أَيْ: فَأَطْبَقَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ بِسَبَبِ ذَنْبِهِمْ[6]، ﴿فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾﴾، أَيْ: عَمَّهُمْ بِالْعُقوبَةِ فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ[7]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة هود:٦٦-٦٨].

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣١٦).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٩)، تفسير السعدي (ص٢٩٤).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٤٠).

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (٤/ ١٤٧).

(٥) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣١٦).

(٦) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٥/ ٣٣٣)، تفسير ابن عطية (٥/ ٤٨٩).

(٧) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٥٠)، تفسير البغوي (٥/ ٢٦١).

قَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾، أَيْ: عاقِبَةَ مَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْعِقابِ وَتَبِعَتِهِ[1].

بَعْضُ الفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

ذِكْرُ بَعْضِ دَلَالَاتِ قَسَمِ اللهِ بِمَخْلُوقَاتِهِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦﴾ [سورة الشمس: ١-٦]: أَقْسامٌ كَثيرَةٌ عَظيمَةٌ، وَفي ذَلِكَ بَعْضُ الدَّلالاتِ، مِنْهَا:

أولًا: أَنَّه اللهَ لَمَّا أَقْسَمَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ بِبَعْضِ الْمَظاهِرِ الْكَوْنِيَّةِ الدَّالَةِ عَلَى عَظَمَةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ، وَبَديعِ خَلْقِهِ وَكَمالِ قُدْرَتِهِ، دَلَّ ذَلِكَ عَلى اسْتِحْقاقِهِ لِلْعِبادَةِ وَحْدَهُ لَا شَريكَ لَهُ.

ثانيًا: أَنَّ إِقْسامَ اللهِ بِبَعْضِ مَخلوقَاتِهِ الْعَظيمَةِ -كالشَّمْسِ وَالقَمَرِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهارِ- يَكُونُ تَشْريفًا لَهَا وَتَكْريمًا، وَتَنْبيهًا عَلَى عَظَمَتِهَا، وَبَديعِ صُنْعِ اللهِ فِيهَا، وَعَظَمَةُ الْمَخْلوقِ دالَّةٌ عَلَى عَظَمَةِ الْخالِقِ.

ثالثًا: أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَقْسَمَ بِهَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْعَظيمَةِ، وَلَهُ تعالَى أَنْ يُقْسِمَ بِما شاءَ مِنْ مَخْلُوقاتِهِ.

عِنايَةُ الشَّريعَةِ بِتَزْكِيَةِ النَّفْسِ:

فِي قَوْلِهِ تعَالَى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠﴾ [سورة الشمس:٧-١٠]: الْإِقْسَامُ بِالنَّفْسِ، وَفِي الْقَسَمِ بِهَا التَّنْبيهُ إِلَى أَهَمِّيَّةِ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ، وَالْحِرْصِ الدَّائِمِ عَلى تَزْكِيَتِهَا، وَوَجْهُ ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَقْسَمَ بِأَحَدَ عَشَرَ قَسَمٍ -وَهُوَ أَطْوَلُ قَسَمٍ فِي الْقُرْآنِ- عَلَى قَوْلِ اللهِ تَعالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾ [سورة الأعلى:١٤]، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي جَزاءِ مَنْ زَكَّى نَفْسَهُ: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [سورة طه:٧٦].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤١٤-٤١٥).

فَتَزْكِيَةُ النَّفْسِ وَاجِبَةٌ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى الشَّرْعِيَّ لِلتَّزْكِيَّةِ هو: تَزْكِيَةُ النَّفْسِ بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ وَتَرْكِ الْمَنْهِيَّاتِ[1]، ويَدْخُلُ فِيهِ: تَحْقِيقُ شَهادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ أَصْلَهَا وَاجِبٌ، بَلْ لَا يَتِمُّ إِسْلامُ الْمَرْءِ إِلَّا بِهِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ هِيَ دَرَجاتٌ متفاوتة؛ يَتَفَاوَتُ حُكْمُهَا بِحَسَبِ تَفاوُتِ أَحْكامِ مَرَاتِبِ الدِّينِ وَشُعَبِهِ.

مِنْ ثِمَارِ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ الْفَلَاحُ بِكُلِّ مَعَانِيْه:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [سورة الشمس:٧-١٠]: أَنَّ مِنْ ثِمَارِ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ: الْفَلَاحُ بِكُلِّ مَعَانِيهِ، وَهُوَ تَحْصِيلُ الْمَطْلوبِ، وَالنَّجاةُ مِنَ الْمَرْهوبِ[2].

أَهَمِّيَّةُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ۝١٥﴾ [سورة الشمس:١١-١٥]: بَيَانٌ لِأَهَمِّيَّةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا أَقْدَمَ أَشْقَى قَوْمِ صالِحٍ عَلى قَتْلِ النَّاقَةِ، وَقَوْمُهُ رَاضُونَ عَنْهُ وَعَنْ فِعْلِهِ؛ هَلَكَ وَهَلَكُوا جَمِيعًا، وَلَوْ مَنَعوهُ وَأَمَروهُ بِالْمَعْروفِ وَنَهَوْهُ عَنِ الْمُنْكَرِ لَنَجا وَنَجَوْا جَمِيعًا؛ وَلِهَذا نَسَبَ اللهُ تَعَالَى الْعُقْرَ إِلَيْهِمْ جَمِيعًا؛ لِأَنَّهُمْ رَضُوا بِهِ فَقَالَ: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْهُ إِلَّا وَاحِدٌ مِنْهُمْ[3].

وَلِهَذا يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي حَدِيثِ النُّعْمانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ،

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٤٣)، تفسير القرطبي (٢٠/ ٧٧).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١/ ١٨٢).

(٣) ينظر: بيان المعاني (١/ ٢٢٣).

فقالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»(١)، وَهَذَا الْحَدِيثُ وَاضِحُ الدَّلَالَةِ عَلَى عِظَمِ شَأْنِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنَّهُ سَبِيلُ النَّجَاةِ وَطَرِيقُ صَلَاحِ الْمُجْتَمَعِ، وَهُوَ الْوَسِيلَةُ إِلَى سَلَامَتِهِمْ مِنْ أَسْبَابِ الْهَلَاكِ.

بيانُ أحوال ما أضافه الله لنفسه؛ مثل: ناقة الله:

في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾﴾ [سورة الشمس:١٣]: أَضَافَ اللهُ تعالَى النَّاقَةَ إليهِ، وذلكَ تكْرِيمٌ وتشريفٌ لها.

ومَا أَضافَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ يَنْقَسِمُ إِلَىْ ثَلَاثَةِ أَقْسامٍ(٢):

الْقِسْمُ الأَوَّلُ: الْعَيْنُ الْقَائِمَةُ بِنَفْسِها، فَإِضَافَتُهَا مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْمَخْلُوقِ إِلَى خَالِقِهِ، وَهَذِهِ الْإِضَافَةُ: قَدْ تَكُونُ عَلَى سَبِيلِ الْعُمُومِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ﴾ [سورة العنكبوت:٥٦]. وَقَدْ تكُونُ عَلَى سَبِيلِ الْخُصُوصِ لِشَرَفِيَّتِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [سورة الشمس:١٣]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [سورة الحج:٢٦]، وَهَذَا الْقِسْمُ مَخْلُوقٌ.

الْقِسْمُ الثَّانِي: الْعَيْنُ الَّتِي يَقومُ بِها غَيْرُهَا، مِثْل قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [سورة النساء:١٧١]، فَإِضافَةُ هَذِهِ الرُّوحِ إِلَى اللهِ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْمَخلوقِ إِلَى خَالِقِهِ؛ تَشْرِيفًا؛ فَهِيَ رُوحٌ مِنَ الْأَرْوَاحِ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ، وَلَيْسَتْ جُزْءًا مِنَ اللهِ، إِذْ إِنَّ هَذِهِ الرُّوحَ حَلَّتْ فِي عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ عَيْنٌ مُنْفَصِلَةٌ عَنِ اللهِ، وَهَذا الْقِسْمُ مَخلوقٌ أَيْضًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٩٣).

(٢) ينظر: الجواب الصحيح لمن بدل الدين المسيح (٢/ ١٥٧ وما بعدها).

القِسْمُ الثَّالِثُ: أَنْ يَكونَ وَصْفًا مَحْضًا يَكونُ فِيهِ الْمُضافُ صِفَةَ اللهِ، وَهَذا الْقِسْمُ غَيْرُ مَخْلوقٍ؛ لِأَنَّ جَميعَ صِفاتِ اللهِ غَيْرُ مَخْلوقَةٍ، وَمِثالُهُ قُدْرَةُ اللهِ، وَعِزَّةُ اللهِ، وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ كَثيرٌ.

مِنْ عِبَرِ مَا أَصَابَ ثَمُودَ مِنَ الْعَذَابِ:

فِي قصَّةِ ثَمُود وَمَا ذَكَرَ اللهُ مِنَ الْعِقَابِ الذِيْ أصابهُمْ بَعْضُ الْعِبَرِ وْالدُرُوْسِ وَالْعِبَرِ؛ منها:

أولًا: أَنَّ التَّكْذِيبَ سَبَبُهُ الطُّغْيانُ، وَالطُّغْيَانُ إِذَا اتَّصَفَ بِهِ الْإِنْسانُ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ- لَا يَنْفَعُ مَعَهُ مَوْعِظَةٌ وَلَا تَذْكيرٌ.

ثانيًا: أَنَّ إِعْطَاءَ اللهِ تَعَالَى الْآيَاتِ لِلْمُطالِبينَ بِهَا لَا يَسْتَلْزِمُ بِالضَّرورَةِ الْإيمَانَ بِهَا، بَلِ الْوَاقِعُ يَشْهَدُ بِخلَافِ ذَلِكَ -وَالْعِياذُ بِاللهِ-.

ثالثًا: أَنَّ آيَةَ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَعْظَمِ الْآيَاتِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يُؤْمِنْ بِهَا قَوْمُهُ بِسَبَبِ عِنَادِهِمْ وَاسْتِكْبَارِهِمْ.

رابعًا: شُؤْمُ الْكُفْرِ وَالتَّكْذيبِ، وَسُوءُ عَاقِبَةِ أَهْلِهِ.

اللهُ تَعَالَى لَا يَخَافُ عَاقِبَةَ مَا يَفْعَلُ:

فِي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾: أَنَّ اللهَ تَعَالَى نَفَى عنْ نَفْسِهِ خَوْفَ عاقِبَةِ مَا فَعَلَهُ مِنْ إِهْلاكِ ثَمُودَ، وَإِطْبَاقِ الْعَذابِ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ، بِخِلافِ الْمَخْلُوقِ فَإِنَّهُ إِذَا انْتَقَمَ مِنْ عَدُوِّهِ فَإِنَّهُ يَخافُ عَاقِبَةَ ذَلِكَ، إِمَّا مِنَ اللهِ، وَإِمَّا مِنَ الْمُنْتَصِرينَ لِعَدُوِّهِ[1].

❁❁❁

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٣/ ٦٤٩)، الصواعق المرسلة (٤/ ١٤٤٤-١٤٤٥).

سُورَةُ اللَّيْل

سُورَةُ (وَاللَّيْلِ): مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ الْجُمْهورِ[1]، وَآيُهَا: إِحْدَى وَعِشْرُونَ آيَةً.

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمائِهَا: سُورَةُ (اللَّيْلِ)، سُورَةُ (وَاللَّيْلِ)، سُورَةُ (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى)[2].

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

حَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَقَاصِدِ وَالْمَعَانِي الْعَظِيمَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ[3]:

- ✓ بَيانُ شَرَفِ الْمُؤْمِنِينَ وَفَضَائِلِ أَعْمالِهِمْ، وَمَذَمَّةِ الْمُشْرِكِينَ وَمَسَاوِيهِمْ.
- ✓ أَنَّ اللهَ يَهْدِي النَّاسَ إِلَى الْخَيْرِ.
- ✓ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلتَّذْكِيرِ بِاللهِ وَمَا عِنْدَهُ، فَيَنْتَفِعُ مَنْ يَخْشَى فَيُفْلِحُ، وَيَصْدِفُ عَنِ الذِّكْرَى مَنْ كَانَ شَقِيًّا؛ فَيَكونُ جَزاؤُهُ النَّارَ الْكُبْرَى.

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾، أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِاللَّيْلِ حِينَ يُغَطِّي الْأَرْضَ بِظَلَامِهِ[4].

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾، وَأَقْسَمَ بِالنَّهَارِ إِذَا ظَهَرَ وَبَانَ بِزَوالِ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَطُلوعِ الشَّمْسِ[5].

قَوْلُهُ: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾، وَأَقْسَمَ بِالَّذِي خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى، وَهُوَ اللهُ تَعَالَى، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ﴾ [سورة الذاريات:٤٩][6].

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ﴾، أَيْ: عَمَلَكُمْ أَيُّهَا الْمُكَلَّفُونَ، ﴿لَشَتَّىٰ﴾، أَيْ: مُخْتَلِفٌ[1]، فَسَاعٍ فِي خَلَاصِ نَفْسِهِ وَنَجَاتِهَا، وَسَاعٍ فِي هَلَاكِهَا وَشَقَائِهَا[2]، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي مَالِكٍ

(١) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٨٠).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٧٧-٣٧٨).

(٣) ينظر: مصاعد النظر بالإشراف على مقاصد السور (٣/ ١٩٨)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٧٧).

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣١٧)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤١٧).

(٥) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ١٨١)، تفسير القرطبي (٢٠/ ٨٠).

(٦) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤١٧).

الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»[3].

وَقَوْلُهُ تَعَالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾، هُوَ الْمُقْسَمُ عَلَيْهِ[4].

قَوْلُهُ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾، أَيْ: بَذَلَ حَقَّ اللهِ مِنْ مَالٍ وَعِلْمٍ وَغَيْرِهِمَا مِنْ حُقوقِ اللهِ تَعَالَى، ﴿وَٱتَّقَىٰ ۝٥﴾، أي: واتَّقَى اللهَ فِي بَذْلِهِ[5].

قَوْلُهُ: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾، أَيْ: صَدَّقَ بِـ (لَا إِلَه إِلّا اللهُ)، وَبِمَا تَقْتَضِيهِ[6]، وَمَا تَرتَّبَ عَلَيْهَا مِنَ الثَّوابِ الْعَظيمِ الَّذِي هُوَ الْجَنَّةُ[7].

قَوْلُهُ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ﴾، أي: فَسَنُهَيِّئُهُ[8]، ﴿لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾، أي: لِكُلِّ يُسْرٍ وَسُهُولَةٍ[9].

قَوْلُهُ: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨﴾، أي: بَخِلَ بِبَذْلِ حَقِّ اللهِ، واسْتَغْنَى عَنْ عِبادَةِ اللهِ[10].

قَوْلُهُ: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾، أي: بِـ(لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ) وَمَا تَقْتَضِيهِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الْعَظِيمَةُ وَتَدُلُّ عَلَيْهِ[11].

قَوْلُهُ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾، أي: لِكُلِّ عُسْرٍ وشِدَّةٍ، فتَكُونُ الطَّاعَةُ أَعْسَرَ شَيْءٍ عَلَيْهِ، وَتَكونُ الْمَعْصِيةُ أَسْهَلَ شَيْءٍ عَلَيْهِ[12].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٦٠).
(٢) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٤٢)، تفسير القرطبي (٢٠/ ٨٢).
(٣) أخرجه مسلم (٢٢٣).
(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٦٠)، فتح القدير (٥/ ٥٥٠).
(٥) ينظر: زاد المسير (٤/ ٤٥٤)، فتح القدير (٥/ ٥٥١).
(٦) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٦٣)، تفسير البغوي (٨/ ٤٤٢).
(٧) ينظر: تفسير السعدي (ص٩٢٦).
(٨) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٦٦)، تفسير البغوي (٨/ ٤٤٦).
(٩) ينظر: تفسير النسفي (٣/ ٦٣١).
(١٠) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٦٧).
(١١) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٨٤)، تفسير السعدي (ص٩٢٦).
(١٢) ينظر: تفسير الزمخشري (٤/ ٧٦٢)، تفسير الألوسي (١٥/ ٣٦٧).

قَوْلُهُ: ﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ﴾، (مَا) هُنَا نَافِيَةٌ، أَيْ: لَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ شَيْءٌ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعالى: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ﴾ [سورة الحاقة:٢٨](١)، ﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾، أَيْ: هَلَكَ وَأُلْقِيَ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ بِسَبَبِ بُخْلِهِ -وَالْعِياذُ باللهِ-(٢)، كَمَا قَالَ اللهُ تَعالى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [سورة آل عمران:١٨٠] الآيَةَ(٣).

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ﴾، أَيْ: إِنَّ عَلَيْنَا بِمُقْتَضَى حِكْمَتِنَا وَرَحْمَتِنَا بِعِبادِنَا أَنْ نُبَيِّنَ لَهُمْ أَسْبابَ الْهِدايَةِ(٤)، بِوَاسِطَةِ رُسُلِنَا وَكُتُبِنَا، وَمَا أَوْدَعْنَاهُ فِي فِطْرَةِ كُلِّ إِنْسانٍ مِنْ أَسْبَابِ هِدَايَتِهِ.

قَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ﴾، أي: وإِنَّ لَنا مُلْكَ الْحَياةِ الآخِرَةِ، ﴿وَٱلۡأُولَىٰ ١٣﴾، والْحَيَاةَ الدُّنْيا(٥).

قَوْلُهُ: ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ﴾، أي: خَوَّفْتُكُمْ(٦)، ﴿نَارٗا تَلَظَّىٰ﴾، أي: تَتَلَهَّبُ، وَهِيَ نَارُ الآخِرَةِ(٧).

قَوْلُهُ: ﴿لَا يَصۡلَىٰهَآ﴾، أي: لَا يَدْخُلُهَا وَيُقَاسِي شِدَّتَها وَحَرَّهَا ﴿إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى﴾ وَهُوَ الْكَافِرُ(٨).

قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ١٦﴾، هذا وَصفٌ لِلْأَشْقَى فِي الآيَةِ السذضابِقَةِ، وهوَ أَنَّهُ: كَذَّبَ بِالْحَقِّ، وَتَوَلَّى وأَعْرَضَ عَنِ طَاعَةِ اللهِ(١).

(١) ينظر: أضواء البيان (٨/ ٥٤٩).
(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣١٧)، تفسير أبي السعود (٩/ ١٦٧).
(٣) ينظر: أضواء البيان (٨/ ٥٥٠).
(٤) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ١٨٥)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣١٧).
(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٧٦)، تفسير الماوردي (٦/ ٢٨٩).
(٦) ينظر: الوجيز للواحدي (ص١٢٠٩)، تفسير الجلالين (ص٨١١).
(٧) ينظر: تفسير أبي السعود (٩/ ١٦٧).
(٨) ينظر: الوجيز للواحدي (ص١٢٠٩)، تفسير النسفي (٣/ ٦٥١).

قَوْلُهُ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾، أَيْ: يُبْعَدُ عَنِ النَّارِ، ﴿ٱلْأَتْقَى﴾، وهوَ الَّذِي اتَّقى اللهَ تَعالى بِفِعْلِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ(٢).

ثُمَّ ذَكَرَ بَعْضَ أَوْصافِ الْمُتَّقِي، وهيَ كَمَا يَلِي:

قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ﴾، أَيْ: يَصْرِفُهُ فِي مَصَارِفِ الْخيْرِ(٣)، ﴿يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾، أَيْ: يَصْرِفُ مَالَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ؛ لِيُطَهِّرَ نَفْسَهُ مِنَ الذُّنوبِ، وَمَالَهُ مِنَ الآفَاتِ(٤).

قالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ حَكَى الْإِجْمَاعَ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ دَاخِلٌ فِيهَا، وَأَوْلَى الْأُمَّةِ بِعُمُومِهَا، فَإِنَّ لَفْظَهَا لَفْظُ الْعُمُومِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الليل:١٩]، وَلَكِنَّهُ مُقَدَّمُ الْأُمَّةِ وَسَابِقُهُمْ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ، وَسَائِرِ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ"(٥).

قَوْلُهُ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾﴾، أَيْ: لَيْسَ لِأَحَدٍ عِنْدَهُ منْ يَدٍ أَوْ مَعْرُوفٍ؛ فَيَقْصِدَ بِإِيتَائِهِ مُجَازَاتَها(٦).

قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾، أيْ: لَكِنْ يُؤْتِي هَذا الْمَالَ وَيُنْفِقُهُ فِي وُجوهِ الْخَيْرِ، وَطَلَبِ رِضا اللهِ، لَا لِغَرَضٍ آخَرَ مِن أَغْراضِ الدُّنْيا؛ كَمُكافَأَةٍ أَوْ مَحْمَدَةٍ أَوْ سُمْعَةٍ أَوْ نَحْوِها(٧)، وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [سورة الإنسان:٩].

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣١٨).
(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٨٨).
(٣) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣١٨).
(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٧٨)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٢).
(٥) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٢).
(٦) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٧٨).
(٧) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٤٩).

قَوْلُهُ: ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾، هذا وَعْدٌ بِالثَّوابِ الَّذِي يُرْضِيهِ في الْآخِرَةِ[1].

وَبِهَذِهِ السُّورَةِ انْتَهَتْ سُوَرُ وَسَطِ الْمُفَصَّلِ[2].

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِن الْآيَاتِ:

مِنْ دَلَالَاتِ قَسَمِ اللهِ ﷻ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ:

فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ [سورة الليل:١-٢]: دَلائِلُ تُشيرُ إِلَى عِظَمِ مَا أَقْسَمَ اللهُ بِهِ في هَذِهِ الْآياتِ، حَيْثُ أَقْسَمَ بِاللَّيْلِ حِينَ يُغَطِّي كُلَّ شَيْءٍ بِظَلامِهِ، وَأَقْسَمَ بِالنَّهارِ إِذَا ظَهَرَ وَبَانَ وَانْتَشرَ بِضِيائِهِ وَإِشْراقِهِ، فَجَعَلَ اللهُ مِنْ حِكْمَتِهِ الْعَظِيمَةِ اللَّيْلَ رَاحَةً لِلْأَبْدانِ مِنَ الْكَدِّ وَالتَّعَبِ، وَجَعلَ النَّهارَ طَلَبًا لِلْعَيْشِ وَالسَّعْيِ في مَنَاكِبِ الْأَرْضِ.

الاسْتِدْلَالُ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى:

فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ [سورة الليل:١-٣]: أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ، فَهُوَ خَالِقُ الذَّكَرِ وَالأُنْثَى مِنَ الإِنْسانِ وَالْحَيَوانِ وَالنَّباتِ وَكُلِّ شَيْءٍ، وَهَذا يَدُلُّ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ الْعَظِيمَةِ مَعَ أَنَّهُما يَخْرُجَانِ مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ، فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ[3].

أَعْمَالُ الْعِبَادِ مُفْتَرِقَةٌ وَمُتَفَاوِتَةٌ:

فِي قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ [سورة الليل:٤]: أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِمَا ذُكِرَ عَلَى أَنَّ أَعْمَالَ الْعِبادِ مُفْتَرِقَةٌ جِدًّا، وَمُتَفَاوِتَةٌ تَفاوُتًا عَظِيمًا، فَبَعْضُها فِي رِضَاءِ اللهِ تَعالَى، وَبَعْضُها في سَخَطِهِ[4].

بَيَانُ مَنْزِلَةِ الْبَذْلِ وَالتَّقْوَى وَالتَّصْدِيقِ بِالْحُسْنَى:

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٨٠)، تفسير القاسمي (٩/ ٤٨٧).
(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٩٢).
(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص٩٢٦).
(٤) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٤٩٠).

فِي قَوْلِهِ تَعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [سورة الليل:٥-٧]: ذِكْرُ ثَلاثِ صِفَاتٍ عَظِيمَة، وهِيَ: التَّصَدُّقُ والصِّدْقُ وَالتَّقْوَى، وَفِي ذَلِكَ عِدَّةُ دَلَالَاتٍ، مِنْهَا:

أولًا: أَنَّ مَنْ بَذَلَ وصَدَّقَ بِـ(لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) وَالْتَزَمَ أَوَامِرَ اللهِ وَاجْتَنَبَ نَوَاهِيَهُ، فَإِنَّ اللهَ يُيَسِّرُ لَهُ الْخَيْرَ وَالْفَلاحَ، وَيَمْنَحُهُ الرِّضَا وَالتَّوْفيقَ، فَتَراهُ يَسِيرُ في طَرِيقِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، بَعِيدًا عَنِ الْمَعَاصِي، مُيَسَّرًا لِطَرِيقِ الْجَنَّةِ، كَمَا قَالَ تَعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [سورة الطلاق:٤](١).

ثانيًا: أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَوْصَافِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَبْذُلَ وَيُؤَدِّيَ الْحُقوقَ الَّتي عَلَيْهِ؛ سَواء كَانَتْ حُقُوقًا لِلَّهِ أَوْ حُقُوقًا لِلْخَلْقِ. وهُوَ مَعَ مَا يَبْذُلُه: يَسْتَشْعِرُ تَقْوَى اللهِ تَعَالَى فيمَا يَبْذُلُهُ وَيُؤَدِّيهِ مِنْ حُقُوقٍ.

ثالثًا: أَنَّ مَا يَبْذُلُهُ الْمُؤْمِنُ فِي الْحَقيقَةِ إِنَّمَا يَبْذُلُهُ لِنَفْسِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى رَبَطَ الْعَطَاءَ بِالتَّيْسيرِ؛ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾.

ذَمُّ الْبُخْلِ وَالْاسْتِغْنَاء عَنِ الْعِبَادَةِ وَالتَّكْذِيبِ بِالْحُسْنَى:

فِي قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [سورة الليل:٨-٩]: ذِكْرُ ثَلَاثِ صِفَاتٍ ذَمِيمَة، وهي: الْبُخْلُ وَالِاسْتِغْنَاءُ عَنْ عِبَادَةِ اللهِ، والتَّكْذِيبُ، وَفِي ذَلِكَ عِدَّةُ دَلَالَاتٍ، مِنْهَا:

أولًا: أَنَّ مِنْ أَخَصِّ أَوْصافِ الْكَافِرِ أَنْ يُكَذِّبَ بـ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، ويَبْخَلَ بِبَذْلِ حَقِّ اللهِ تَعَالى وَحُقُوقِ الْخَلْقِ، وَلَا تَسْمَحُ نَفْسُهُ بِأَدَاءِ مَا أَوْجَبَ اللهُ تَعالى عَلَيْهِ مِنَ الْحُقُوقِ.

ثانيًا: أَنَّ مَنِ اسْتَغْنَى عَنْ عِبادَةِ اللهِ تَعَالى بِشَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَلَذَّاتِها، وَكَذَّبَ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ؛ فَسَيَقُودُهُ ذَلِكَ إِلَى الْهَلَاكِ وَالْخَسَارَةِ(٢).

(١) ينظر: تفسير العثيمين – جزء عم (ص٢٢٧).

(٢) ينظر: طريق الهجرتين (ص١٤).

ثالثًا: أنَّ مِنْ أَعْظَمِ عَلامَاتِ شَقَاءِ الإِنْسَانِ: أَنْ تكونَ الْعِبادَاتُ أَثْقَلَ شَيْءٍ عَلَيْهِ، وَتَكُونَ الْمَعَاصِي أَسْهَلَ شَيْءٍ عَلَيْهِ[1].

التَّحْذِيرُ مِنْ طُغْيَانِ الْمَالِ:

فِي قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [سورة الليل:١١]: أَنَّ الْمَالَ لَا يَنْفَعُ صَاحِبَهُ، وَلَا يُنَجِّيهِ مِنَ النَّارِ إِذَا كَانَ الْمَالُ قَدْ أَطْغَاهُ، وَبَخِلَ بِهِ، وَلَمْ يُنفِقْهُ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ.

تَيْسِيرُ اللهِ تعَالَى أَسْبَابَ الْهِدَايَةِ لِمَنِ اخْتَارَ طَرِيقَهَا:

فِي قَوْلِهِ تَعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ [سورة الليل:١٢]: أَنَّ اللهَ تَعَالى مِنْ مُقْتَضَى حِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِعِبادِهِ أَنْ يَسَّرَ لَهُمْ أَسْبابَ الْهِدَايَةِ؛ فَمَنِ اخْتَارَ طَرِيقَهَا أَعَانَهُ اللهُ تعالى عَلَيْهَا، وَيَسَّرَ لَهُ الْيُسْرَى، وَمَنْ آثَرَ الضَّلالَةَ سَلَبَ عَنْهُ أَسْبَابَ الْهِدَايَةِ، وَيَسَّرَ لَهُ الْعُسْرَى[2]، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، فَأَتَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ»، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ العَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، قَالَ: أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ [سورة الليل:٥-٦] الآيَةَ»[3].

اللهُ تَعَالَى لَهُ الْمُلْكُ كُلُّهُ:

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٤/ ٧٦٢)، تفسير الألوسي (١٥/ ٣٦٧).

(٢) ينظر: تفسير الخازن (٤/ ٤٣٥)، التبيان في أقسام القرآن (ص٦٩-٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٦٢) واللفظ له، ومسلم (٢٦٤٧).

في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ [سورة الليل:١٣]: أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾ [سورة النجم:٢٥]؛ وَلِهَذا فَمَنْ طَلَبَهُما مِنْ غَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ[١]؛ لِأَنَّ الْخَلْقَ وَالْأَمْرَ بِيَدِهِ، وَالعَطاءَ وَالْمَنْعَ لا يَمْلِكُهُ أَحَدٌ سِواهُ، وَهَذا الْكَوْنُ كُلُّهُ تَحْتَ تَصَرُّفِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَقَدْ دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ أَدِلَّةٌ مِنَ الْكِتابِ وَالسُّنَّةِ، وَمِنْها: قَالَ تَعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [سورة الأعراف:٥٤]، وقَالَ تَعالَى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [سورة غافر:١٥-١٧]. **وِمنَ الْأَدِلَّةِ فِيْ الْسُّنَّةِ:** حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟»[٢].

التَّخْوِيفُ مِنَ النَّارِ:

فِي قَوْلِهِ تَعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [سورة الليل:١٤]: التَّخْوِيفُ مِنَ النَّارِ وَالتَّحْذِيرُ مِنْها، وَقَدْ كَانَ نَبِيُّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا مَا يُحَذِّرُ مِنْ تِلْكَ الدَّارِ؛ شَفَقَةً مِنْهُ بِأُمَّتِهِ أَنْ يُلْقَى أَحَدٌ فِيها، كَمَا فِي حَدِيْثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ، أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ، حَتَّى لَوْ أَنَّ رَجُلًا كَانَ بِالسُّوقِ لَسَمِعَهُ مِنْ مَقَامِي هَذَا، قَالَ: حَتَّى وَقَعَتْ خَمِيصَةٌ كَانَتْ عَلَى عَاتِقِهِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ»[٣]. وَكَمَا فِي حَدِيْثِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقُوا النَّارَ، قَالَ: وَأَشَاحَ، ثُمَّ قَالَ: اتَّقُوا النَّارَ، ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ

(١) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٤٧)، فتح القدير (٥/ ٥٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨١٢) واللفظ له، ومسلم (٢٧٨٧).

(٣) أخرجه أحمد (١٨٣٩٨)، وصححه ابن حبان (٦٤٤).

يَجِدْ فَبْكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[1]، وَفِي لَفْظٍ: «ثُمَّ لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلاَ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا النَّارَ، ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا النَّارَ، فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمُ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[2]، وَمِنْ ذَلِكَ: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة الشعراء:٢١٤]، دَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرَيْشًا، فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ: «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا»[3].

صِفَاتُ الشَّقِيِّ وَمَصِيرُهُم:

فِي قَوْلِهِ تَعالى: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦﴾ [سورة الليل:١٥-١٦]: ذِكْرُ صِفَاتِ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ، وأَنَّهُمُ الْأَشْقِيَاءُ، الْمُكَذِّبُونَ بِالرُّسُلِ، وَالْمُعْرِضُونَ عَنِ الدِّينِ، وأَنَّ مَصِيرَهُم: النَّارُ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-.

صِفَاتُ الْمُتَّقِينَ وَمَصِيرُهُم:

فِي قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩﴾ [سورة الليل:١٧-١٩]: ذِكْرُ أَنَّ التَّقِيَّ هُوَ الَّذِي سَيُجَنِّبُهُ اللهُ تَعَالى النَّارَ، وَيُبَاعِدُهُ عَنْهَا، وَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ، وَهَذَا وَاللهِ هُوَ الْفَوْزُ الْحَقِيقِيُّ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعالَى:

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦).
(٢) أخرجه البخاري (١٤١٣).
(٣) أخرجه البخاري (٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٤) واللفظ له.

﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [سورة آل عمران:١٨٥]، وَمِنْ صِفَاتِهِ:

أولًا: أَنَّه يَجْعَلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ وِقَايَةً؛ وَذَلِكَ بِفِعْلِ الْأَوَامِرِ وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي، فَهَذَا هُوَ الْمُؤْمِنَ الَّذِي يُرِيدُ النَّجَاةَ لِنَفْسِهِ.

ثانيًا: أَنَّهُ يَبْذُلُ مَالَهُ للهِ تَعَالَى طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ فِي مَصَارِفِ الْخَيْرِ، وَلَا يَبْذُلُهَا رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً ولَا طَلَبًا لِمَدْحِ النَّاسِ وَثَنَائِهِمْ، فَيُطَهِّرَ نَفْسَهُ مِنْ دَنَسِ الذُّنوبِ، وَيُطَهِّرَهَا مِنَ الشُّحِ وَالْبُخْلِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة التوبة:١٠٣].

ثالثًا: أَنَّهُ لَا يُنْفِقُ مَا يُنْفِقُ، وَلَا يَبْذُلُ مَا يَبْذُلُ مِنْ مَالِهِ لِيُكَافِئَ نِعْمَةً أَنْعَمَ بِهَا أَحَدٌ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَفِي الْآيَةِ: الْإِرْشَادُ إِلَى أَنَّ صَاحِبَ التَّقْوَى لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَحَمَّلَ مِنَنَ الْخَلْقِ وَنِعَمَهِمْ، وَإِنْ حَمَلَ مِنْهُمْ شَيْئًا بَادَرَ إِلَى جَزَائِهِمْ عَلَيْهِ؛ لِئَلاَّ يَتَبَقَّى لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ عَلَيْهِ نِعْمَةٌ تُجْزَى، فَيَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ عَمَلُهُ كُلُّهُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، لَيْسَ لِلْمَخْلوقِ جَزَاءٌ عَلَى نِعْمَتِهِ"(١).

رابعًا: أَنَّه يُنْفِقُ مَالَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ ابْتَغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ، مُنْشَرِحًا لَهُ صَدْرُهُ، سَخِيَّةً بِهِ نَفْسُهُ، كَما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [سورة البقرة:٢٦٥]، فَهُوَ لَا يَنْتَظِرُ مِنْ أَحَدٍ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا؛ لأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الْإِخْلَاصَ للهِ تَعالى شَرْطٌ فِي قَبُولِ الْأَعْمَالِ كُلِّهَا.

فَضِيلَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص٧١).

في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ١٧﴾، ومَا بَعْدَهَا: فَضِيلَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأَرْضَاهُ، وَالشَّهادَةُ لَهُ بِالإِخْلاصِ والصِّدْقِ وزَكَاةِ النَّفْسِ.

إِثْبَاتُ صِفَتَي الْوَجْهِ وَالْعُلُوِّ للهِ تَعَالَى:

في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: إِثْبَاتُ صِفَتَيْنِ مِنْ صِفَاتِ اللهِ، وَهُمَا:

الأولى: صِفَةُ الْوَجْهِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالى أَضَافَهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ﴾، وَمَتَى أُضِيفَتِ الصِّفَةُ إِلَى الْمَوْصوفِ فَإِنَّنَا نُثْبِتُهَا، وَقَدْ أَجْمعَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى أَنَّ لِلَّهِ وَجْهًا يَلِيقُ بِجَلالِهِ وَكَمَالِهِ وَعظَمَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[1]، فَعَلَى هَذَا: نَحْنُ نَعْتَقِدُ أَنَّ لِرَبِّنَا جَلَّ جَلَالُهُ وَجْهًا يَلِيقُ بِجَلالِهِ وَكَمَالِهِ؛ بِلَا تَشْبِيهٍ وَبِلَا تَمْثِيلٍ وَبِلَا تَحْرِيفٍ، فَلَا نَقُولُ: الْوَجْهُ هُوَ الثَّوَابُ، وَلَا نُعطِّلُ الْوَجْهَ وَلَا نَنْفِيهِ، بَلْ نُثْبِتُهُ لِلَّهِ تَعَالَى كَمَا أَثْبَتَهُ هُوَ سُبْحَانَهُ لِنَفْسِهِ.

الثانية: صِفَةُ الْعُلُوِّ الْمُطْلَقِ، وَعُلُوُّ اللهِ تَعالى صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ لَا تَنْفَكُّ عَنْ ذَاتِهِ سُبْحَانَهُ، فَلَمْ يَزَلِ اللهُ وَلَا يَزَالُ عَالِيًا، فَلَا أَوَّلَ لِعُلُوِّهِ وَلَا آخِرَ، وَصِفَةُ الْعُلُوِّ مِنْ أَظْهَرِ صِفَاتِ اللهِ وَأَوْضَحِهَا، فَلَوْ لَمْ يَأْتِ الشَّرْعُ بِأَنَّ اللهَ عَالٍ عَلَى خَلْقِهِ لَعُلِمَ بِالْعَقْلِ وَالْفِطْرَةِ، فَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ مَفْطُورُونَ عَلَى عُلُوِّ اللهِ جَلَّ وَعَلَا؛ وَلِهَذَا اشْتَدَّ نَكِيرُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ صِفَةَ الْعُلُوِّ بَلْ كَفَّرُوهُ[2].

وَقَدْ دَلَّ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ: الشَّرْعُ وَالْفِطْرَةُ وَالْعَقْلُ وَإِجْمَاعُ السَّلَفِ، فَتَنَوُّعُ طُرُقِ الاسْتِدْلَالِ لِصِفَةِ الْعُلُوِّ يَدُلُّ عَلَى وُضُوحِهَا.

إِرْضَاءُ اللهِ لِمَنْ أَنْفَقَ للهِ:

(١) ينظر: التمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٤٥)، مجموع الفتاوى (٦/ ١٥).
(٢) ينظر: شرح الطحاوية (ص٢٨٨).

في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾: أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَنْفَقَ ابْتِغاءَ وَجْهِ اللهِ تَعالى، وَطَلَبًا لِثَوَابِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالى سَوْفَ يُرْضِيهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهَذَا وَعْدٌ مِنَ اللهِ تَعالى، وَاللهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ.

❁❁❁

سورة الضُّحَى

سُورَةُ (الضُّحَى): سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ بِلَا خِلَافٍ(١)، وَآيُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً.

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمَائِهَا: سُورَةُ (الضُّحَى)، وَسُورَةُ (وَالضُّحَى)(٢).

سَبَبُ النُّزُولِ:

جَاءَ فِي ذِكْرِ سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ: مَا ثَبَتَ مِنْ حَدِيثِ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «اشْتَكَى النَّبِيُّ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَةً أَوْ لَيْلَتَيْنِ، فَأَتَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ، مَا أَرَى شَيْطَانَكَ إِلَّا قَدْ تَرَكَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَالضُّحَى ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿٣﴾﴾ [سورة الضحى: ١-٣]»(٣). وَفِي رِوَايَةٍ: «أَبْطَأَ جِبْرِيلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: وُدِّعَ مُحَمَّدٌ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَالضُّحَى ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿٣﴾﴾ [سورة الضحى: ١-٣]»(٤).

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ مِنَ السُّورَةِ:

حَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَقَاصِدِ وَالْمَعَانِي الْعَظِيمَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ(٥):

- ✓ إِبْطَالُ قَوْلِ الْمُشْرِكِينَ بِأَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ عَنْهُ.
- ✓ تَسْلِيَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا سَيُعْطِيهِ، وَرِضَاهُ عَنْهُ.
- ✓ تَذْكِيرُ اللهِ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا حَفَّهُ بِهِ مِنْ أَلْطَافِهِ وَعِنَايَتِهِ فِي مُخْتَلَفِ مَرَاحِلِ حَيَاتِهِ.
- ✓ الْأَمْرُ بِشُكْرِ النِّعَمِ.

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٤٩٣).
(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٩٣).
(٣) أخرجه البخاري (٤٩٨٣) واللفظ له، ومسلم (٤٩٥١).
(٤) أخرجه مسلم (١٧٩٧).
(٥) ينظر: مصاعد النظر بالإشراف على مقاصد السور (٣/ ٢٠٢)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٩٤).

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، الْوَاوُ: وَاوُ الْقَسَمِ، وَ(الضُّحى): أَوَّلُ النَّهَارِ حِينَ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ؛ وَتَخْصِيصُهُ لِأَنَّ النَّهَارَ يَقْوَى فِيهِ[1].

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾، أي: غَطَّى الْأَرْضَ بِظَلَامِهِ وَسَكَنَ[2].

وتَقْدِيمُ اللَّيْلِ فِي السُّورَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ بِاعْتِبَارِ الْأَصْلِ، وَتَقْدِيمُ النَّهارِ هَا هُنَا بِاعْتِبَارِ الشَّرَفِ[3].

قَوْلُهُ: ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾، أَيْ: مَا تَرَكَكَ ﴿رَبُّكَ﴾، وَهْوَ جَوابُ الْقَسَمِ ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾، وَمَا أَبْغَضَكَ[4]، وَحَذَفَ الْمَفْعُولَ اسْتِغْنَاءً بِذِكْرِهِ مِنْ قَبْلُ وَمُرَاعَاةً لِلْفَوَاصِلِ[5].

قَوْلُهُ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ﴾، وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فِيهَا مِنَ الْكَرَامَاتِ وَالْخَيْرَاتِ[6]، ﴿خَيْرٌ﴾ وَأَفْضَلُ، ﴿لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤﴾ الدُّنْيَا.

قَوْلُهُ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾، أَيْ: مَا تَرْجُوهُ لَكَ وَلِأُمَّتِكَ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَالنَّعِيمِ عَطَاءً جَزِيلًا، ﴿فَتَرْضَىٰ﴾ بِهِ.

ثُمَّ عَدَّدَ اللهُ تَعَالَى نِعَمَهُ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهِيَ كَالتَّالِي:

قَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ اِسْتِفْهَامُ تَقْرِيرٍ، أَيْ: وَجَدَكَ، ﴿يَتِيمًا﴾ بِفَقْدِ أَبِيكَ قَبْلَ وِلَادَتِكَ[7]، وَفَقْدِ أُمِّكَ وَعُمُرُكَ سِتُّ سَنَوَاتٍ[8]، ﴿فَـَٔاوَىٰ ۝٦﴾، أَيْ: فَرَعَاكَ، حَيْثُ عَطَفَ عَلَيْكَ جَدُّكَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، ثُمَّ عَمُّكَ أَبُو طَالِبٍ[9]، ثُمَّ أَيَّدَكَ اللهُ تَعَالى بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ[1].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٨١)، تفسير البغوي (٨/ ٤٥٤).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٨٣)، تفسير الجلالين (ص٨١١).

(٣) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣١٩).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٨٤).

(٥) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣١٩).

(٦) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٨٧)، تفسير النسفي (٣/ ٦٥٣).

(٧) ينظر: تفسير الجلالين (ص٨١٢).

(٨) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٦).

(٩) ينظر: الوجيز للواحدي (ص١٢١١).

قَوْلُهُ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا﴾ عَنْ مَعالِمِ النُّبُوَّةِ وَأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ، ﴿فَهَدَىٰ ٧﴾، أَيْ: هَدَاكَ إِلَيْهَا وَعرَّفَكَ عَلَيْهَا، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ [سورة الشورى:٥٢](٢).

قَوْلُهُ: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا﴾، أَيْ: فَقِيرًا(٣)، ﴿فَأَغۡنَىٰ﴾، أَيْ: بِمَا حَصَلَ لَكَ مِن رِبْحِ التِّجَارَةِ فِي مَالِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ثُمَّ بِالْغَنَائِمِ(٤)، أَوْ أَغْنَاكَ بِالْقَنَاعَةِ، وَهُوَ الْغِنَى الْحَقِيقِيُّ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»(٥)(٦).

قَوْلُهُ: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ﴾، أَيْ: الَّذِي فَقَدَ أَبَاهُ وَهُوَ دُونَ سِنِّ الْبُلُوغِ، ﴿فَلَا تَقۡهَرۡ﴾، أَيْ: لَا تَقْهَرْهُ بِوَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ الْقَهْرِ كَإِذْلَالِهِ أَوْ ظُلْمِهِ أَوْ أَخْذِ مَالِهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ(٧).

قَوْلُهُ: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ﴾، أَيْ: الفَقِيرَ الَّذِي يَسْأَلُ، أَوْ طَالِبَ العِلْمِ الَّذِي يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ(٨)، ﴿فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ بِطَرْدِهِ أَوْ زَجْرِهِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ(٩).

قَوْلُهُ: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ﴾، الصَّحِيحُ: أَنَّهَا تَعُمُّ جَمِيعَ نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ(١٠)، ﴿فَحَدِّثۡ﴾، أَيْ: فَأَخْبِرْ بِهَا النَّاسَ، فَإِنَّ الْإِخْبَارَ بِهَا مِنْ شُكْرِهَا(١١).

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٦).
(٢) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٥١١)، تفسير البغوي (٨/ ٤٥٦).
(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٨٩).
(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣١٩)، تفسير النسفي (٣/ ٦٥٥).
(٥) أخرجه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).
(٦) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٧)، تفسير أبي السعود (٩/ ١٧١)، تفسير الجلالين (ص٨١٢).
(٧) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ١٠٠)، تفسير الجلالين (ص٨١٢)، فتح القدير (٥/ ٥٥٩).
(٨) ينظر: زاد المسير (٤/ ٤٥٩)، تفسير البغوي (٨/ ٤٥٨).
(٩) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ١٠١).
(١٠) ينظر: زاد المسير (٤/ ٤٥٩)، تفسير النسفي (٣/ ٦٥٥).
(١١) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٢٠).

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

مَكَانَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فِي قَوْلِهِ تَعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾: أَنَّهُ تَعالى مَا تَرَكَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا أَبْغَضَهُ، بَلْ هُوَ صَاحِبُ الْمَكَانَةِ الْعَالِيَةِ، وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَالْحَوْضِ الْمَوْرُودِ.

الْمُقَارَنَةُ بَيْنَ خَيْرِ الْآخِرَةِ وَزَيْفِ الدُّنْيَا:

فِي قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾: أَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ الْآخِرَةَ بَاقِيَةٌ وَالدُّنْيَا فَانِيَةٌ، وَالْعَاقِلُ هُوَ مَنْ آثَرَ الْبَاقِيَ عَلَى الْفَانِي، وَمَا آثَرَ أَحَدٌ الْفَانِيَ عَلَى الْبَاقِي إِلَّا لِنَقْصٍ فِي عَقْلِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [سورة القصص:٦١][(١)].

وأَمَّا مَنْ قَدَّمَ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا: فَإِنَّ اللهَ تَعالى لَا يَتْرُكُهُ؛ بَلْ يَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَيُعْطِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ النَّعِيمِ وَالْإِكْرَامِ مَا لَا يَخْطُرُ فِي بَالِهِ. وَقَدِ اخْتَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا[(٢)]، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَعَجِبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ، يُخْبِرُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ»[(٣)].

بَيَانُ بَعْضِ مَا تَفَضَّلَ اللهُ تَعالى بِهِ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾: ذَكَرَ اللهُ أَنَّهُ سَيُعْطِي نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُرْضِيهِ، وَقَدْ تَفَضَّلَ رَبُّنَا الْكَرِيمُ عَلَيْهِ بِالْكَثِيرِ مِنَ الْعَطَايَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَمِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا:

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٦٢١).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٩٠٤).

أولًا: مَا أَعْطَاهُ لَهُ وَلِأُمَّتِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ إِتْمَامِ الدِّينِ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ، وَالنَّصْرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ[1]. وَهَذا مِمَّا أَعْطَاهُ لَهُ فِي الدُّنْيا، **ومِمَّا أَعْطَاهُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ**:

ثانيًا: الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ، وَهُوَ الَّذِي يَغْبِطُهُ عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ[2]، كَمَا فِي حَدِيثِ الشَّفاعَةِ العُظْمَى؛ حِينَ يَتَخَلَّى كُلُّ نَبِيٍّ، وَيَقُولُ: «نَفْسِي نَفْسِي»، حَتَّى يَصِلُوا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ: «أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا»[3].

ثالثًا: الْحَوْضُ الْمَوْرُودُ، وَمَا خُصَّتْ بِهِ أُمَّتُهُ مِنْ كَوْنِهِمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ، يَرِدُونَ عَلَيْهِ الحَوْضَ.

رابعًا: الْوَسِيلَةُ، وَهِيَ مَنْزِلَةٌ رَفِيعَةٌ عَالِيَةٌ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ واحِدٍ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»[4].

خامسًا: الشَّفاعَةُ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، كَمَا فِي الحَدِيثِ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»[5][6].

سادسًا: مَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ

(١) ينظر: تفسير الماوردي (٦/ ٢٩٣)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣١٩).

(٢) ينظر: الوجيز للواحدي (ص١٢١٠)، تفسير البغوي (٨/ ٤٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤٧١٢ و٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣ و١٩٤).

(٤) أخرجه مسلم (٣٨٤).

(٥) أخرجه مسلم (١٩٧).

(٦) ينظر: أضواء البيان (٨/ ٥٥٨-٥٥٩).

عَامَّةً»[1]. وفِي رِوَايَةٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَالَ: «فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ»[2].

سابعًا: مَا وَرَدَ فِيْ حَدِيْثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِيَ الْآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَنَافَسُوا فِيهَا»[3].

ثامنًا: مَا وَرَدَ فِيْ حَدِيْثِ أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قَالَ: «بَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ. فَقَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾ [سورة الكوثر: ١-٣]، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ فَقُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ»[4].

تاسعًا: مَا وَرَدَ فِيْ حَدِيْثِ ثَوْبَانَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لاَ يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي إِذَا

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

(٢) أخرجه مسلم (٥٢٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٤٤)، ومسلم (٢٢٩٦) واللفظ له.

(٤) أخرجه مسلم (٤٠٠).

قَضيْتُ قضاءً فَإِنَّهُ لاَ يُردُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لاَ أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ أُسَلِّطَ عَلَيْهِم عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا -أَوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا- حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»(١).

عاشرًا: مَا وَرَدَ فِي حَدِيْثِ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ»(٢).

التَّذْكِيرُ بِامْتِنَانِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى النَّاسِ مِنْ لُطْفِهِ وَهِدَايَتِهِ وَإِغْنَائِهِ:

فِي قَوْلِهِ تَعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾: أَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا امْتَنَّ عَلَى نَبِيِّهِ بِنِعَمٍ عَظِيمَةٍ، وَآلَاءٍ جَسِيمَةٍ، وَحِين يَمْتَنُّ اللهُ تَعالى عَلَى رَسولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذِكْرِ نِعَمِهِ وَآلَائِهِ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ قُدْوَةً لَنَا بِأَنْ نَتَذَكَّرَ لُطْفَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا بِنَا، خُصُوصًا فِي مَرَاحِلِنَا الأُولَى، وَكَيْفَ نَقَلَنَا اللهُ تَعالى بِفَضْلِهِ وَتَوْفِيقِهِ مِنَ الضَّيَاعِ إِلَى الإِيواءِ، وَمِنَ الضَّلَالِ إِلَى الْهُدَى، وَمِنَ الْحَاجَةِ إِلَى الْغِنَى.

التَّحْذِيرُ مِنَ الإِسَاءَةِ إِلَى الْيَتِيمِ وَالسَّائِلِ:

فِي قَوْلِهِ تَعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾: التَّحْذِيرُ مِنَ الإِسَاءَةِ إِلى الْيَتِيمِ، وَأَكْلِ مَالِهِ بِدُونِ وَجْهِ حَقٍّ، والتَّحْذِيرُ مِنَ الإِسَاءَةِ إِلى السَّائِلِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ سائِلُ الْمَالِ، وَسَائِلُ الْعِلْمِ.

بَيَانُ حُكْمِ التَّحدُّثِ بِالنِّعَمِ بَيْنَ الْمَشْرُوعِ وَالْمَمْنُوعِ:

فِي قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾: بَيَانُ مَشْرُوعِيَّةِ أَنْ يُحَدِّثَ الإِنْسَانُ بِنِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ هذا مِنْ شُكْرِ النِّعْمَةِ، وَمِنَ الإِقْرارِ بِالْجَمِيلِ لِلْمُنْعِمِ سُبْحانَهُ؛ وَلِهَذا وَرَد

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨٩).

(٢) سبق تخريجه.

عَنْ أَبِي نَضْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ الْمُسْلِمونَ يَرَوْنَ أَنَّ مِنْ شُكْرِ النِّعَمِ أَنْ يُحَدَّثَ بِهَا»(١)، وَقَالَ الْحَسَنُ: «إِذَا أَصَبْتَ خَيْرًا أَوْ عَمِلْتَ خَيْرًا؛ فَحَدِّثْ بِهِ الثِّقَةَ مِنْ إِخْوَانِكَ»(٢).

وَلَكِنْ هُنَاكَ أَحْوَالٌ لَا يُشْرَعُ فِيهَا التَّحَدُّثُ بِنِعَمِ اللهِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

أَوَّلًا: إِذَا كَانَ التَّحَدُّثُ بِالنِّعْمَةِ عَلَى سَبِيلِ الْفَخْرِ وَالِاخْتِيَالِ وَالتَّعَالِي عَلَى النَّاسِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [سورة الحديد:٢٣]، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ، وَلَا فَخْرَ، وَلِوَاءُ الْحَمْدِ بِيَدِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ»(٣). وَالْمَعْنَى: أَقُولُ هَذَا تَحَدُّثًا بِنِعْمَةِ اللهِ عَلَيَّ وَلَا أَفْتَخِرُ بِهِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْفَضِيلَةَ إِنَّمَا نِلْتُهَا كَرَامَةً مِنَ اللهِ، وَلَمْ أَنَلْهَا مِنْ قِبَلِ نَفْسِي، وَلَا بَلَغْتُهَا بِقُوَّتِي؛ فَلَيْسَ لِي أَنْ أَفْتَخِرَ بِهَا.

ثَانِيًا: إِذَا خَشِيَ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ الْحَسَدَ وَالْكَيْدَ مِنْ عَدُوٍّ حَاقِدٍ، أَوْ صَدِيقٍ حَاسِدٍ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا كَانَ مِنْ يَعْقُوبَ عَلَيْهِالسَّلَامُ عِنْدَمَا أَمَرَ ابْنَهُ يُوسُفَ أَنْ يَكْتُمَ رُؤْيَاهُ عَنْ إِخْوَتِهِ؛ لِئَلَّا يَكِيدُوا لَهُ كَيْدًا، قَالَ سُبْحَانَهُ حِكَايَةً عَنْهُ: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [سورة يوسف:٥].

ثَالِثًا: لَا يَنْبَغِي التَّحَدُّثُ بِالنِّعْمَةِ عِنْدَ الْمَحْرُومِ مِنْهَا، إِذَا خَشِيَ أَنْ يُحْدِثَ ذَلِكَ كَسْرًا فِي قَلْبِهِ؛ لِأَنَّ الشَّرْعَ قَدْ نَهَى عَنْ كُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَتَسَبَّبَ فِي إِيذَاءِ الْمُسْلِمِيْنَ، أَوْ جَرْحِ مَشَاعِرِهِمْ، وَكَسْرِ قُلُوبِهِمْ.

❁❁❁

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٤٩١).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ١٠٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٣٠٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سُورَةُ الشَّرْحِ

سُورَةُ (أَلَمْ نَشْرَحْ): مَكِّيَّةٌ بِلَا خِلَافٍ[(١)]، وَآيُهَا ثَمَانِي آيَاتٍ.

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمَائِهَا: سُورَةُ (أَلَمْ نَشْرَحْ)، وَسُورَةُ (الشَّرْحِ)، وَسُورَةُ (الِانْشِرَاحِ)[(٢)].

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

حَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَقَاصِدِ وَالْمَعَانِي الْعَظِيمَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ[(٣)]:

- ✓ شَرْحُ صَدْرِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَفْعُ قَدْرِهِ وَذِكْرِهِ.
- ✓ الْوَعْدُ بِأَنَّ الْعُسْرَ بَعْدَهُ يُسْرٌ وَفَرَجٌ وَنَصْرٌ مِنَ اللهِ.
- ✓ الْأَمْرُ بِالطَّاعَةِ وَالرَّغْبَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى.

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾، أَيْ: أَلَمْ نُفْسِحْ وَنُوَسِّعْ يَا مُحَمَّدُ[(٤)]، ﴿لَكَ صَدْرَكَ﴾، أَيْ: لِلْهُدَى وَالْإِيمَانِ[(٥)]، وَالِاسْتِفْهَامُ هُنَا اسْتِفْهَامٌ تَقْرِيرِيٌّ[(٦)]، وَهَذَا كَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [سورة الأنعام:١٢٥].

قَوْلُهُ: ﴿وَوَضَعْنَا﴾، أَيْ: وَحَطَطْنَا[(٧)]، ﴿عَنكَ وِزْرَكَ﴾، أَيْ: ذَنْبَكَ[(٨)]، وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [سورة الفتح:٢][(١)].

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٤٩٦).
(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٠٧).
(٣) ينظر: بصائر ذوي التمييز (١/ ٥٢٦)، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور(٣/ ٢٠٧)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٠٧).
(٤) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٦٣).
(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٩٢).
(٦) ينظر: زاد المسير (٤/ ٤٦٠)، تفسير الخازن (٤/ ٤٤١).
(٧) ينظر: ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ١٠٦).
(٨) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٩٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾، أَيْ: الَّذِي أَثْقَلَ وَأَتْعَبَ ظَهْرَكَ(٢).

قَوْلُهُ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، أي: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِذَا ذُكِرَ اللهُ تَعَالَى ذُكِرَ مَعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَيْسَ صَاحِبُ صَلاةٍ وَلَا مُتَشَهِّدٌ وَلَا خَطِيبٌ إِلَّا يَقُولُ: (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ)(٣)، وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَرَنَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [سورة النور: ٥٤]، وَقَالَ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [سورة النساء: ٨٠](٤).

قَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾﴾، أَيْ: مَعَ مَا تَرَاهُ مِنَ التَّكْذِيبِ وَالْأَذَى يُسْرًا وَفَرَجًا، وَمَعَ الضِّيقَةِ سَعَةٌ، وَمَعَ الشِّدَّةِ رَخَاءٌ، وَمَعَ الكَرْبِ فَرَجٌ(٥).

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾، تَكْرِيرٌ لِلتَّأْكِيدِ أَوِ اسْتِئْنَافُ وَعْدِهِ بِأَنَّ الْعُسْرَ مَتْبُوعٌ بِيُسْرٍ آخَرَ(٦).

قَوْلُهُ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾، مِنْ أَيِّ عَمَلٍ دِينِيٍّ أَوْ دُنْيَوِيٍّ، ﴿فَٱنصَبْ﴾، أَيْ: فَاتْعَبْ وَاجْتَهِدْ فِي الْعِبَادَةِ؛ شُكْرًا لِمَا عَدَّدْنَا عَلَيْكَ مِنَ النِّعَمِ السَّالِفَةِ، وَوَعَدْنَاكَ مِنَ النِّعَمِ الْآتِيَةِ(٧).

قَوْلُهُ: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾، أَيْ: ارْغَبْ بِالسُّؤَالِ وَالتَّضَرُّعِ، وَلَا تَسْأَلْ إِلَّا فَضْلَهُ، فَإِنَّهُ الْقَادِرُ وَحْدَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَبِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ(٨).

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

بَيَانُ عَظِيمِ نِعْمَةِ انْشِرَاحِ الصَّدْرِ:

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٦٣)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٠).

(٢) ينظر: تفسير الماوردي (٦/ ٢٩٧)، تفسير البغوي (٨/ ٤٦٣).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٩٤).

(٤) ينظر: تفسير الرازي (٣٢/ ٢٠٨)، تفسير النسفي (٣/ ٦٥٦).

(٥) ينظر: تفسير السمعاني (٦/ ٢٥٠)، فتح القدير (٥/ ٥٦٤).

(٦) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٢١).

(٧) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٣)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣٢١-٣٢٢).

(٨) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٢٢).

فِي قَوْلِهِ تَعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾: بَيانٌ لِنِعْمَةِ اللهِ عَلى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَرْحِ صَدْرِهِ، فَقَدْ شَرَحَ صَدْرَهُ، وَنَوَّرَهُ بِالْوَحْيِ وَالْحِكْمَةِ، وَأَذْهَبَ عَنْهُ جَمِيعَ الْهُمومِ وَالْغُمومِ الَّتي أَصابَتْهُ؛ مِنْ تَكْذيبِ قَوْمِهِ، واسْتِكْبارِهِمْ عَنْ دَعْوَتِهِ وَالْإيمانِ بِهِ، وَفِي هَذا تَسْلِيَةٌ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأَنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْمِنَنِ الَّتِي يَمْتَنُّ اللهُ تَعالى بِها عَلى الْعَبْدِ: أَنْ يَشْرَحَ صَدْرَهُ، وَيُنَوِّرَهُ بِالْعِلْمِ وَالْهُدى؛ وَلِهذا كانَ مِنْ دُعاءِ مُوسَى عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧﴾ [سورة طه:٢٥-٢٧]، فَكانَ الدُّعاءُ بِانْشِراحِ الصَّدْرِ أَوَّلَ دَعْوَةٍ دَعا بِها مُوسَى عليه الصلاة والسلام.

وهذا لأَنَّ ذَلِكَ -أي: انْشِراحُ الصَّدْرِ- مِنْ أَعْظَمِ ما يُعِينُ عَلَىٰ تَحَمُّلِ أَعْباءِ الرِّسالَةِ، وَالْقِيامِ بِواجِبِ الْبَلاغِ؛ وَلِهَذا كانَتْ أَوَّلَ النِّعَمِ الَّتي امْتَنَّ اللهُ بِها عَلى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

غُفْرانُ اللهِ تَعالَى ذُنوبَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فِي قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾ [سورة الشرح:٢]: بَيانُ مِنَّةِ اللهِ عَلى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَطْهِيرِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطايا، وَفي ذَلِكَ عِدَّةُ دَلالاتٍ، مِنْها:

أولًا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقَعُ مِنْهُ الْخَطَأُ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعالى لا يُقِرُّهُ عَلى خَطَئِهِ، بَلْ يُبَيِّنُ لَهُ خَطَأَهُ رَحْمَةً بِهِ وَبِأُمَّتِهِ، وَيَعْفُو عَنْ زَلَّتِهِ، وَيَقْبَلُ تَوْبَتَهُ فَضْلًا مِنْهُ وَرَحْمَةً، وَاللهُ غَفورٌ رَحيمٌ، وَهَذا ظاهِرٌ جَلِيٌّ لِمَنْ تَأَمَّلَ الْقُرآنَ، كَهَذِهِ الآيَةِ وَغَيْرِها، لَكِنَّهُ مَعْصُومٌ مِنَ الْخَطَأِ فِي كُلِّ ما يُبَلِّغُهُ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَما قالَ تَعالَى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥﴾ [سورة النجم:١-٥].

ثانيًا: أَنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ تَعَالى عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنْ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَحَطَّ عَنْهُ مَا أَثْقَلَ ظَهْرَهُ مِنْ أَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ حَتَّى يُبَلِّغَهَا[1]، وإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْمِنَنِ الَّتِي يَمْتَنُّ اللهُ تَعَالَى بِهَا عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ.

ضَرَرُ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِيْ عَلَىٰ قَلْبِ الْمُؤْمِنِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾ [سورة الشرح:٢-٣]: أَنَّ لِلذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي ثِقَلًا عَظِيمًا عَلَى الْمُؤْمِنِ، مِمَّا يَسْتَوْجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُبَادِرَ دَائِمًا إِلَى الاِسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ، وَأَنَّ الذُّنُوبَ وَالْمَعَاصِيْ تُؤَدِّيْ إِلَىٰ عَدَمِ انْشِرَاحِ الصَّدْرِ.

لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [سورة الشرح:٥-٦]: أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يُحْسِنَ ظَنَّهُ بِاللهِ، وَأَنْ يُقَوِّيَ يَقِينَهُ بِفَرَجٍ مِنْ عِنْدِهِ سُبْحَانَهُ، فَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّ عَبْدِهِ بِهِ، وَأَنْ يَبْذُلَ أَسْبَابَ الْفَرَجِ مِنَ الصَّبْرِ وَالتَّقْوَى وَالتَّوَكُّلِ وَحَمْدِ اللهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [سورة الطلاق:٢-٣].

وَقَدْ جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»[2].

وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَمِنْ لَطَائِفِ أَسْرَارِ اقْتِرَانِ الْفَرَجِ بِالْكَرْبِ وَالْيُسْرِ بِالْعُسْرِ: أَنَّ الْكَرْبَ إِذَا اشْتَدَّ وَعَظُمَ وَتَنَاهَى، وَحَصَلَ لِلْعَبْدِ الإِيَاسُ مِنْ كَشْفِهِ مِنْ جِهَةِ الْمَخْلُوْقِيْنَ، وَتَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِاللهِ وَحْدَهُ، وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ

(١) ينظر: تفسير الخازن (٤/ ٤٤١).

(٢) أخرجه أحمد (٢٨٠٣).

الْأَسْبَابِ الَّتِي تُطْلَبُ بِهَا الْحَوَائِجُ، فَإِنَّ اللهَ يَكْفِي مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [سورة الطلاق:٣]"(١).

وَعَنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [سورة الشرح:٦] قَالَ: «خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا مَسْرُورًا فَرِحًا، وَهُوَ يَضْحَكُ وَهُوَ يَقُولُ: لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ»(٢).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [سورة الشرح:٥-٦]: فَالْعُسْرُ -وَإِنْ تَكَرَّرَ مَرَّتَيْنِ- فَتَكَرَّرَ بِلَفْظِ الْمَعْرِفَةِ فَهُوَ وَاحِدٌ، وَالْيُسْرُ تَكَرَّرَ بِلَفْظِ النَّكِرَةِ فَهُوَ يُسْرَانِ، فَالْعُسْرُ مَحْفُوفٌ بِيُسْرَيْنِ، يُسْرٍ قَبْلَهُ، وَيُسْرٍ بَعْدَهُ، فَلَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ"(٣).

الْأَمْرُ بِاسْتِغْلَالِ الْوَقْتِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾ [سورة الشرح:٧]: أَنَّ اللهَ أَمَرَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَأَمْرُهُ لِنَبِيِّهِ أَمْرٌ لِأُمَّتِهِ-: أَنْ يَمْلَأَ وَقْتَهُ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَيَجْتَهِدَ فِي ذَلِكَ، وَكُلَّمَا فَرَغَ مِنْ عَمَلٍ أَتْبَعَهُ بِعَمَلٍ آخَرَ حَتَّى يَلْقَى اللهَ تَعَالَى، وَيَسْتَحْضِرَ النِّيَّةَ الْخَالِصَةَ فِي أَيِّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ حَتَّى يُثَابَ عَلَيْهِ.

الْحَثُّ عَلَى الرَّغْبَةِ فِيمَا عِنْدَ اللهِ، وَاطِّرَاحِ الرَّغْبَةِ فِيمَنْ عَدَاهُ، فِي كُلِّ شَيْءٍ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [سورة الشرح:٨]: حَثَّ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو حَثٌّ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَرْغَبَ فِيمَا عِنْدَ اللهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالى

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٩٣).
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٩٥٠) مرسلًا. وقال الحاكم (٢/ ٥٧٥): "وقد صحت الرواية عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب: «لن يغلب عسر يسرين»".
(٣) بدائع الفوائد (٢/ ١٥٥).

حَذفَ مَفعُولَ ﴿فَٱرۡغَب﴾، وَحَذْفُهُ يَدُلُّ عَلَى عُمُومِ كُلِّ مَا يَرْغَبُهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [1]؛ لأَنَّ الرَّغْبَةَ فِيمَا عِنْدَ اللهِ تُثْمِرُ في حَيَاةِ الْمُؤْمِنِ السَّعَادَةَ، وَالسُّكُونَ وَالطُّمَأْنِينَةَ وَالرَّاحَةَ، وَتَسْتَقِيمُ الْجَوَارِحُ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، وَتُشَمِّرُ النَّفْسُ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَتَمْلأُ النَّفْسَ بِالشَّوْقِ وَالْحَنِينِ وَالرَّغْبَةِ إِلَى مَا عِنْدَ اللهِ، عِنْدَ ذَلِكَ تَتَصَاغَرُ فِي نَفْسِ الْمُؤْمِنِ هَذِهِ الدُّنْيَا، فَلَا تَفْتِنُهُ شَهَوَاتُهَا، وَلَا تَغُرُّهُ مَلَذَّاتُهَا، وَلَا يَبِيعُ دِينَهُ وَلَا أَخْلَاقَهُ وَلَا قِيَمَهُ وَمَبَادِئَهُ مِنْ أَجْلِهَا.

وقَدِ امْتَثَلَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ، فَكَانَ أَكْثَرَ الْخَلْقِ رَغْبَةً فِي مَا عِنْدَ اللهِ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، وَصَبَرَ عَلَى مَرْضَاتِهِ، وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِطاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «خَطَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ وَقَالَ: إِنَّ اللهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ ذَلِكَ العَبْدُ مَا عِنْدَ اللهِ، قَالَ: فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ: أَنْ يُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَبْدٍ خُيِّرَ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ»[2].

إثبات توحيد الربوبية والألوهية:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾: تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ، فَتَوحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ﴾، وَتَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ فِي قَصْرِ الرَّغْبَةِ فِيمَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى؛ فَيَنْبَغِي عَلَى الْعَبْدِ قَصْرُ الرَّغْبَةِ فِي الْمَطَالِبِ وَالْحَاجَاتِ عَلَى اللهِ وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِهِ كَائِنًا مَنْ كَانَ؛ لِأَنَّ تَقْدِيمَ

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٤١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٤).

الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ﴾ عَلَى الْفِعْلِ ﴿فَٱرْغَب﴾ يَدُلُّ عَلَى الْحَصْرِ وَالاِخْتِصَاصِ، أَيْ: فَلَا تَرْغَبْ فِي غَيْرِهِ، وَلَا تَطْلُبْ مِنْ أَحَدٍ سِوَاهُ[1].

❁❁❁

(١) ينظر: تفسير ابن جزي (٢/ ٤٩٣).

سُورَةُ التِّين

سُورَةُ (وَالتِّينِ): مُخْتَلَفٌ فِيها أَمَكِّيَّةٌ أَمْ مَدَنِيَّةٌ[1]، وَآيُهَا ثَمانُ آيَاتٍ.

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمَائِهَا: سُورَةُ (وَالتِّينِ)، وَسُورَةُ (التِّينِ)[2].

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ مِنَ السُّورَةِ:

اِحْتَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَىٰ مَقَاصِدَ عَظِيمَةٍ، مِنْ أَهَمِّهَا[3]:

- ✓ إِثْبَاتُ الْقُدْرَةِ الْكَامِلَةِ للهِ، فَإِنَّ فِي خَلْقِ التِّينِ وَالزَّيْتُونِ مِنَ الْغَرَائِبِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ.
- ✓ أَنَّ اللهَ خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَى الْفِطْرَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ؛ لِيَعْلَمُوا أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الْفِطْرَةُ، وَأَنَّ مَا يُخَالِفُ أُصُولَهُ بِالْأَصَالَةِ أَوْ بِالتَّحْرِيفِ فَسَادٌ وَضَلَالٌ.
- ✓ الْإِشَارَةُ بِالْأُمُورِ الْمُقْسَمِ بِهَا إِلَى أَطْوَارِ الشَّرَائِعِ الْأَرْبَعَةِ؛ إِيمَاءً إِلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ جَاءَ مُصَدِّقًا لَهَا، وأَنَّهَا مُشَارِكَةٌ أُصُولُهَا لِأُصولِ دِينِ الْإِسْلَامِ.
- ✓ التَّنْوِيهُ بِحُسْنِ جَزَاءِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا الْإِسْلَامَ فِي أُصُولِهِ وَفُرُوعِهِ.
- ✓ الامْتِنَانُ عَلَى الْإِنْسَانِ بِخَلْقِهِ عَلَى أَحْسَنِ نِظَامٍ فِي جُثْمَانِهِ وَنَفْسِهِ.

مِنْ فَضَائِلِ السُّورَةِ:

جَاءَ فِي فَضْلِ هَذِهِ السُّورَةِ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ بِهَا فِي إِحْدَى صَلَوَاتِهِ، فَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾؛ فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا أَوْ قِرَاءَةً مِنْهُ»[4].

---

(١) ينظر: زاد المسير (٤/ ٤٦٣).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٤١٩).

(٣) ينظر: مصاعد النظر (٣/ ٢٠٩)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٢٩-٤٣٠).

(٤) أخرجه البخاري (٧٥٤٦) واللفظ له، ومسلم (٤٦٤).

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾، الْوَاوُ: لِلْقَسَمِ، وَالتِّينُ وَالزَّيْتُونُ: مُقْسَمٌ بِهِمَا؛ وَخَصَّهُمَا مِنَ الثِّمارِ بِالْقَسَمِ لِكَثْرَةِ مَنَافِعِهِمَا وَفَوَائِدِهِمَا(1).

قَوْلُهُ: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾، الطُّورُ: الْجَبَلُ الَّذِي نَاجَى عَلَيْهِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَبَّهُ، وَسِينِينُ وَسَيْنَاءُ: اسْمانِ لِلْمَوْضِعِ الَّذِي هُوَ فِيهِ(2)، وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى الطُّورَ فِي الْقُرْآنِ لِلتَّكْرِيمِ وَلِلْقَسَمِ، فَمِنْ ذِكْرِهِ لِلتَّكْرِيمِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [سورة مريم:٥٢]، ومِن ذِكْرِهِ لِلْقَسَمِ بِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢﴾ [سورة الطور:١-٢](3).

قَوْلُهُ: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾، أَيْ: الَّذِي يَأْمَنُ فِيهِ مَنْ دَخلَهُ(4)، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [سورة العنكبوت:٦٧]، وَالْمُرُادُ بِهِ مَكَّةُ(5)؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [سورة آل عمران:٩٧].

وَهَذِهِ كُلُّهَا أَقْسَامٌ، وَالْمُقْسَمُ عَلَيْهِ قَولُهُ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾.

قَوْلُهُ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾، (لَقَدْ): وَاقِعَةٌ فِي جَوابِ الْقَسَمِ(6)، أَيْ: وَاللهِ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ، وَالْمُرادُ بِالْإِنْسَانِ: الْجِنْسُ(7)، ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، أَيْ: فِي أَحسَنِ صُورَةٍ(8).

(١) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٦٨)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣٢٣).
(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٢٣).
(٣) ينظر: أضواء البيان (٩/ ٥).
(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٢٣).
(٥) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٢٣).
(٦) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٠٨)، زاد المسير (٤/ ٤٦٤).
(٧) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٢٣).
(٨) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥١٠)، تفسير البغوي (٨/ ٤٧٢).

قولُهُ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾، أَيْ: إِلَى النَّارِ، فبَعْدَ الْحُسْنِ وَالنَّضَارَةِ مَصِيرُهُ إِلَى النَّارِ إِنْ لَمْ يُطِعِ اللهَ وَيَتَّبِعِ الرُّسُلَ؛ وَيدُلُّ لهُ قوْلُهُ بَعْدَهَا: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾. وقِيلَ: بِأَنَّ مَعْنَى الرَّدِ إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ هُوَ أَرْذَلُ الْعُمْرِ[1]، فَيَكُونُ قَولُهُ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: اسْتِثْنَاءً مُنْقَطِعًا[2].

قولُهُ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، أَيْ: إِلَّا الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يُرَدُّونَ إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ[3]، بَلْ هُمْ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [سورة المطففين:١٨].

قولُهُ: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾، أَيْ: غَيْرَ مَقْطُوعٍ[4]، وَنَظِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢١ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٢٥﴾ [سورة آل عمران:٢١-٢٥].

قولُهُ: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾، أَيْ: أَيُّ شَيءٍ يَحمِلُكَ يَا ابْنَ آدمَ عَلَى أَنْ تُكَذِّبَ بِيَوْمِ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ؛ مَعَ وُضُوحِ الْأَدِلَّةِ الْكَثِيرَةِ عَلى قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى؟ **أَوِ الْمَعْنَى**: فَمَنْ يُكَذِّبُكَ يَا أَيُّها الرَّسُولُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ؛ مَعَ وُضُوحِ الْأَدِلَّةِ الْكَثِيرَةِ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى، فَتَكونُ (مَا) بِمَعْنَى (مَنْ)[5]، وَالْأَصَحُّ هُوَ: الْمَعْنَى الْأَوَّلُ، وَاللهُ أَعْلَمُ[6].

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥١٣)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣٢٣).
وقد ذكر ابن تيمية وتلميذه ابن القيم هذا القول وضعفاه، واختارا القول الأول، وذكر ابن القيم وجوهًا عشرة لذلك.
ينظر: مجموع الفتاوى (١٦/ ٢٧٩)، والتبيان في أقسام القرآن (ص٤٦-٤٧).
(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥١٥)، تفسير القرطبي (٢٠/ ١١٥)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٥).
(٣) ينظر: فتح القدير (٥/ ٦٠١)، تفسير العثيمين – جزء عم (ص٢٥٣).
(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٢٢)، تفسير البغوي (٨/ ٤٧٣).
(٥) وقد اختار هذا القول ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٢٤)، تفسير القرطبي (٢٠/ ١١٦).
(٦) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٢٣)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٥).

قَوْلُهُ: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾، هذا تَحْقِيقٌ لِمَا ذُكِرَ، وَالْمَعْنى: أَلَيْسَ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ مِنَ الْخَلْقِ وَالرَّدِّ بِأَحْكَمِ الحَاكِمِينَ صُنْعًا وَتَدْبِيرًا وَخلقًا؟ وَالْجَوابُ: بَلَى، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ قَادِرًا عَلى الْبَعْثِ وَالْجَزاءِ[1].

بَعْضُ الْفَوائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآياتِ:

دَلَائِلُ الْقَسَمِ بِالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَالطُّورِ وَالْبَلَدِ الأَمِينِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣﴾ [سورة التين: ١-٣]: أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ بِأمور:

الأول: التِّينُ وَالزَّيْتون، وَهُمَا مِنَ الثِّمَارِ الْمَعْرُوفَةِ، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى بَلَدِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الثاني: الطُّورُ، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى الْجَبَلِ وَالْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ التي كَلَّمَ اللهُ عَلَيْهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ التَّوْرَاةَ.

الثالث: الْبَلَد الْأَمِين، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى مَكَّةَ، فَهِيَ الْبَلَدُ الأَمِينُ وَالْآمِنُ مِنْ كُلِّ خَوْفٍ، وَمَهْبِطُ الإِسْلَامِ، وَمَبْعَثُ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَفْضَلِهِمْ وَسَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2].

فَضْلُ شَجَرَتَيِ التِّينِ وَالزَّيْتُونِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ﴾: فَضْلُ هَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ وَالْعِنَايَةُ بِهِمَا؛ لِكَثْرَةِ مَنَافِعِهِمَا وَفَوَائِدِهِمَا؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَصَّهُمَا بِالذِّكْرِ. وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالى أَنَّ الزَّيْتُونَ شَجَرَةٌ مُبارَكَةٌ؛ فَقَالَ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٢٤).
(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٤).

لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝٣٥﴾ [سورة النور:٣٥]، وَجاءَ فِي حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِهِ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ»(١)(٢).

دَلَائِلُ خَلْقِ اللهِ لِلْإِنْسَانِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ وَتَقْوِيمٍ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [سورة التين:٤]: أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ وَأَكْمَلِهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ ۝٣﴾ [سورة التغابن:٣]، وَقَدْ أَكَّدَ اللهُ تَعَالَى هَذَا الْمَعْنَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ مُدَلِّلًا بِذَلِكَ عَلَى بَعْثِ الْإِنْسَانِ بَعْدَ مَوْتِهِ لِلْحِسابِ وَالْجَزاءِ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ اللهَ الْقَادِرَ عَلى خَلْقِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْعَدَمِ فِي الصُّورَةِ الْحَسَنَةِ قَادِرٌ عَلَى بَعْثِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ.

الثَّانِي: أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، وَلَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ يَخْلُقَ الْإِنْسَانَ عَلَى هَذَا الْكَمالِ فِي الْخَلْقِ ثُمَّ يَتْرُكُهُ سُدًى، فَلَا يُكَلِّفُهُ وَلَا يُجازِيهِ عَلَى عَمَلِهِ، فَاقْتَضَتْ حِكْمَةُ أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ أَنْ يَبْعَثَ النَّاسَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ لِيُجَازَوْا عَلَى أَعْمالِهِمْ، وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الدِّينِ، وَهُوَ يَوْمُ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ(٣).

خَطَرُ الْغَفْلَةِ عَنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [سورة التين:٥]: أَنَّ الَّذِينَ غَفَلُوا عَنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَعْرَضُوا عَنِ الْحَقِّ وَالنَّظَرِ وَالتَّفَكُّرِ فِي خَلْقِ اللهِ تَعَالَى وَبَدِيعِ صُنْعِهِ؛ مَرَدُّهُمْ أَسْفَلَ سافِلِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ -وَالْعِياذُ بِاللهِ-.

أَهَمِّيَّةُ الْإِيمانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَبَيانُ جُودِ اللهِ:

---

(١) أخرجه الترمذي (١٨٥٢) واللفظ له، وقال: "حديث غريب من هذا الوجه"، وابن ماجه (٣٣١٩)، والحاكم في المستدرك (٧١٤٢) وقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ١١٢).

(٣) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ٧٤).

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [سورة التين:٦]: أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَلَا يَكْفِي أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ، وأن من كَرَمِ اللهِ وَجُودُهُ وَإِحْسَانُهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمْلُوا الصَّالِحَاتِ: أَنَّ جَعَلَ أَجْرَهُمْ غَيْرَ مَمْنُوْنٍ، فَهُوَ دَائِمٌ لَا يَزولُ وَلَا يَحُولُ، وَهَذَا الْأَجْرُ الدَّائِمُ لَيْسَ كَأُجُورِ الدُّنْيا، وَإِنَّمَا هُوَ أَجْرٌ مُخْتَلِفٌ، كَمَا قالَ اللهُ فِي الْحَدِيثِ الْقُدسِيِّ: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الْصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»[(١)].

اسْتِفَاضَةُ الْأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ [سورة التين:٧]: أَنَّ الْأَدِلَّةَ الدَّالَّةَ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ تَعالَى كَثِيرَةٌ جِدًّا، فَمَا يُكَذِّبُ وَيُنْكِرُ يَوْمَ الْقِيامَةِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ مُتَجاوِزٍ لِلْحَدِّ فِي عِصْيَانِهِ وَإِنْكَارِهِ.

عَدْلُ اللهِ تَعَالَى الْمُطْلَقُ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [سورة التين:٨]: أَنَّ اللهَ تَعَالَىْ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، وَمِنْ عَدْلِهِ أَنْ يُقِيمَ الْقِيَامَةَ، فَيُنْصِفَ الْمَظْلومَ فِي الدُّنْيا مِمَّنْ ظَلَمَهُ[(٢)]، قَالَ تَعالَى: تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [سورة الأنبياء:٤٧]. وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»[(٣)].

❁❁❁

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).
(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٥).
(٣) أخرجه مسلم (٢٥٨٢).

سُورَةُ الْعَلَقِ

سُورَةُ (الْعَلَقِ): سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ[1]، وَآيُهَا تِسْعَ عَشْرَةَ آيَةً.

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمَائِهَا: سُورَةُ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ)، وَسُورَةُ (الْعَلَقِ)، وَسُورَةُ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)، وَسُورَةُ (اقْرَأْ)، وَسُورَةُ (اقْرَأْ وَالْعَلَقِ)، وَسُورَةُ (الْقَلَمِ)[2].

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

احْتَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى مَقَاصِدَ عَظِيمَةٍ، مِنْ أَهَمِّهَا[3]:

- ✓ الْأَمْرُ بِعِبَادَةِ مَنْ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ.
- ✓ تَلْقِينُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَلَامَ الْقُرْآنِيَّ وَتِلَاوَتَه.
- ✓ التَّوْجِيهُ إِلَى النَّظَرِ فِي خَلْقِ اللهِ الْمَوْجُودَاتِ، وَخَاصَّةً خَلْقُهُ الْإِنْسَانَ.
- ✓ تَهْدِيدُ مَنْ كَذَّبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَعَرَّضَ لَهُ.
- ✓ تَثْبِيتُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا جَاءَهُ مِنَ الْحَقِّ.

سَبَبُ النُّزُولِ:

جَاءَ فِي ذِكْرِ سَبَبِ نُزُولِ بَعْضِ الْآيَاتِ: حَدِيثُ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يُصَلِّي كَذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ وَلَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِي لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكِصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا، قَالَ: وَأَنْزَلَ

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٥٠١).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٣٣).

(٣) ينظر: مصاعد النظر (٣/ ٢١٣)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٣٤).

اللهُ -لَا أَدْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَمْ لَا-: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ﴾ [سورة العلق:٦] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ»(١).

وَالْآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ تَنطَبِقُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْعِبْرَةَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ، كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي عِلْمِ الْأُصُولِ.

مِنْ فَضَائِلِ السُّورَةِ:

هَذِهِ السُّورَةُ الْعَظِيمَةُ جَاءَ فِي فَضْلِهَا مَا رَوَتْهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءَ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ -وَهُوَ: التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [سورة العلق:١] حَتَّى بَلَغَ: ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [سورة العلق:٥]، قَالَ: فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ: **زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ: يَا خَدِيجَةُ، مَا لِي: فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، وَقَالَ: **قَدْ خَشِيتُ عَلَيَّ**، فَقَالَتْ لَهُ: كَلَّا أَبْشِرْ، فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنِ قُصَيٍّ -وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ، أَخِي أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، وَكَتَبَ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يُكْتَبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ -فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: أَيِ ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ وَرَقَةُ: ابنَ أَخِي، مَا تَرَى؟

(١) أخرجه مسلم (٢٧٩٧).

فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا رَأَى، فَقَالَ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمَكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟ فَقَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فِيمَا بَلَغَنَا- حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذُرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ نَفْسَهُ مِنْهُ، تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ رَسُولُ اللهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ بِذَلِكَ جَأْشُهُ، وَتَقَرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى بِذُرْوَةِ الْجَبَلِ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ»(١).

وَقَدْ دَلَّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ هَذِهِ الآيَاتُ الْأُوَلُ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، وَهَذَا الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ. قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "هَذَا دَلِيلٌ صَرِيحٌ فِي أَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ: ﴿ٱقْرَأْ﴾[سورة العلق:١]، وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ الَّذِي عَلَيْهِ الْجَمَاهِيرُ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ"(٢).

وَأَصْرَحُ مِنْ هَذا: مَا جَاءَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «أَوَّلُ سُورَةٍ نَزَلَتْ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [سورة العلق:١]»(٣).

وَالْحِكْمَةُ فِي هَذِهِ الْأَوَّلِيَّةِ -كَمَا قَالَ ابْنُ حَجَرٍ-: "أَنَّ هَذِهِ الآيَاتِ الْخَمْسَ اشْتَمَلَتْ عَلَى مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ، فَفِيهَا بَرَاعَةُ الِاسْتِهْلَالِ، وَهِيَ جَدِيرَةٌ أَنْ تُسَمَّى: (عُنْوَانَ الْقُرْآنِ)؛ لِأَنَّ عُنْوَانَ الْكِتَابِ يَجْمَعُ مَقَاصِدَهُ بِعِبَارَةٍ وَجِيزَةٍ فِي أَوَّلِهِ". ثُمَّ قَالَ: "وَبَيَانُ كَوْنِهَا اشْتَمَلَتْ عَلَى مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ: أَنَّهَا تَنْحَصِرُ فِي عُلُومِ التَّوْحِيدِ وَالْأَحْكَامِ وَالْأَخْبَارِ، وَقَدِ اشْتَمَلَتْ عَلَى الْأَمْرِ بِالْقِرَاءَةِ وَالْبَدَاءَةِ فِيهَا بِبِسْمِ اللهِ، وَفِي هَذِهِ الْإِشَارَةُ إِلَى الْأَحْكَامِ، وَفِيهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِتَوْحِيدِ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٨٢) واللفظ له، ومسلم (١٦٠).

(٢) شرح صحيح مسلم (٢/ ١٩٩).

(٣) مستدرك الحاكم (٣٩٥٤) وقال: "صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه".

الرَّبِّ وَإِثْبَاتِ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، مِنْ صِفَةِ ذَاتٍ وَصِفَةِ فِعْلٍ، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أُصُولِ الدِّينِ، وَفِيهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَخْبَارِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة العلق:٥]"[١].

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾، أَيْ: اقْرَأْ وَاتْلُ الْقُرْآنَ مُفْتَتِحًا بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَمُسْتَعِينًا بِهِ[٢]، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ①﴾، أَيْ: الْمُتَفَرِّدِ بِخَلْقِ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، أَوِ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ؛ لِأَنَّهُ حَذَفَ الْمَفْعُولَ، وَحَذْفُهُ يَدُلُّ عَلَى الْعُمُومِ[٣].

قَوْلُهُ: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾، هَذَا تَخْصِيصٌ بَعْدَ تَعْمِيمٍ؛ لِتَفْخِيمِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، وَلِلدَّلَالَةِ عَلَى عَجِيبِ فِطْرَتِهِ، ﴿مِنْ عَلَقٍ ②﴾، الْعَلَقُ: جَمْعُ عَلَقَةٍ، وَهِيَ: قِطْعَةُ دَمٍ غَلِيظٍ أَحْمَرَ عَالِقٍ فِي رَحِمِ الْمَرْأَةِ[٤]، وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْعَلَقَةَ، وَلَمْ يَذْكُرِ النُّطْفَةَ كَمَا فِي الْآيَاتِ الْأُخْرَى؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعَلَقَةَ أُولَى مَرَاحِلِ التَّكْوِينِ الْحَقِيقِيِّ لِلْجَنِينِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ[٥].

قَوْلُهُ: ﴿ٱقْرَأْ﴾ تَكْرِيرٌ لِلْمُبَالَغَةِ وَالِاهْتِمَامِ بِالْقِرَاءَةِ[٦]، ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ③﴾، أَيْ: كَثِيرُ الْإِحْسَانِ، وَاسِعُ الْجُودِ وَالْعَطَاءِ، فَهُوَ أَكْرَمُ مِنْ كُلِّ كَرِيمٍ سُبْحَانَهُ[٧].

قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾، أَيْ: الْإِنْسَانَ الْخَطَّ بِالْقَلَمِ[٨].

قَوْلُهُ: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، فَجَعَلَ لَهُ وَسَائِلَ الْإِدْرَاكِ مِنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْقَلْبِ، وَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمْ[٩]، وَهَذِهِ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى:

---

(١) فتح الباري (٨/ ٧١٨-٧١٩).
(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٢٥).
(٣) ينظر: تفسير الرازي (٣٢/ ٢١٦)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣٢٥).
(٤) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ١١٩)، تفسير ابن جزي (٢/ ٤٩٦).
(٥) ينظر: تفسير القاسمي (٩/ ٥٠٩).
(٦) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٢٥).
(٧) ينظر: تفسير السعدي (ص٩٣٠).
(٨) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ١٢٠).
(٩) ينظر: تفسير السعدي (ص٩٣٠).

﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [سورة النحل:٧٨][(١)].

قَوْلُهُ: ﴿كَلَّآ﴾، أَيْ: حَقًّا، وَقِيلَ: كَلِمَةُ رَدْعٍ وَزَجْرٍ[(٢)]، ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦﴾، أَيْ: لَيَتَجَاوَزُ حَدَّهُ، وَيَسْتَكْبِرُ عَلَى رَبِّهِ[(٣)].

قَوْلُهُ: ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾، أي: بِالْمَالِ[(٤)] وَالْقُوَّةِ.

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾، أي: الْمَصِيرُ وَالْمَرْجِعُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَيُجَازِي كُلَّ إِنْسَانٍ بِعَمَلِهِ[(٥)].

قَوْلُهُ: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ٩﴾، الاِسْتِفْهَامُ هُنَا لِلتَّعَجُّبِ، وَالذِي يَنْهَى هُوَ أَبُو جَهْلٍ بِإِجْمَاعِ الْمُفَسِّرِينَ[(٦)].

قَوْلُهُ: ﴿عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ١٠﴾، وهُوَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٧)].

قَوْلُهُ: ﴿أَرَءَيۡتَ﴾ يَا أَبَا جَهْلٍ، ﴿إِن كَانَ﴾ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ١١﴾، أي: الْحَقِّ، فَكَيْفَ تَنْهَاهُ؟ ![(٨)].

قَوْلُهُ: ﴿أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ﴾، أَيْ: أَمَرَ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي تُتَّقَى بِهِ النَّارُ، أَيُنْهَى أَيْضًا عَنْ ذَلِكَ؟ ![(١)].

---

(١) ينظر: أضواء البيان (٩/ ١٧).
(٢) ينظر: تفسير الرازي (٣٢/ ٢١٩).
(٣) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٧٩)، تفسير القاسمي (٩/ ٥١١).
(٤) ينظر: تفسير الماوردي (٦/ ٣٠٦)، تفسير القرطبي (٢٠/ ١٢٣).
(٥) ينظر: تفسر النسفي (٣/ ٦٦٣).
(٦) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٥٠٢)، تفسير ابن جزي (٢/ ٤٩٧).
(٧) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٧٩)، تفسير ابن كثير(٨/ ٤٣٨).
(٨) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٨).

قَولُهُ: ﴿أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ﴾، أَيْ: أَبُو جَهْلٍ، ﴿وَتَوَلَّىٰٓ ١٣﴾، أَيْ: أَعْرَضَ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْحَقِّ[2].

قَولُهُ: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم﴾، أَيْ: أَبُو جَهْلٍ، ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ كُلَّ مَا يَفعَلُ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، وَسَيُجَازِيهِ بِهِ[3]، وَهَذَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ[4].

قَولُهُ: ﴿كَلَّا﴾، أَيْ: لَيسَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ وَفعَلَ أَبو جَهْلٍ، وَقِيلَ: إِنَّهَا كَلِمَةُ رَدْعٍ وَزَجْرٍ لِأَبي جَهْلٍ، ﴿لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ﴾، أي: عَنْ إِيذاءِ نَبيِّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وَتَكْذِيبِهِ وَتوَلِّيهِ، ﴿لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ١٥﴾، أي: لَنَأْخُذَنْ بِنَاصِيَتِهِ، وَهِيَ شَعَرُ مُقَدَّمِ الرَّأْسِ، وَلَنَسْحَبَنَّهُ بِها إِلَى النَّارِ[5].

قَولُهُ: ﴿نَاصِيَةٖ[6] كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ١٦﴾، أي: صَاحِبُهَا كَاذِبٌ في قَوْلِهِ، خَاطِئٌ في فِعْلِهِ[7].

قَولُهُ: ﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ﴾، أَيْ: أَهْلَ مَجْلِسِهِ وَقَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ لِيُعِينُوهُ[8].

قَولُهُ: ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾، أي: الْمَلَائِكَةَ الْمُوَكَّلِينَ بِالعَذَابِ؛ لِيَجُرُّوهُ إِلَى النَّارِ[9].

قَولُهُ: ﴿كَلَّا﴾، أَيْ: لَيسَ الْأَمْرُ كَمَا يَظُنُّ أَبو جَهْلٍ، وَقِيلَ: إِنَّهَا كَلِمَةُ رَدْعٍ لِأَبي جَهْلٍ، ﴿لَا تُطِعۡهُ﴾، أي: يَا مُحَمَّدُ فِيمَا دَعَاكَ إِلَيْهِ، ﴿وَٱسۡجُدۡ﴾ للهِ، ﴿وَٱقۡتَرِب ١٩﴾ إِلَيْهِ بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَأَنْوَاعِ العِبَادَاتِ[1].

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٨٠)، فتح القدير (٥/ ٥٧٢).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٣٥)، تفسير القرطبي (٢٠/ ١٢٤).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٨٠)، تفسير الخازن (٤/ ٤٤٩).

(٤) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٥٠٢)، تفسير النسفي (٣/ ٦٦٣).

(٥) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٨٠).

(٦) بَدَل نَكِرَة مِن مَعْرِفَة، وجاز إبدالها من المعرفة، وهي نكرة لأنها وصفت. والبصريون لا يشترطون في البدل المطابقة. ينظر: تفسير الرازي (٣٢/ ٢٢٥)، فتح القدير (٥/ ٥٧٣).

(٧) ينظر: تفسير الماوردي (٦/ ٣٠٨)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٨).

(٨) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٣٦)، تفسير القرطبي (٢٠/ ١٢٦)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣٢٦).

(٩) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٢٦).

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

الْحَثُّ على الْقِرَاءَةِ وطَلَبِ العِلْمِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [سورة العلق:١]: نَسْتَخْلِصُ:

أولًا: الْحَثُّ عَلَى الْقِرَاءَةِ وَطَلَبِ الْعِلْمِ، وَمِمَّا يَدُلُّ على عَظِيمِ الْعِنَايَةِ بِالْقِرَاءَةِ وَطَلَبِ الْعِلْمِ: أَنَّ أَوَّلَ لَفْظٍ نَزَلَ فِي الْقُرْآنِ هَذَا اللَّفْظُ: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، وفِيْ هَذَا دِلَالَةٍ وَاضِحَةٍ عَلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ جَاءَ لِيَحُثَّ عَلَى الْقِرَاءَةِ، وَيُرَغِّبَ فِيها، وَيَمْحُوَ الْجَهْلَ وَيُحَذِّرَ مِنْهُ.

ثانيًا: الحَثّ عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالإِكْثَارِ مِنها؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾: الْقُرْآنُ بِالْإِجْمَاعِ[٢]، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ﴾ [سورة النساء:١١٣] الْآيَةَ، وَالَّذِي عَلَّمَهُ هُوَ هَذَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾ [سورة الشورى:٥٢] الآيَةَ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [سورة يوسف:٣] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

ثالثًا: أَنَّ الْعِلْمَ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [سورة العلق:١].

التَّنْبِيْهُ إِلَى الْاسْتِعَانَةِ بِاللهِ تَعَالَى وبِاسْمِهِ عِنْدَ بَدْءِ الْعَمَلِ، ومِنْهُ الْقِرَاءَةُ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [سورة العلق:١]: أَنَّهُ يُشْرَعُ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَبْدَأَ كُلَّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِهِ بِاسْمِ اللهِ، وَأَنَّ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَسْتَعِينَ بِاللهِ تَعَالَى عِنْدَ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ وَطَلَبِ الْعِلْمِ، وَأَيِّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ الْإِخْلَاصُ للهِ وَحْدَهُ، وَالاِسْتِعَانَةُ بِهِ دُونَ سِوَاهُ.

اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لِذَا اسْتَحَقَّ الْعِبَادَةَ وَحْدَهُ:

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٥٠٣)، تفسير القرطبي (٢٠/ ١٢٨).

(٢) ينظر: أضواء البيان (٩/ ١٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فِي قَوْلِهِ تعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾: أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا خَالِقَ غَيْرُهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [سورة الزمر:٦٢].
وَيُسْتَدَلُّ بِكَوْنِ اللهِ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى أَنَّهُ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَكَمَا أَنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الْمُتَفَرِّدُ بِالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالتَّدْبِيرِ، فَهُوَ الْمُتَفَرِّدُ وَالْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ دُونَ سِواهُ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ مُسْتَلْزِمٌ لِتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ؛ فَمَنْ أَقَرَّ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ هُوَ الرَّبُّ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ؛ لَزِمَهُ مِنْ ذَلِكَ الْإِقْرَارِ: أَنْ يُفْرِدَ اللهَ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَصْلُحُ أَنْ يُعْبَدَ إِلَّا مَنْ كَانَ رَبًّا خَالِقًا مَالِكًا مُدَبِّرًا، وَمَا دَامَ ذَلِكَ كُلُّهُ للهِ وَحْدَهُ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَعْبُودُ وَحْدَهُ.

وَلِهَذَا جَرَتْ سُنَّةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى ذِكْرِ آيَاتِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ مَقْرُونَةً بِآيَاتِ الدَّعْوَةِ إِلَى تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَمِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [سورة البقرة:٢١-٢٢].

الْإِشَارَةُ إِلَى بَعْضِ مَرَاحِلِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [سورة العلق:٢]: أَنَّ خَلْقَ الْإِنسَانِ قَدْ مَرَّ بِمَرَاحِلَ، وَمِنْهَا: الْعَلَقَة، وهَذِهِ المَرَاحِلُ كَالآتِي: النُّطْفَةُ، الْعَلَقَةُ، الْمُضْغَةُ، الْعِظَامُ، كِسْوَةُ الْعِظَامِ بِاللَّحْمِ، الْإِنْشَاءُ خَلْقًا آخَرَ. وَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الْمَرَاحِلُ مُجْمَلَةً فِي مَوَاضِعَ وَمُفَصَّلَةً فِي مَوَاضِعَ أُخْرَى حَسَبَ مَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ، وَمِنَ الْآيَاتِ الَّتِي فَصَّلَتْ ذَلِكَ تَفْصِيلاً دَقِيقًا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة المؤمنون:١٢-١٤].

اللهُ الْأَكْرَمُ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [سورة العلق:٣]: أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَكْرَمُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، فَهُوَ صَاحِبُ الْكَرَمِ وَالْفَضْلِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ أَحَدٍ قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ.

مَنْزِلَةُ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة العلق:٥]: فَائِدَتَانِ:

الْأُولَى: أَنَّ اللهَ أَكْرَمَ بَنِي آدَمَ بِالْقِرَاءَةِ وَالْعِلْمِ، وَمَيَّزَهُم بِهِمَا عَنْ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ، كَمَا قَالَ اللهُ: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، وَقَالَ اللهُ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [سورة البقرة: ٣١].

الثَّانِيَةُ: بَيَانُ فَضْلِ عِلْمِ الْكِتَابَةِ، فَهِيَ مِنْ جَلَائِلِ النِّعَمِ، "لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَنَافِعِ الْعَظِيمَةِ، الَّتِي لَا يُحِيطُ بِهَا إِلَّا هُوَ، وَمَا دُوِّنَتِ الْعُلُومُ وَلَا قُيِّدَتِ الْحِكَمُ وَلَا ضُبِطَتْ أَخْبَارُ الْأَوَّلِينَ وَمَقَالَاتُهُمْ، وَلَا كُتُبُ اللهِ الْمُنَزَّلَةُ إِلَّا بِالْكِتَابَةِ، وَلَوْلَا هِيَ مَا اسْتَقَامَتْ أُمُورُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا"(١)، كَمَا قَالَهُ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَيَدُلُّ لِذَلِكَ: مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»(٢).

التَّرْهِيبُ مِنَ الطُّغْيَانِ بِالْمَالِ وَالْقُوَّةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾ [سورة العلق:٦-٨]: تَذْكِيرٌ وَتَرْهِيبٌ:

---

(١) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٢٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠).

أما التَّذْكِيرُ؛ فهُوَ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى دَافَعَ عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ، حَيْثُ أَنْزَلَ آيَاتٍ تُبَيِّنُ حَالَ أَبِي جَهْلٍ، وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْكِبْرِ وَالطُّغْيَانَ بِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ، وَفِي هَذَا تَذْكِيرٌ لِلْمُسْلِمِ بِأَنَّهُ إِذَا أَنْعَمَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِالْمَالِ فَإِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَعْمِلَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَيَصْرِفَهُ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِهَا.

وَأَمَّا التَّرْهِيبُ؛ فَهُوَ: تَرْهِيبٌ لِلْإِنْسَانِ مِنَ الطُّغْيَانِ، وَتَحْذِيرٌ شَدِيدٌ -وَلَا سِيمَا إِذَا اسْتَغْنَى وَكَثُرَ مَالُهُ- أَلَّا يَتَجَاوَزَ حَدَّهُ، وَيَسْتَكْبِرَ عَلَى رَبِّهِ إِذَا رَأَى نَفْسَهُ غَنِيًّا بِالْمَالِ وَالْقُوَّةِ، فَمَهْمَا كَثُرَ مَالُ الْإِنْسَانِ وَزَادَتْ قُوَّتُهُ فَإِنَّ مَرَدَّهُ وَمَرْجِعَهُ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَسَوْفَ يُسْأَلُ الْإِنْسَانَ عَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي بَرْزَةَ نَضْلَةَ بْنِ عُبَيْدٍ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»[1].

النَّهْيُ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَمُحَارَبَةُ أَهْلِهِ مِنْ صِفَاتِ الْكُفَّارِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩﴾... الْآيَاتِ: أَنَّ النَّهْيَ عَنِ الْمَعْرُوفِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْكُفْرِ، كما قال تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [سورة التوبة:٦٧]، وَفِي الْآيَاتِ بَيَانُ أَنَّ الْإِنْسَانَ حَتَّى وَإِنْ كَانَ عَلَى الْحَقِّ فَسَيَجِدُ مَنْ يُحَارِبُهُ.

كَمَالُ عُبُودِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ:

فِي تَنْكِيرِ قَوْلِهِ: (عَبْدًا) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ دُونَ قَوْلِهِ: (نَبِيَّهُ) أَوْ (رَسُولَهُ): دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يُوجَدُ أَحَدٌ حَقَّقَ الْعُبُودِيَّةَ كَمَا حَقَّقَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهَذَا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ بِقَوْلِهِ: "التَّنْكِيرَ فِي (عَبْدًا): يَدُلُّ عَلَى

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٧) وقال: "حسن صحيح"، والدارمي (٥٥٤).

كَوْنِهِ كَامِلًا فِي الْعُبُودِيَّةِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّهُ عَبْدٌ لَا يَفِي الْعَالِمُ بِشَرْحِ بَيَانِهِ، وَصِفَةِ إِخْلَاصِهِ فِي عُبُودِيَّتِهِ"[1].

قُبْحِ التَّكْذِيبِ بِالْحَقِّ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [سورة العلق:١٣-١٤]: بَيَانُ قُبْحِ التَّكْذِيبِ بِالْحَقِّ، وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَى.

مِنْ أَسْرَارِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [سورة العلق:١٤]: مِنَ اللَّطَائِفِ وَالْأَسْرَارِ الشَّيْءُ الْكَثِيرُ، وَمَا أَعْظَمَ أَنْ تَكُونَ هِذِهِ الْآيَةُ نصب أَعْيُنِنَا دَائِمًا، وَمِنْ أَسْرَارِهَا وَفَوائِدِهَا مَا يَلِي:

أَوَّلًا: التَّهْدِيدُ وَالْوَعِيدُ لِكُلِّ مَنْ آذَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِيهَا تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ لِكُلِّ ظَالِمٍ وَطَاغِيَةٍ يُحَارِبُ دِينَ اللهِ تَعَالَى، وَيَنْهَى العِبَادَ عَنِ الْالْتِزَامِ بِالأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ.

ثَانِيًا: أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَعْلَمُ حَالَ النَّاهِي وَالْمَنْهِيِّ، وَسَوْفَ يُجَازِي كُلًّا مِنْهُمَا بِمَا يَسْتَحِقُّ.

ثَالِثًا: أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَرَى كُلَّ شَيْءٍ مَهْمَا خَفِيَ وَدَقَّ، وَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ مَهْمَا بَعُدَ أَوْ قَرُبَ، وَمَهْمَا كَثُرَ أَوْ قَلَّ، فَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَرَى النَّمْلَةَ السَّوْدَاءَ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ، ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة آل عمران:٥]، يَعْلَمُ الظَّاهِرَ وَالبَاطِنَ وَيَرَاهُ.

رَابِعًا: وُجُوبُ الْمُرَاقَبَةِ[2]، وَهَذِهِ الْآيَةُ الْعَظِيمَةُ يَنْبَغِي أَنْ تَجْعَلَ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ يُرَاقِبُ اللهَ تَعَالَى فِي خَلَوَاتِهِ وَجَلَوَاتِهِ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْتَحْضِرَ هَذِهِ الْآيَةَ إِذَا امْتَدَّتْ عَيْنُهُ إِلَى خِيَانَةٍ، أَوْ

(١) تفسير الرازي (٣٢/ ٢٢٢).

(٢) ينظر: مدارج السالكين (٢/ ٦٤ وما بعدها).

يَدُهُ إِلى حَرَامٍ، أَوْ سَارَتْ قَدَمُهُ إِلى سُوءٍ، وَرَحِمَ اللهُ تعالَى الْإِمَامَ أَحْمَدَ إِذْ كَانَ كَثِيرًا مَا يُرَدِّدُ:

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ *** خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفَلُ سَاعَةً *** وَلَا أَنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ

خامسًا: أَنَّهَا تُرَبِّي الْمُؤْمِنَ عَلَى الشُّعُورِ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْمُدَبِّرُ لِكُلِّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْكَوْنِ الْفَسِيحِ، وَهُوَ الْمُتَحَكِّمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَالْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ، وَيَطْمَئِنُّ قَلْبُهُ، وَيَنْشَرِحُ صَدْرُهُ.

إِهْلَاكُ اللهِ لِأَبِي جَهْلٍ دِفَاعًا عَنْ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾ [سورة العلق:١٥-١٨]: دِفَاعٌ آخَرُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ فِيهَا رَدْعٌ شَدِيدٌ لِأَبِي جَهْلٍ بَعْدَ أَنْ وَعَظَهُ فِيمَا تَقَدَّمَ، وَلَئِنْ كَانَ الدِّفَاعُ السَّابِقُ لِمَا وَقَعَ مِنْ أَبِي جَهْلٍ فِي الْمَاضِي، فَهَذَا تَهْدِيدٌ لَهُ وَلِغَيْرِهِ مِمَّنِ اتَّصَفَ بِوَصْفِهِ مِنْ أَنْ يَقَعَ مُسْتَقْبَلًا فِي أَذِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَدْ رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عِنْدَ الْمَقَامِ، فَمَرَّ بِهِ أَبُو جَهْلِ ابْنِ هِشَامٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ وَتَوَعَّدَهُ، فَأَغْلَظَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَانْتَهَرَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، بِأَيِّ شَيْءٍ تُهَدِّدُنِي؟ أَمَا وَاللهِ، إِنِّي لَأَكْثَرُ أَهْلِ الْوَادِي نَادِيًا، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾»(١).

وَقَدْ أَقَرَّ اللهُ تَعَالَى عَيْنَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ بِمَقْتَلِ أَبِي جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٤٩) وقال: "حديث حسن غريب صحيح"، وابن جرير في تفسيره (٢٤/ ٥٣٧) واللفظ له. والحاكم في المستدرك (٣٨٠٩) وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بِغُلاَمَيْنِ مِنَ الأَنْصَارِ - حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا -؛ فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمِّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لاَ يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الآخَرُ، فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ، قُلْتُ: أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا، فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلاَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَاهُ فَقَالَ: أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟ قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ، فَقَالَ: هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟ قَالاَ: لاَ، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ: كِلاَكُمَا قَتَلَهُ، سَلَبُهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ، وَكَانَا مُعَاذَ ابْنَ عَفْرَاءَ، وَمُعَاذَ بْنَ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ»(١).

التَّنْوِيهُ إِلَى مَنْزِلَةِ السُّجُودِ وَفَضْلِهِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ﴾ [سورة العلق:١٩]: ذِكْرٌ لِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْقُرْبِ مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَفِي ذَلِكَ عِدَّةُ إِشَارَاتٍ وَدَلَائِلَ، مِنْهَا:

أولًا: أَنَّ السُّجُودَ للهِ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ رِضَا اللهِ عَنْهُمْ، وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ، قَالَ اللهُ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ﴾[سورة الفتح:٢٩]. **وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ السُّجُودِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ:**

مِنْهَا: حَدِيثُ مِعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيِّ قَالَ: لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: «أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللهُ بِهِ الْجَنَّةَ، أَوْ قَالَ: قُلْتُ: بِأَحَبِّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ، فَسَكَتَ ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لاَ تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلاَّ رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً، قَالَ مَعْدَانُ: ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَسَأَلْتُهُ؛ فَقَالَ لِي مِثْلَ

(١) أخرجه البخاري (٣١٤١) واللفظ له، ومسلم (١٧٥٢).

مَا قَالَ لِي ثَوْبَانُ»(١). **وَمِنْهَا**: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَأْكُلُ النَّارُ مِنِ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ»(٢). **وَمِنْهَا**: حَدِيثُ رَبِيعَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: سَلْ، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»(٣).

ثانيًا: أَنَّ السُّجُودَ للهِ تَعَالَى قُرْبٌ مِنْهُ، وَقُرْبَةٌ إِلَيْهِ، فَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ وَسَائِلِ التَّقَرُّبِ إِلى اللهِ سُبْحَانَهُ وَمُنَاجَاتِهِ، وَمِنْ أَنْجَعِ الطُّرُقِ لِنَيْلِ مَرْضَاتِهِ، فَلْيَغْتَنِمِ الْعَبْدُ هَذَا، وَلْيُكْثِرْ مِنَ الصَّلَاةِ وَالسُّجُودِ للهِ تَعَالَى.

ثالثًا: أَنَّ السُّجُودَ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ لَا تُصْرَفُ إِلَّا للهِ وَحْدَهُ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ﴾ [سورة النجم:٦٢].

رابعًا: أَنَّ السُّجُودَ مِنْ مَوَاضِعِ الْقُرْبِ مِنَ اللهِ تَعَالَى بِالدُّعَاءِ وَالرَّجَاءِ، وَقَدْ جَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»(٤)، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ لَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «سَجَدَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾، وَ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾»(٥).

مَشْرُوعِيَّةُ السُّجُودِ لِلْمُسلِمِ فِي سُورَةِ الْعَلَقِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ﴾ [سورة العلق:١٩]: مَشْرُوعِيَّةُ السُّجُودِ إِذَا قَرَأَ الْمُسْلِمُ هَذِهِ الآيَة، وَهَذِهِ السَّجْدَةُ هِيَ إِحْدَى سَجَدَاتِ الْمُفَصَّلِ الَّتِي اخْتَلَفَ فِيهَا الْعُلَمَاءُ، **وَالرَّاجِحُ**: أَنَّهَا مِنْ عَزَائِمِ السُّجُودِ كَبَاقِي الْمَوَاضِعِ الْأُخْرَى، فَيُسَنُّ سُجُودُ

(١) أخرجه مسلم (٤٨٨).
(٢) أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢) واللفظ له.
(٣) أخرجه مسلم (٤٨٩).
(٤) أخرجه مسلم (٤٨٢).
(٥) أخرجه مسلم (٥٧٨).

التِّلَاوَة عِنْدَ الْمُرُورِ عَلَيْهَا[1]؛ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ قَالَ: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ -وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ: يَا وَيْلِي- أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ»[2].

النَّهْيُ عَنْ طَاعَةِ الْمَخْلُوقِ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ﴾ [سورة العلق:١٩]: نَهْيٌ عَنْ طَاعَةِ الْمَخْلُوقِ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، وَأَمْرٌ بِكَثْرَةِ الْعِبَادَةِ للهِ تَعَالَى وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ سُبْحانَهُ.

❁❁❁

(١) ينظر: الحاوي الكبير (٢/ ٢٠٣)، أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٤٢٤)، تفسير القرطبي (٢٠/ ١٢٨).

(٢) أخرجه مسلم (٨١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سُورَةُ القَدْرِ

سُورَةُ (القَدْرِ): مُخْتَلَفٌ فِيها، وَآيُهَا خَمْسُ آيَاتٍ.

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمَائِهَا: سُورَةُ (الْقَدْرِ)، وَسُورَةُ (لَيْلَةِ الْقَدْرِ)(١).

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

احْتَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى مَقَاصِدَ عَظِيمَةٍ، مِنْ أَهَمِّهَا(٢):

- ✓ التَّنْوِيهُ بِفَضْلِ الْقُرْآنِ وَعَظَمَتِهِ بِإِسْنَادِ إِنْزَالِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى.
- ✓ الرَّدُّ عَلَى الَّذِيْنَ جَحَدُوْا أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ مُنَزَّلًا مِنَ اللهِ تَعَالَى.
- ✓ رَفْعُ شَأْنِ الْوَقْتِ الَّذِي أُنْزِلَ فِيْهِ وَنُزُوْلُ الْمَلَائِكَةِ فِي لَيْلَةِ إِنْزَالِهِ.
- ✓ تَفْضِيلُ اللَّيْلَةِ الَّتِي تُوَافِقُ لَيْلَةَ إِنْزَالِهِ مِنْ كُلِّ عَامٍ.
- ✓ حَثُّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى تَحَيُّنِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ بِالْقِيَامِ.

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾، أَيْ: القُرْآنَ أَنْزَلَهُ اللهُ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى السَّماءِ الدُّنْيا(٣)، ﴿فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ①﴾، أَيْ: فِي لَيْلَةِ الشَّرَفِ وَالْعَظَمَةِ؛ وَقِيلَ: سُمِّيَتْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ لِأَنَّها لَيْلَةٌ يقدِّرُ اللهُ سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ فيهَا كُلَّ مَا هُوَ كَائِنٌ فِي السَّنَةِ؛ لِقَوْلِهِ تَعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [سورة الدخان:٤]، فَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ يُقَدِّرُ اللهُ سُبْحانَهُ مَقادِيرَ الْخَلَائِقِ عَلَى مَدَارِ العَامِ، وَيُكْتَبُ فِيها الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ، وَالنَّاجُونَ وَالْهَالِكُونَ، وَالسُّعدَاءُ وَالْأَشْقِياءُ، وَالْعَزِيزُ وَالذَّلِيلُ، وَكُلُّ مَا أَرَادَهُ اللهُ سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ فِي السَّنةِ الْمُقْبِلَةِ يُكْتَبُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ(٤).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٥٥).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٥٦).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٣/ ١٩١)، تفسير البغوي (٨/ ٤٨٢).

(٤) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٨٢)، أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٤٢٧)، تفسير السعدي (ص ٩٣١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثُمَّ عَظَّمَ الوَقْتَ الَّذِيْ أُنْزِلَ فِيْهِ فِيْ الآيَةِ التَّالِيَةِ:

قَولُهُ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢﴾، أَيْ: وَمَا أَشْعَرَكَ وَأَعْلَمَكَ يَا مُحَمَّدُ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ مِنَ الْخيرِ وَالْبَرَكَةِ[1]، وَهَذَا تَنْبِيهٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى فَضْلِهَا، وَحَثٌّ عَلَى الْعَمَلِ فِيْهَا[2].

قَولُهُ: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٌ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٍ﴾ [سورة القدر:٣]، أَيْ: خَيرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَ فِيها لَيْلَةُ الْقَدْرِ، فَالْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيها خَيرٌ مِنْهُ فِي عَمَلِ أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَ فِيْهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ[3]، وَهُوَ تَفَضُّلٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ.

قَولُهُ: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ﴾، أَيْ: يَكْثُرُ نُزُولُ الْمَلائِكَةِ، ﴿وَٱلرُّوحُ﴾، أَيْ: جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿فِيهَا﴾، أَيْ: فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِم﴾، أي: بِأَمْرِهِ سُبْحَانَهُ[4]، ﴿مِّن كُلِّ أَمۡرٍ ۝٤﴾، قَضَاهُ اللهُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ[5]، وَ(مِنْ) سَبَبِيَّةٌ بِمَعْنَى الْبَاءِ[6].

قَولُهُ: ﴿سَلَـٰمٌ هِيَ﴾، أَيْ: هِيَ لَيْلَةُ خَيرٍ وَأَمْنٍ وَسَلامٍ مِنْ كُلِّ آفَةٍ وَسُوءٍ وَشَرٍّ[7]، ﴿حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾، أَيْ: وَقْتُهَا إِلَى طُلُوْعِ الْفَجْرِ الثَّانِي[8].

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

الْحِكْمَةُ مِنْ إِنْزَالِ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَـٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢﴾ [سورة القدر:١-٢]: أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَنْزَلَ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةٍ عَظِيمَةٍ شَرِيفَةٍ هِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ؛ لِأَنَّ كَلِمَةَ:

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٣٣)، تفسير الجلالين (ص٨١٥).
(٢) ينظر: تفسير الماوردي (٦/ ٣١٢).
(٣) ينظر: تفسير الخازن (٤/ ٤٥٣)، تفسير الجلالين (ص٨١٥).
(٤) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ١٣٣)، تفسير الجلالين (ص٨١٥).
(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٤٧).
(٦) ينظر: تفسير الجلالين (ص٨١٥).
(٧) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ١٣٤)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤٤٤).
(٨) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٣٦٩).

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾: تُفِيدُ التَّعْظِيمَ وَالتَّفْخِيمَ، وَلأَنَّهُ يُقَدِّرُ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهَا مَا يَكُونُ فِي السَّنَةِ مِنْ آجَالٍ وَأَرْزَاقٍ وَأَعْمَالٍ، وَهَذَا يُعَلِّمُنَا: أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَعْتَنِيَ بِالْقُرْآنِ وَيَهْتَمَّ بِهِ، وَيُقْبِلَ عَلَيْهِ؛ قِرَاءَةً وَتَدَبُّرًا وَعَمَلًا؛ لِأَنَّ نُزُولَهُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْعَظِيمَةِ يَقْتَضِي ذَلِكَ.

نُزُولُ الْقُرْآنِ جُمْلَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ نَزَلَ مُنَجَّمًا:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾ [سورة القدر:١]: أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَنْزَلَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ نُزِّلَ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُفَصَّلًا حَسَبَ الْوَقَائِعِ وَالْمُنَاسَبَاتِ فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَفِي ذَلِكَ حِكَمٌ بَالِغَةٌ؛ منها:**

أَوَّلًا: تَثْبِيتُ قَلْبِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَذِهِ الْحِكْمَةُ هِيَ الَّتِي رَدَّ اللهُ بِهَا عَلَى اعْتِرَاضِ الْكُفَّارِ فِي نُزُولِ الْقُرْآنِ مُتَفَرِّقًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ [سورة الفرقان:٣٢].

ثَانِيًا: التَّحَدِّي وَالْإِعْجَازُ، كَمَا جَاءَ فِي بَعْضِ رِوَايَاتِ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ نُزُولِ الْقُرْآنِ: «فَكَانَ الْمُشْرِكُونَ إِذَا أَحْدَثُوا شَيْئًا، أَحْدَثَ اللهُ لَهُمْ جَوَابًا»[(١)].

ثَالِثًا: تَيْسِيرُ حِفْظِهِ وَفَهْمِهِ.

رَابِعًا: تَنْشِيطُ نُفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ لِقَبُولِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْعَمَلِ بِهِ.

خَامِسًا: مُسَايَرَةُ الْحَوَادِثِ، وَالتَّدَرُّجُ فِي التَّشْرِيعِ.

فَضْلُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَذِكْرُ بَعْضِ مَا تَعَلَّقَ بِهَا مِنَ الْأَحْكَامِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ [سورة القدر:٣]: بَيَانٌ لِمَنْزِلَةِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَخَيْرِيَّتِهَا، **وَفِي ذَلِكَ عِدَّةُ مَسَائِلَ:**

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٤٧)، مباحث في علوم القرآن للقطان (ص١٠٧ وما بعدها).

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: أَنَّ الْعُلَمَاءَ اخْتَلَفُوْا فِي تَحْدِيْدِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ عَلَى أَقْوَالٍ كَثِيرَةٍ، حَتَّى وَصَلَتِ الْأَقْوَالُ فِيهَا إِلَى أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ قَوْلًا(١)، **وَأَقْرَبُ الْأَقْوَالِ لِلصَّوَابِ**: أَنَّهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأَنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، وَهِيَ فِي الْأَوْتَارِ أَرْجَى؛ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»(٢)، وَأَنَّهَا مُتَنَقِّلَةٌ فِي لَيَالِي الْعَشْرِ؛ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ»(٣)، وَهِيَ فِي السَّبْعِ الْبَوَاقِي أَرْجَى؛ لِقَوْلِهِ: «فَلَا يُغْلَبَنَّ عَلَى السَّبْعِ الْبَوَاقِي»(٤)، وَهِيَ فِي لَيْلَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ أَرْجَى؛ لِحَدِيثِ أُبَيٍّ(٥) وَمُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(٦).

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّ مِنَ اللَّطَائِفِ فِي الْقَوْلِ بِأَنَّهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ: أَنَّ كَلِمَاتِ سُورَةِ الْقَدْرِ ثَلَاثُونَ كَلِمَةً، وَكَلِمَةُ (هِيَ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [سورة القدر:٥]، هِيَ الْكَلِمَةُ السَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ فِي السُّورَةِ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: "هَذَا مِنْ مُلَحِ التَّفْسِيرِ، وَلَيْسَتْ مِنْ مَتِينِ الْعِلْمِ"(٧). قَالَ ابْنُ رَجَبٍ: "وَهُوَ كَمَا قَالَ"(٨).

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّ الْعِبَادَةَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ عِبَادَةِ أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ(٩)، وَأَلْفُ شَهْرٍ تَعْدِلُ: ثَلَاثًا وَثَمَانِينَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلَ رَمَضَانُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ»(١٠).

---

(١) ينظر: فتح الباري (٤/ ٢٦٢-٢٦٦)، وبعض هذه الأقوال باطل ومردود لا يعول عليه ولا يلتفت إليه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٠١٧) واللفظ له، ومسلم (١١٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٢١)، ومسلم (١١٦٥).

(٤) أخرجه مسلم (١١٦٥).

(٥) أخرجه مسلم (٧٦٢).

(٦) أخرجه أبو داود (١٣٨٦).

(٧) تفسير ابن عطية (١/ ٦١).

(٨) لطائف المعارف (ص٢٠٣).

(٩) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٤٣).

(١٠) أخرجه ابن ماجه (١٦٤٤)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (١٤٩١).

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: أَنَّ الْحِكْمَةَ مِنْ إِخْفَائِهَا ـ وَاللهُ أَعْلَمُ ـ هِيَ تَنْشِيطُ الْمُسْلِمِ لِبَذْلِ الْجُهْدِ فِي الْعِبَادَةِ وَالدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرَةِ كُلِّهَا؛ وَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْحِكْمَةُ مِنْ إِخْفَاءِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ لِيَحْصُلَ الِاجْتِهَادُ فِي الْتِمَاسِهَا، بِخِلَافِ مَا لَوْ عُيِّنَتْ لَهَا لَيْلَةٌ لَاقْتُصِرَ عَلَيْهَا، كَمَا ذُكِرَ نَحْوُهُ فِي سَاعَةِ الْجُمُعَةِ[1].

الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى فَضَّلَ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ؛ حَيْثُ جَعَلَ لَهُمْ مِنَ الْعِبَادَاتِ مَا تَعْظُمُ مَعَهُ الْأُجُورُ، وَتُجْزَلُ فِيهِ مِنَ الْعَطَايَا مَا تَكْثُرُ بِهِ أَعْمَالُهُمْ وَتَتَنَوَّعُ فِيهِ أُجُورُهُمْ، فَيُدْرِكُونَ فِي أَيَّامٍ قَلَائِلَ مَا يُدْرِكُهُ السَّابِقُونَ فِي أَعْمَارٍ طَوِيلَةٍ، وَعِبَادَاتٍ شَاقَّةٍ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ[2].

الْمَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ: أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ اللَّبِيبِ أَنْ يَغْتَنِمَ هَذِهِ الْمَوَاسِمَ فِي الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ وَالْقُرْبَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَدْرِي مَا يَعْرِضُ لَهُ مِنْ مَشَاغِلَ وَشَوَاغِلَ، وَلَا يَدْرِي مَنْ يُطَالِبُهُ فِي مَا بَقِيَ مِنْ حَيَاتِهِ، فَإِنَّ الْمَرَضَ مُطَالِبٌ لَهُ، وَهُوَ نَاقِضٌ لِلصِّحَةِ، وَالْمَوْتَ قَاطِعٌ لِطَرِيقِ الْحَيَاةِ، فَمَا دَامَ الْمَرْءُ فِي سَعَةٍ مِنْ صِحَّتِهِ وَنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلْيُبَادِرْ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ الْفَوَاتِ، وَمَا دَامَ فِي زَمَنِ الْإِمْكَانِ، وَطُوبَى -وَاللهِ- لِمَنْ تَعَرَّضَ لِهَذِهِ النَّفَحَاتِ، وَاسْتَغَلَّ الْفُرَصَ قَبْلَ الْفَوَاتِ، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»[3].

الْمَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ: أَنَّهُ يُنْدَبُ لِلْمُسْلِمِ إِحْيَاءُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ؛ لِفِعْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَدْ رَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاوَرَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ[4]، وَوَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا

(١) ينظر: فتح الباري (٤/ ٢٦٦).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص٩٣١).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٧٨٤٦) وقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

(٤) أخرجه البخاري (٢٠١٨)، ومسلم (١١٦٧).

دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ»(١)، وَالْقَصْدُ مِنْهُ إِحْيَاءُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٢).

دَلَائِلُ نُزُولِ الْمَلَائِكَةِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[سورة القدر:٤]: دَلَائِلُ، مِنْهَا:

أولًا: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ إِلَى الْأَرْضِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَمَعَهُمْ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَتَنَزَّلُونَ بِالْخَيْرِ وَالرَّحْمَةِ وَالْبَرَكَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ أَكْثَرُ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى»(٣).

ثانيًا: أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ لَيْلَةٌ مُبَارَكَةٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [سورة الدخان:٣]، وَبَرَكَةُ هَذِهِ اللَّيْلَةِ بَرَكَةٌ فِي الْوَقْتِ، وَبَرَكَةٌ فِي الْعَمَلِ، وَبَرَكَةٌ فِي الثَّوَابِ وَالْجَزَاءِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى.

ثالثًا: أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَصَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِشَرَفِهِ وَفَضْلِهِ وَمَكَانَتِهِ، كَيْفَ لَا وَهُوَ الْأَمِينُ عَلَى الْوَحْيِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [سورة الشعراء:١٩٣](٤).

لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ سَلَامٍ وَخَيْرٍ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [سورة القدر:٥]: أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ خَالِيَةٌ مِنَ الشَّرِّ وَالْأَذَى، وَتَكْثُرُ فِيهَا الطَّاعَةُ وَأَعْمَالُ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ، وَتَكْثُرُ فِيهَا السَّلَامَةُ مِنَ الْعَذَابِ، وَلَا يَخْلُصُ الشَّيْطَانُ فِيهَا إِلَى مَا كَانَ يَخْلُصُ فِي غَيْرِهَا، فَهِيَ سَلَامٌ كُلُّهَا(٥)، وَهِيَ لَيْلَةٌ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٢٤) واللفظ له، ومسلم (١١٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠١).

(٣) أخرجه ابنُ خزيمة (٢١٩٤) وصحَّحه.

(٤) ينظر: تفسير الألوسي (١٥/ ٤١٧).

(٥) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٢٧).

كَامِلَةٌ، يَنْتَهِي وَقْتُهَا بِطُلُوعِ الْفَجْرِ الثَّانِي؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [سورة القدر: ٥].

❁❁❁

سُورَةُ الْبَيِّنَةِ

سُورَةُ (لَمْ يَكُنْ): سُورَةٌ مَدَنِيَّةٌ، وَآيُهَا ثَمانُ آيَاتٍ.

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمَائِهَا: سُورَةُ (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا)، وَسُورَةُ (لَمْ يَكُنْ)، وَسُورَةُ (الْقِيَامَةِ)، وَسُورَةُ (الْبَيِّنَةِ)، وَسُورَةُ (أَهْلِ الْكِتَابِ)، وَسُورَةُ (الْبَرِيَّةِ)، وَسُورَةُ (الِانْفِكَاكِ)[١].

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ مِنَ السُّورَةِ:

احْتَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى مَقَاصِدَ عَظِيمَةٍ، مِنْ أَهَمِّهَا[٢]:

- ✓ تَوْبِيخُ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ بِالْقُرْآنِ وَالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ✓ الثَّنَاءُ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَوَعْدُهُمْ بِالنَّعِيمِ الْأَبَدِيِّ، وَرِضَى اللهِ عَنْهُمْ، وَإِعْطَاؤُهُ إِيَّاهُمْ مَا يُرْضِيهِمْ.
- ✓ التَّنْوِيهُ بِالْقُرْآنِ وَفَضْلِهِ عَلَى غَيْرِهِ بِاشْتِمَالِهِ عَلَى مَا فِي الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الرُّسُلُ مِنْ قَبْلُ، وَمَا فِيهِ مِنْ فَضْلٍ وَزِيَادَةٍ.

مِنْ فَضَائِلِ السُّورَةِ:

وَرَدَ فِي فَضْلِ هَذِهِ السُّورَةِ مَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: «إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة البينة: ١]، قَالَ: وَسَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَبَكَى»[٣].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٦٧).

(٢) ينظر: مصاعد النظر (٣/ ٢٢٠)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٦٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٠٩)، ومسلم (٧٩٩) واللفظ له.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ﴾، (من): بَيَانِيَّةٌ، فِيهَا بَيَانُ الَّذِينَ كَفَرُوا(١)، ﴿أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ وَهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ(٢)، ﴿وَٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ وَهُمْ عُبَّادُ الْأَصْنَامِ(٣)، ﴿مُنفَكِّينَ﴾، أَيْ: مُفَارِقِينَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِن دِينِهِمْ(٤)، ﴿حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝١﴾، أَيْ: الْعَلَامَةُ الْوَاضِحَةُ وَالْحُجَّةُ الْقَاطِعَةُ(٥).

قَوْلُهُ: ﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، بَدَلٌ مِنَ (الْبَيِّنَةُ)(٦)، فَالْبَيِّنَةُ إِذًا هِيَ: إِرْسَالُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي تَنْكِيرِ كَلِمَةِ: ﴿رَسُولٞ﴾: تَعْظِيمٌ لَهُ عليه الصلاة والسلام(٧).

قَوْلُهُ: ﴿يَتۡلُواْ﴾، أَيْ: يَقْرَأُ، ﴿صُحُفٗا﴾: جَمْعُ صَحِيفَةٍ، وَهِيَ: الْأَوْرَاقُ الْمَكْتُوبُ فِيهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، ﴿مُّطَهَّرَةٗ ۝٢﴾، أَيْ: مِنَ الْبَاطِلِ وَالتَّحْرِيفِ وَالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ(٨)، وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ۝١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ۝١٤﴾ [سورة عبس:١٣-١٤](٩).

قَوْلُهُ: ﴿فِيهَا﴾، أَيْ: فِي هَذِهِ الصُّحُفِ، ﴿كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ۝٣﴾، أَيْ: مُسْتَقِيمَةٌ لَا عِوَجَ فِيهَا(١٠)، وَاسْتِقَامَةُ الْكُتُبِ: اشْتِمالُها عَلَى الْأَخْبَارِ الصَّادِقَةِ، وَالْأَوَامِرِ الْعَادِلَةِ؛ الَّتِي تَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ(١١).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٧٥).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٥٣٩)، تفسير البغوي (٨/ ٤٩٣).

(٣) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٢٨)، تفسير أبي السعود (٩/ ١٨٤).

(٤) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ١٤١)، فتح القدير (٥/ ٥٧٨).

(٥) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٩٣)، تفسير النسفي (٣/ ٦٦٧).

(٦) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ١٤٢)، تفسير الجلالين (ص٨١٦).

(٧) ينظر: تفسير العثيمين - جزء عم (ص٢٧٧).

(٨) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٥٢)، تفسير البغوي (٨/ ٤٩٣).

(٩) ينظر: تفسير الرازي (٣٢/ ٢٤٠)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤٥٦).

(١٠) ينظر: تفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٥٣٩)، تفسير البغوي (٨/ ٤٩٣).

(١١) ينظر: تفسير القاسمي (٩/ ٥٢١)، تفسير السعدي (ص٩٣١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾، أَيْ: وَمَا اخْتَلَفَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِم نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُمْ قَدْ عَرَفُوهُ مِثْلَ مَعْرِفَتِهِمْ أَبْنَاءَهُمْ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [سورة البقرة:١٤٦-١٤٧]، فَكَفَرَ بِهِ أَكْثَرُهُمْ بَغْيًا وَحَسَدًا، وَآمَنَ بِهِ بَعْضُهُمْ[(١)].

قَوْلُهُ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾، أَيْ: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾، لَا يُشْرِكُونَ بِهِ أَحَدًا، ﴿حُنَفَآءَ﴾، أَيِ: مَائِلِينَ عَنِ الشِّرْكِ إِلَى التَّوْحِيدِ[(٢)]، ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾، وَلَكِنَّهُمْ حَرَّفُوا وَعَصَوْا، ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾، دِينُ الْمِلَّةِ الْقَيِّمَةِ[(٣)].

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، أَيْ: بِاللهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَحَدُوا نُبُوَّتَهُ[(٤)]، ﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾، أَيْ: شَرُّ الْخَلِيقَةِ[(٥)].

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، أَيْ: بِاللهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، الَّتِي تُقَرِّبُهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنَ الْقِيَامِ بِفَرَائِضِ الْعِبَادَاتِ، وَالإِخْلَاصِ فِي سَائِرِ ضُرُوبِ الْمُعَامَلَاتِ، وَبَذْلِ الْمَالِ فِي أَعْمَالِ الْبِرِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْقُرُبَاتِ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾، أَيْ: أَفْضَلُ الْخَلِيقَةِ[(٦)].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٥٣)، الوجيز للواحدي (ص١٢٢١)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣٢٨).

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٢٨)، تفسير النسفي (٣/ ٦٦٨).

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ١٤٤)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤٥٧).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٥٥).

(٥) ينظر: القرطبي (٢٠/ ١٤٥)، تفسير أبي السعود (٩/ ١٨٦).

(٦) ينظر: تفسير القاسمي (٩/ ٥٢٤).

قَوْلُهُ: ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾، أي: إقامةً، ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾، لَمَّا آمَنُوا بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾، بِمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنْ أَنْوَاعِ النَّعِيمِ، ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾، أَيْ: خَافَ عِقَابَهُ فَانْتَهَى عَنْ مَعْصِيَتِهِ تَعَالَى[1].

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

كُفْرُ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْحُكْمُ عَلَى مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ مِنْهُمْ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ١﴾ [سورة البينة:١]: بَيَانٌ لِكُفْرِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران:٨٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [سورة آل عمران:١٩]، فَدَلَّتْ هَذِهِ الْآيَاتُ وَغَيْرُهَا عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِرَسُولِ اللهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَاتَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا أَوْ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نِحَلِ الْكُفْرِ، فَهُوَ كَافِرٌ قَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء:١١٦]، وَقَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»[2].

أَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى الرُّسُلَ لِيُقِيمُوا الْحُجَّةَ عَلَى النَّاسِ؛ فَيَنْقَطِعُ عُذْرُهُمْ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ١﴾: أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَرْسَلَ الرُّسُلَ لِيُقِيمُوا الْحُجَّةَ عَلَى النَّاسِ؛ فَيَنْقَطِعُ

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٥٦)، تفسير الجلالين (ص٨١٧).
(٢) أخرجه مسلم (١٥٣).

عُذْرُهُمْ، فَلَا يَدَّعِي أَحَدٌ أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ لَمْ تَبْلُغْهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [سورة النساء:١٦٥]، وَإِنَّ مِنْ طَبِيْعَةِ النَّاسِ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِيُؤْمِنُوا وَيَهْتَدُوا، وَيَعْرِفُوا الْحَقَّ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ، إِذ لَا طَرِيقَ لَهُمْ إِلَى مَعْرِفَةِ ذَلِكَ إِلَّا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنَ اللهِ تَعَالَى.

وَهَذَا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ بالناسِ؛ لأَنَّ الإِنْسَانَ قَدْ يَتَعَلَّقُ قَلْبُهُ بِالْكُفْرِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ مُفَارَقَتَهُ وَلَا التَّخَلُّصَ مِنْهُ؛ إِلَّا إِذَا تَدَارَكَهُ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ، فَلَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَدَعَ الْكُفَّارِ وَيَتْرُكَهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، بَلْ لَا يَفُكُّهُمْ حَتَّى يُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا؛ بَشِيرًا لَهُمْ وَنَذِيرًا، ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ٣١﴾ [سورة النجم:٣١][1].

عُمُومُ رِسَالَةِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَالَمِينَ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [سورة البينة:٢]: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرْسَلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَىْ، وَمَعْلُوْمٌ أَنَّهُ رَسُوْلٌ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ، وَلَيْسَ إِلَى الْعَرَبِ فَقَطْ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى وَصَفَهُ بِأَنَّهُ رَسُولٌ فَقَالَ: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الرَّسُولَ أَعَمُّ وَأَشْمَلُ مِنَ النَّبِيِّ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنعام:٩٠]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء:١٠٧]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١﴾ [سورة الفرقان:١]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سورة سبأ:٢٨]، وَكَوْنُ الْقُرْآنِ نَزَلَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ الَّتِي كَانَ الرَّسُولُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَكَلَّمُ بِهَا لَا يُفِيدُ خُصُوصَ رِسَالَتِهِ بِالْعَرَبِ، بَلْ إِنَّمَا نَزَلَ بِلُغَتِهِمْ لِكَوْنِهِمْ أَوَّلَ مَنْ تَلَقَّى الرِّسَالَةَ، وَهُمُ الْمُكَلَّفُونَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ بِالدَّعْوَةِ إِلَيْهَا وَتَبْلِيغِهَا.

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ كِتَابٌ قَيِّمٌ لَا عِوَجَ فِيهِ:

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٠١).

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ [سورة البينة:٢-٣]: وَصَفَ اللهُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ بِأَنَّهُ قَيِّمٌ لَا عِوَجَ فِيهِ، حَيْثُ إِنَّهُ جَاءَ بِشَرِيعَةٍ مُتَكَامِلَةٍ عَادِلَةٍ مُسْتَقِيمَةٍ، لَا تَنَاقُضَ فِيهَا وَلَا اخْتِلَافَ، وَلَا إِفْرَاطَ فِيهَا وَلَا تَفْرِيطَ؛ نَظَرًا لِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا ۝٢﴾ [سورة الكهف:١-٢].

فَالْقُرْآنُ هُوَ الْمُعْجِزَةُ الْعُظْمَى، وَالْآيَةُ الْكُبْرَى عَلَى نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ الْآيَةُ الْبَاقِيَةُ الدَّائِمَةُ الَّتِي لَا يَطْرَأُ عَلَيْهَا التَّغْيِيرُ وَالتَّبْدِيلُ.

تَكْذِيبُ أَهْلِ الْكِتَابِ بِالْبَيِّنَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤﴾ [سورة البينة:٤]: أَنَّ اللهَ تَعَالَى تَحَدَّثَ عَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَقَطْ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، وَعِنْدَهُمْ عِلْمٌ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانُوا يَنْتَظِرُونَ بِعْثَتَهُ، فَلَمَّا بُعِثَ وَجَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ عَلَى صِدْقِهِ وَصِحَّةِ مَا جَاءَ بِهِ تَفَرَّقُوا، فَكَفَرَ أَكْثَرُهُمْ وَآمَنَ بَعْضُهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ﴾ [سورة البقرة:٨٩].

الْإِشَارَةُ إِلَى التَّحْذِيرِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ التَّفَرُّقِ فِي الدِّينِ إِلَى مَذَاهِبَ وَشِيَعٍ شَتَّى:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤﴾ [سورة البينة:٤]: تَحْذِيرٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ التَّفَرُّقِ فِي الدِّينِ إِلَى مَذَاهِبَ وَشِيَعٍ شَتَّى بَعْدَ نُزُولِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى لَا نَكُونَ كَأَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ.

الدَّعْوَةُ إِلَى إِفْرَادِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ بِالْعِبَادَةِ هِيَ دَعْوَةُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [سورة البينة:٥]: بَيَانٌ لِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَهْلَ الْكِتَابِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْعِبَادَةِ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى مَا أَمَرَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فِي الْقُرْآنِ إِلَّا بِمَا هُوَ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ؛ فَالدَّعْوَةُ إِلَى إِفْرَادِ اللهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ بِالْعِبَادَةِ هِيَ دَعْوَةُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [سورة النحل:٣٦]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ۝٢٥﴾ [سورة الأنبياء:٢٥].

أَنَّ الْإِخْلَاصَ للهِ تَعَالَى هُوَ حَقِيقَةُ الدِّينِ، وَمِفْتَاحُ دَعْوَةِ الْمُرْسَلِينَ:

فِيْ قَوْلِهِ تَعَالَىْ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [سورة البينة:٥]: أَنَّ الْإِخْلَاصَ للهِ تَعَالَى هُوَ حَقِيقَةُ الدِّينِ، وَمِفْتَاحُ دَعْوَةِ الْمُرْسَلِينَ، وَهُوَ شَرْطٌ فِي قَبُولِ الْعِبَادَاتِ كُلِّهَا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾، وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ قَالَ اللهُ تَعَالَى: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(١).

بَيَانُ أَهَمِّيَّةِ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [سورة البينة:٥]: بَيَانٌ لِأَهَمِّيَّةِ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ، حَيْثُ أَفْرَدَهُمَا اللهُ تَعَالَى بِالذِّكْرِ مَعَ دُخُولِهِمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة البينة:٥].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

سُوءُ حالِ ومُنْقَلَبِ الَّذِينَ كفروا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ والْمُشْرِكِينَ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾ [سورة البينة:٦]: كَشْفٌ عَنْ حَالِ الْعِنَادِ لَدَى أَهْلِ الْكِتَابِ، وبَيَانٌ للتَّمَرُّدِ فِي تَصرُّفَاتِهِم عَلَى دَعْوَةِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ وَلِذَا تَوعَّدَهُمْ بِالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ، وَبَيَّنَ أَنَّ مَصِيرَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-، وَوَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ شَرّ الْخَلِيقَةِ؛ لأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَجَحَدُوا نُبُوَّةَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فَلاحُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ [سورة البينة:٧-٨]: ذِكْرٌ لِحَالِ الْمُؤْمِنِينَ ومَصِيرِهِمْ، وَأَنَّ خَيْرَ الْخَلِيقَةِ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْإِيمانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، والإِيْمَانُ يَشْمَلُ الْإِيْمَانَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَكُلِّ مَا يشْمَلُهُ لَفْظُ الإِيْمَان، والْعَمَلُ الصَّالِحُ يشْمَلُ جَمِيعَ الطَّاعَاتِ، وَقَدْ وَعَدَ اللهُ مَنْ كَانَ كَذَلِك يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِشَيْئَيْنِ:

الأول: جَنَّات إِقَامَة وَاسْتِقْرَارِ، وَهِيَ فِي مُنْتَهَى الْحُسْنِ.

الثاني: رِضَا اللهِ تعَالَىْ، وَهُوَ أَعْظَمُ الْجَزَاءِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ وَقَوْلِهِ تعَالَى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٧٢﴾ [سورة التوبة:٧٢].

دَلائِلُ رِضاءِ اللهِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَرِضاهُمْ عَنْهُ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ﴾ [سورة البينة: ٧]: بَيَانٌ لِرِضَا اللهِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَرِضَا الْمُؤْمِنِينَ عَنِ اللهِ، وَهُنَا نَسْتَفِيدُ مَا يَلِي:

أَوَّلًا: أَنَّ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الَّتِي ثَبَتَتْ فِي كِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صِفَةُ الرِّضَا[1]، وَمِنْ أَدِلَّةِ ذَلِكَ أَيْضًا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [سورة المائدة:١١٩]، وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [سورة الفتح:١٨]، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى؟ يَارَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»[2]. وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»[3].

ثَانِيًا: أَنَّ رِضَا اللهِ تَعَالَى عَنِ الْعَبْدِ يَقْتَضِي حُصُولَ الْمَغْفِرَةِ[4]، فَإِذَا رَضِيَ اللهُ عَنْ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَقْتَضِي مَغْفِرَةَ مَا مَضَى مِنْهُ، وَقَدْ يَقْتَضِي مَغْفِرَةَ الْمُسْتَقْبَلِ، وَهَذَا هُوَ الرِّضَا الْأَكْبَرُ الَّذِي لَا سَخَطَ بَعْدَهُ، وَهُوَ مَا حَلَّ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ حَتَّى قَالَ اللهُ لَهُمْ: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[5]، وَمِثْلُهُ مَا حَلَّ عَلَى أَهْلِ الشَّجَرَةِ الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَهَا، فَقَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة الفتح:١٨]؛ وَلِذَلِكَ

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٣)، فتح المجيد (ص٣٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩) واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٣٤).

(٤) ينظر: المنار المنيف (ص٣٦).

(٥) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جَاءَ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»(١).

جَزَاءُ أَهْلِ الْخَشْيَةِ مِنَ اللهِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾: أَنَّ الْجَزَاءَ الْمَوْعُودَ بِهِ فِي الْآيَةِ لِمَنْ خَشِيَ اللهَ تَعَالَى، وَالْخَشْيَةُ هِيَ خَوْفُ اللهِ الْمَقْرُونُ بِالْهَيْبَةِ وَالتَّعْظِيمِ، وَلَا يَصْدُرُ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ عَالِمٍ بِاللهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [سورة فاطر:٢٨](٢).

وَالْخَوْفُ وَالْخَشْيَةُ: لَفْظَانِ مُتَقَارِبَانِ لَا مُتَرَادِفَانِ، وَبَيْنَهُمَا عُمُومٌ وَخُصُوصٌ، فَالْخَشْيَةُ: أَخَصُّ مِنَ الْخَوْفِ، وَأَعْلَى مَقَامًا مِنْهُ؛ لِأَنَّهَا خَوْفٌ مَقْرُونٌ بِمَعْرِفَةٍ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا يَتَّضِحُ بِالْمِثَالِ، وَهُوَ: إِذَا خِفْتَ مِنْ شَخْصٍ لَا تَدْرِي هَلْ هُوَ قَادِرٌ عَلَيْكَ أَمْ لَا؟ فَهَذَا خَوْفٌ، وَإِذَا خِفْتَ مِنْ شَخْصٍ تَعْلَمُ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَيْكَ فَهَذِهِ خَشْيَةٌ(٣).

❁❁❁

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٤٧٧٨)، وأبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٦٠)، وقال: "حديث حسن صحيح"، وصححه ابن حبان (٤٨٠٢).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص٦٨٨).

(٣) ينظر: مدارج السالكين (١/ ٥٠٨)، بصائر ذوي التمييز (٢/ ٥٤٥)، تفسير العثيمين - جزء عم (ص٢٨٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

سُورَةُ (الزَّلْزَلَةِ): سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ[1]، وَآيُهَا ثَمانُ آياتٍ.

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمَائِهَا: سُورَةُ (إِذَا زُلْزِلَتْ)، وَسُورَةُ (الزِّلْزَالِ)، وَسورَةُ (زُلْزِلَتْ)، وَسُورَةُ (الزَّلْزَلَةِ)[2].

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

اِحْتَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى مَقَاصِدَ عَظِيمَةٍ، مِنْ أَهَمِّهَا[3]:

- ✓ اِنْقِسَامُ النَّاسِ فِي الْجَزَاءِ فِي دَارِ الْبَقَاءِ إِلَى سَعَادةٍ وَشَقَاءٍ.
- ✓ إِثْبَاتُ الْبَعْثِ وَذِكْرُ أَشْرَاطِهِ، وَمَا يَعْتَرِي النَّاسَ عِنْدَ حُدُوثِهِ مِنَ الْفَزَعِ.
- ✓ حُضُورُ النَّاسِ لِلْحَشْرِ، وَجَزَاؤُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

مِنْ فَضَائِلِ السُّورَةِ:

جَاءَ فِي فَضْلِ هَذِهِ السُّورَةِ: حَدِيثٌ رَوَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قَالَ: «أَتَى رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: أَقْرِئْنِي يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ لَهُ: اقْرَأْ ثَلَاثًا مِنْ ذَاتِ ﴿الٓر﴾، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: كَبُرَ سِنِّي وَاشْتَدَّ قَلْبِي، وغَلُظَ لِسَانِي، قَالَ: فَاقْرَأْ مِنْ ذَاتِ ﴿حمٓ﴾، فَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ الْأُولَى، فَقَالَ: اقْرَأْ ثَلَاثًا مِنَ الْمُسَبِّحَاتِ، فَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَلَكِنْ أَقْرِئْنِي يَا رَسُولَ اللهِ سُورَةً جَامِعَةً، فَأَقْرَأَهُ: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾

(١) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٩٨).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٨٩).

(٣) ينظر: مصاعد النظر (٣/ ٢٣١)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٩٠).

حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهَا قَالَ الرَّجُلُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَزِيدُ عَلَيْهَا أَبَدًا، ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفْلَحَ الرُّوَيْجِلُ ! أَفْلَحَ الرُّوَيْجِلُ !»[1].

شَرْحُ الآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾، أَيْ: اضْطَرَبَتْ وَتَحَرَّكَتْ لِقِيَامِ السَّاعَةِ، ﴿زِلْزَالَهَا﴾، أَيْ: تَحَرُّكًا شَدِيدًا مُنَاسِبًا لِعَظَمَتِهَا، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة الحج:١] [2].

قَوْلُهُ: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾، أَيْ: مَا فِي جَوْفِهَا مِنَ الْكُنُوزِ وَالدَّفَائِنِ وَالْأَمْوَاتِ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤﴾ [سورة الانشقاق:٤][3]، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا»[4][5].

قَوْلُهُ: ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾، أَيْ: حِينَ رَأَى هَذِهِ الْأَرْضَ تَرْجُفُ رَجْفًا شَدِيدًا، وَقَدْ أَخْرَجَتْ مَا فِي بَاطِنِهَا، يَقُولُ مُنْدَهِشًا مُتَعَجِّبًا: ﴿مَا لَهَا ۝٣﴾، أَيْ: أَيُّ شَيْءٍ عَرَضَ لَهَا؟ لِمَا يَبْهَرُهُمْ مِنَ الْأَمْرِ الْفَظِيعِ[6].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦٥٧٥) واللفظ له، وأبو داود (١٣٩٩)، والحاكم في المستدرك (٣٩٦٤)، وقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٥٨)، تفسير البغوي (٨/ ٤٩٨).

(٣) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٣٠)، تفسير النسفي (٣/ ٦٦٩).

(٤) أخرجه مسلم (١٠١٣).

(٥) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٩٨).

(٦) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٣٠)، تفسير السعدي (ص٩٣٢).

وقِيلَ: الْمُرادُ بِـ "الإنْسَان": الكافِرُ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَعْلَمُ مَا لَها، ويَقُولُ: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [سورة يس:٥٢](١).

قَولُهُ: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: بَدَلٌ مِن (إذَا)، أَيْ: فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، أَيْ: تُخبِرُ بِمَا وَقعَ عَلَيْهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ(٢)، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: «قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [سورة الزلزلة:٤]، قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ وَأَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا، أَنْ تَقُولَ: عَمِلَ كَذَا وَكَذَا، يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا»(٣)(٤).

قَولُهُ: ﴿بِأَنَّ﴾، الْبَاءُ: سَبَبِيَّةٌ(٥)، ﴿رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾، أَيْ: أَمَرَهَا بِأَنْ تُخْبِرَ(٦).

قَولُهُ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾، أَيْ: يَنْصَرِفُونَ مِن مَوْقِفِ الْحِسَابِ، ﴿أَشْتَاتًا﴾، أَيْ: مُتَفَرِّقِينَ، فَآخِذٌ ذَاتَ الْيَمِينِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَآخِذٌ ذَاتَ الشِّمَالِ إِلَى النَّارِ(٧)، ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦﴾، أَيْ: لِيَنْظُرُوا إِلَى جَزَاءِ أَعْمَالِهِمْ(٨).

قَولُهُ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ﴾، أي: فِي الدُّنْيَا، ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، أَيْ: زِنَةَ ذَرَّةٍ، والذَّرَّةُ أَصْغَرُ النَّمْلِ، ﴿خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾، أَيْ: يَرَى ثَوابَهُ فِي الْآخِرَةِ(٩).

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٣٠)، تفسير النسفي (٣/ ٦٦٩).
(٢) ينظر: تفسير الوجيز للواحدي (ص١٢٢٣)، تفسير القرطبي (٢٠/ ١٤٨).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٢٩) وقال: "حسن غريب صحيح"، وصححه ابن حبان (٧٣٦٠)، والحاكم في المستدرك (٣٠١٢) وقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".
(٤) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٥٠١-٥٠٢).
(٥) ينظر: تفسير ابن جزي (٢/ ٥٠٣)، تفسير القاسمي (٩/ ٥٢٦).
(٦) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٥٠٢)، تفسير السعدي (ص٩٣٢).
(٧) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٦٢)، الوجيز للواحدي (ص١٢٢٤)، تفسير الجلالين (ص٨١٨).
(٨) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٥١١)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣٣٠).
(٩) ينظر: تفسير النسفي (٣/ ٦٧٠)، تفسير الجلالين (ص٨١٨).

قَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾، أي: يَرى جَزاءَهُ في الْآخِرَةِ(1).

وَقَدْ سَمَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الآيَةَ جَامِعَةً فاذَّةً، كَمَا في حَدِيثِ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا ذَكَرَ أَقْسامَ الْخَيْلِ وَأَنَّهَا ثَلاثَةٌ، فَقِيلَ لَهُ: «فَالْحُمُرُ -جمع حمار- يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيَّ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةَ الْجَامِعَةَ الْفَاذَّةَ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [سورة الزلزلة:8]»(2). وَمَعْنَى جوابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهَا آيَةٌ مُنْفَرِدَةٌ في عُمُومِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَا أَعْلَمُ آيَةً أَعَمَّ مِنْها؛ لِأَنَّهَا تَعُمُّ كُلَّ خَيْرٍ وَكُلَّ شَرٍّ"(3).

بَعْضُ الفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ من الْآيَاتِ:

عِظَمُ الْخَطْبِ يَوْمَ الْقِيامَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [سورة الزلزلة:1]، وَالْآيَاتِ بَعْدَهَا:أَنَّهُ يَحْدُثُ لِلْأَرْضِ عِنْدَ قِيامِ السَّاعَةِ أَهْوالٌ وَحَرَكَةٌ شَدِيدَةٌ، لا يَقْدُرُ قَدْرَها وَلَا يَبْلُغُ كُنْهَها، وَلَا يَعْلَمُ كَيْفِيَّتَها إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَفِي ذَلِكَ: دَعْوَةٌ لِلِاسْتِعْدادِ لِيَوْمِ الْمَعادِ، فَهُوَ يَوْمٌ عَظِيمٌ، يَوْمُ الْأَهْوَالِ وَالشَّدَائِدِ الَّتِي مِنْهَا زَلْزَلَةُ الْأَرْضِ الْعَظِيمَةِ، فَهَذَا يَدْعُو لِأَنْ يُعَلِّقَ الْمُسْلِمُ قَلْبَهُ بِالدَّارِ الْآخِرَةِ، وَيَزْهَدَ في هَذِهِ الدَّارِ؛ لِأَنَّهَا فَانِيَةٌ وَتِلْكَ بَاقِيَةٌ، وَالْعَاقِلُ مَنْ قَدَّمَ الْبَاقِيَ عَلَى الْفَانِي.

بَعْضُ ما يَحْصُلُ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنَ الْأَهْوَالِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [سورة الزلزلة:2-5]: عِدَّةُ مَسَائِلَ، مِنْهَا:

---

(1) ينظر: تفسير الطبري (24/ 562).

(2) أخرجه البخاري (4962)، ومسلم (987) واللفظ له.

(3) التمهيد (4/ 219).

الْأُولَى: أَنَّ الْأَرْض تَلْفِظُ مَا في بُطُونِهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ وَالْأَجْسَامِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَذَلِكَ بَعْدَ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [سورة الزلزلة:٢]، وَكَمَا قَالَ تَعَالى: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤﴾ [سورة الانشقاق:٣-٤].

الثَّانِيَةُ: شِدَّةُ حَيْرَةِ الْإِنْسَانِ وَدَهْشَتِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ لِهَوْلِ مَا يَحْدُثُ فِيهِ، وَمِنْ هَوْلِهِ تَشِيبُ رُؤُوسُ الْمَوَالِيدِ، وَتُسْقِطُ ذَوَاتُ الْأَحْمَالِ حَمْلَهُنَّ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ الْأَرْض في هَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ تتكَلَّمُ حَقِيقَةً، وَتَشْهَدُ عِنْدَ اللهِ بمَا حَصَلَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ[1]؛ وَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَنْ عَصَى اللهَ تَعَالَى فِيْ مَوْضِعٍ مِنَ الْأَرْضِ فَلْيُطِعْهُ فِي نَفْسِ الْمَوْضِعِ؛ حَتَّى يَشْهَدَ لَهُ بِالْحَسَنَاتِ، كَمَا سَيَشْهَدُ لَهُ بِالسَّيِّئَاتِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [سورة هود:١١٤].

الرَّابِعَةُ: اِسْتُدِلَّ بِقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [سورة الزلزلة:٤]: عَلَى أَفْضَلِيَّةِ انْتِقَالِ الْمُصَلِّي مِنْ مَوْضِعِهِ الَّذِي صَلَّى فيهِ الْفَرْضَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ النَّافِلَةَ، وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ مِنَ الْمَذْهَبِ عِنْدَ الْحَنَابِلَةِ[2]، وَهُوَ مَذْهَبُ الْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ[3].

وَعِلَّةُ ذَلِكَ: تَكْثِيرُ مَوَاضِعِ السُّجُودِ لِأَجْلِ أَنْ تَشْهَدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلِأَجْلِ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْفَرْضِ وَالنَّافِلَةِ. **وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ**: مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ إِذَا صَلَّى أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ أَوْ عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، يَعْنِي: السُّبْحَةَ»[4]، أَيْ: صَلَاةَ النَّافِلَةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ.

الْخَامِسَةُ: أَنْ يَحْذَرَ الْعَبْدُ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ؛ لِأَنَّهُ عَلَى أَرْضِهِ، وَكُلُّ مَكَانٍ مِنَ الْأَرْضِ سَيُخْبِرُ بِمَا عُمِلَ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

رُؤْيَةُ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

---

(١) ينظر: تفسير القاسمي (١٥/ ٤٣٥).

(٢) كشاف القناع للبهوتي (١/ ٤٩٣).

(٣) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ١٧٠)، فتح الباري لابن رجب (٧/ ٤٣١).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٩٤٩٥)، وأبو داود (١٠٠٦)، وابن ماجه (١٤٢٧) واللفظ له.

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [سورة الزلزلة:٦]: بَيَانُ أَنَّ النَّاسَ يُغَادِرُونَ الْمَوْقِفَ وَهُوَ الْمَحْشَرُ أَشْتَاتًا مُتَفَرِّقِينَ فِرَاقًا لَا اجْتِمَاعَ، وَلَا لِقَاءَ بَعْدَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [سورة الروم:١٤](١)، وَذَلِكَ عَلَى حَسَبِ أَعْمَالِهِمْ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الروم:١٥-١٦]. فَكُلُّ إِنْسَانٍ يَرَى مَا قَدَّمَ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ أَوِ الشَّرِّ، وَلَيْسَ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يُبَدِّلَ أَوْ يُغَيِّرَ، أَوْ يَتَرَاجَعَ أَوْ يَتُوبَ، أَوْ يَسْتَكْثِرَ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، أَوْ يُقْلِعَ أَوْ يَتُوبَ مِنَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ.

عَدَمُ الِاسْتِهَانَةِ بِالْأَعْمَالِ خَيْرًا أَوْ شَرًّا وَإِنْ صَغُرَتْ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [سورة الزلزلة:٧-٨]: بَيَانٌ لِحَالِ الْأَعْمَالِ خَيْرِهَا وَشَرِّهَا، وأَنَّ الْعَمَلَ لَا يُهْمَلُ وَلَوْ كَانَ قَلِيلًا، سَوَاءٌ كَانَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا، كَمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء:٤٠]، فَالْأَعْمَالُ مَطْلُوبَةٌ خَيْرُهَا وَشَرُّهَا، لَا تَضِيعُ وَلَا تُنْسَى، يَجِدُهَا صَاحِبُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ يُبْصِرْهُ عِيَانًا، فَإِمَّا أَنْ يَسُرَّهُ، وَإِمَّا أَنْ يَضُرَّهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف:٤٩](٢).

فَعَلَى الْمُؤْمِنِ: أَنْ لَا يَحْقِرَ شَيْئًا مِنْ عَمَلِهِ خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا؛ وَلِهَذَا: فَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ

(١) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٥٠٢).
(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ١٥٠-١٥١).

شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»(١)، وعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّارَ، فتَعَوَّذَ مِنْهَا وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ، فَتَعَوَّذَ مِنْهَا، وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ - قَالَ شُعْبَةُ: أَمَّا مَرَّتَيْنِ فَلاَ أَشُكُّ -، ثُمَّ قَالَ: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»(٢). وعَنْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلاَهُنَّ مَنِيحَةُ الْعَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءَ ثَوَابِهَا، وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا؛ إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللهُ بِهَا الْجَنَّةَ»(٣)، قَالَ حَسَّانُ: فَعَدَدْنَا مَا دُونَ مَنِيحَةِ الْعَنْزِ مِنْ رَدِّ السَّلاَمِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَإِمَاطَةِ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَنَحْوِهِ، فَمَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نَبْلُغَ خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً. وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ»(٤)(٥).

أَعْظَمِ الْمَوَاعِظِ الْبَلِيغَةِ فِي الْقُرْآنِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [سورة الزلزلة:٧-٨]: أَعْظَمِ الْمَوَاعِظِ الْبَلِيغَةِ فِي الْقُرْآنِ، وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ صَعْصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ- عَمِّ الْفَرَزْدَقِ- «أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾، قَالَ: حَسْبِي، لَا أُبَالِي أَنْ لَا أَسْمَعَ غَيْرَهَا»(٦). وَعَنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٢٣) واللفظ له، ومسلم (١٠١٦).

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٣١).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣٨١٨).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٦٢-٤٦٣).

(٦) أخرجه أحمد (٢٠٥٩٣).

مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾، قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: حَسْبِي إِنْ عَمِلْتُ ذَرَّةً مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ رَأَيْتُهُ، انْتَهَتِ الْمَوْعِظَة»[(١)][(٢)].

❁❁❁

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٨٢).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٤٢).

سُورَةُ الْعَادِيَات

سُورَةُ (الْعَادِيَاتِ): مُخْتَلَفٌ فِيهَا، هَلْ هِيَ مَكِّيَّةٌ أَمْ مَدَنِيَّةٌ، وَآيُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً.

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمَائِهَا: سُورَةُ (الْعَادِيَاتِ)، وَسُورَةُ (وَالْعَادِيَاتِ) بِإِثْبَاتِ الْوَاوِ(١).

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

اِحْتَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى مَقَاصِدَ عَظِيمَةٍ، مِنْ أَهَمِّهَا(٢):

- ✓ ذَمُّ بَعْضِ الْخِصَالِ الَّتِي تُفْضِي بِأَصْحَابِهَا إِلَى الْخُسْرَانِ فِي الْآخِرَةِ.
- ✓ وَعْظُ النَّاسِ بِأَنَّ وَرَاءَهُمْ حِسَابًا عَلَى أَعْمَالِهِمْ بَعْدَ الْمَوْتِ؛ لِيَتَذَكَّرَهُ الْمُؤْمِنُ، وَيُهَدَّدَ بِهِ الْجَاحِدُ.

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾، بِالْعَادِيَات، وَهِيَ: جَمْعُ: عَادِيَة، مَأْخُوذٌ مِن العَدْوِ، وَهُوَ: السَّيْرُ السَّرِيعُ، فَأَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِالْعَادِيَاتِ وَهِيَ: الخَيْلُ حِينَ تَعْدُو بِسُرْعَةٍ، ﴿ضَبْحًا﴾، أَيْ: صَوْتُ أَنْفَاسِهَا فِي صَدْرِهَا عِنْدَ اشْتِدَادِ عَدْوِهَا(٣)، وَ(ضَبْحًا): مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ لِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: يَضْبَحْنَ ضَبْحًا(٤).

قَوْلُهُ: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ﴾: التِي تُورِي، أَيْ: تُوقِدُ، بِحَوَافِرِهَا مَا يَطَأْنَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَحْجَارِ، ﴿قَدْحًا﴾، أَيْ: النَّارَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ أَثَرِ احْتِكَاكِهِنَّ بِالْحِجَارَةِ خِلالَ عَدْوِهَا بِسُرْعَةٍ(٥).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٩٧).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٩٨).

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ١٥٤)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣٣١)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٩٨).

(٤) ينظر: تفسير الألوسي (١٥/ ٤٤١).

(٥) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٥٠٨)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤٦٦)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٩٩).

قَولُهُ: ﴿فَٱلۡمُغِيرَٰتِ﴾، مِنَ الإِغَارَة، وَهِيَ: غَزْوُ الْجَيْشِ دَارًا مَا، وَالْمَقْصُوْدُ: التِيْ يُغِيرُ أَهْلُهَا عَلَى الْعَدُوِّ، ﴿صُبۡحٗا﴾، أَيْ: في وَقْتِ الصَّباحِ[١]، وَ(صُبْحًا): مَنْصُوبٌ علَى الظَّرفِيَّةِ[٢].

قَولُهُ: ﴿فَأَثَرۡنَ﴾، أي: فَهَيَّجْنَ، من الإثارة، ﴿بِهِۦ﴾، أي: بِذَلِكَ الْعَدْوِ، ﴿نَقۡعٗا ٤﴾، أي: غُبَارًا[٣].

قَولُهُ: ﴿فَوَسَطۡنَ﴾ فتَوَسَّطْنَ، ﴿بِهِۦ﴾ بِرَاكِبِهِنَّ، ﴿جَمۡعًا ٥﴾، أَيْ: بَلَغَتْ تِلْكَ الْخُيولُ جُمُوعَ الْعَدُوِّ، وَتَوَسَّطَتْهُ؛ بِسَبَبِ الْغُبَارِ الَّذِي هَيَّجَتْهُ[٤].

قَولُهُ: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ﴾، أي: لَكَفُورٌ جَحُودٌ لِنِعَمِ رَبِّهِ عَلَيْهِ، وَهُوَ جَوابُ القَسَمِ[٥].

قَولُهُ: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾، أَيْ: وَإِنَّ الإِنْسَانَ عَلى كُنُودِهِ وجحُوْدِهِ، ﴿لَشَهِيدٞ﴾، أي: يَشْهَدُ عَلى نَفْسِهِ لِظُهُورِ أَثَرِهِ عَلَيْهِ[٦].

قَولُهُ: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ﴾، أي: الْمَالِ، كقَوْلِهِ تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا﴾ [سورة البقرة:١٨٠]، أَيْ: مَالًا[٧]، ﴿لَشَدِيدٌ ٨﴾، أَيْ: إِنَّ الإِنْسَانَ لِأَجْلِ حُبِّ الْمَالِ لَبَخِيلٌ مُمْسِكٌ[٨].

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٣١)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٠٠).
(٢) ينظر: فتح القدير (٥/ ٥٨٨).
(٣) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٥٠٨)، تفسير النسفي (٣/ ٦٧١)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٠١).
(٤) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ١٦٠)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤٦٥).
(٥) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٥٠٩)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤٦٧).
(٦) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٣١)، تفسير أبي السعود (٩/ ١٩١).
(٧) ينظر: تفسير الطبري (٣/ ١٢٣).
(٨) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٨٩)، تفسير الرازي (٦/ ٣٨٣).

قَوْلُهُ: ﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ﴾، أي: الإِنْسَانُ، ﴿إِذَا بُعۡثِرَ﴾، أي: بُعِثَ، ﴿مَا فِي ٱلۡقُبُورِ﴾، مِنَ الْمَوْتَى لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ[(١)].

قَوْلُهُ: ﴿وَحُصِّلَ﴾، أي: وَاسْتُخْرِجَ وَأُظْهِر، ﴿مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ مِن خَيرٍ أَوْ شَرٍّ[(٢)].

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ﴾، أَيْ: يَوْمَ الْقِيامَةِ، ﴿لَّخَبِيرُۢ ١١﴾، أي: عَالِمٌ بِما أَعْلَنُوا وَمَا أَسَرُّوا فَيُجازِيهِمْ عَلَيْهِ[(٣)].

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

فَضْلُ الْخَيْلِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا﴾: الإِشَارَةُ إِلى فَضْلِ الْخَيلِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى ذَكَرَ جُمْلَةً مِنْ أَوْصَافِهَا مُقْسِمًا بِهَا، وَهِيَ الَّتِي تُغِيرُ مُسْرِعَةً عَلَى الْأَعْدَاءِ، فَيَعْلُو أَصْوَاتُ أَنْفَاسِهَا، وتُورِي شَرَرَ النَّارِ مِنْ حَوَافِرِهَا، فَتُثِيرُ الْغُبَارَ، وَتُفَاجِئُ الْأَعْدَاءَ، فَهِيَ زِينَةٌ وَقُوَّةٌ، فَيَنْبَغِي الْعِنَايَةُ بِهَا وَتَربِيَتُهَا، وَفِي حَدِيثِ عُرْوَةَ بْنِ الجَعْدِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ: الأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ»[(٤)].

الوَقْتُ الأَفْضَلُ لِلْإِغَارَةِ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا﴾: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ أَنْ تَكونَ الْإِغَارَةُ عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ في الصُّبحِ، وَكَانَ هَذا هَدْيَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُغِيرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ، وَكَانَ يَسْتَمِعُ الأَذَانَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ، وَإِلَّا أَغَارَ، فَسَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٥٠٩).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ١٦٣)، تفسير القاسمي (٩/ ٥٣٠).

(٣) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٣١).

(٤) أخرجه البخاري (٢٨٥٢)، ومسلم (١٨٧٣).

أَكْبَرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَى الْفِطْرَةِ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَرَجْتَ مِنَ النَّارِ، فَنَظَرُوا فَإِذَا هُوَ رَاعِي مِعْزًى»(١).

مِنْ أَوْصَافِ الْإِنْسَانِ: جَحْدُ النِّعَمِ وَحُبُّ الْمَالِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ۝٧﴾: وَصْفُ الْإِنْسَانِ بِأَنَّهُ كَفُورٌ جَحُودٌ لِنِعَمِ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِ(٢)، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [سورة إبراهيم:٣٤]، وَهُوَ يَشْهَدُ عَلَى نَفْسِهِ بِذَلِكَ.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾: وَصْفُ الْإِنْسَانِ بِأَنَّهُ يُحِبُّ الْمَالَ حُبًّا شَدِيدًا، فَيَبْخَلُ بِهِ وَيُمْسِكُهُ، وَيَمْنَعُ مِنْهُ الْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ إِلَّا مَنْ هَدَاهُ اللهُ وَوَفَّقَهُ(٣).

إِثْبَاتُ الْبَعْثِ مِنَ الْقُبُورِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ﴾: إِثْبَاتُ الْبَعْثِ مِنَ الْقُبُورِ لِلْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ.

مَنْزِلَةُ الْقُلُوبِ وَأَهَمِّيَّةُ الاعْتِنَاءِ بِهَا:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾: ذِكْرٌ لِلصُّدُورِ، وَالْمَقْصُودُ بِهَا: الْقُلُوبُ(٤)، وَفِي ذَلِكَ عِدَّةُ دَلَالَاتٍ، مِنْهَا: الْعِنَايَةُ الْعَظِيمَةُ بِأَعْمَالِ الْقُلُوبِ؛ لِأَنَّهَا أَسَاسُ النَّجَاةِ مِنَ النَّارِ وَالْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ، وَهِيَ الْأَصْلُ وَأَعْمَالُ الْجَوَارِحِ فَرْعٌ عَنْهَا، كَمَا قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: "وَالدِّينُ الْقَائِمُ بِالْقَلْبِ مِنَ الْإِيمَانِ عِلْمًا وَحَالًا هُوَ الْأَصْلُ، وَالْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ هِيَ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٣) من غير ذكر قصة الرجل، ومسلم (٣٨٢) واللفظ له.
(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٦٧).
(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٠٣).
(٤) ينظر: أضواء البيان (٩/ ٦٨).

الْفُرُوعُ، وَهِيَ كَمَالُ الْإِيمَانِ"[1]، وَهِيَ الْمُحَرِّكَةُ وَالدَّافِعَةُ لِأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ، فَكُلَّمَا عَظُمَ الْإِيمَانُ وَالتَّوْحِيدُ وَعَظُمَتْ مَحَبَّةُ اللهِ فِي الْقَلْبِ، كَانَ ذَلِكَ دَافِعًا لِلْعِبَادَاتِ الظَّاهِرَةِ.

وفي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَظْهَرُ مَا كَانَتِ الْقُلُوبُ تُضْمِرُهُ مِنَ النِّيَّاتِ وَالْعَقَائِدِ وَغَيْرِها، فَيَتَمَيَّزُ الصَّالِحُ مِنْهَا وَالْفَاسِدُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾، وَلِقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [سورة الطارق:٩][2]؛ فاللهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِبَوَاطِنِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ وَظَوَاهِرِهَا وَجَلَائِلِهَا وَجَلِيَّاتِهَا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [سورة غافر:١٩]، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ عَلَيْهَا.

وَعْدُ اللهِ وَوَعِيدُهُ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾: وَعْدٌ وَوَعِيدٌ؛ وَعْدٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا، وَوَعِيدٌ لِمَنْ كَفَرَ بِاللهِ وَجَحَدَ نِعَمَهُ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أَيْ: لَعَالِمٌ بِجَمِيعِ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَيَعْمَلُونَ، مُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ أَوْفَرَ الْجَزَاءِ، وَلَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ"[3].

❀❀❀

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٥٥).
(٢) ينظر: تفسير الرازي (٣٢/ ٢٦٣).
(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٦٧).

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

سُورَةُ (الْقَارِعَةِ): مَكِّيَّةٌ بِلَا خِلَافٍ[1]، وَآيُهَا ثَمان آيَاتٍ.

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

اِحْتَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى مَقَاصِدَ عَظِيمَةٍ، مِنْ أَهَمِّهَا[2]:

- ✓ إِيضَاحُ يَوْمِ الدِّينِ بِتَصْوِيرِ أَحْوَالِهِ.
- ✓ تَقْسِيمُ النَّاسِ فِيهِ إِلَى نَاجٍ وَهَالِكٍ.
- ✓ إِثْبَاتُ وُقُوعِ الْبَعْثِ وَمَا يَسْبِقُ ذَلِكَ مِنَ الْأَهْوَالِ.
- ✓ أَنَّ أَهْلَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِي نَعِيمٍ، وَأَهْلَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ فِي قَعْرِ الْجَحِيمِ.

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١﴾، أي: الْقِيامَةُ الَّتِي تَقْرَعُ الْقُلُوبَ بِأَهْوالِها[3].

قَوْلُهُ: ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢﴾، كُرِّرَتْ فِي الْآيَاتِ لِتَهْوِيلِ شَأْنِها وَشِدَّةِ أَهْوَالِهَا[4]، وَقَوْلُهُ: (ما القارِعَة): مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ، وَهُمَا خَبَرٌ عَنِ الْقَارِعَةِ[5].

قَوْلُهُ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾، أي: مَا أَعْلَمَكَ، ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾، وَكُرِّرَتْ فِي الْآيَاتِ لِتَهْوِيلِ شَأْنِها وَشِدَّةِ أَهْوَالِهَا[6]، وَ"مَا" الْأُولَى مُبْتَدَأٌ وَمَا بَعْدَهَا خَبَرُهُ، وَ"مَا" الثَّانِيَةُ وَخَبَرُهَا: فِي مَحَلِّ الْمَفْعُولِ الثَّانِي لِأَدْرَى[7].

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٥١٦).
(٢) ينظر: مصاعد النظر (٣/ ٢٤٠)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٠٩).
(٣) ينظر: تفسير الماوردي (٦/ ٣٢٧)، تفسير البغوي (٨/ ٥١١).
(٤) ينظر: تفسير القاسمي (٩/ ٥٣١).
(٥) ينظر: تفسير الجلالين (ص٨١٩).
(٦) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٥٤٦).
(٧) ينظر: تفسير الجلالين (ص٨١٩).

قولُهُ: ﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ﴾ في كَثْرَتِهِمْ وَذِلَّتِهِمْ وَانْتِشارِهِمْ وَاضْطِرابِهِمْ[1]، ﴿كَٱلۡفَرَاشِ﴾، وَهِيَ الْحَشَرَةُ الَّتِي تَرَاهَا تَتَسَاقَطُ عَلَى الضَّوْءِ لَيْلًا[2]، ﴿ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾، أي: الْمُتَفَرِّقِ الْمُنْتَشِرِ[3]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ﴾ [سورة القمر:٧][4]، وانْتِصابُ "يَوْمَ" بِمُضْمَرٍ دَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَارِعَةُ[5].

قولُهُ: ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ﴾، أي: كَالصُّوفِ، ﴿ٱلۡمَنفُوشِ ٥﴾، أي: الَّذِي تَفَرَّقَتْ أَجْزَاؤُهُ[6]، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ٥ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ٦﴾ [سورة الواقعة:٥-٦].

قولُهُ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بِأَنْ تَرَجَّحَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ.

قولُهُ: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٧﴾، أَيْ: حَيَاةٍ مَرْضِيَةٍ في الجنَّةِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾ [سورة الفجر:٢٧-٣٠][7].

قولُهُ: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بِأَنْ تَرَجَّحَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ، ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ﴾، أَيْ: فَمَأْوَاهُ وَمَسْكَنُهُ النَّارُ الْمُحْرِقَةُ، وَالْهَاوِيَةُ مِنْ أَسْمَائِهَا[8].

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٣٣).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٧٤).

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ١٦٥).

(٤) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٥١١)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤٦٨).

(٥) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٣٣).

(٦) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٣٣)، تفسير أبي السعود (٩/ ١٩٣).

(٧) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٥١١)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤٦٨).

(٨) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٩٥)، تفسير البغوي (٨/ ٥١٤).

قَوْلُهُ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾، وَأَيُّ شَيْءٍ أَعْلَمَكَ؟ ﴿مَا هِيَهۡ ١٠﴾، أي: مَا هَذِهِ الْهَاوِيَةُ؟[1].

قَوْلُهُ: ﴿نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾ شَدِيدَةُ الْحَرَارَةِ[2] -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-، وَقَدْ جَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَالَ: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ، قَالُوا: وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا»[3][4].

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

تَسْمِيَةُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِالْقَارِعَةِ وَتَهْوِيلُ شَأْنِهَا:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٣﴾ [سورة القارعة:١-٣]: ذَكَرَ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: الْقَارِعَةَ، وَمِنْ أَسْمَائِهَا أَيْضًا: الْحَاقَّةُ وَالطَّامَّةُ وَالصَّاخَّةُ وَالْغَاشِيَةُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ. أَمَّا الِاسْتِفْهَامُ الْوَارِدُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾، فَهُوَ لِتَعْظِيمِ وَتَهْوِيلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَكَأَنَّهُ لِشِدَّةِ مَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ الَّتِي تَفْزَعُ مِنْهُ النُّفُوسُ يَصْعُبُ تَصَوُّرُهُ وَإِدْرَاكُ حَقِيقَتِهِ.

ذِكْرُ بَعْضِ أَحْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ٥﴾ [سورة القارعة:٤-٥]، وَصْفُ حَالِ النَّاسِ وَالْجِبَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ شَبَّهَ النَّاسَ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ بِالْفَرَاشِ الْمُنْتَشِرِ الَّذِي يَمُوجُ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ، وَيَتَطَايَرُ هُنَا

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب السور (٢٢/ ٢٢٤).
(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ١٦٧).
(٣) أخرجه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣) واللفظ له.
(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٦٩).

وَهُنَاكَ، وَلَا يَدْرِي أَيْنَ يَذْهَبُ. وَشَبَّهَ الْجِبَالَ الصُّمَّ الصِّلَابَ الرَّاسِيَاتِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِالصُّوفِ الْمَنْفُوشِ فِي ضَعْفِهَا وَلِينِهَا، أَوْ فِي خِفَّتِهَا وَسَيْرِهَا.

وَهَذَا كُلُّهُ: يَدْعُو الْمُسْلِمَ الَّذِي يُرِيدُ النَّجَاةَ لِنَفْسِهِ أَنْ يَتَأَمَّلَ حَالَ النَّاسِ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الرَّهِيبِ وَحَيْرَتَهُمْ وَذُهُولَهُمْ، وَأَنْ يَسْتَعِدَّ لَهُ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ، وَالِاسْتِقَامَةِ عَلَى دِينِهِ، وَيَحْذَرَ مِنْ أَهْوَالِ هَذَا الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ، وَعَذَابِ اللهِ تَعَالَى فِيهِ.

السَّبِيلُ إِلَى الْعِيشَةِ الرَّاضِيَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ [سورة القارعة:٦-٧]: أَنَّ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ لَا يَحْقِرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ كَانَ يَسِيرًا، حَتَّى الْقَذَاةَ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَرُبَّ عَمَلٍ صَغَّرَتْهُ الْأَعْيُنُ كَانَ سَبَبًا لِرِضَا الرَّحْمَنِ جَلَّ وَعَلَا وَالْفَوْزِ بِجَنَّتِهِ، فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنَّ يَبْذُلَ الْمَعْرُوفَ وَلَوْ كَانَ يَسِيرًا، وَلَنْ يَضِيعَ عِنْدَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ، فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ»(١)، وَفِي لَفْظٍ: «أَنَّ رَجُلًا رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ، فَجَعَلَ يَغْرِفُ لَهُ بِهِ، حَتَّى أَرْوَاهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ»(٢).

وإِذَا كَانَ الْإِحْسَانُ لِلْكَلْبِ يغفِرُ اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، فَيَا تُرَى كَيْفَ يَصْنَعُ الْإِحْسَانُ بِصَاحِبِهِ إِذَا اهْتَمَّ بِالضُّعَفَاءِ وَالْأَيْتَامِ، وَسَعَىٰ عَلَىٰ الْمَسَاكِيْنَ وَالْمُحْتَاجِينَ، فَفَرَّجَ هَمَّهُمْ، وَأَدْخَلَ السَّعَادَةَ لِقُلُوبِهِمْ؟ فَلَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تُزِيلَ حَجَرًا، أَوْ أَذًى مِنْ طَرِيقِ النَّاسِ، فَلَرُبَّمَا غُفِرَ ذَنْبُكَ بِهَذَا الْعَمَلِ الْيَسِيرِ.

خُسْرَانُ مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَدْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ:

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢)، ومسلم (١٩١٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٧٣).

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [سورة القارعة:٨-١١]: بَيَانٌ لِشِدَّةِ عَذَابِ أَهْلِ النَّارِ، وَوَجْهُ ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى عَبَّرَ عَنِ الْمَأْوَىٰ بِالْأُمِّ؛ لِأَنَّ الْأُمَّ هِيَ مَفْزَعُ الْوَلَدِ، فَالْوَلَدُ إِذَا خَافَ لَجَأَ إِلَىٰ أُمِّهِ، فَهِيَ مَفْزَعُهُ وَمَلْجَؤُهُ، كَذَلِكَ هَذَا إِذَا فَزِعَ مِنَ الْعَذَابِ يَذْهَبُ إِلَى النَّارِ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-[1].

وَالْهَاوِيَةُ مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ، وَمِن أَسْمَائِهَا الْأُخْرَىٰ: الْحُطَمَةُ وَاللَّظَى، وَالجَحِيمُ، وَجَهَنَّمُ، وَسَقَرُ، وَالسَّعِيرُ، وَسِجِّينٌ.

وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ: أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرِيقَانِ: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ، فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ- فَهُوَ فِي السَّعِيرِ.

❁❁❁

(١) ينظر: تفسير النسفي (٣/ ٦٧٤).

سُورَةُ التَّكَاثُر

سُورَةُ (التَّكاثُرِ): مَكِّيَّةٌ بِلا خِلَافٍ[١]، وَآيُها ثَمانِ آياتٍ.

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمَائِهَا: سُورَةُ (الْمَقْبَرَةِ)، وَسُورَةُ (التَّكَاثُرِ)، وَسُورَةُ (أَلْهَاكُمْ)[٢].

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

اِحْتَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى مَقَاصِدَ عَظِيمَةٍ، مِنْ أَهَمِّهَا[٣]:

- ✓ التَّصْرِيحُ أَنَّ سَبَبَ الْهَلَاكِ جَمْعُ الْمَالِ وَالإِخْلَادُ إِلى دَارِ الزَّوَالِ.
- ✓ التَّوْبِيخُ عَلَى اللَّهْوِ عَنِ النَّظَرِ فِي دَلَائِلِ الْقُرْآنِ وَدَعْوَةِ الْإِسْلَامِ بِإِيثَارِ الْمَالِ وَالتَّكَاثُرِ بِهِ، إِلَى أَنْ يُصَارَ إِلَى الْقُبُورِ.
- ✓ الْحَثُّ عَلَى التَّدَبُّرِ فِيمَا يُنْجِي مِنَ الْجَحِيمِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ مَبْعُوثٌ وَمَسْؤُوْلٌ عَنْ إِهْمَالِ شُكْرِ الْمُنْعِمِ الْعَظِيمِ.

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾، أي: شَغَلَكُمْ عَنْ طَاعَةِ اللهِ تعالى[٤]، ﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾، أي: الْمُبَاهَاةُ وَالْمُفَاخَرَةُ بِكَثْرَةِ الْمَالِ وَالْأَوْلَادِ وَغَيْرِ ذَلِكَ[٥]، وَأَنْ يَقُولَ هَؤُلَاءِ: نَحْنُ أَكْثَرُ، وَيَقُولَ هَؤُلَاءِ: نَحْنُ أَكْثَرُ[٦].

قَوْلُهُ: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾، أَيْ: أَلْهاكُمْ حِرْصُكُمْ عَلَى تَكْثِيرِ أَمْوالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَنْ طَاعَةِ رَبِّكُمْ إِلَى أَنْ أَتَاكُمُ الْمَوْتُ وَدُفِنْتُمْ فِي الْقُبُورِ[٧].

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٥١٨).
(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٥١٧).
(٣) ينظر: مصاعد النظر (٣/ ٢٤١)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٥١٨).
(٤) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ١٦٨)، تفسير الجلالين (ص٨٢٠).
(٥) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٥١٨).
(٦) ينظر: تفسير البيضاوي (٣/ ٥٠٩).
(٧) ينظر: تفسير الرازي (٣٢/ ٢٧١)، تفسير القرطبي (٢٠/ ١٦٩).

قولُهُ: ﴿كَلَّا﴾: رَدْعٌ وَتَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ الْعاقِلَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ لَا يَكُونَ جَمِيعُ هَمِّهِ وَمُعْظَمُ سَعْيِهِ لِلدُّنْيا، فَإِنَّ عاقِبَةَ ذَلِكَ وَبالٌ وَحَسْرَةٌ[1]، ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣﴾، أي: خَطَأَ رَأْيِكُمْ إِذَا عَايَنْتُمْ مَا وَرَاءَكُمْ، وَهُوَ إِنْذارٌ لِيَخافُوا وَيَنْتَبِهُوا مِنْ غَفْلَتِهِمْ[2].

قولُهُ: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، أي: سُوءُ عاقِبَةِ تَفاخُرِكُمْ وانْشِغالِكُمْ عَنْ طَاعَةِ رَبِّكُمْ عِنْدَ النَّزْعِ ثُمَّ فِي الْقَبْرِ[3].

قولُهُ: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾، جَوابُ (لَوْ): مَحْذُوفٌ لِلتَّهْوِيلِ، أَيْ: لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمًا يَقِينِيًّا أَنَّ اللهَ تَعالَى سَيَبْعَثُكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ وَسَيُجازِيكُمْ عَلَى أَعْمالِكُمْ لَمَّا شَغَلَكُمْ هَذا التَّكاثُرِ وَالتَّفاخُرِ[4].

وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ جوابًا لَهُ؛ لِأَنَّهُ مُحَقَّقُ الْوُقُوعِ بَلْ جَوابُ ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾: قَسَمٌ مَحْذُوفٌ لِتَأْكِيدِ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ، أَيْ: وَاللهِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ، وَهِيَ: النَّارُ وَالْعِياذُ بِاللهِ[5].

قولُهُ: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ تَكْرِيرٌ لِلتَّأْكِيدِ، ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾، أَيْ: الرُّؤْيَةَ الَّتِي هِيَ نَفْسُ الْيَقِينِ، فَإِنَّ عِلْمَ الْمُشاهَدَةِ أَعْلَى مَراتِبِ الْيَقِينِ[6].

قولُهُ: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ﴾، اللَّامُ: مُوطِّئَةٌ لِلْقَسَمِ، وَالتَّقْدِيرُ: ثُمَّ وَاللهِ لَتُسْأَلُنَّ، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، أي: يَوْمَ الْقِيامَةِ، ﴿عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾، أَيْ: عَنْ شُكْرِ كُلِّ أَنْواعِ النَّعِيمِ الَّذِي تَنَعَّمَ بِهِ الْإِنْسَانُ فِي الدُّنْيا[1].

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٣٤).
(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٣٤).
(٣) ينظر: تفسير الجلالين (ص٨٢٠).
(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٦٠١)، تفسير البغوي (٨/ ٥١٨).
(٥) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٣٤).
(٦) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٣٤).

وَالْخِطَابُ فِي الْآيَةِ لِجَمِيعِ النَّاسِ؛ لِأَنَّ اللَّفْظَ عَامٌّ. قَالَ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومُجَرَّدُ السُّؤالِ لا يَسْتَلْزِمُ تَعْذِيبَ المَسْئُولِ على النِّعْمَةِ الَّتِي يُسْأَلُ عَنْها، فَقَدْ يَسْأَلُ اللهُ المُؤْمِنَ عَنِ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ بِها عَلَيْهِ فِيمَ صَرَفَها، وبِمَ عَمِلَ فِيها؟ لِيَعْرِفَ تَقْصِيرَهُ وعَدَمَ قِيامِهِ بِما يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الشُّكْرِ"(٢).

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

التَّحْذِيرُ مِنَ اللَّهْوِ بِمَا يَتَكَاثَرُ بِهِ النَّاسُ وَيَفْتَخِرُونَ بِهِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾: لَمْ يَذْكُرْ فِي الْآيَةِ الْمُتَكَاثَرَ بِهِ؛ لِيَشْمَلَ مَا ذُكِرَ، وَيَشْمَلَ أَيْضًا كُلَّ مَا تَكَاثَرَ بِهِ النَّاسُ(٣). وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟»(٤). وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي مَالِي؟ وَإِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى، أَوْ تَصَدَّقَ فَاقْتَنَى، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ»(٥).

وَفِي ذَلِكَ: التَّحْذِيرُ مِنَ الْغَفْلَةِ وَالِانْشِغَالِ بِالدُّنْيَا، وَذَلِكَ بِالتَّكَاثُرِ وَالْمُبَاهَاةِ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، حَتَّى تَأْتِيَ سَاعَةُ الْمَوْتِ وَيَنْدَمَ الْإِنْسَانُ، وَحِينَهَا لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ.

إِثْبَاتُ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمَشْرُوعِيَّةُ زِيَارَةِ الْقُبُورِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾: الْإِشَارَةُ إِلَى عِدَّةِ مَسَائِلَ مُهِمَّةٍ، مِنْهَا:

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٦١٠).

(٢) فتح القدير (٥/ ٥٩٨).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص٩٣٣).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٥٨).

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٥٩).

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: دَلِيلٌ عَلَى إِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ؛ "لِأَنَّ الله تَعَالَى ذِكْرُهُ أَخْبَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَلْهَاهُمُ التَّكَاثُرُ أَنَّهُمْ سَيَعْلَمُونَ مَا يَلْقَوْنَ إِذَا هُمْ زَارُوا الْقُبُورَ وَعِيدًا مِنْهُ لَهُمْ وَتَهَدُّدًا"(١). وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "لَمْ يَأْتِ فِي التَّنْزِيلِ ذِكْرُ الْمَقَابِرِ إِلَّا فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَزِيَارَتُهَا مِنْ أَعْظَمِ الدَّوَاءِ لِلْقَلْبِ الْقَاسِي؛ لِأَنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ وَالْآخِرَةَ، وَذَلِكَ يَحْمِلُ عَلَى قِصَرِ الْأَمَلِ، وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَتَرْكِ الرَّغْبَةِ فِيهَا"(٢).

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّ زِيَارَةَ الْقُبُورِ لِلرِّجَالِ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ أَمَرَ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَعَلَهَا، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا»(٣)، وَفِي لَفْظٍ: «فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْآخِرَةَ»(٤)، وَفِي لَفْظٍ: «فَإِنَّهَا تُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا»(٥). وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ إِلَى الْبَقِيعِ فَيَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ، غَدًا مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ»(٦).

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّ بَقَاءَ أَهْلِ الْقُبُورِ فِي قُبُورِهِمْ مَا هُوَ إِلَّا بَقَاءٌ مُؤَقَّتٌ؛ وَلِذَلِكَ تُسَمَّى دَارُ أَهْلِ الْقُبُورِ دَارَ الْبَرْزَخِ، فَهِيَ فَاصِلَةٌ بَيْنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ: «قَرَأَ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ فَبَكَى، ثُمَّ قَالَ: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾: مَا أَرَى الْمَقَابِرَ إِلَّا زِيَارَةً، وَلَا بُدَّ لِمَنْ يَزُورُهَا أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْجَنَّةِ، أَوْ إِلَى النَّارِ»(٧)، وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ غَلَطُ قَوْلِ مَنْ يَقُولُ: "إِنَّ الْقَبْرَ هُوَ مَثْوَى الْإِنْسَانِ الْأَخِيرُ".

التَّرْهِيبُ مِمَّا سَيُلَاقِي الْمَرْءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٠٠).
(٢) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٧٠).
(٣) أخرجه مسلم (٩٧٧).
(٤) أخرجه الترمذي (١٠٥٤).
(٥) أخرجه ابن ماجه (١٥٧١).
(٦) أخرجه مسلم (٩٧٤).
(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (٤٢٥).

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝٥﴾ [سورة التكاثر:٣-٥]: أُسْلُوبٌ مِنْ أَسَالِيبِ التَّرْهِيبِ وَالتَّخْوِيفِ، يَقْرَعُ الْآذَانَ، وَيُحْيِي الْقُلُوبَ، وَهُوَ تَذْكِيرٌ بِمَا سَبَقَ فِي الْآيَتَيْنِ مِنْ تَنْبِيهَاتٍ، فَأُسْلُوبُ التَّكْرَارِ، وَ"حَذْفُ جَوَابِ ﴿لَوۡ﴾ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ تَعْظِيمًا وَتَفْخِيمًا، ثُمَّ إِنَّ فِي الْأَخِيرِ دَلَالَةً عَلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ أَعْظَمُ مِنَ أَنْ يُوصَفَ أَوْ يُتَصَوَّرَ بِسَمَاعِ لَفْظٍ، إِذِ الْمُخْبِرُ لَيْسَ كَالْمُعَايِنِ"(١)، **وَمِمَّا هُوَ مَقْصُودٌ بِالتَّنْبِيهِ وَالتَّخْوِيفِ:**

أوَّلًا: أَنَّ الْأَمْوَاتَ يُحْيِيهِمُ اللهُ جَمِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَبْعَثُهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، فَيُجَازَى الْمُحْسِنُ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءُ عَلَى إِسَاءَتِهِ.

ثانيًا: تَوْبِيخٌ وَزَجْرٌ مَنِ اشْتَغَلَ بِالدُّنْيَا عَنِ الْآخِرَةِ.

السُّؤَالُ عَنِ النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [سورة التكاثر:٨]: أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ سَوْفَ يُسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كُلِّ مَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، وَهَذَا السُّؤَالُ عَنِ النَّعِيمِ يَعُمُّ الْمُسْلِمَ وَالْكَافِرَ، إِلَّا أَنَّ سُؤَالَ الْمُؤْمِنِ تَبْشِيرٌ لَهُ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ شَكَرَ نِعْمَةَ اللهِ، وَحَفِظَ حَقَّ اللهِ فِيهَا، أَمَّا سُؤَالُ الْكَافِرِ فَهُوَ تَقْرِيعٌ لَهُ؛ لِأَنَّهُ قَابَلَ نَعِيمَ الدُّنْيَا بِالْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ. قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: "وَهَذَا السُّؤَالُ يَعُمُّ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ، إِلَّا أَنَّ سُؤَالَ الْمُؤْمِنِ تَبْشِيرٌ لَهُ، بِأَنْ جَمَعَ لَهُ بَيْنَ نَعِيمِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِ الْآخِرَةِ، وَسُؤَالُ الْكَافِرِ تَقْرِيعٌ؛ لِأَنَّهُ قَابَلَ نَعِيمَ الدُّنْيَا بِالْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ"(٢).

وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ -أَوْ لَيْلَةٍ- فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ: مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟ قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٥١٨)، بتصرف يسير.

(٢) تفسير الماوردي (٦/ ٣٣٢).

أَخْرَجَكُمَا، قُومَا، فقامَا معَهُ، فَأَتَىٰ رَجُلًا مِنَ الأَنْصارِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِيْ بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيْنَ فُلانٌ؟ قالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا الْمَاءَ، إِذْ جَاءَ الأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قالَ: الْحَمْدُ للهِ، مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيافًا مِنِّي، فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فَقَالَ: كُلُوا، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ، فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ القِيامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ»[1]، وَفي لَفْظٍ: «وَالَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ظِلٌّ بَارِدٌ وَرُطَبٌ طَيِّبٌ وَمَاءٌ بَارِدٌ»[2].

❀❀❀

(١) أخرجه مسلم (٢٠٣٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٦٩) وقال: "حسن صحيح غريب"، والحاكم في المستدرك (٧١٧٨)، وقال: "صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

سُورَةُ الْعَصْرِ

سُورَةُ (العَصْرِ): مَكِّيَّةٌ، وآيُها ثَلَاثُ آيَاتٍ.

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنَ أَسْمَاِهَا: سُورَةُ (الْعَصْرِ)، وَسُورَةُ (وَالْعَصْرِ) بِإِثْبَاتِ الْوَاوِ(١).

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

اِحْتَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى مَقَاصِدَ عَظِيمَةٍ، مِنْ أَهَمِّهَا(٢):

- ✓ إِثْبَاتُ الْخُسْرَانِ الشَّدِيدِ لِأَهْلِ الشِّرِكِ وَمَنْ كَانَ مِثْلَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِالْإِسْلَامِ.
- ✓ إِثْبَاتُ نَجَاةِ وَفَوْزِ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ، وَالدَّاعِينَ مِنْهُمْ إِلى الْحَقِّ.
- ✓ فَضِيلَةُ الصَّبْرِ عَلَى تَزْكِيَةِ النَّفْسِ وَدَعْوَةِ الْحَقِّ.

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾، أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِالدَّهْرِ الَّذِي هُوَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَمَحَلُّ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ(٣).

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾، وهَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ، وَالْمَعْنَى: إِنَّ النَّاسَ لَفِي خُسْرانٍ فِي مَسَاعِيهِمْ، وَصَرْفِ أَعْمَارِهِمْ فِي مَطالِبِهِمْ، وَالتَّعْرِيفُ لِلْجِنْسِ، وَالتَّنْكِيرُ لِلتَّعْظِيمِ(٤).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٢٧).

(٢) ينظر: مصاعد النظر (٣/ ٢٤٦)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٢٧).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٨٩).

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٣٦).

قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، أي: بِمَا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ؛ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ[1]، ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، أي: مِنَ الْفَرائِضِ وَالسُّنَنِ وَغَيْرِهَا مِمَّا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَاجْتَنَبُوا مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ.

قَوْلُهُ: ﴿وَتَوَاصَوْا۟﴾، أي: وَأَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾، أَيْ: بِلُزُومِ الْحَقِّ اعْتِقَادًا وَعَمَلًا وَالثَّبَاتِ عَلَيْهِ[2].

قَوْلُهُ: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾، أي: عَلَى الْحَقِّ، وَعَنْ مَعَاصِيْ اللهِ وَعَلَى مَا يَبْلُو اللهُ بِهِ عِبَادَهُ مِنْ أَقْدَارِهِ الْمُؤْلِمَةِ[3].

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْعَصْرِ مِنْ مَرَاتِب:

اِشْتَمَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْوَجِيزَةُ الْبَلِيغَةُ عَلَى قَوَاعِدِ الْإِيمَانِ وَأُصُولِ الدِّينِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ؛ وَلِهَذَا قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لَوْ تَدَبَّرَ النَّاسُ هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ"[4]. ويَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُعَقِّبًا: "وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَرَاتِبَ أَرْبَعَةٌ، وَبِاسْتِكْمَالِهَا يَحْصُلُ لِلشَّخْصِ غَايَةُ كَمَالِهِ: **إِحْدَاهَا**: مَعْرِفَةُ الْحَقِّ، **الثَّانِيَةُ**: عَمَلُهُ بِهِ، **الثَّالِثَةُ**: تَعْلِيمُهُ مَنْ لَا يُحْسِنُهُ، **الرَّابِعَةُ**: صَبْرُهُ عَلَى تَعَلُّمِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ وَتَعْلِيمِهِ.

فَذَكَرَ تَعَالَى الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَةَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَأَقْسَمَ سُبْحَانَهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ بِالْعَصْرِ إِنَّ كُلَّ أَحَدٍ فِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ[5]، وَهُمُ الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ وَصَدَّقُوا بِهِ، فَهَذِهِ مَرْتَبَةٌ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ: وَهُمُ الَّذِيْنَ عَمِلُوا بِمَا عَلِمُوهُ مِنَ الْحَقِّ،

(١) ينظر: تفسير أبي السعود (٩/ ١٩٧).
(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٩٠)، فتح القدير (٥/ ٦٠١).
(٣) ينظر: فتح القدير (٥/ ٦٠١).
(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (١/ ٢٠٣).
(٥) هكذا في الأصل، ولعل السياق: إلا الذين آمنوا، بدون (وعملوا الصالحات).

فَهَذِهِ مَرْتَبَةٌ أُخْرَى، وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ: وَصَّى بِهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا تَعْلِيمًا وَإِرْشَادًا، فَهَذِهِ مَرْتَبَةٌ ثَالِثَةٌ، وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ: صَبَرُوا عَلَى الْحَقِّ، وَوَصَّى بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالصَّبْرِ عَلَيْهِ وَالثَّبَاتِ، فَهَذِهِ مَرْتَبَةٌ رَابِعَةٌ، وَهَذَا نِهَايَةُ الْكَمَالِ، فَإِنَّ الْكَمَالَ أَنْ يَكُونَ الشَّخْصُ كَامِلًا فِيْ نَفْسِهِ مُكَمِّلًا لِغَيْرِهِ، وَكَمَالُهُ بِإِصْلَاحِ قُوَّتَيْهِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ، فَصَلَاحُ الْقُوَّةِ الْعِلْمِيَّةِ بِالْإِيمَانِ، وَصَلَاحُ الْقُوَّةِ الْعَمَلِيَّةِ بِعَمَلِ الصَّالِحَاتِ، وَتَكْمِيلُهُ غَيْرَهُ بِتَعْلِيمِهِ إِيَّاهُ وَصَبْرُهُ عَلَيْهِ وَتُوْصِيَتُهُ بِالصَّبْرِ عَلَى الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ"(١).

دَلَائِلُ الْقَسَمِ بِالْعَصْرِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾: قَسَمٌ عَظِيمٌ، وَفِي ذَلِكَ عِدَّةُ دَلَالَاتٍ، مِنْهَا:

أولًا: أَنَّ اللهَ تَعَالَى "أَقْسَمَ بِالْعَصْرِ وَهُوَ الدَّهْرُ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْعِبَرِ مِن جِهَةِ مُرُورِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ عَلى تَقْدِيرِ الْأَدْوارِ، وَتَعَاقُبِ الظَّلَامِ وَالضِّياءِ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ دَلَالَةً بَيِّنَةً عَلَى الصَّانِعِ ﷻ وَعَلَى تَوْحِيدِهِ"(٢)، وَإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

ثانيًا: أَنَّ للهِ تَعَالَى أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ، فَيُقْسِمُ بِنَفْسِهِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ [سورة يونس:٥٣]، وَيُقْسِمُ بِمَا شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى هُنَا: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ [سورة الضحى:١].

ثالثًا: أَهَمِّيَّةُ الْوَقْتِ، وَقَدْ أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِهِ فَقَالَ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾؛ كَمَا أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِهِ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ؛ فَقَالَ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢﴾ [سورة الليل:١-٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٥٦-٥٧).
(٢) فتح القدير (٥/ ٦٠٠).

شُكُورًا﴾ [سورة الفرقان:٦٢]، وَغَيْرهَا مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي تُبَيِّنُ أَهَمِّيَّةَ الْوَقْتِ، وَضُرُورَةَ اغْتِنَامِهِ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَهُنَاكَ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ تُوَضِّحُ ذَلِكَ، منها:

مَا رُوِيَ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا وَضَعَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ»(١). وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»(٢). وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ»(٣).

فَحَرِيٌّ بِالْعَاقِلِ أَنْ يَسْتَغِلَّ وَيُمْضِيَ هَذَا الْوَقْتَ الَّذِي مَنَحَهُ اللهُ إِيَّاهُ فِيمَا يُرْضِي رَبَّهُ، وَأَنْ يُحَقِّقَ لِنَفْسِهِ السَّعَادَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، يَقُولُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ابْنَ آدَمَ، إِنَّمَا أَنْتَ أَيَّامٌ، كُلَّمَا ذَهَبَ يَوْمٌ ذَهَبَ بَعْضُكَ»(٤).

خَسارَةُ كُلِّ إِنْسانٍ كَفَرَ بِالله:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [سورة العصر:٢]: إِثْبَاتُ الْخَسارَةِ وَالْهَلَكَةِ التَّامَّةِ لِكُلِّ إِنْسانٍ كَفَرَ بِاللهِ تَعَالَى، وَحادَ عَنْ دِينِهِ، إِذْ يَعِيشُ فِي كَبَدٍ، وَيُحْشَرُ إِلَى جَهَنَّمَ، فَيَخْسَرُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى نَفْسَهُ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ.

أَسْبابُ النَّجاةِ وَالفَوْزِ فِي الآخِرَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [سورة العصر:٣]: ذِكْرُ أَرْبَعَةٍ مِنْ أَسْبابِ النَّجاةِ وَالْفَلاحِ وَعَدَمِ الْخُسْرانِ، وهي:

---

(١) أخرجه الدارمي (٥٥٦) واللفظ له، والبزار في المسند (٢٦٤٠).
(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٢).
(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٢٩٨١).
(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٤٨).

السَّبَبُ الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِاللهِ، وَحَقِيقَتُهُ: الرِّضَا وَالتَّسْلِيمُ وَالْخُضُوعُ وَالِانْقِيَادُ، وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»(١).

السَّبَبُ الثَّانِي: الْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ مِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ بِاللهِ، فَكُلَّمَا زَادَ الْعَمَلُ وَكَانَ صَالِحًا زَادَ الْإِيمَانُ، وَكُلَّمَا قَلَّ الْعَمَلُ قَلَّ الْإِيمَانُ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعَاصِي؛ وَلِهَذَا ذَكَرَ اللهُ عَمَلَ الصَّالِحَاتِ بَعْدَ ذِكْرِهِ لِلْإِيمَانِ بِهِ فَقَالَ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

السَّبَبُ الثَّالِثُ: التَّوَاصِي بِالْحَقِّ، وَلَا تَكْتَمِلُ نَجَاةُ الْإِنْسَانِ وَبُعْدُهُ عَنْ أَهْلِ الْخُسْرَانِ إِلَّا بَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ لِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِالْخَيْرِ فِي الْحَالِ، وَأَثَابَهُ بِالْأَجْرِ عِنْدَ الْمَآلِ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا»(٢).

السَّبَبُ الرَّابِعُ: التَّوَاصِي بِالصَّبْرِ، وَمَنْ رَزَقَهُ اللهُ الصَّبْرَ فَقَدْ أَعْطَاهُ اللهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَجَعَلَ الْعَسِيرَ عَلَيْهِ يَسِيرًا، وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا، وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»(٣).

❀❀❀

(١) أخرجه مسلم (٣٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٦٩) واللفظ له، ومسلم (١٠٥٣).

سُورَةُ الهُمَزَةِ

سُورَةُ (الهُمَزَةِ): مَكِّيَّةٌ[1]، وَآيُها تِسْعُ آياتٍ.

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمائِهَا: سُورَةُ (الْهُمَزَةِ)، وَسُورَةُ (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ)، وَسُورَةُ (الْحُطَمَةِ)[2].

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

اِحْتَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى مَقَاصِدَ عَظِيمَةٍ، مِنْ أَهَمِّهَا[3]:

✓ التَّحْذِيرُ مِنْ هَمْزِ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْزِهِمْ.

✓ شِدَّةُ وَهَوْلُ مَا أَعَدَّهُ اللهُ فِي النَّارِ لِلْكَافِرِينَ وَالْمُحَارِبِينَ لِأَوْلِيَاءِ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ.

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿وَيْلٌ﴾: كَلِمَةُ عَذَابٍ أَوْ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ، ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾، أي: لِكُلِّ مُغْتَابٍ مِنَ النَّاسِ، ﴿لُّمَزَةٍ﴾، أَيْ: طَعَّانٍ فِي أَعْرَاضِهِمْ[4].

قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾، أَيْ: بَالَغَ فِي تَعْدَادِهِ، وَلَمْ يُنْفِقْهُ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ[5].

قَوْلُهُ: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾، أَيْ: يَظُنُّ هَذَا الْجَاهِلُ أَنَّ مَالَهُ مَانِعٌ لَهُ مِنَ الْمَوْتِ[1].

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٥٢١).
(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٣٥).
(٣) ينظر: مصاعد النظر (٣/ ٢٤٧)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٣٥-٥٣٦).
(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٦١١)، تفسير القاسمي (٩/ ٥٣٩).
(٥) ينظر: تفسير القاسمي (٩/ ٥٣٩).

قَوْلُهُ: ﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ لَهُ عَنْ ظَنِّهِ، ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾، أي: لَيُطْرَحَنَّ، ﴿فِي ٱلْحُطَمَةِ ۝٤﴾، أي: فِي النَّارِ الَّتِي مِنْ شَأْنِها أَنْ تُحطِّمَ كُلَّ مَا يُطْرَحُ فِيها[2].

قَوْلُهُ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾، أي: مَا أَدْرَاكَ مَا النَّارُ الَّتِي لَها هَذِهِ الْخاصِّيَّةُ[3].

قَوْلُهُ: ﴿نَارُ ٱللَّهِ﴾ تَفْسِيرٌ لَها، ﴿ٱلْمُوقَدَةُ﴾، أي: الَّتِي أَوْقَدَها اللهُ، وَمَا أَوْقَدَهُ لَا يَقْدِرُ غَيْرُهُ أَنْ يُطْفِئَهُ[4].

قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ﴾، أي: تُشْرِفُ، ﴿عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾، أَيْ: تَطَّلِعُ عَلَى الْقُلُوبِ فَتُحْرِقُهَا، وَأَلَمُهَا أَشَدُّ مِن أَلَمِ غَيْرِهَا[5]، وَتَخْصِيصُهَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّ الْفُؤادَ أَلْطَفُ مَا فِي الْبَدَنِ وَأَشَدُّهُ تَأَلُّمًا، أَوْ لِأَنَّهُ مَحَلُّ الْكُفْرِ وَالْعَقَائِدِ الْفَاسِدَةِ وَالنِّيَّاتِ الْخَبِيثَةِ[6].

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾، أَيْ: مُغْلَقَةٌ مُطْبِقَةٌ لَا مَخْلَصَ لَهُمْ مِنْهَا[7].

قَوْلُهُ: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةِۭ﴾، أَيْ: مُوثَقِينَ فِي أَعْمِدَةٍ طَوِيلَةٍ[8]؛ لِأَنَّهُ أَشَدُّ مَا يَكُونُ لِاشْتِعَالِ النَّارِ إِذَا أُرْسِلَتْ فِي عُلُوٍّ لَا فِي عَرْضٍ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ الْعَذابِ عَلَيْهِ.

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

خَطَرُ الْهَمْزِ وَاللَّمْزِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾: ذَكَرَ صِفَتَيْنِ مَذْمُومَتَيْنِ هُمَا: الْهَمْزُ وَاللَّمْزُ، وَفِي ذَلِكَ عِدَّةُ دَلَالَاتٍ، مِنْهَا:

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٦٢١)، تفسير الخازن (٤/ ٤٦٩).
(٢) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٥٣٠)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣٣٧).
(٣) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٣٧).
(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٣٧).
(٥) ينظر: تفسير الجلالين (ص٨٢١).
(٦) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٣٧).
(٧) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٥٣١)، تفسير القاسمي (٩/ ٥٤٠).
(٨) ينظر: فتح القدير (٥/ ٦٠٤).

أولًا: الْوَعِيدُ وَالتَّهْدِيدُ الشَّدِيدُ لِكُلِّ شَخْصٍ يَغْتَابُ النَّاسَ، وَيَطْعَنُ فِي أَعْرَاضِهِمْ، وَيُظْهِرُ عُيُوبَهُمْ، وَيُحَقِّرُ أَعْمَالَهُمْ.

ثانيًا: اللَّمْزُ وَالْهَمْزُ بِالْيَدِ أَوِ اللِّسَانِ أَوِ الْعَيْنِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ النَّارِ، فَعَلَى الْمُؤْمِنِ الَّذِي يُرِيدُ النَّجَاةَ لِنَفْسِهِ أَنْ يَحْذَرَ مِنْهَا.

ثالثًا: أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ صِفَاتِ الْمُسْلِمِ سَلَامَةَ اللِّسَانِ وَالْيَدِ لِلْمُسْلِمِينَ، كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[1].

رابعًا: أَنَّهُ يَنْبَغِي الْحَذَرُ مِنَ الْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ، فَالْغِيبَةُ: ذِكْرُ الْمَسْلِمِ أَخَاهُ فِي غَيْبَتِهِ بِمَا يَكْرَهُ، وَلَوْ كَانَ مَوْجُودًا فِيهِ، فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَيُسَمَّى بِالْغِيبَةِ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا وَلَيْسَ فِيهِ فَيُسَمَّى بِالْبُهْتَانِ، كَمَا جَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ»[2]، وَمِنَ الْآيَاتِ الَّتِي جَاءَتْ فِي تَحْرِيمِ الْغِيبَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [سورة الحجرات:١٢].

وَأَمَّا النَّمِيمَةُ فَهِيَ: نَقْلُ الْكَلَامِ بَيْنَ النَّاسِ بِقَصْدِ الْإِفْسَادِ بَيْنَهُمْ.

ذَمُّ جَمْعِ الْمَالِ مَعَ الطُّغْيَانِ وَالْغُرُورِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ [سورة الهمزة:٢-٣]: التَّنْوِيهُ إِلَى ذِكْرِ الْمَالِ وَخَطَرِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَفِي ذَلِكَ دَلَائِلُ وَفَوَائِدُ، مِنْهَا:

---

(١) أخرجه البخاري (١٠)، ومسلم (٤٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٩).

أولًا: الْوَعِيدُ لِمَنْ شَغَلَتْهُ أَمْوَالُهُ فَطَغَى وَتَكَبَّرَ عَلَى خَلْقِ اللهِ، وَتَرَفَّعَ وَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمْ ظَانًّا الْخُلُودَ وَالْبَقَاءَ فِي الدُّنْيَا.

ثانيًا: الْحَذَرُ أَنْ يَكُونَ الْمَالُ سَبَبًا فِي هَلَاكِ وَشَقَاوَةِ الْإِنْسَانِ.

ثالثًا: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَلَّا يَغْتَرَّ بِمَالِهِ؛ لِأَنَّ مَصِيرَ جَمِيعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَوْتِ، وَالْمَالُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخَلِّدَ الْإِنْسَانَ فِي الدُّنْيَا.

رابعًا: ذَمُّ الْبَخِيلِ الَّذِي يَجْمَعُ الْمَالَ وَيُعَدِّدُهُ دُونَ أَنْ يَبْذُلَ مِنْهُ شَيْئًا فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى.

خامسًا: أَنَّ اللهَ لَمْ يَذُمَّ مَنْ جَمَعَ الْمَالَ وَأَدَّى حَقَّهُ الْوَاجِبَ وَالْمُسْتَحَبَّ، إِنَّمَا ذَمَّ مَنْ ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ١٨﴾ [سورة المعارج:١٨]، وَ ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ٣﴾ [سورة الهمزة:٢-٣]، وَأَثْنَى عَلَى ﴿مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٦﴾ [سورة الليل:٥-٦].

الْحَثُّ عَلَى التَّوَاضُعِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ:

فِي هَذِهِ الْآيَاتُ: وَعِيدٌ شَدِيدٌ لِمَنْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ فَاحْتَقَرَ النَّاسَ بِالْهَمْزِ وَاللَّمْزِ، وَأَعْجَبَهُ مَالُهُ حَتَّى صَارَ عَبْدًا لَهُ، وَاشْتَغَلَ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ، وَحَبَسَهُ عَنْ وَاجِبِهِ، وَصَارَ يَظُنُّ أَنَّهُ سَيَبْقَى دَائِمًا لِهَذَا الْمَالِ وَسَيَبْقَى هَذَا الْمَالُ لَهُ، وَهِيَ أَيْضًا تَحُثُّنَا عَلَى الِاتِّصَافِ بِأَضْدَادِهَا مِنْ صِفَاتِ الْخَيْرِ، كَصِفَةِ التَّوَاضُعِ وَاحْتِرَامِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْكَفِّ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ، وَإِطَابَةِ الْمَكَاسِبِ، وَعَدَمِ الِاغْتِرَارِ بِالْمَالِ، وَالِانْشِغَالِ بِهِ عَمَّا أَوْجَبَ اللهُ.

وَصْفُ النَّارِ بِالْحُطَمَةِ وَشِدَّةُ هَوْلِ عَذَابِهَا:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ٩﴾ [سورة الهمزة:٤-٩]: بَيَانٌ لِمَصِيرٍ مَحْتُومٍ لِمَنْ ذَكَرَ اللهُ بَعْضَ صِفَاتِهِمْ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ، وَفِيهَا وَصْفٌ لِتِلْكَ النَّارِ الَّتِي أَعَدَّهَا لَهُمْ، وَهُنَا بَعْضُ الْوَقَفَاتِ الَّتِي مِنْهَا:

أولًا: أَنَّ مِنْ أَسْماءِ النَّارِ الْحُطَمَةُ؛ وَسُمِّيَتْ حُطَمَةً لِأَنَّها تُحَطِّمُ كُلَّ مَا أُلْقِيَ فِيهَا، وَتَقُولُ: ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾[سورة ق:٣٠][1]، وَهَوَّلَ مِنْ شَأْنِهَا وَعَظَّمَ بِقَولِهِ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ﴾ [سورة الهمزة:٥]. وَوَصَفَهَا بِأَنَّهَا تُشْرِفُ عَلَى الْقُلُوبِ فَتُحْرِقُهَا، وَهِيَ مُلْتَهِبَةٌ أَبَدًا، مُغْلَقَةٌ عَلَى مَنْ يُعَذَّبُ فِيهَا بِأَعْمِدَةٍ طَوِيلَةٍ، وَهَذا فِيهِ إِشْعَارٌ بِالْيَأْسِ مِنَ التَّخَلُّصِ مِنْهَا.

ثانيًا: أَنَّ النَّارَ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ- لَا يُمكِنُ أَنْ تَتَصَوَّرَهَا الْعُقُولُ، وَلَا أَنْ تَبْلُغَ شِدَّةَ هَوْلِهَا الْأَفْهَامُ.

ثالثًا: أَنَّ أَهْلَ النَّارِ إِذَا دَخَلُوهَا أُغْلِقَتْ عَلَيْهِمْ أَبْوَابُهَا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [سورة البقرة:١٦٧][2].

❀❀❀

(١) ينظر: تفسير الجلالين (ص٨٢١)، أضواء البيان (٩/ ١٠١).
(٢) ينظر: أضواء البيان (٨/ ٦٠).

سُورَةُ الْفِيلِ

سُورَةُ (الفِيلِ): سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ[1]، وَهِيَ خَمْسُ آياتٍ.

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمَائِهَا: سُورَةُ (أَلَمْ تَرَ)، وَسُورَةُ (الْفِيلِ)[2].

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

اِحْتَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى مَقَاصِدَ عَظِيمَةٍ، مِنْ أَهَمِّهَا[3]:

- ✓ التَّذْكِيرُ بِأَنَّ الْكَعْبَةَ حَرَمُ اللهِ تَعَالَى.
- ✓ تَنْبِيهُ قُرَيْشٍ وَتَذْكِيرُهُمْ بِمَا ظَهَرَ مِنْ كَرَامَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ اللهِ إِذْ أَهْلَكَ أَصْحَابَ الْفِيلِ فِي عَامِ وِلَادَتِهِ.
- ✓ تَثْبِيتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ اللهَ يَدْفَعُ عَنْهُ كَيْدَ الْمُشْرِكِينَ.
- ✓ التَّذْكِيرُ بِأَنَّ اللهَ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا.

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ﴾، أَيْ: الَّذِينَ قَدِمُوا مِنَ الْيَمَنِ يُرِيدُونَ تَخْرِيبَ الْكَعْبَةِ مِنَ الْحَبَشَةِ، وَرَئِيسُهُمْ أَبْرَهَةُ الْحَبَشِيُّ الْأَشْرَمُ[4]، وَالْخِطَابُ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ وَإِنْ لَمْ يَشْهَدْ تِلْكَ الْوَقْعَةَ لَكِنْ شَاهَدَ آثَارَهَا، وَسَمِعَ بِالتَّوَاتُرِ أَخْبَارَهَا فَكَأَنَّهُ رَآهَا[5].

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٥٢٣).
(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٤٣).
(٣) ينظر: مصاعد النظر (٣/ ٢٤٩)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٤٤).
(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٦٢٧).
(٥) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٣٩).

قَولُهُ: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾، أي: مَكْرَهُمْ وَسَعْيَهُمْ في هَدْمِ الْكَعْبَةِ وَتَخْرِيبِهَا، ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾، أي: في تَضْيِيعٍ وَإِبْطَالٍ، فَلَمْ يَصِلُوا إِلَى مُرَادِهِمْ[1].

قَولُهُ: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾، أي: جماعاتٍ مُتفرِّقةً يَتبعُ بَعْضُهَا بَعْضًا[2].

قَولُهُ: ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾، أي: مِن طِينٍ مُتَحَجِّرٍ صُلْبٍ مَتِينٍ[3]، كَالْحِجَارَةِ الَّتِي أَمْطَرَهَا اللهُ تعالى عَلَى قَوْمِ لُوطٍ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-، كَمَا قَالَ اللهُ تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [سورة هود: ٨٢][4].

قَولُهُ: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ﴾، أي: كَوَرَقِ الزَّرْعِ الْيَابِسِ الَّذِي يَبْقَى بَعْدَ الْحَصَادِ، ﴿مَّأْكُولٍ﴾، أَيْ: تَأْكُلُهُ الْبَهَائِمُ ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى رَوْثٍ يَجِفُّ وَتَتَفَرَّقُ أَجْزَاؤُهُ[5].

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

بَعْضُ الْحِكَمِ مِنَ التَّذْكِيرِ بِقِصَّةِ أَصْحَابِ الْفِيلِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [سورة الفيل: ١]: ذِكْرٌ لِقِصَّةِ إِهْلَاكِ اللهِ تَعَالَى أَصْحَابَ الْفِيلِ، وَفِي ذَلِكَ حِكَمٌ عَظِيمَةٌ، مِنْهَا:

أولًا: الدَّلَالَةُ عَلَى كَمَالِ عِلْمِ اللهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ، وَعِزَّةِ بَيْتِهِ وَشَرَفِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهِيَ مِنَ الْإِرْهَاصَاتِ وَالتَّوْطِئَةِ لِمَبْعَثِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ إِنَّهَا وَقَعَتْ فِي السَّنَةِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[6].

---

(١) ينظر: تفسير الخازن (٤/ ٤٧٣)، تفسير القاسمي (٩/ ٥٤٢).
(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٦٢٧)، تفسير البغوي (٨/ ٥٤٠).
(٣) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٣٩)، تفسير القاسمي (٩/ ٥٤٣).
(٤) ينظر: أضواء البيان (٩/ ١٠٣).
(٥) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٥٤١).
(٦) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٣٩).

ثانيًا: بَيَانُ قُدْرَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الْعَظِيمَةِ عَلَى الانْتِقَامِ مِنْ أَعْدائِهِ، وَلِمَنْ أَرَادَ بِبَيْتِهِ سُوءًا، فَجَدُّ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْقُرَشِيِّينَ لَمْ يَبْذُلُوا أَيَّ شَيْءٍ فِي الدِّفَاعِ عَنْ هَذَا الْبَيْتِ، إِلَّا أَنَّهُمْ دَعَوا اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِأَنْ يُهْلِكَ الْعَدُوَّ، فَكَانَتْ هَذِهِ تَقْدِمَةً بَيْنَ يَدَيْ بِعْثَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثالثًا: أَنَّ فيهَا تَسْلِيَةً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّا يُلَاقِيهِ مِنْ قَوْمِهِ مِنَ التَّكْذِيبِ وَالظُّلْمِ، وَصَدِّ النَّاسِ عَنْ دِينِ اللهِ.

الْإِخْبَارُ بِمَصِيرِ أَصْحَابِ الْفِيلِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ [سورة الفيل:٢]: أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَهْلَكَ أَصْحَابَ الْفِيلِ وَأَبْطَلَ مَكْرَهُمْ، وَأَضاعَ تَدْبِيرَهُمْ، وَخَيَّبَ سَعْيَهُمْ، وَهَذَا مَصِيرٌ مَحْتُومٌ لِكُلِّ مَنْ أَرَادَ الْكَيْدَ لِلدِّينِ وَأَهْلِهِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝٥٠﴾ [سورة غافر:٥٠]، وَفِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [سورة هود:١٠٢]»[1].

بَيَانُ كَيْفِيَّةِ إِهْلَاكِ اللهِ لِأَصْحَابِ الْفِيلِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤﴾ [سورة الفيل:٣-٤]: ذَكَرَ اللهُ كَيْفَ أَهْلَكَ أَصْحَابَ الْفِيلِ، وَفِي ذَلِكَ عِدَّةُ دَلَائِلَ وَإِشَارَاتٍ، مِنْهَا:

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٦) واللفظ له، ومسلم (٢٥٨٣).

أولًا: أَنَّ للهِ تَعالَى جُنودًا تَفْعَلُ مَا يَشاءُ، مِمَّا يَزِيدُ فِي الْقَلْبِ الْيَقِينَ بِقُدْرَةِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ، وَالاعْتِرافَ بِضَعْفِ الإِنْسَانِ وَقِلَّةِ حِيلَتِهِ أَمَامَ عَظَمَةِ اللهِ، وَضَعْفِ الإِنْسَانِ أَمَامَ وَهْنِ جُنُودِ اللهِ فِي ذَاتِهِمْ، فَقُوَّتُهُمْ يَسْتَمِدُّونَهَا مِنْهُ بَعْدَمَا نَفَّذُوا أَوَامِرَهُ.

ثانيًا: أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَرْسَلَ عَلَى أَبْرَهَةَ الْأَشْرَمِ وَمَنْ مَعَهُ جَماعَاتٍ مِنَ الطَّيْرِ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ يَابِسَةٍ صُلْبَةٍ مَتِينَةٍ، حَتَّى جَعَلَتْهُمْ عِبْرَةً لِكُلِّ مُعْتَبِرٍ وَمُتَّعِظٍ، وَصَارُوا قَتْلَى مُتَنَاثِرِينَ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي عُذِّبُوا بِهَا، كَأَنَّهُمْ أَوْرَاقُ الزَّرْعِ الْيَابِسَةُ الَّتِي أَكَلَتْهَا الْبَهَائِمُ ثُمَّ رَمَتْ بِهَا.

دُرُوسٌ وَعِبَرٌ مِنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْفِيلِ:

فِي هَذِهِ السُّورَةِ مَوَاعِظُ وَدُرُوسٌ وَعِبَرٌ لِمَنْ أَرَادَ الاتِّعَاظَ وَالاعْتِبَارَ، وَالسَّعِيدُ مَنِ اتَّعَظَ بِغَيْرِهِ، وَمِنْ تِلْكَ الدُّرُوسِ:

أولًا: أَنَّ الْآيَاتِ أَكَّدَتْ عَلَى أَهْلِ الإِيمَانِ كَيْفَ أَنَّ اللهَ يَنْصُرُ دِينَهُ وَبَيْتَهُ، مَهْمَا كَانَتْ قِلَّةُ حِيلَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَبْذُلُوا مَا بِوُسْعِهِمْ؛ لِيَسْتَحِقُّوا النَّصْرَ.

ثانيًا: عِظَمُ مَكَّةَ وَشَرَفُهَا، فَكُلُّ مَنْ أَرَادَ بِهَا سُوءًا فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَهُ بِالْمِرْصَادِ؛ وَلِهَذَا يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة الحج:٢٥]، وَهَذَا الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ لِمَنْ عَزَمَ الْفِعْلَ وَلَوْ لَمْ يَفْعَلْ فَكَيْفَ بِمَنْ فَعَلَ؟

ثالثًا: أَنَّ اللهَ تَعَالَى تَفَضَّلَ عَلَى قُرَيْشٍ حَيْثُ صَدَّ عَنْهُمْ أَصْحابَ الْفِيلِ وَدَمَّرَهُمْ، وَرَدَّهُمْ بِكَيْدِهِمْ وَغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا.

فَهَذِهِ الْقِصَّةُ: عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ وَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ.

❁❁❁

سُورَةُ قُرَيْشٍ

سُورَةُ (قُرَيْشٍ): مَكِّيَّةٌ بِلَا خِلَافٍ[1]، وَآيُها أَرْبَعُ آيَاتٍ.

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمَائِهَا: سُورَةُ (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ)، وَسُورَةُ (قُرَيْشٍ)[2].

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

اِحْتَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى مَقَاصِدَ عَظِيمَةٍ، مِنْ أَهَمِّهَا: أَمْرُ قُرَيْشٍ بِتَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَى بِالرُّبُوبِيَّةِ؛ تَذْكِيرًا لَهُمْ بِنِعْمَةِ أَنَّ اللهَ مَكَّنَ لَهُمُ السَّيْرَ فِي الْأَرْضِ لِلتِّجَارَةِ بِرِحْلَتَي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، وَأَمَّنَهُمْ مِنَ الْمَخَاوِفِ[3].

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾، مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: اعْجَبُوا لِعَادَةِ قُرَيْشٍ وَمَا أَلِفُوهُ مِنِ انْتِظَامِ رِحْلَتَيْهِمْ[4].

قَوْلُهُ: ﴿إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾، كَانَتْ لِقُرَيْشٍ رِحْلَتَانِ، يَرْحَلُونَ فِي الشِّتَاءِ إِلَى الْيَمَنِ، وَفِي الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ، فَيَمْتَارُوْنَ وَيَتَّجِرُونَ، وَكَانُوا فِي رِحْلَتَيْهِمْ آمِنِينَ[5].

قَوْلُهُ: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾، الْمُرَادُ بِالْبَيْتِ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، كَمَا جَاءَ فِي دَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ [سورة إبراهيم:٣٧][6].

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٥٢٥).
(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٥٣).
(٣) ينظر: مصاعد النظر (٣/ ٢٥١)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٥٤).
(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٦٤٩)، تفسير البغوي (٨/ ٥٤٦).
(٥) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٤٠)، تفسير النسفي (٣/ ٦٨٣).
(٦) ينظر: أضواء البيان (٩/ ١١١).

قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ﴾ بِالْإِطْعَام، ﴿وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾؛ فَلَا يَعْتَدِي عَلَيْهِمْ أَحَدٌ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ حَرَمِ اللهِ، فَلا يُتَعَرَّضُ لَهُمْ، وَغَيْرُهُمْ يُغَارُ عَلَيْهِمْ[(١)].

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

فَضْلُ مَكَّةَ وَمِنَّةُ اللهِ تَعَالَى عَلَى أَهْلِهَا وَعَلَى قُرَيْشٍ خَاصَّةً:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣﴾ [سورة قريش: ١-٣]: بَيَانٌ لِفَضْلِ مَكَّةَ وَشَرَفِهَا، وَأَنَّهَا حَرَمٌ آمِنٌ، أَيْ: ذُو أَمْنٍ. وَفِي هَذَا: تَذْكِيرٌ لِأَهْلِ مَكَّةَ بِجَانِبٍ مِنْ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ؛ لَعَلَّهُمْ عَنْ طَرِيقِ هَذَا التَّذْكِيرِ يَفِيئُونَ إِلَى رُشْدِهِمْ، وَيُخْلِصُونَ الْعِبَادَةَ لِخَالِقِهِمْ وَمَانِحِهِمْ تِلْكَ النِّعَمَ الْعَظِيمَةَ[(٢)].

بَعْضُ الْحِكَمِ مِنْ ذِكْرِ مِنَنِ اللهِ عَلَى قُرَيْشٍ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ [سورة قريش: ٤]: فَوَائِدُ جَمَّةٌ يَنْبَغِي أَلَّا يَغْفَلَ عَنْهَا الْمُسْلِمُ، وَمِنْ ذَلِكَ:

الْأُولَى: أَنَّ نِعْمَةَ الْأَمْنِ مِنَ الْخَوْفِ بَعْدَ الْأَمْنِ، وَالشِّبَعِ بَعْدَ الْجُوعِ؛ مِنْ أَكْبَرِ النِّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ الَّتِي تُوجِبُ الشُّكْرَ لِلْمُنْعِمِ بِهَا[(٣)].

الثَّانِيَةُ: أَنَّ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْإِطْعَامِ مِنَ الْجُوعِ وَالْأَمْنِ مِنَ الخَوْفِ نِعْمَةٌ عُظْمَى؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَنْعَمُ وَلَا يَسْعَدُ إِلَّا بِتَحْصِيلِ هَاتَيْنِ النِّعْمَتَيْنِ مَعًا، إِذْ لَا عَيْشَ مَعَ الجُوعِ، وَلَا أَمْنَ مَعَ الْخَوْفِ، وَتَكْمُلُ النِّعْمَةُ بِاجْتِمَاعِهِمَا[(٤)]؛ وَلِذَا جَاءَ فِي حَدِيثِ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٥٤٧).

(٢) ينظر: معترك الأقران للسيوطي (٣/ ١٣٠).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص٩٣٥).

(٤) ينظر: أضواء البيان (٩/ ١١٢).

مِحْصَنٍ الْخَطْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ - وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»(1).

الثَّالِثَةُ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا تَفَضَّلَ عَلَى عِبَادِهِ بِالْأَمْنِ مِنَ الخَوْفِ وَسَعَةِ الرِّزْقِ؛ فَيَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يُخْلِصُوا الْعِبَادَةَ لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ(2).

الرَّابِعَةُ: بَرَكَةُ دَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَيْثُ دَعَا بِكَثْرَةِ الْخَيْرَاتِ، وَوَفْرَةِ الْأَرْزَاقِ لِبَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ، وَهِيَ وَادٍ لَيْسَ فيهِ زَرْعٌ وَلَا مَاءٌ، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [سورة إبراهيم:٣٧](3).

الْخَامِسَةُ: أَنَّ الْمُطْعِمَ مِنَ الْجُوعِ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ﴾ [سورة الأنعام:١٤].

❁❁❁

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٠٠)، والترمذي (٢٣٤٦) وقال: "حسن غريب".

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٩٢).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٦٥٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سُورَةُ الْمَاعُونِ

سُورَةُ (الْمَاعُونِ): سُورَةٌ مَكِيَّةٌ[1]، وَآيُهَا سَبْعُ آيَاتٍ.

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمَائِهَا: سُورَةُ (الْمَاعُونِ)، وَسُورَةُ (أَرَأَيْتَ)، وَسُورَةُ (أَرَأَيْتَ الَّذِي)، وَسُورَةُ (الْمَاعُونِ وَالدِّينِ وَأَرَأَيْتَ)، وَسُورَةُ (الدِّينِ)، وَسُورَةُ (التَّكْذِيبِ)، وَسُورَةُ (الْيَتِيمِ)[2].

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

اِحْتَوَتْ هِذِهِ السُّورَةُ عَلَى مَقَاصِدَ عَظِيمَةٍ، مِنْ أَهَمِّهَا[3]: التَّعَجُّبَ مِنْ حَالِ مَنْ كَذَّبُوا بِالْبَعْثِ، وَتَفْظِيعُ أَعْمَالِهِمْ مِنَ الاِعْتِدَاءِ عَلَى الضَّعِيفِ وَاحْتِقَارِهِ، وَالْإِمْسَاكِ عَنْ إِطْعَامِ الْمِسْكِينِ، وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ.

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ التَّعَجُّبُ[4]، ﴿ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١﴾، أي: بِالْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ[5].

قَوْلُهُ: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾، أي: يَدْفَعُهُ دَفْعًا عَنِيفًا وَيَزْجُرُهُ، وَلَا يُطْعِمُهُ، وَلَا يُحْسِنُ إِلَيْهِ، وَلَا يَرْحَمُهُ[6].

قَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾، أَيْ: وَلَا يَحُثُّ أَهْلَهُ وَغَيْرَهُمْ، ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾؛ لِعَدَمِ اعْتِقَادِهِ بِالْجَزَاءِ؛ وَلِذَلِكَ رَتَّبَ الْجُمْلَةَ عَلَى (يُكَذِّبُ) بِالْفَاءِ[1].

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٥٢٧).
(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٦٣).
(٣) ينظر: مصاعد النظر (٣/ ٢٥٣)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٦٤).
(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٤١).
(٥) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٥٥٨)، تفسير البغوي (٨/ ٥٤٩).
(٦) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٤١)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤٩٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قَولُهُ: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥﴾، أَيْ: غَافِلُونَ مُتَشَاغِلُونَ غَيْرُ مُبالِينَ بِها[2]، "إِمَّا عَنْ فِعْلِهَا بِالْكُلِّيَّةِ كَمَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَإِمَّا عَنْ فِعْلِهَا فِي الْوَقْتِ الْمُقَدَّرِ لَهَا شَرْعًا، فَيُخْرِجُهَا عَنْ وَقْتِهَا بِالْكُلِّيَّةِ، وَإِمَّا عَنْ وَقْتِهَا الْأَوَّلِ فَيُؤَخِّرُونَهَا إِلَى آخِرِهِ دَائِمًا أَوْ غَالِبًا، وَإِمَّا عَنْ أَدَائِهَا بِأَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَأْمُورِ بِهِ، وَإِمَّا عَنِ الْخُشُوعِ فِيهَا وَالتَّدَبُّرِ لِمَعانِيها، فَاللَّفْظُ يَشْمَلُ هَذَا كُلَّهُ، وَلَكِنْ[3] مَنِ اتَّصَفَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ قِسْطٌ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، وَمَنِ اتَّصَفَ بِجَمِيعِ ذَلِكَ فَقَدْ تَمَّ نَصِيبُهُ مِنْهَا، وَكَمُلَ لَهُ النِّفَاقُ الْعَمَلِيُّ"[4].

قَولُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ﴾، أي: يُحْسِنُونَ الْعَمَلَ وَالْعِبَادَةَ في الظَّاهِرِ؛ لِغَرَضِ كَسْبِ الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ مِنَ النَّاسِ.

قَولُهُ: ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾، أي: يَمْنَعُونَ إِعَارَةَ مَا يُنْتَفَعُ بِإِعَارَتِهِ مِنَ الْآنِيَةِ وَغَيْرِها[5].

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

الْحَثُّ عَلَى رِعَايَةِ الْيَتَامَى وَإِطْعَامِ الْمَسَاكِيْنِ.

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣﴾ [سورة الماعون:١-٣]: دَلِيلُ عَلَى شُمُولِيَّةِ هَذَا الدِّينِ وَأَثَرِهِ فِي السُّلُوكِيَّاتِ، وَحَثِّهِ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ، وَمِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٤١).
(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٤١).
(٣) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: (ولكل).
(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٩٣).
(٥) ينظر: تفسير السعدي (ص٩٣٥).

أولًا: أَنَّ قَهْرَ الْيَتِيمِ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ، بَلْ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُكَذِّبِينَ بِالدِّينِ.

ثانيًا: أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [سورة الماعون:٢]: تَجْعَلُ الرَّاعِينَ لِلْيَتَامَى عَلَى حَذَرٍ شَدِيدٍ مِنْ دَعِّهِمْ، وَهُوَ دَفْعُهُمْ وَقَهْرُهُمْ؛ فَالْقُرْآنُ بِهَذَا الزَّجْرِ يَقْطَعُ الطَّرِيقَ عَلَى مَنْ يَسْتَضْعِفُ الْيَتِيمَ لِعَدَمِ وُجُودِ مُدَافِعٍ عَنْهُ، فَاللهُ تَعَالَى يَتَوَلَّى الدِّفَاعَ عَنْهُ، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [سورة النساء:٤٥].

ثالثًا: أَنَّ الْإِيمَانَ بِيَوْمِ الدِّينِ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى إِطْعَامِ الْيَتِيمِ وَالْمِسْكِينِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [سورة الإنسان:٨].

رابعًا: عِنَايَةُ اللهِ تَعَالَى الْعَظِيمَةُ بِالْيَتَامَى، فَهُوَ سُبْحَانَهُ قَرَنَ الْإِحْسَانَ لِلْيَتِيمِ وَبِرَّ الْوَالِدَيْنِ وَصِلَةَ الْأَرْحَامِ بِتَوْحِيدِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فَقَالَ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [سورة النساء:٣٦].

خامسًا: أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَأَنَّ دِينَهُ دِينُ الْكَمَالِ وَالْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ، فَحَرِيٌّ بِالْمُؤْمِنِ أَنْ يَحْمَدَ اللهَ تَعَالَى وَيُسَبِّحَهُ وَيُكَبِّرَهُ وَيُهَلِّلَهُ؛ تَعْظِيمًا لَهُ وَإِذْعَانًا لِأَمْرِهِ، وَالْتِزَامًا بِشَرِيعَتِهِ وَعَمَلًا بِكِتَابِهِ، وَأَدَاءً لِلْحُقُوقِ الَّتِي عَلَيْهِ، الَّتِي مِنْهَا حَقُّ الْيَتِيمِ، حَتَّى يَلْقَى اللهَ تَعَالَى بِإِيمَانٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ.

التَّرْهِيبُ مِنَ السَّهْوِ عَنِ الصَّلَاةِ وَإِضَاعَتِهَا:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾: أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: (فِي صَلَاتِهِمْ)؛ لِأَنَّ السَّهْوَ فِي الصَّلَاةِ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ، وَلَا يُمْكِنُ التَّحَرُّزُ مِنْهُ، وَقَدْ وَقَعَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الْقَائِلُ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي»(١)، كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛

(١) أخرجه البخاري (٤٠١)، ومسلم (٥٧٢) واللفظ له.

وَلِهَذَا قَالَ عَطَاءُ بْنُ دِينَارٍ: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَالَ: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، وَلَمْ يَقِلْ: فِي صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ»(١).

وَفِي ذَلِكَ: التَّحْذِيرُ الشَّدِيدُ مِنَ السَّهْوِ عَنِ الصَّلَاةِ، وَهُوَ إِضَاعَتُهَا مَعَ الْعِلْمِ وَالْقَصْدِ، وَعَادَةً مَا تَصْدُرُ عَنْ نِفَاقٍ وَقِلَّةِ رَغْبَةٍ فِي أَدَاءِ هَذِهِ الْعِبَادَةِ الْعَظِيمَةِ، وَقَدْ تَوَعَّدَ اللهُ تَعَالَى الَّذِينَ يَتَكَاسَلُونَ عَنْ أَدَاءِ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَةِ، وَيَتَهَاوَنُونَ فِيهَا، وَيَتَغَافَلُونَ عَنْهَا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [سورة مريم:٥٩].

خطرُ الرِّيَاءِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ [سورة الماعون:٦]: التَّحْذِيرُ مِنَ الرِّيَاءِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ لِأَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الشِّرْكِ، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(٢).

وَلِعَظِيمِ خَطَرِهِ، وَبَالِغِ ضَرَرِهِ، وَكَثْرَةِ الِابْتِلَاءِ بِهِ: خَافَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ، وَبَالَغَ فِي التَّحْذِيرِ مِنْهُ، فَقَدْ رَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟ قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، فَقَالَ: الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ»(٣)، قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ تَعْلِيقًا عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ: "وَإِنَّمَا كَانَ الرِّيَاءُ كَذَلِكَ لِخَفَائِهِ وَقُوَّةِ الدَّاعِي إِلَيْهِ، وَعُسْرِ التَّخَلُّصِ مِنْهُ؛ لِمَا يُزَيِّنُهُ الشَّيْطَانُ وَالنَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ"(٤).

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٩٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢٠٤) واللفظ له. وحسنه البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ٢٣٧).

(٤) تيسير العزيز الحميد (ص٤٥٩).

بَذْلُ الْمَعْرُوفِ وَمَشْرُوعِيَّةُ الْعَارِيَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾: أَنَّ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بَذْلُ الْمَعْرُوفِ، وَإِعَانَةُ الْمُحْتَاجِينَ بِالْمَالِ وَالْجَاهِ، وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا، كَإِعَارَةِ الْأَوَانِي وَغَيْرِهَا مِمَّا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ. وَقَدِ اسْتَدَلَّ الْعُلَمَاءُ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ الْعَارِيَةِ، وَأَنَّهَا مُسْتَحَبَّةٌ وَمَنْدُوبٌ إِلَيْهَا(١)، وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ فِي خُطْبَةِ الْوَدَاعِ: «وَالْعَارِيَةُ مُؤَدَّاةٌ...»(٢) الحَدِيثُ، وَرَوَى صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ اسْتَعَارَ مِنْهُ يَوْمَ حُنَيْنٍ أَدْرَاعًا، فَقَالَ: أَغَصْبًا يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ: بَلْ عَارِيَةٌ مَضْمُونَةٌ»(٣).

وَلَا شَكَّ أَنَّ بَذْلَ الْعَارِيَةِ لِلْمُحْتَاجِ إِلَيْهَا قُرْبَةٌ عَظِيمَةٌ، يَنَالُ بِهَا الْمُعِيرُ ثَوَابًا جَزِيلًا؛ لِأَنَّهَا تَدْخُلُ فِي عُمُومِ التَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [سورة المائدة:٢]، وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»(٤).

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْعَارِيَةَ وَاجِبَةٌ. قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُٱللَّهُ: "وَالصَّحِيحُ: وُجُوبُ بَذْلِ ذَلِكَ مَجَّانًا إِذَا كَانَ صَاحِبُهَا مُسْتَغْنِيًا عَنْ تِلْكَ الْمَنْفَعَةِ وَعِوَضِهَا، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ

---

(١) ينظر: البناية شرح الهداية (١٠/ ١٣٥)، بداية المجتهد (٤/ ٩٧)، الحاوي الكبير (٧/ ١١٥)، المغني لابن قدامة (٥/ ١٦٣).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٢٩٤)، وأبو داود (٣٥٦٥)، والترمذي (١٢٦٥) واللفظ له، وقال: "حديث حسن"، وابن ماجه (٢٣٩٨)، وصححه ابن حبان (٥٠٩٤).

(٣) أخرجه أحمد (١٥٣٠٢) واللفظ له، وأبو داود (٣٥٦٢)، والنسائي في الكبرى (٥٧٤٧).

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

سَاهُونَ ۝٥ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ [سورة الماعون:٤-٧]"[١]، وَهُوَ قَوْلٌ لِأَحْمَدَ، وَقَوْلٌ لِلْمَالِكِيَّةِ[٢]؛ لِأَنَّ الله تعَالَى ذَمَّ الَّذِينَ يَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ مِمَّنْ يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِعَارَتِهِ.

وَقَدْ عَرَّفَ الْفُقَهَاءُ الْعَارِيَةَ فَقَالَ الْحَجَّاوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مَا نَصُّهُ: "الْعَارِيَةُ هِيَ: الْعَيْنُ الْمُعَارَةُ، وَالْإِعَارَةُ: إِبَاحَةُ نَفْعِهَا بِغَيْرِ عِوَضٍ، وَهِيَ مَنْدُوبٌ إِلَيْهَا، وَيُشْتَرَطُ كَوْنُهَا مُنْتَفَعًا بِهَا مَعَ بَقَاءِ عَيْنِهَا، وَتَنْعَقِدُ بِكُلِّ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ يَدُلُّ عَلَيْهَا كَقَوْلِهِ: أَعَرْتُكَ هَذَا أَوْ أَبَحْتُكَ الانْتِفَاعَ بِهِ، أَوْ يَقُولُ الْمُسْتَعِيرُ: أَعِرْنِي هَذَا، أَوْ أَعْطِنِيهِ أَرْكَبُهُ أَوْ أَحْمِلُ عَلَيْهِ، فَيُسَلِّمُهُ إِلَيْهِ، وَنَحْوِهِ، وَيُعْتَبَرُ كَوْنُ الْمُعِيرِ أَهْلًا لِلتَّبَرُّعِ شَرْعًا، وَأَهْلِيَّةُ مُسْتَعِيرٍ لِلتَّبَرُّعِ لَهَا"[٣].

❁❁❁

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٩٨).

(٢) ينظر: المغني لابن قدامة (٥/ ١٦٣)، شرح مختصر خليل للخرشي (٦/ ١٢١).

(٣) الإقناع في فقه الإمام أحمد (٢/ ٣٣١).

سُورَةُ الْكَوْثَر

سُورَةُ (الْكَوْثَرِ): سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ[١]، وَآيُهَا ثَلَاثُ آيَاتٍ.

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمَائِهَا: سُورَةُ (الْكَوْثَرِ)، وَسُورَةُ (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)، وَ(سُورَةُ النَّحْرِ)[٢].

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

اِحْتَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى مَقَاصِدَ عَظِيمَةٍ، مِنْ أَهَمِّهَا[٣]:

- ✓ تَبْشِيرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ أُعْطِيَ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَمَرَهُ بِأَنْ يَشْكُرَ اللهَ عَلَى ذَلِكَ بِالْإِقْبَالِ عَلَى الْعِبَادَةِ.
- ✓ أَنَّ انْقِطَاعَ الْوَلَدِ الذَّكَرِ لَيْسَ بَتْرًا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا أَثَرَ لَهُ فِي كَمَالِ الْإِنْسَانِ.

مِنْ فَضَائِلِ السُّورَةِ:

جَاءَ فِي فَضْلِ هَذِهِ السُّورَةِ: أَنَّ الْكَوْثَرَ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، أَعْطَاهُ اللهُ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فِي الْمَسْجِدِ، إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُبْتَسِمًا، قُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ، فَقَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾ [سورة الكوثر: ١-٣]، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ،

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٥٢٩).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٧١).

(٣) ينظر: مصاعد النظر (٣/ ٢٥٦)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٧٢).

هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ؛ فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِيْ مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ»(١).

وَقَدْ ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصَافًا مُتَعَدِّدَةً لِحَوْضِهِ؛ تَرْغِيبًا لِلْأُمَّةِ فِي بَذْلِ الْأَسْبَابِ الْمُوجِبَةِ لِوُرُودِهِ وَالشُّرْبِ مِنْهُ، وَهَذِهِ الْأَوْصَافُ ذَكَرَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَحَادِيثَ، مِنْهَا: حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ»(٢). وحَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «فِيهِ أَبَارِيقُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ وَرَدَهُ فَشَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا»(٣). وحَدِيثُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ» (٤). وحَدِيثُ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ شَرَابِ حَوْضِهِ، فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ»(٥). وحَدِيثُ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «حَوْضِي مِنْ عَدَنَ إِلَى عَمَّانَ الْبَلْقَاءِ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَكْوَابُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا»(٦). وحَدِيثُ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ حَوْضِي لَأَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ إِلَى عَدَنَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ، وَلَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ»(٧).

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٠٠).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٣٠٠).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٢٩٩).
(٤) أخرجه البخاري (٦٥٨٠) واللفظ له، ومسلم (٢٣٠٣).
(٥) أخرجه مسلم (٢٣٠١).
(٦) أخرجه أحمد (٢٢٣٦٧)، والترمذي (٢٤٤٤) واللفظ له، وقال: "حديث غريب"، وابن ماجه (٤٣٠٣).
(٧) أخرجه أحمد في المسند (٢٣٣١٧)، وابن ماجه (٤٣٠٢) واللفظ له. وصححه ابن حبان (٧٢٤١).

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ، ﴿ٱلۡكَوۡثَرَ﴾، أي: الْخَيْرَ الْكَثِيرَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمِنْهُ نَهْرُ الْكَوْثَرِ في الْجَنَّةِ(١).

قَوْلُهُ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾، أي: فَدُمْ عَلَى الصَّلَاةِ خَالِصًا لِوَجْهِ اللهِ، خِلَافَ السَّاهِي عَنْها وَالْمُرَائِي فِيهَا؛ شُكْرًا لِإِنْعَامِهِ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ جَامِعَةٌ لِأَقْسَامِ الشُّكْرِ(٢)، ﴿وَٱنۡحَرۡ﴾ وَاذْبَحْ ذَبِيحَتَكَ للهِ(٣).

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾، أي: إِنَّ مُبْغِضَكَ يَا مُحَمَّدُ(٤)، ﴿هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾، أي: الَّذِي لَا عَقِبَ لَهُ، إِذْ لَا يَبْقَى لَهُ نَسْلٌ، وَلَا حُسْنُ ذِكْرٍ، وَأَمَّا أَنْتَ فَتَبْقَى ذُرِّيَّتُكَ وَحُسْنُ صِيتِكَ، وَآثَارُ فَضْلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ [سورة الشرح:٤](٥).

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

بَيَانُ عَظَمَةِ مَنْزِلَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْعَظِيمَةِ: دَلِيلٌ عَلَى عَظَمَةِ مَنْزِلَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ رَبِّهِ، وَذَلِكَ مِنْ وُجُوهٍ؛ أَهَمُّهَا:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَعْطَاهُ نَهْرَ الْكَوْثَرِ فِي الْجَنَّةِ خَالِصًا لَهُ، لَا يُشَارِكُهُ فِي هَذِهِ الْمَزِيَّةِ غَيْرُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَفِي هَذِهِ الْمِنَّةِ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[سورة الكوثر:١]؛ فَقَوْلُهُ: ﴿أَعۡطَيۡنَٰكَ﴾: مُشْعِرٌ بِالْخُصُوصِيَّةِ، فَهُوَ لَهُ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "فَالْمُخْتَصُّ بِنَبِيِّنَا

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٥٠١)، تفسير الجلالين (ص٨٢٤).
(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٤٢).
(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٨١).
(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٦٩٧)، تفسير ابن كثير (٨/ ٥٠٤).
(٥) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٤٢).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَوْثَرُ، الَّذِي يُصَبُّ مِنْ مِائِهِ فِي حَوْضِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ نَظِيرُهُ لِغَيْرِهِ، وَوَقَعَ الِامْتِنَانُ عَلَيْهِ بِهِ فِي السُّورَةِ"(١).

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَكَّدَ ذَلِكَ وَصَدَّرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّآ﴾.

الْكَوْثَرُ بِشَارَةٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَتْبَاعِهِ:

هَذِهِ السُّورَةُ هِيَ أَقْصَرُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ، نَزَلَتْ عَلَى نَبِيِّنَا الْكَرِيمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهِيَ تَحْمِلُ أَعْظَمَ بِشَارَةٍ، وَأَكْرَمَ مِنَّةٍ، وَأَجَلَّ عَطِيَّةٍ، يَمُنُّ بِهَا رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا تَحْمِلُهُ هَذِهِ السُّورَةُ مِنْ بِشَارَةٍ لِنَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هِيَ بِشَارَةٌ لِأُمَّتِهِ أَيْضًا.

فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [سورة الكوثر:١]: أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَعْطَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَتْبَاعَهُ وَالصَّادِقِينَ فِي مَحَبَّتِهِ وَلُزُومِ سُنَّتِهِ، أَعْطَاهُمْ هَذَا الْكَوْثَرَ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْكَثْرَةِ، فَهُوَ الْكَثِيرُ وَالْغَزِيرُ وَالْفَائِضُ وَالدَّائِمُ غَيْرُ الْمُنْقَطِعِ وَلَا الْمَمْنُوعِ، وَهُوَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ؛ مِنَ الْقُرْآنِ، وَالْحِكْمَةِ، وَالنُّبُوَّةِ، وَالدِّينِ، وَالْحَقِّ، وَالْهُدَى، وَكُلِّ مَا فِيهِ سَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ كَوْثَرٌ لَا نِهَايَةَ لِفَيْضِهِ، وَلَا إِحْصَاءَ لِعَدَدِهِ، وَلَا حَدَّ لِدَلَالَاتِهِ، وَيُتَوَّجُ ذَلِكَ: بِذَلِكَ النَّهْرِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَصُبُّ فِي حَوْضِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَالَّذِي تَرِدُهُ أُمَّتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ طَعْمُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَلَوْنُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرَائِحَتُهُ أَطْيَبُ مِنْ رَائِحَةِ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ عَدَدًا وَإِشْرَاقًا وَإِضَاءَةً وَبَهَاءً وَجَمَالًا، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا(٢).

مِنْ أَحْكَامِ الْفِقْهِ فِي السُّورَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [سورة الكوثر:٢]: مَسَائِلُ فِقْهِيَّةٌ عَدِيدَةٌ، مِنْهَا:

---

(١) فتح الباري (١١/ ٤٦٧).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٦٨٣)، تفسير ابن عطية (٥/ ٥٢٩)، تفسير الخازن (٤/ ٤٨١).

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: أَنَّ الْآيَةَ دَلِيلٌ عَلَى تَقْدِيمِ الصَّلَاةِ عَلَى الذَّبْحِ فِي عِيدِ الْأَضْحَى، وَيَشْهَدُ لَهُ مِنَ السُّنَّةِ: حديثُ الْبراءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يومِنَا هَذَا نُصَلِّي، ثُمَّ نَرْجِعُ فَنَنْحَرُ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا، وَمَنْ ذَبَحَ فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ قَدَّمَهُ لِأَهْلِهِ، لَيْسَ مِنَ النُّسُكِ فِي شَيْءٍ»(١).

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: اِخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي حُكْمِ صَلَاةِ الْعِيدَيْنِ عَلَى أَقْوَالٍ ثَلَاثَةٍ:

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: أَنَّ صَلَاةَ الْعِيدَيْنِ وَاجِبَةٌ عَلَى الْأَعْيَانِ. وَهُوَ مَذْهَبُ الْحَنَفِيَّةِ(٢)، وَرِوَايَةٌ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَاخْتَارَهَا ابْنُ تَيْمِيَّةَ(٣)، وَابْنُ الْقَيِّمِ(٤) رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

وَاسْتَدَلُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [سورة الكوثر:٢]، وهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَالْأَمْرُ يَقْتَضِي الْوُجُوبَ.

الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ صَلَاةَ الْعِيدَيْنِ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ. وَهُوَ مَذْهَبُ الْمَالِكِيَّةِ(٥)، وَالشَّافِعِيَّةِ(٦)، وَقَوْلٌ لِلْحَنَفِيَّةِ(٧)، وَرِوَايَةٌ عَنْ أَحْمَدَ(٨).

وَاسْتَدَلُّوا بِعِدَّةِ أَحَادِيثَ، مِنْهَا: حَدِيثُ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ عَنِ الإِسْلَامِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ»(٩). **وَمِنْهَا**: حَدِيثُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْيَمَنِ،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤٥)، ومسلم (١٩٦١) واللفظ له.
(٢) ينظر: بدائع الصنائع (١/ ٢٧٥).
(٣) ينظر: الإنصاف للمرداوي (٢/ ٤٢٠)
(٤) انظر الصلاة وأحكام تاركها (ص٣٩، ٤٠).
(٥) ينظر: الذخيرة للقرافي (٢/ ٤١٧).
(٦) ينظر: مغنى المحتاج (١/ ٥٨٧).
(٧) ينظر: المبسوط للسرخسي (٢/ ٣٧).
(٨) ينظر: المغني لابن قدامة (٢/ ٢٧٢).
(٩) أخرجه البخاري (٤٦) واللفظ له، ومسلم (١١).

فَقَالَ: ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ... »(١) الْحَدِيث.

الْقَوْلُ الثَّالِثُ: أَنَّ صَلاَةَ الْعِيدَيْنِ فَرْضُ كِفَايَةٍ. وَهُوَ الْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِ الْحَنابِلَةِ(٢)، وَعَلَيْهِ فَتْوَى اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ(٣).

وَاسْتَدَلُّوا بِعِدَّةِ أَدِلَّةٍ، مِنْهَا: قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [سورة الكوثر:٢].

ومنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْخُلَفَاءَ بَعْدَهُ كَانُوا يُدَاوِمُونَ عَلَيْهَا. وَلِأَنَّهَا مِنْ أَعْلَامِ الدِّينِ الظَّاهِرَةِ فَكَانَتْ كَالْجِهادِ، بِدَلِيلِ قَتْلِ تَارِكِهَا. وَلَمْ تَجِبْ عَلَى الْأَعْيَانِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأَعْرَابِيِّ حِينَ ذَكَرَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ، قَالَ: «هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: لاَ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ»(٤).

عِظَمُ شَأْنِ عِبَادَةِ الذَّبْحِ لله:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [سورة الكوثر:٢]: أَنَّ الذَّبْحَ عِبَادَةٌ؛ فَكَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالصِّيَامَ عِبَادَاتٌ، فَالذَّبْحُ عِبَادَةٌ أَيْضًا، بَلْ مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَاتِ، وَأَجَلِّ الطَّاعَاتِ، وَقَدْ قَرَنَهُ اللهُ ﷻ بِالصَّلَاةِ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ الْعَظِيمِ؛ لِبَيَانِ عِظَمِهِ، وَكَبِيرِ شَأْنِهِ، وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ، فَقَالَ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام:١٦٢].

الصَّلَاةُ وَالذَّبْحُ لله مِنْ شُكْرِ نِعَمِ الله:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [سورة الكوثر:٢]: بَيَانُ ضَرُورَةِ الْمُبَادَرَةِ إِلَى شُكْرِ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى عَنْ طَرِيقِ الْمُوَاظَبَةِ عَلَى أَدَاءِ الصَّلَاةِ وَالنَّحْرِ لله، سَوَاءٌ الْأُضْحِيَةُ أَوِ النَّذْرُ أَوِ الْعَقِيقَةُ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى فَضْلِ الْجَمْعِ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْعِبَادَتَيْنِ الْعَظِيمَتَيْنِ:

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥) واللفظ له، ومسلم (١٩).

(٢) ينظر: الإنصاف للمرداوي (٢/ ٤٢٠)، كشاف القناع (٢/ ٥٠).

(٣) ينظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٨/ ٢٨٤).

(٤) سبق تخريجه.

الصَّلاةِ وَالنُّسُكِ، فَبَعْدَمَا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى عَطِيَّتَهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جَاءَ بِفَاءِ التَّعْقِيبِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾، وَأَنَّ مِنْ شُكْرِ اللهِ تَعَالَى شُكْرَهُ بِالنُّسُكِ وَهُوَ الذَّبْحُ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى.

يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُٱللَّهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [سورة الكوثر:٢]: "وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ الصَّلَاةَ وَالنُّسُكَ هُمَا أَجَلُّ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ، فَإِنَّهُ أَتَى فِيهِمَا بِالْفَاءِ الدَّالَّةِ عَلَى السَّبَبِ؛ لِأَنَّ فِعْلَ ذَلِكَ وَهُوَ الصَّلَاةُ وَالنَّحْرُ سَبَبٌ لِلْقِيامِ بِشُكْرِ مَا أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ مِنَ الْكَوْثَرِ وَالْخَيرِ الْكَثِيرِ، فَشُكْرُ الْمُنْعِمِ عَلَيْهِ وَعِبَادَتُهُ أَعْظَمُهَا هَاتَانِ الْعِبَادَتَانِ، بَلِ الصَّلَاةُ نِهَايَةُ الْعِبَادَاتِ وَغَايَةُ الْغَايَاتِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ وَالْخَيرَ الْكَثِيرَ، وَأَنْعَمْنَا عَلَيْكَ بِذَلِكَ لِأَجْلِ قِيَامِكَ لَنَا بِهَاتَيْنِ الْعِبَادَتَيْنِ شُكْرًا لِإِنْعَامِنَا عَلَيْكَ، وَهُمَا السَّبَبُ لِإِنْعَامِنَا عَلَيْكَ بِذَلِكَ، فَقُمْ لَنَا بِهِمَا، فَإِنَّ الصَّلَاةَ وَالنَّحْرَ مَحْفُوفَانِ بِإِنْعَامٍ قَبْلَهُمَا وَإِنْعَامٍ بَعْدَهُمَا، وَأَجَلُّ الْعِبَادَاتِ الْمَالِيَّةِ النَّحْرُ، وَأَجَلُّ الْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ الصَّلَاةُ، وَمَا يَجْتَمِعُ لِلْعَبْدِ فِي الصَّلَاةِ لَا يَجْتَمِعُ لَهُ فِي غَيْرِهَا مِنْ سَائِرِ الْعِبَادَاتِ، كَمَا عَرَفَهُ أَرْبَابُ الْقُلُوبِ الْحَيَّةِ، وَأَصْحَابُ الْهِمَمِ الْعَالِيَةِ، وَمَا يَجْتَمِعُ لَهُ فِي نَحْرِهِ مِنْ إِيثَارِ اللهِ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِهِ وَقُوَّةِ الْيَقِينِ، وَالْوُثُوقِ بِمَا فِي يَدِ اللهِ أَمْرٌ عَجِيبٌ، إِذَا قَارَنَ ذَلِكَ الْإِيمَانُ وَالْإِخْلَاصُ، وَقَدِ امْتَثَلَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَمْرَ رَبِّهِ، فَكَانَ كَثِيرَ الصَّلَاةِ لِرَبِّهِ، كَثِيرَ النَّحْرِ، حَتَّى نَحَرَ بِيَدِهِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بَدَنَةً، وَكَانَ يَنْحَرُ فِي الْأَعْيَادِ وَغَيْرِهَا"[١].

تَسْلِيَةُ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَأَتْبَاعِهِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [سورة الكوثر:٣]: بِشَارَاتٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَأَتْبَاعِهِ وَتَسْلِيَةٌ لَهُمْ، وَمِنْ ذَلِكَ:

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٣٢).

أُولًا: أَنَّ كُلَّ شَانِئٍ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُبْغِضٍ لَهُ فَهُوَ أَبْتَرُ، وَكُلُّ شَانِئٍ لِهَذَا الدِّينِ وَشَانِئٍ لِأَتْبَاعِهِ فَهُوَ أَبْتَرُ، فَمَنْ شَنَأَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَرِهَهُ وَكَرِهَ مَا جَاءَ بِهِ، بَتَرَهُ اللهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، وَهَكَذَا كُلُّ مَنْ نَاوَأَ هَذَا الدِّينَ فَهُوَ الْمَخْذُولُ وَالْمَقْطُوعُ وَالْمَبْتُورُ.

ثَانِيًا: البِشَارَةُ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ يَحْمِلُ عَلَى عَاتِقِهِ هَمَّ السُّنَّةِ وَنُصْرَتَهَا وَالذَّبَّ عَنْ حِمَاهَا، وَالذَّوْدَ عَنْ هَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ مَنْ كَانَ شَأْنُهُ كَذَلِكَ فَهُوَ فِي عُلُوٍّ وَظُهُورٍ، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم؛ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»(١).

أَهَمِّيَّةُ الْإِخْلَاصِ وَالِاتِّبَاعِ:

فِي هَذِهِ السُّورَةِ: تَنْبِيهٌ إِلَى أَمْرَيْنِ عَظِيمَيْنِ وَأَسَاسَيْنِ مَتِينَيْنِ، عَلَيْهِمَا مَدَارُ السَّعَادَةِ، وَبِهِمَا يَنَالُ الْعَبْدُ الْكَوْثَرَ، أَلَا وَهُمَا:

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: الْإِخْلَاصُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [سورة الكوثر:٢]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [سورة الأنعام:١٦٢-١٦٣]، وَهَذَا الْمَعْنَى مَفْهُومٌ مِنْ أُسْلُوبِ الِاخْتِصَاصِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [سورة الكوثر:٢] الَّذِي يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ جَوَازِ الصَّلَاةِ أَوِ النَّحْرِ لِغَيْرِ اللهِ.

الْأَمْرُ الثَّانِي: الِاتِّبَاعُ لِهَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَوَجْهُ ذَلِكَ**: أَنَّ مُبْغِضَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمُبْغِضَ سُنَّتِهِ هُوَ الْأَبْتَرُ، أَيْ: الْأَقْطَعُ، فَلَا ذِكْرَ لَهُ إِلَّا بِالسُّوءِ وَالْقَبِيحِ، وَيُوَضِّحُ ذَلِكَ أَيْضًا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَخْبَرَ أَنَّ الْأُضْحِيَةَ لَا تُجْزِئُ قَبْلَ الصَّلَاةِ؛ وَهَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ تَقْدِيمِهَا فِي الذِّكْرِ فِي الْآيَةِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ الْوَاوُ لِلتَّرْتِيبِ(٢)، فَقَالَ

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٩٢٠) واللفظ له.

(٢) ينظر: الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية (ص٦٩١).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كَمَا سَبَقَ-: «إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يومِنَا هَذَا نُصَلِّي، ثُمَّ نَرْجِعُ فَنَنْحَرُ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِك فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا، وَمَنْ ذَبَح فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ قَدَّمَهُ لِأَهْلِهِ، لَيْسَ مِنَ النُّسُكِ فِي شَيْءٍ»[1].

❁❁❁

(١) تقدم عند ذكر المسألة الأولى في هذ السورة.

سُورَةُ الْكَافِرُونَ

سُورَةُ (الْكَافِرُونَ): سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ بِالْإِجْمَاعِ[١]، وَآيُهَا سِتُّ آيَاتٍ.

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمَائِهَا: سُورَةُ (الْكَافِرُونَ)، وَسُورَةُ (الْكَافِرِينَ)، وَسُورَةُ (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ)، وَسُورَةُ (الْإِخْلَاصِ)، وَسُورَةُ (الْمُقَشْقِشَةِ)، وَسُورَةُ (الْعِبَادَةِ)، وَسُورَةُ (الدِّينِ)[٢].

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

اِحْتَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى مَقَاصِدَ عَظِيمَةٍ، مِنْ أَهَمِّهَا: أَنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ لَا يُخَالِطُ شَيْئًا مِنْ دِينِ الشِّرْكِ[٣].

مِنْ فَضَائِلِ السُّورَةِ:

هَذِهِ السُّورَةُ مِنَ السُّوَرِ الَّتِي يُشْرَعُ قِرَاءَتُهَا فِي الصَّلَوَاتِ وَفِي غَيْرِهَا؛ خَاصَّةً مَعَ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ، وَقَدْ جَاءَ فِي ذَلِكَ عِدَّةُ أَحَادِيثَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْهَا:

أولًا: فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾»[٤].

ثانيًا: فِي رَكْعَتَيِ الطَّوَافِ خَلْفَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، كَمَا فِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ «النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾»[٥].

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٥٣١).
(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٧٩).
(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٨٠).
(٤) أخرجه مسلم (٧٢٦).
(٥) أخرجه مسلم (١٢١٨).

ثالثًا: فِي صَلَاةِ الْوِتْرِ، كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَانَ يُوتِرُ بِثَلَاثٍ: بـ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾، وَ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾، وَ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾»[1].

ثالثًا: فِي السُّنَّةِ الرَّاتِبَةِ لِلْمغْرِبِ -وَهِيَ الْبَعْدِيَّةُ-، كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَرَأَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ، وَالرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، بِضْعًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً أَوْ بِضْع عَشْرَةَ مَرَّةً: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾، وَ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾»[2].

رابعًا: عِنْدَ النَّوْمِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ لِنَوْفَلٍ: اقْرَأْ ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾، ثُمَّ نَمْ، عَلَى خَاتِمَتِهَا، فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ»[3].

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾، أَيْ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ الْجَاحِدِينَ لِلْحَقِّ، الْمُشْرِكِينَ فِي عِبَادَةِ اللهِ[4]، وَقَدْ رُوِيَ: «أَنَّ رَهْطًا مِن قُرَيْشٍ قَالُوا: يا مُحَمَّدُ تَعْبُدُ آلِهَتَنا سَنَةً ونَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً، فَنَزَلَتْ»[5][6].

قَوْلُهُ: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا﴾، أَيْ: فِيمَا يُسْتَقْبَلُ؛ لِأَنَّ (لَا) النَّافِيَةَ لَا تَدْخُلُ إِلَّا عَلَى مُضَارِعٍ بِمَعْنَى الِاسْتِقْبَالِ، كَمَا أَنَّ (مَا) لَا تَدْخُلُ إِلَّا عَلَى مُضَارِعٍ بِمَعْنَى الْحَالِ[1]، ﴿تَعۡبُدُونَ ۝٢﴾، أَيْ: مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ الَّتِي لَا حَوْلَ لَهَا وَلَا قُوَّةَ[2].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٧٢٠) واللفظ له، والنسائي (١٧٠٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤٧٦٣).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٣٨٠٧)، وأبو داود (٥٠٥٥) واللفظ له، والدارمي (٣٤٧٠)، وصححه ابن حبان (٧٩٠).

(٤) ينظر: تفسير القاسمي (٩/ ٥٥٧).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٧٠٢)، وضعفه ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٧٣٣)، وينظر: أسباب النزول للواحدي (ص٤٦٧).

(٦) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٤٣).

قَولُهُ: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣﴾، وَهُوَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ[3]، وَقَدْ عَبَّرَ عَنْهُمْ بِالِاسْمِيَّةِ، وَعَنْهُ هُوَ بِالْفِعْلِيَّةِ، أَيْ: وَلَا أَنْتُمْ مُتَّصِفُونَ بِعِبادَةِ مَا أَعْبُدُ الْآنَ[4].

قَولُهُ: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾، أيْ: مِنَ الْأَصْنَامِ.

قَولُهُ: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ﴾، أيْ: مُسْتَقْبَلًا[5]، ﴿مَآ أَعۡبُدُ ٥﴾، وَهُوَ اللهُ تَعَالَى الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

قَولُهُ: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ﴾، وهو الشِّرْكُ، ﴿وَلِيَ دِينِ ٦﴾، وَهُوَ الْإِسْلَامُ[6]، وَالْخِطَابُ فِي الْآيَاتِ خِطَابٌ لِمَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللهِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ أبدًا[7].

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

تَضَمُّنُ سُورَةِ الْكَافِرُونَ الْبَرَاءَةَ مِنَ الشِّرْكِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾: تَضَمُّنٌ لِلتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الدِّينِ، وَهُوَ دِينُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، ومِثْلُهَا: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ أَمَّا الْكَافِرُونَ فَفِيهَا الْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَأَمَّا سُورَةُ الْإِخْلَاصِ فَفِيهَا إِثْبَاتٌ وَتَقْرِيرٌ لِلتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ إِفْرَادُ اللهِ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ، فَكُلٌّ مِنْهُمَا تَعَالِجُ حَقِيقَةَ التَّوْحِيدِ مِنْ وَجْهٍ، فَسُورَةُ (الْكَافِرُونَ) تَضَمَّنَتْ مَعْنَى النَّفْيِ فِي (لَا إِلَهَ)، وَسُورَةُ الْإِخْلَاصِ تَضَمَّنَتْ مَعْنَى الْإِثْبَاتِ فِي (إِلَّا اللهُ)؛ ولِذَا فَالسُّوْرَتَانِ تُسَمَّيَانِ بِسُورَتَي الْإِخْلَاصِ.

وُجُوبُ الْمُفَاصَلَةِ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَأَهْلِ الشِّرْكِ:

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٤٣).
(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٧٠٢).
(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٥٠٧).
(٤) ينظر: أضواء البيان (٩/ ١٣٤).
(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٥٠٨).
(٦) ينظر: الوجيز للواحدي (ص١٢٣٧).
(٧) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٥٦٤).

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣﴾ [سورة الكافرون:٢-٣]: مَعَالِمُ رَئِيسَةٌ لَا بُدَّ أَنْ يَعْرِفَهَا كُلُّ مُسْلِمٍ مُوَحِّدٍ، وَمِنْ ذَلِكَ:

أولًا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَعْبُدُ مَعْبُودَهُمْ، وَلَنْ يَعْبُدَ مَعْبُودَهُمْ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [سورة يونس:٤١].

ثانيًا: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمْ يَعْبُدُوا اللهَ تَعَالَى، وَلَنْ يَعْبُدُوهُ؛ لِعَدَمِ إِخْلَاصِهِمْ فِي عِبَادَتِهِمْ.

ثالثًا: أَنَّ الْعِبَادَةَ إِذَا اقْتَرَنَتْ بِالشِّرْكِ لَا تُسَمَّى عِبَادَةً؛ لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْعِبَادَةِ تُنَافِي الشِّرْكَ بِاللهِ، وَهَذَا مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) النَّافِي لِكُلِّ مَعْبُودٍ إِلَّا الْمَعْبُودَ بِحَقٍّ، وَهُوَ اللهُ تَعَالَى.

رابعًا: أَنَّ عَلَى الْمُؤْمِنِ الْمُوَحِّدِ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِالتَّوْحِيدِ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ، وَيُدَافِعَ عَنْهُ، وَيَدْعُوَ إِلَيْهِ بِشَتَّى الْوَسَائِلِ وَالطُّرُقِ امْتِثَالًا لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [سورة يوسف:١٠٨].

خامسًا: أَنَّ عَلَى الْمُوَحِّدِ أَنْ لَا يَلْتَفِتَ إِلَى الْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ مَهْمَا رَوَّجَهَا الْمُبْطِلُونَ.

سادسًا: أَنَّ التَّوْحِيدَ لَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا بِالْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، كَمَا قَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ۝٢٧﴾ [سورة الزخرف:٢٦-٢٧].

سِرُّ التَّكْرَارِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ [سورة الكافرون:٤]: تَأْكِيدٌ لِقَوْلِهِ: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ [سورة الكافرون:٢]، وَالتَّأْكِيدُ بِتَكْرَارِ الْكَلِمَةِ مَعْرُوفٌ فِي أَسَالِيبِ الْعَرَبِ، وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ وَرَاءَ التَّكْرَارِ سِرٌّ وَهُوَ: "تَوْكِيدُ مَفْهُومِ التَّوْحِيدِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ مِنْ ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ اخْتِلَافًا فِي الصِّيغَةِ، فَفِي الْآيَةِ الْأُولَى أَتَى بِصِيغَةِ

نَفْيِ الْفِعْلِ، وَفِي الثَّانِيَةِ أَتَى بِصِيغَةِ نَفْيِ اِسْمِ الْفَاعِلِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْفِعْلِ وَاسْمِ الْفَاعِلِ أَنَّ الْفِعْلَ يَدُلُّ عَلَى الْحُدُوثِ وَالتَّجَدُّدِ وَالْوُقُوعِ وَلَوْ لِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَالاِسْمُ يَدُلُّ عَلَى الْوَصْفِ اللَّازِمِ، وَيَدُلُّ عَلَى الثُّبُوتِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: إِرْضَاؤُكُمْ بِعِبَادَةِ آلِهَتِكُمْ لَا يَقَعُ مِنِّي وَلَوْ لِمَرَّةٍ، وَأَنَّ هَذَا لَيْسَ وَصْفِي وَلَا شَأْنِي"(١).

الْبَرَاءَةُ مِنَ الْكُفْرِ وَأَهْلِهِ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون:٦]: يَدُلُّ عَلَى الْبَرَاءَةِ مِنَ الْكُفْرِ وَأَهْلِهِ، لَا عَلَى إِقْرَارِ الْكُفَّارِ عَلَى دِينِهِمْ أَوْ مَا يُسَمَّى بِحُرِّيَّةِ الْأَدْيَانِ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَمْرَانِ: اسْمُ السُّورَةِ (الْكَافِرُونَ)، وَسِيَاقُ الْآيَاتِ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ الْآيَةَ اقْتَضَتْ إِقْرَارَ الْكُفَّارِ عَلَى دِينِهِمْ.

فَالجَوَابُ كَمَا قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَمَعَاذَ اللهِ أَنْ تَكُونَ الْآيَةُ اقْتَضَتْ تَقْرِيرًا لَهُمْ أَوْ إِقْرَارًا عَلَى دِينِهِمْ أَبَدًا، بَلْ لَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ وَأَشَدِّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ- أَشَدَّ فِي الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ وَعَيْبِ دِينِهِمْ وَتَقْبِيحِهِ، وَالنَّهْيِ عَنْهُ وَالتَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ كُلَّ وَقْتٍ وَفِي كُلِّ نَادٍ، وَقَدْ سَأَلُوهُ أَنْ يَكُفَّ عَنْ ذِكْرِ آلِهَتِهِمْ، وَعَيْبِ دِينِهِمْ، وَيَتْرُكُونَهُ وَشَأْنَهُ، فَأَبَى إِلَّا مُضِيًّا عَلَى الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ، وَعَيْبِ دِينِهِمْ، فَكَيْفَ يُقَالُ: إِنَّ الْآيَةَ اقْتَضَتْ تَقْرِيرَهُ لَهُمْ؟ مَعَاذَ اللهِ مِنْ هَذَا الزَّعْمِ الْبَاطِلِ، وَإِنَّمَا الْآيَةُ اقْتَضَتِ الْبَرَاءَةَ الْمَحْضَةَ كَمَا تَقَدَّمَ، وَأَنَّ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ لَا نُوَافِقُكُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا، فَإِنَّهُ دِينٌ بَاطِلٌ، فَهُوَ مُخْتَصٌّ بِكُمْ لَا نَشْرُكُكُمْ فِيهِ، وَلَا أَنْتُمْ تَشْرُكُونَنَا فِي دِينِنَا الْحَقِّ، فَهَذَا غَايَةُ الْبَرَاءَةِ وَالتَّنَصُّلِ مِنْ مُوَافَقَتِهِمْ فِي دِينِهِمْ"(٢).

الْكُفْرُ مِلَّةٌ وَاحِدَةٌ حُكْمًا:

(١) الضوء المنير (٦/ ٤٧٠).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٤١). ولابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعليقٌ نفيس على هذه السورة؛ فقد أطال، وأجاد، وأفاد.

يَقُولُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَقَدِ اسْتَدَلَّ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون:٦]: عَلَى أَنَّ الْكُفْرَ كُلَّهُ مِلَّةٌ وَاحِدَةٌ تَوَرَّثَهُ الْيَهُودُ مِنَ النَّصَارَى، وَبِالْعَكْسِ، إِذَا كَانَ بَيْنَهُمَا نَسَبٌ أَوْ سَبَبٌ يُتَوَارَثُ بِهِ؛ لِأَنَّ الْأَدْيَانَ -مَا عَدَا الْإِسْلَامِ- كُلَّهَا كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ فِي الْبُطْلَانِ، وَذَهَبَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَمَنْ وَافَقَهُ إِلَى عَدَمِ تَوْرِيثِ النَّصَارَى مِنَ الْيَهُودِ وَبِالْعَكْسِ؛ لِحَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ شَتَّى»(١)"(٢).

الثَّبَاتُ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ:

فِي هَذِهِ السُّورَةِ: الثَّبَاتُ عَلَى التَّوحِيدِ أَمَامَ الْكُفَّارِ مَهْمَا بَلَغَتْ قُوَّتُهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمْيِيعُ الدِّينِ إِرْضَاءً لِلْكُفَّارِ، وَلَا التَّنَازُلَ عَنْ بَعْضِ مَبَادِئِهِ خَوْفًا مِنْهُمْ، وَقَدْ كَانَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ مُسْتَضْعَفِينَ فِي مَكَّةَ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [سورة الأنفال:٢٦]، إِلَّا أَنَّهُ ثَبَتَ عَلَى دِينِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَتَّى نَصَرَهُ اللهُ عَلَيْهِم.

❀❀❀

(١) أخرجه أحمد (٦٦٦٤)، وأبو داود (٢٩١١) واللفظ له، وابن ماجه (٢٧٣١).

(٢) تفسير ابن كثير(٨/ ٥٠٨).

سُورَةُ النَّصْرِ

سُورَةُ النَّصْرِ سُورَةٌ مَدَنِيَّةٌ بِالْإِجمَاعِ(١)، وَآيُهَا ثَلَاثُ آياتٍ.

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمَائِهَا: سُورَةُ (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ)، وَسُورَةُ (النَّصْرِ)، وَسُورَةُ (الْفَتْحِ)، وَسُورَةُ (التَّوْدِيعِ)(٢).

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

اِحْتَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى مَقَاصِدَ عَظِيمَةٍ، مِنْ أَهَمِّهَا(٣):

- ✓ الإِعْلَامُ بِتَمَامِ الدِّينِ.
- ✓ الْوَعْدُ بِنَصْرٍ كَامِلٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَالْبِشَارَةُ بِدُخُولِ خَلَائِقَ كَثِيرَةٍ فِي الْإِسْلَامِ بِفَتْحِ مَكَّةَ.
- ✓ الْإِيمَاءُ إِلَى اقْتِرَابِ انْتِقَالِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْآخِرَةِ.

مِنْ فَضَائِلِ السُّورَةِ:

هَذِهِ السُّورَةُ جَاءَ فِيهَا عِدَّةُ أَحَادِيثَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْ ذَلِكَ:

أولًا: مَا جَاءَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى قُرْبِ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [سورة النصر:١]: دَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ فَقَالَ: قَدْ نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي، فَبَكَتْ، فَقَالَ: لَا تَبْكِي فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لِحَاقًا بِي، فَضَحِكَتْ، فَرَآهَا بَعْضُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَ: يَا فَاطِمَةُ، رَأَيْنَاكِ بَكَيْتِ ثُمَّ ضَحِكْتِ؟ قَالَتْ: إِنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ قَدْ نُعِيَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ لِي: لَا تَبْكِي فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لَاحِقٌ بِي، فَضَحِكْتُ، وَقَالَ

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٥٣٢).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٨٧).

(٣) ينظر: مصاعد النظر (٣/ ٢٦٩)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٩٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ، وَجاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا أَهْلُ الْيَمَنِ؟ فَقَالَ: هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً، وَالإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ، وَجَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ: هُم أَرَقُّ أَفْئِدَةً، وَالإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالحِكْمَةُ يَمانِيَةٌ»(١).

وَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ فَقَالَ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رُئِيتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [سورة النصر:١]؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكَذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَهُ لَهُ، قَالَ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [سورة النصر:١]، وَذَلِكَ عَلامَةُ أَجَلِكَ، ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [سورة النصر:٣]، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ»(٢).

ثانيًا: مَا وَرَدَ فِي أَنَّهَا آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ جَمِيعًا، كَمَا جَاءَ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: «تَعْلَمُ آخِرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ نَزَلَتْ جَمِيعًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ، ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾، قَالَ: صَدَقْتَ»(٣).

ثالثًا: مَا وَرَدَ فِي إِكْثَارِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ التَّسْبِيحِ وَالِاسْتِغْفَارِ بَعْدَ نُزُولِهَا، كَمَا جَاءَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [سورة النصر:١] إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: سُبْحَانَكَ رَبَّنَا

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٧٣) مختصرًا بنحوه، والدارمي (٨٠) واللفظ له، والطبراني في الأوسط (٨٨٣) دون ذكر مجيء أهل اليمن.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٧٠).

(٣) أخرجه مسلم (٣٠٢٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»[1]، وَفِي رِوَايَةٍ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ: سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَرَاكَ أَحْدَثْتَهَا تَقُولُهَا؟ قَالَ: جُعِلَتْ لِي عَلَامَةٌ فِي أُمَّتِي إِذَا رَأَيْتُهَا قُلْتُهَا: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [سورة النصر:١] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ»[2]، وَفِي رِوَايَةٍ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَاكَ تُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ: خَبَّرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي، فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَقَدْ رَأَيْتُهَا: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [سورة النصر:١]: فَتْحُ مَكَّةَ، ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [سورة النصر:٢-٣]»[3].

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾، أي: عَوْنُهُ وَتَأْيِيدُهُ وَإِظْهَارُهُ إِيَّاكَ عَلَى كُفَّارِ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ[4]، ﴿وَٱلۡفَتۡحُ﴾: فَتْحُ مَكَّةَ، وَكَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْفَتْحِ فَتْحُ مَكَّةَ، كَمَا فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ[5].

قَوْلُهُ: ﴿وَرَأَيۡتَ﴾، الْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾، أَيْ: يُسْلِمُونَ، فَيَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ، ﴿أَفۡوَاجٗا﴾، أي: جَمَاعَاتٍ كَثِيرَةً كَأَهْلِ مَكَّةَ

(١) أخرجه البخاري (٤٩٦٧) واللفظ له، ومسلم (٤٨٤).
(٢) أخرجه مسلم (٤٨٤).
(٣) أخرجه مسلم (٤٨٤).
(٤) ينظر: تفسير أبي السعود (٩/ ٢٠٨)، تفسير القاسمي (١٥/ ٤٩٢).
(٥) سبق تخريجهما.

وَالطَّائِفِ وَالْيَمَنِ وَهوازِنَ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ(١). وَ(يَدْخُلُونَ): حَالٌ إِنْ كَانَتِ الرُّؤْيَةُ بَصَرِيَّةً، أَوْ مَفْعُولٌ ثَانٍ إِنْ كَانَتْ عِلْمِيَّةً(٢).

قَوْلُهُ: ﴿فَسَبِّحْ﴾، أَيْ: نَزِّهِ اللهَ تَعَالَى عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ، ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، أَيْ: مُتَلَبِّسًا بِحَمْدِهِ(٣)، فَتَقُولُ مَثَلًا: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، أَوْ تَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ.

قَوْلُهُ: ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾، أي: اُطْلُبْهُ أَنْ يَغْفِرَ لَكَ ذُنُوبَكَ، ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، لِمَنِ اسْتَغْفَرَهُ(٤)، فَهَذِهِ السُّورَةُ تَضَمَّنَتْ بِشَارَةً وَأَمْرًا وَإِشَارَةً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٥).

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

الْبِشَارَةُ بِكَثْرَةِ دُخُولِ النَّاسِ فِي دِينِ اللهِ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ [سورة النصر:١-٢]: بِشَارَةٌ لِنَصْرِ اللهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَتْحِ مَكَّةَ وَدُخُولِ النَّاسِ جَمَاعَاتٍ كَثِيرَةٍ فِي دِينِ اللهِ. وَقَدْ جَاءَ عَنْ عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا بِمَاءٍ مَمَرَّ النَّاسِ، وَكَانَ يَمُرُّ بِنَا الرُّكْبَانُ فَنَسْأَلُهُمْ: مَا لِلنَّاسِ، مَا لِلنَّاسِ؟ مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُوْلُوْنَ: يَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ، أَوْحَى إِلَيْهِ، أَوْ: أَوْحَى اللهُ بِكَذَا، فَكُنْتُ أَحْفَظُ ذَلِكَ الكَلَامَ، وَكَأَنَّمَا يُقَرُّ فِي صَدْرِيْ، وَكَانَتِ العَرَبُ تَلَوَّمُ(٦) بِإِسْلَامِهِمُ الفَتْحَ، فَيَقُولُونَ: اتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ، فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الفَتْحِ،

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٤٤).
(٢) ينظر: تفسير الماوردي (٦/ ٣٦١)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣٤٤).
(٣) ينظر: تفسير الجلالين (ص٨٢٥)
(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٤٤).
(٥) ينظر: تفسير السعدي (ص٩٣٦).
(٦) تلوم: أَيْ: تنتظر، وأراد تتلوم فحذف إحدى التاءين تخفيفًا. انظر: لسان العرب (١٢/ ٥٥٧)، فتح الباري لابن حجر (١/ ١٨٤).

بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ، وَبَدَرَ أَبِي قَوْمِي بِإِسْلَامِهِمْ»(١). قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ مَكَّةَ دَخَلُوا فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، فَلَمْ تَمْضِ سَنَتَانِ حَتَّى اسْتَوْسَقَتْ جَزِيرَةُ الْعَرَبِ إِيمَانًا، وَلَمْ يَبْقَ فِي سَائِرِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ إِلَّا مُظْهِرٌ لِلْإِسْلَامِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ"(٢).

نُصْرَةُ الله لِدِينِه مُحَقَّقَةٌ لَا مَحَالَةَ:

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْوَارِدَةِ فِي سُورَةِ (النَّصْرِ): دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى أَنَّ هَذَا الدِّينَ دِينُ اللهِ، وَلَيْسَ دِينَ النَّاسِ، فَاللهُ ﷻ نَاصِرٌ دِينَهُ وَمُظْهِرُهُ وَمُعِزُّهُ، بِذُلِّ ذَلِيلٍ أَوْ بِعِزِّ عَزِيزٍ، كَمَا فِي حَدِيثِ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ قَالَ: «شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»(٣).

النَّصْرُ بِيَدِ الله:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [سورة النصر:١]: أَنَّ النَّصْرَ وَالْعَوْنَ وَالتَّأْيِيدَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَحْدَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [سورة آل عمران:١٢٦]، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى يَنْصُرُ مَنْ يَنْصُرُهُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحج:٤٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [سورة محمد:٧].

دُنُوُّ أَجَلِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٠٢).
(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٥١٣).
(٣) أخرجه البخاري (٣٦١٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾ [سورة النصر:٣]: الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبرَ بِدُنُوِّ أَجلِهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْإِخْبَارَ بِهِ قَبْلَ كَوْنِهِ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اسْتِحْبَابُ تَكْثِيرِ الْعِبَادَةِ آخِرَ الْعُمُرِ:

وَفِي الْآيَاتِ: اسْتِحْبَابُ تَكْثِيرِ الْعِبَادَةِ فِي آخِرِ الْعُمُرِ؛ وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [سورة النصر:١]: فَتْحُ مَكَّةَ، فَذَاكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ»[1].

وَجَاءَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [سورة النصر:١] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، قَالَ: نُعِيَتْ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسُهُ حِينَ أُنْزِلَتْ، فَأَخَذَ فِي أَشَدِّ مَا كَانَ اجْتِهَادًا فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ»[2]. وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي»[3]، فَحِينَ يَقْتَرِبُ أَجَلُ الْمُؤْمِنِ وَيَلُوحُ وَدَاعُهُ فَعَلَيْهِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى.

مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: التَّوَّابُ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾ [سورة النصر:٣]: مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ التَّوَّابَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ صِفَتِهِ التَّوْبَةُ الْوَاسِعَةُ الْكَثِيرَةُ الْعَظِيمَةُ، فَهُوَ كَثِيرُ التَّوْفِيقِ لِعِبَادِهِ لِلتَّوْبَةِ، كَثِيرُ الْقَبُولِ لِتَوْبَةِ مَنْ تَابَ مِنْهُمْ.

مِنْ صِيَغِ التَّسْبِيحِ وَالْحَمْدِ وَالِاسْتِغْفَارِ:

(١) أخرجه البخاري (٤٢٩٤).
(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٦٤٨) واللفظ له، والطبراني في الأوسط (١٩٩٦).
(٣) أخرجه البخاري (٣٦٢٤) واللفظ له، ومسلم (٢٤٥٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فِي السُّورَة: الْأَمْرُ بِالتَّسْبِيحِ وَالْحَمْدِ وَالِاسْتِغْفَارِ عَلَى نِعْمَةِ النَّصْرِ، وَفَتْحِ مَكَّةَ، وَدُخُولِ النَّاسِ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، وَأَفْضَلُ الصِّيَغِ الْوَارِدَةِ فِي هَذَا مَا صَحَّ عَنْ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَهِيَ كَالتَّالِي: «سُبْحَانَك رَبَّنَا وَبِحمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»(١)، أو «سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرك وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»(٢)، أو «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ»(٣).

الْأَمْرُ بِالِاسْتِغْفَارِ فِي خِتَامِ الْعَمَلِ:

وَقَدْ جَاءَ مِنْ صُوَرِ ذَلِكَ:

أولًا: الِاسْتِغْفَارُ عقِبَ الصَّلَاةِ، كَمَا فِي حَدِيثِ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا»(٤).

ثانيًا: الِاسْتِغْفَارُ بَعْدَ قِيَامِ اللَّيْلِ بِالسَّحَرِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ١٧﴾ [سورة آل عمران:١٧].

ثالثًا: الِاسْتِغْفَارُ بَعْدَ رُكْنِ الْحَجِّ الْعَظِيمِ، بَعْدَ يَوْمِ عَرَفَةَ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ﴾ [سورة البقرة:١٩٩].

وَلَا شَكَّ أَنَّ خَتْمَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بِالِاسْتِغْفَارِ أَدَبٌ عَظِيمٌ؛ بل مِنْ أَعْظَمِ آدَابِ الشَّرْعِ الَّذِي أَدَّبَ بِهِ أَتْبَاعَهُ، فَالِاسْتِغْفَارُ اِعْتِرَافٌ مِنَ الْعَبْدِ بِالْقُصُورِ فِي جَنْبِ اللهِ.

اِقْتِرَانُ التَّسْبِيحِ بِالْحَمْدِ، وَهُمَا بِالِاسْتِغْفَارِ:

جَاءَ اقْتِرَانُ التَّسْبِيحِ بِالْحَمْدِ فِي الْقُرْآنِ فِي خَمْسَةَ عَشَرَ مَوْضِعًا، مِنْهَا: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [سورة البقرة:٣٠]، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ [سورة الفرقان:٥٨]، فَالتَّسْبِيحُ يَتَضَمَّنُ نَفْيَ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ، وَالتَّحْمِيدُ يَتَضَمَّنُ إِثْبَاتَ صِفَاتِ

(١) أخرجه البخاري (٤٩٦٧).

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٤).

(٣) أخرجه مسلم (٤٨٤).

(٤) أخرجه مسلم (٥٩١).

الْكَمَالِ الَّتِي يُحمَدُ عَلَيْهَا، فَاجْتَمَعَ فِي هَذَا مَدْحُ اللهِ بِالنَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ، نَفْيِ النَّقَائِصِ، وَإِثْبَاتِ الْكَمَالَاتِ.

وَجَاءَ فِي الْآيَةِ اقْتِرَانُ التَّسْبِيحِ وَالْحَمْدِ بِالاِسْتِغْفَارِ، وَهَذَا مِنْ كَمَالِ الْعِبَادَةِ، فَإِنَّ الْأُولَى حَقُّ اللهِ، وَالثَّانِيَةَ مِنْ حَظِّ الْعَبْدِ، وَقَدْ جَاءَ نَظِيرُ ذَلِكَ، كَما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [سورة غافر:٥٥].

أَمْرُ اللهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ بِالاِسْتِغْفَارِ:

فِي السورة: أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَ نَبِيَّهُ بِالاِسْتِغْفَارِ، وَهُوَ قَدْ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَغَيْرُهُ مِنَ الْعِبَادِ أَوْلَى بِالاِسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ.

النَّصْرُ مَعَ الصَّبْرِ.

وَفِي السورة: أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، **وَوَجْهُ ذَلِكَ**: أَنَّنَا نَعْلَمُ شِدَّةَ مَا قَاسَاهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَصْحَابُهُ فِي أَوَّلِ الْبِعْثَةِ مِنَ الْمَشَاقِّ وَالْإِيذَاءِ وَالنَّصَبِ فِي نَشْرِ دِينِ الْحَقِّ وَنُصْرَتِهِ، وَكَمْ عَانَوْا فِي الثَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ مِنَ الْبَلَايَا وَالْمِحَنِ مَعَ قِلَّةِ عَدَدِهِمْ، وَكَثْرَةِ أَعْدَائِهِمْ، ثُمَّ جَاءَ النَّصْرُ وَالْفَتْحُ؛ فَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا.

❀❀❀

سُورَةُ الْمَسَدِ

سُورَةُ (تَبَّتْ): سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ بِالْإِجْمَاعِ[1]، وَآيُهَا خَمْسُ آياتٍ.

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمَائِهَا: سُورَةُ (تَبَّتْ)، وَسُورَةُ (الْمَسَدِ)، وَسُورَةُ (أَبِي لَهَبٍ)، وَسُورَةُ (اللَّهَبِ)، وَسُورَةُ (مَا كَانَ مِنْ أَبِي لَهَبٍ)[2].

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

اِحْتَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى مَقَاصِدَ عَظِيمَةٍ، مِنْ أَهَمِّهَا[3]:

- ✓ الْبَتُّ وَالْقَطْعُ بِخُسْرَانِ الْكَافِرِ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ الْخَلْقِ إِلَى أَعْظَمِ الْفَائِزِينَ.
- ✓ زَجْرُ أَبِي لَهَبٍ وَوَعِيدُهُ وَوَعِيدُ امْرَأَتِهِ.

سَبَبُ النُّزُولِ:

جَاءَ فِي ذِكْرِ سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ: مَا رَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ هذِهِ الْآيَةُ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة الشعراء:٢١٤]، وَرَهْطَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا، فَهَتَفَ: يَا صَبَاحَاهْ، فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتِفُ؟ قَالُوا: مُحَمَّدٌ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا بَنِي فُلَانٍ يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْه، فَقَالَ: أَرَأَيْتُكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ أَمَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهذَا؟ ثُمَّ قَامَ؛ فَنَزَلَتْ هذِهِ السُّورَةُ: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَقَدْ تَبَّ»[4].

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٥٣٤).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٩٩).

(٣) ينظر: مصاعد النظر (٣/ ٢٧٦-٢٧٧)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠٠).

(٤) أخرجه البخاري (٤٧٩١)، ومسلم (٢٠٨) واللفظ له.

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَولُهُ: ﴿تَبَّتۡ﴾، أي: هَلَكَتْ أَوْ خَسِرَتْ(١)، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ﴾ [سورة غافر:٣٧]، أَيْ: في هَلاكٍ(٢)، ﴿يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾ نَفْسُهُ، كَقَوْلِهِ تَعالَى: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ [سورة البقرة:١٩٥](٣)، ﴿وَتَبَّ ١﴾، إخْبارٌ بَعْدَ دُعاءٍ، كَقَوْلِهِمْ: أَهْلَكَهُ اللهُ، وقَدْ هَلَكَ(٤).

قَولُهُ: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾، أَيْ: لَا يُغْنِي مَا جَمَعَ مِنَ الْمَالِ، وَلَا مَا كَسَبَ مِنَ الْوَلَدِ وَالْجاهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فِي دَفْعِ شَيْءٍ مِن عَذابِ اللهِ إِذَا نَزَلَ بِهِ(٥).

قَولُهُ: ﴿سَيَصۡلَىٰ﴾، أي: سَيَدْخُلُ، ﴿نَارٗا﴾، وَنُكِّرَتْ لِلتَّعْظِيمِ وَالتَّهْوِيلِ، ﴿ذَاتَ لَهَبٖ ٣﴾ تَتَوَقَّدُ، وَاللَّهَبُ هُوَ: الشَّرَرُ الْمُتَطَايِرُ مِن عِظَمِ وَهَجِ النَّارِ(٦).

قَولُهُ: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾، وَهِيَ أُمُّ جَمِيلٍ، وَاسْمُهَا أَرْوَى بِنْتُ حَرْبٍ، أُخْتُ أَبِي سُفْيانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٧)، ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤﴾، وَوُصِفَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَحْمِلُ الشَّوْكَ، وَتُلْقِيهِ فِي طَرِيقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَحْمِلُ الْحَطَبَ فِي جَهَنَّمَ(٨).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٧١٤)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣٤٥).
(٢) ينظر: تفسير الرازي (٣٢/ ٣٤٩).
(٣) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٤٦).
(٤) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٣٦).
(٥) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٥٨٢)، فتح القدير (٥/ ٦٢٧).
(٦) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٥١٥).
(٧) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٥١٥).
(٨) ينظر: زاد المسير (٤/ ٥٠٣)، تفسير ابن كثير (٨/ ٥١٥).

قولُهُ: ﴿فِى جِيدِهَا﴾، أَيْ: عُنُقِهَا[1]، ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾، أي: حَبْلٌ مُحْكَمٌ مِنْ لِيفٍ شَدِيدٌ خَشِنٌ، وَهَذا لِشِدَّةِ عَدَاوَتِهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ اللهُ في عُنُقِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَبْلًا مِنْ لِيفٍ كَالْقِلَادَةِ حَوْلَ الْعُنُقِ[2].

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [سورة المسد:١]: الْكَثِيرُ مِنَ الاِسْتِنْبَاطَاتِ وَالْفَوَائِدِ الْجَمَّةِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

أولًا: أَبو لهبٍ وما قيل في كُنْيَتِهِ:

أَبُو لَهَبٍ: هُوَ أَحَدُ أَعْمَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاسْمُهُ: عَبْدُ الْعُزَّى بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكُنْيَتُهُ: أَبُو لَهَبٍ، وَقَدِ اشْتُهِرَ بِكُنْيَتِهِ، وَعُرِفَ بِها لِوَلَدٍ لَهُ يُقالُ لَهُ: لَهَبٌ، أَوْ لِشِدَّةِ جَمَالِهِ، أَوْ لِكَوْنِهِ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ، وَقِيلَ: إِنَّ كُنْيَتَهُ أَبُو عُتْبَةَ، وَأَمَّا أَبُو لَهَبٍ فَلَقَبٌ لُقِّبَ بِهِ لِجَمَالِهِ، وَلَيْسَ بِكُنْيَةٍ[3].

ثانيًا: هَلاكُ أبي لَهَبٍ وكُلِّ مَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُ:

فِي الْآيَةِ: دُعَاءٌ عَلَى أَبِي لَهَبٍ بِالْهَلاكِ وَالْخُسْرَانِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَبَّ﴾: دَلِيلٌ عَلَى حُصُولِ الْخَسَارَةِ وَالْهَلَاكِ لَهُ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَتَبَّ﴾ جُمْلَةٌ خَبَرِيَّةٌ، أَيْ: وَقَدْ حَصَلَ لَهُ التَّبَابُ، وَذَلِكَ جَزَاءُ كُلِّ مَنْ تَكَبَّرَ عَنِ الْحَقِّ وَاسْتَكْبَرَ عَنْهُ، فَمَآلُهُ الْخُسْرَانُ وَالْهَلَاكُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [سورة المسد:١]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾ [سورة غافر:٣٧].

ثالثًا: الْجزاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ:

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٥٨٣).

(٢) ينظر: تفسير القاسمي (٩/ ٥٦٥).

(٣) ينظر: تفسير ابن جزي (٢/ ٥٢١)، تفسير ابن كثير (٨/ ٥١٤).

فِي الْآيَةِ: أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ؛ لِأَنَّ سَبَبَ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ هُوَ قَوْلُ أَبِي لَهَبٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تبًّا لَكَ، أَمَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهذَا؟»[(١)].

رابعًا: العِبْرَةُ بالتَّقْوى والإيمان لا بالنَّسَب:

فِي الْآيَةِ: أَنَّ النَّسَبَ لَا يُفِيدُ شَيْئًا إِذَا كَانَ بِدُونِ إِيمَانٍ وَبِدُونِ عَمَلٍ صَالِحٍ، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[(٢)].

فَأَبُو لَهَبٍ عَمُّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نَاحِيَةِ النَّسَبِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لِكُفْرِهِ وَعَدَمِ إِيمَانِهِ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ هَذِهِ السُّورَةَ تُتْلَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَالْعِبْرَةُ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، لَا بِالْأَنْسَابِ وَالْأَحْسَابِ.

وَقَدْ رَتَّبَ اللهُ تَعَالَى الْجَزَاءَ عَلَى الْأَعْمَالِ لَا عَلَى الْأَنْسَابِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ [سورة فصلت:٤٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [سورة الحجرات:١٣].

وَأَشَارَتْ إِلَى ذَلِكَ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ وَالْأَحَادِيثُ الشَّرِيفَةُ، وَمِنْ ذَلِكَ:

مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»[(٣)].

وَمَا جَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة الشعراء:٢١٤]: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا

(١) سبق تخريجه.
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).
(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

عبَّاس بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ، سَلِينِي بِمَا شِئْتِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا»(١).

مُنَاسَبَةُ كُنْيَةِ أَبِي لَهَبٍ لِجَزَائِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [سورة المسد:٣]: نَاسَبَ ذِكْرُ أَبِي لَهَبٍ بِكُنْيَتِهِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ حَالَهُ فِي الْآخِرَةِ، فَهُوَ خَالِدٌ فِي نَارٍ عَظِيمَةٍ تلْهِبُ جَسَدَهُ كُلَّهُ، وَيَأْتِيهِ لَهَبُهَا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَتُحِيطُ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَنَارُ الْآخِرَةِ لَيْسَتْ كَنَارِ الدُّنْيَا فِي شِدَّةِ إِحْرَاقِهَا، بَلْ كَنِسْبَةِ جُزْءٍ إِلَى سَبْعِينَ جُزءًا مِنْ حَرَارَةِ نَارِ جَهَنَّمَ، كَمَا جَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ، قَالُوا: وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا»(٢).

التنبيهُ مِنْ فِتْنَةِ الْمَالِ وَالْوَلَدِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [سورة المسد:٢]: أَنَّ الْمَالَ وَالْوَلَدَ قَدْ يَكُونا نِقْمَةً عَلَى الْعَبْدِ إِذَا اسْتَكْبَرَ عَنِ الْحَقِّ وَرَدَّهُ وَاغْتَرَّ بِمَالِهِ وَوَلَدِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [سورة المسد:٢]؛ وَلِهَذَا أَخْبَرَنَا اللهُ تَعَالَى أَنَّ الْمَالَ وَالْوَلَدَ فِتْنَةٌ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة الأنفال:٢٨]، وَحَذَّرَنَا مِنَ الاشْتِغَالِ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ عَنْ ذِكْرِهِ تَعَالَى؛ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [سورة المنافقون:٩].

الْوَلَدُ مِنْ كَسْبِ الْإِنْسَانِ:

(١) أخرجه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣) واللفظ له.

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾: أَنَّ وَلَدَ الإِنْسَانِ مِنْ كَسْبِهِ، وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ»(1). وَغَالِبًا مَا يُذْكَرُ الْمَالُ مَقْرُونًا بِالْأَوْلَادِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [سورة آل عمران:١١٦]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [سورة المجادلة:١٧]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة الشعراء:٨٨-٨٩].

خَطَرُ مُعَادَاةِ دِينِ اللهِ وَالْعَوْنِ عَلَى ذَلِكَ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴿٥﴾﴾ [سورة المسد:٤-٥]: أَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ زَوْجَةُ أَبِي لَهَبٍ عَوْنًا لِزَوْجِهَا عَلَى مُعَادَاةِ الدَّعْوَةِ، فَإِنَّهَا تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَوْنًا عَلَيْهِ فِي عَذَابِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَتَحْمِلُ الْحَطَبَ فِي جَهَنَّمَ لِيُوقَدَ بِهِ عَلَى زَوْجِهَا، فَجَعَلَ شِدَّةَ عَذَابِهِ عَلَى يَدِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ؛ وَلِذَلِكَ يَدْعُو الْأَتْبَاعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَسْيَادِهِمْ قَائِلِينَ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا﴾ [سورة الأحزاب:٦٨].

عَدَاوَةُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى الْإِنْسَانِ:

ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ عُقُوبَةَ أَبِي لَهَبٍ وَامْرَأَتِهِ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِيذَائِهِمَا الشَّدِيدِ لَهُ، وَهَذَا وَاللهُ مِنْ أَشَدِّ مَا يَكُونُ مِنَ الْأَلَمِ وَالْحَسْرَةِ، عِنْدَمَا يَكُونُ خَصْمُكَ هُوَ قَرِيبُكَ الَّذِي تَنْتَظِرُ مِنْهُ النُّصْرَةَ وَالتَّأْيِيدَ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٥٨٤٥)، وأبو داود (٣٥٢٨)، والترمذي (١٣٥٨) وقال: "حديث حسن"، والنسائي (٤٤٥٢)، وابن ماجه (٢١٣٧)، وصححه ابن حبان (٤٢٦٠).

وظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً *** عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ الْمُهَنَّدِ

وَمِمَّا وَرَدَ فِي عَدَاوَةِ أَبِي لَهَبٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ رَبِيعَةَ بْنِ عِبَادٍ الدِّيلِيِّ، وَكَانَ جَاهِلِيًّا أَسْلَمَ، فَقَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ، يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، تُفْلِحُوا، وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا وَالنَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ عَلَيْهِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ شَيْئًا، وَهُوَ لَا يَسْكُتُ، يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، تُفْلِحُوا، إِلَّا أَنَّ وَرَاءَهُ رَجُلًا أَحْوَلَ وَضِيءَ الْوَجْهِ، ذَا غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَهُوَ يَذْكُرُ النُّبُوَّةَ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يُكَذِّبُهُ؟ قَالُوا: عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ»(١).

التَّحْذِيرُ مِنْ أَذِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ: التَّحْذِيرُ الشَّدِيدُ مِنْ أَذِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ حَذَّرَنَا اللهُ تَعَالَى تَحْذِيرًا شَدِيدًا مِنْ إِيذَاءِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَيِّ صُورَةٍ مِنْ صُوَرِ الْإِيذَاءِ، فَقَالَ تَعَالَى مُخَاطِبًا الْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [سورة الأحزاب:٥٣]، وَقَالَ مُخَاطِبًا الْمُنَافِقِينَ: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة:٦١]، وَجَعَلَ اللهُ تَعَالَى إِيذَاءَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيذَاءً لَهُ سُبْحَانَهُ فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [سورة الأحزاب:٥٧].

وَأَحْدَاثُ التَّارِيخِ مُنْذُ بِعْثَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا فِيهَا الْكَثِيرُ مِنَ الْمَوَاقِفِ وَالْأَحْدَاثِ الَّتِي تُؤَكِّدُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى تَكَفَّلَ بِالِانْتِقَامِ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٦٠٢٣).

وَكِفَايَتِهِ مِمَّنِ اسْتَهَزَأَ بِهِ، وَهَذَا مَاضٍ إِلى قِيَامِ السَّاعَةِ دَائِمًا وَأَبَدًا؛ مِصْدَاقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [سورة الحجر:٩٥].

❀❀❀

سُورَةُ الْإِخْلَاص

سُورَةُ (الْإِخْلَاصِ): مُخْتَلَفٌ فِيهَا، هَلْ هِيَ مَكِّيَّةٌ أَمْ مَدَنِيَّةٌ[1]، وَعَدَدُ آيَاتُهَا أَرْبَعُ آيَاتٍ.

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمَائِهَا: سُورَةُ (التَّجْرِيدِ)، وَسُورَةُ (التَّوْحِيدِ)، وَسُورَةُ (الْإِخْلَاصِ)، وَسُورَةُ (الْوِلَايَةِ)، وَسُورَةُ (النِّسْبَةِ)، وَسُورَةُ (الْمُقَشْقِشَةِ)، وَسُورَةُ (الْمُعَوِّذَةِ)، وَسُورَةُ (الصَّمَدِ)، وَسُورَةُ (الْمَانِعَةِ)، وَسُورَةُ (الْبَراءَةِ)، وَسُورَةُ (النُّورِ)، وَسُورَةُ (الْأَمَانِ)[2].

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

اِحْتَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى مَقَاصِدَ عَظِيمَةٍ، مِنْ أَهَمِّهَا[3]:

- ✓ إِثْبَاتُ وَحْدَانِيَّةِ اللهِ تَعَالَى.
- ✓ إِبْطَالُ أَنْ يَكُونَ للهِ ابْنٌ.
- ✓ إِبْطَالُ أَنْ يَكُونَ الْمَوْلُودُ إِلَهًا، مِثْلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

سَبَبُ النُّزُولِ:

فِي سَبَبِ نُزُولِهَا عِدَّةُ أَقْوَالٍ:

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [سورة الإخلاص: ١-٢]»[4].

---

(١) تفسير ابن عطية (٥/ ٥٣٦)، زاد المسير (٤/ ٥٠٥).

(٢) ينظر: تفسير الرازي (٣٢/ ٣٥٧)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٦١٠)، بصائر ذوي التمييز (١/ ٥٥٣)، إعراب القرآن وبيانه (١٠/ ٦١٩).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٦١٢).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٢١٢١٩)، والترمذي (٣٣٦٤) واللفظ له، وصحح إرساله، والطبري في تفسيره (٢٤/ ٧٢٧)، والحاكم في المستدرك (٣٩٨٧) وصححه. والحديث في إسناده أبو جعفر الرازي – واسمه: عيسى بن أبي عيسى ماهان – ضعيف الحديث، وفيه علة أخرى، وهي الإرسال، ولهذا الحديث شواهد. ينظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ٧٣٩).

الْقَوْلُ الثَّاني: أَنَّ عامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ وَأَرْبَدَ بْنَ رَبيعَةَ أَتيا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقالَ عامِرٌ: «إِلَامَ تَدْعُونَا يا مُحَمَّدُ؟ قالَ: إِلَى اللهِ، قالَ: صِفْهُ لَنا، أَمِنْ ذَهَبٍ هُوَ؟ أَمْ مِنْ فِضَّةٍ؟ أَمْ مِنْ حَديدٍ؟ أَمْ مِنْ خَشَبٍ؟ فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ، فَأَهْلَكَ اللهُ أَرْبَدَ بِالصَّاعِقَةِ وَعامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ بِالطَّاعُونِ»[1].

الْقَوْلُ الثَّالِثُ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ الْيَهُودَ جاءَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْهُمْ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ وَحُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، فَقالُوا: يا مُحَمَّدُ، صِفْ لَنا رَبَّكَ الَّذِي بَعَثَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ﴾ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ﴿وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ فَيَخْرُجُ مِنْ شَيْءٍ، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص:١-٤]، وَلَا شَبَهٌ، فَقالَ: هَذِهِ صِفَةُ رَبِّي ﷻ وَتَقَدَّسَ عُلُوًّا كَبِيرًا»[2].

مِنْ فَضَائِلِ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ:

سُورَةُ الْإِخْلَاصِ لَهَا فَضَائِلُ كَثِيرَةٌ جِدًّا، فَمِنْ فَضَائِلِهَا:

أولًا: أَنَّها مُتَضَمِّنَةٌ لِصِفَةِ الرَّحْمَنِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ لِحَديثِ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحابِهِ فِي صَلاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِـ: (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ)، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقالَ: سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟ فَسَأَلُوهُ، فَقالَ: لِأَنَّها صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِها، فَقالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ»[3].

ثانِيًا: أَنَّ حُبَّها يُوجِبُ مَحَبَّةَ اللهِ الَّتِي هِيَ أَجَلُّ الْمَطالِبِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ»[4].

---

(١) ينظر: زاد المسير (٤/ ٥٠٥)، تفسير البغوي (٨/ ٥٨٤).

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٨) (٦٠٦)، وحسنه الحافظ في الفتح (١٣/ ٣٥٦).

(٣) أخرجه البخاري (٧٣٧٥) واللفظ له، ومسلم (٨١٣).

(٤) الحديث السابق.

ثالثًا: أَنَّ حُبَّها يُوجِبُ دُخُولَ الْجَنَّةِ؛ لِحَديثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يَؤُمُّهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ، وَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ بِهَا لَهُمْ فِي الصَّلاَةِ مِمَّا يَقْرَأُ بِهِ افْتَتَحَ بِـ: (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةً أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تَفْتَتِحُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ لاَ تَرَى أَنَّهَا تُجْزِئُكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِأُخْرَى، فَإِمَّا تَقْرَأُ بِهَا وَإِمَّا أَنْ تَدَعَهَا، وَتَقْرَأَ بِأُخْرَى، فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَؤُمَّكُمْ بِذَلِكَ فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ، وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ، فَلَمَّا أَتَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرُوهُ الخَبَرَ، فَقَالَ: يَا فُلاَنُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ؟ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّهَا، فَقَالَ: حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ»[1].

رابعًا: أَنَّها تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، وَقَدْ جَاءَ فِي ذَلِكَ عِدَّةُ أَحَادِيثَ، مِنْهَا:

مَا رَوَاهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»[2].

ومنها: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «احْشُدُوا فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ: (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ)، ثُمَّ دَخَلَ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: إِنِّي أُرَى هَذَا خَبَرٌ جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ، فَذَاكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ: سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»[3].

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم (١/ ١٥٥)، ووصله الترمذي (٢٩٠١) وقال: "حسن غريب"، وصححه ابن خزيمة (٥٣٧).

(٢) أخرجه مسلم (٨١١).

(٣) أخرجه مسلم (٨١٢).

ومنها: حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا[1]، فقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»[2].

وَمَعْنَى أَنَّها (تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ)، أَيْ: أَنَّ مَنْ قَرَأَها فَلَهُ جَزَاءُ قِرَاءَةِ ثُلُثِ الْقُرْآنِ، لَا أَنَّهَا تُجْزِئُ عَنْ قِرَاءَةِ ثُلُثِ الْقُرْآنِ[3]، وعليهِ: فَإِنَّ مَنْ نَذَرَ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فَلَا يُجْزِئُهُ قِرَاءَتُها؛ لِأَنَّها تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ في الْجَزَاءِ لَا فِي الإِجْزَاءِ، وَفَرْقٌ بَيْنَهُمَا. وَلَوْ قَرَأَهَا في صَلَاتِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَا تُجْزِئُهُ عَنْ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ، مَعَ أَنَّهُ يُعْطَى جَزَاءَ وَأَجْرَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ كَامِلًا.

وَإِنَّمَا كَانَ لِهَذِهِ السُّورَةِ هَذَا الْفَضْلُ العَظِيمُ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: ثُلُثٌ مِنْهُ لِلْأَحْكَامِ، وَثُلُثٌ مِنْهُ لِلْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَثُلُثٌ مِنْهُ لِلْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَهَذِهِ السُّورَةُ جَمَعَتِ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ[4].

خامسًا: أَنَّ الدُّعَاءَ بِهَا مُسْتَجَابٌ، وَفِيهَا اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ؛ لِمَا جَاءَ عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، قَالَ: فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»[5]. وَعَنْ مِحْجَنِ بْنِ الْأَدْرَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ قَضَى صَلَاتَهُ، وَهُوَ يَتَشَهَّدُ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا اللهُ

(١) أَيْ: يراها قليلًا. ينظر: الاستذكار (٢/ ٥١١).
(٢) أخرجه البخاري (٥٠١٣).
(٣) ينظر: الاستذكار (٢/ ٥١٢)، كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/ ١٦٧).
(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ١٠٣).
(٥) أخرجه أحمد في المسند (٢٢٩٥٢)، وأبو داود (١٤٩٣)، والترمذي (٣٤٧٥) واللفظ له وقال: "حسن غريب"، وابن ماجه (٣٨٥٧). وصححه ابن حبان (٨٩١).

الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، قَالَ: فَقَالَ: قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ، ثَلَاثًا»[1].

سادسًا: أَنَّها مِنْ أَعْظَمِ مَا يُرَدُّ بِهِ وَسْوَسَةُ الشَّيْطَانِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزَالُونَ يَسْأَلُونَ حَتَّى يُقَالُ: هَذَا اللهُ خَلَقَنَا، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ ﷻ؟ قَالَ: فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَوَاللهِ إِنِّي لَجَالِسٌ يَوْمًا، إِذْ قَالَ لِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ: هَذَا اللهُ خَلَقَنَا، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ ﷻ؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَجَعَلْتُ أُصْبُعَيَّ فِي أُذُنَيَّ، ثُمَّ صِحْتُ، فَقُلْتُ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ، اللهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»[2].

سابعًا: وَمِنْ فَضَائِلِهَا: مَا جَاءَ عَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ صَاحِبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ: (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) حَتَّى يَخْتِمَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ، بَنَى اللهُ لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: إِذًا نَسْتَكْثِرَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللهُ أَكْثَرُ وَأَطْيَبُ»[3].

ثامنًا: وَمِنْ فَضَائِلِهَا: أَنَّهَا تُقْرَأُ فِي الْوِتْرِ[4]، وَسُنَّةِ الْفَجْرِ[5]، وَسُنَّةِ الْمَغْرِبِ[6]، وَسُنَّةِ الطَّوَافِ[7]، كَمَا جَاءَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

مِنْ فَضَائِلِ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ مَعَ سُورَتَيِ (الْفَلَقِ وَالنَّاسِ):

وَمِنْ فَضَائِلِ هَذِهِ السُّورَةِ الْعَظِيمَةِ، مَعَ سُورَتَيِ الْفَلَقِ وَالنَّاسِ:

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٨٩٧٤)، وأبو داود (٩٨٥) واللفظ له، والنسائي (١٣٠١).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٩٠٢٧) واللفظ له، وأبو داود (٤٧٢٢). وأصل الحديث في صحيح مسلم (١٣٥) دون ذكر قصة أبي هريرة مع العراقي.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٥٦١٠) بإسناد ضعيف؛ لأن في إسناده ابن لهيعة ورشدين بن سعد وزبان بن فائد، وكلهم ضعفاء. ينظر: مجمع الزوائد للهيثمي (٧/ ١٤٥).

(٤) أخرجه أبو داود (١٤٢٣)، والترمذي (٤٦٢)، والنسائي (١٦٩٩)، وابن ماجه (١١٧٣).

(٥) أخرجه مسلم (٧٢٦).

(٦) أخرجه أحمد في المسند (٤٧٦٣)، والترمذي (٤٣١) وقال: "حديث غريب"، والنسائي (٩٩٢)، وابن ماجه (١١٦٦).

(٧) أخرجه مسلم (١٢١٨).

أولًا: أَنَّ هَذِهِ السُّوَرُ مِنْ خَيْرِ مَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالفُرْقَانِ الْعَظِيمِ، فَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ، أَلَا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ ثَلَاثِ سُوَرٍ أُنْزِلَتْ في التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالْفُرْقَانِ الْعَظِيمِ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: فَأَقْرَأَنِي: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثُمَّ قَالَ: يَا عُقْبَةُ لا تَنْسَاهُنَّ، ولا تَبِتْ لَيْلَةً حَتَّى تَقْرَأَهُنَّ، قَالَ: فَمَا نَسِيتُهُنَّ قَطُّ مُنْذُ قَالَ: لَا تَنْسَاهُنَّ، وَمَا بِتُّ لَيْلَةً قَطُّ حَتَّى أَقْرَأَهُنَّ»[1].

ثانيًا: أَنَّ قِرَاءَةَ هَذِهِ السُّوَرِ كَافِيَةٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ؛ لِحَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ خُبَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطَرٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ، نَطْلُبُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصَلِّيَ لَنَا، فَأَدْرَكْنَاهُ، فَقَالَ: أَصَلَّيْتُمْ؟ فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ: قُلْ، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: قُلْ، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: قُلْ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَقُولُ؟ قَالَ: قُلْ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»[2].

ثالثًا: أَنَّ هَذِهِ السُّوَرَ مِنْ أَذْكَارِ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ؛ لِحَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ خُبَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمُتَقَدِّمِ.

رابعًا: أَنَّهَا مِنْ أَذْكَارِ النَّوْمِ؛ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»[3].

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٣٣٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٨٢) واللفظ له، والترمذي (٣٥٧٥) وقال: "حسن صحيح غريب".

(٣) أخرجه البخاري (٥٠١٧).

خامسًا: أَنَّ هَذِهِ السُّوَرَ تُقْرَأُ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ؛ لِحَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: «أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنْ أَقْرَأَ بِالْمُعَوِّذَاتِ[1] فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ»[2].

سادسًا: أَنَّهَا تَعْوِيذَاتٌ مُبَارَكَةٌ، مَا تَعَوَّذَ أَحَدٌ بِمِثْلِهَا، كَمَا ثَبَتَ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا أَقُودُ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رَاحِلَتَهُ فِي غَزْوَةٍ إِذْ قَالَ: يَا عُقْبَةُ، قُلْ فَاسْتَمَعْتُ، ثُمَّ قَالَ: يَا عُقْبَةُ، قُلْ فَاسْتَمَعْتُ، فَقَالَهَا الثَّالِثَةَ، فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ فَقَالَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ فَقَرَأَ السُّورَةَ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، وَقَرَأْتُ مَعَهُ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَرَأَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، فَقَرَأْتُ مَعَهُ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَالَ: مَا تَعَوَّذَ بِمِثْلِهِنَّ أَحَدٌ»[3].

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿قُلْ﴾، الْخِطَابُ هُنَا لِلنَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَهُوَ أَمْرٌ لَهُ أَنْ يُخَاطِبَ أَهْلَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ عَامَّةً[4]، ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾، (اللهُ): مُشْتَقٌّ مِنَ الْأُلُوهِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ[5]، وَهِيَ الْعُبُودِيَّةُ، فَاللهُ

---

(١) قال ابن حجر في فتح الباري (٩/ ٦٢): "المراد بأنه كان يقرأ بالمعوذات، أيْ: السور الثلاث، وذكر سورة الإخلاص معهما تغليبًا لما اشتملت عليه من صفة الرب، وإن لم يصرح فيها بلفظ التعويذ. وقد أخرج أصحاب السنن الثلاثة أحمد وابن خزيمة وابن حبان من حديث عقبة بن عامر قال: قال لي رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، تعوذ بهن، فإنه لم يتعوذ بمثلهن، وفي لفظ: اقرأ المعوذات دبر كل صلاة. فذكرهن".

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٧٤١٧)، وأبو داود (١٥٢٣) واللفظ له، والنسائي (١٣٣٦)، وصححه ابن خزيمة (٧٥٥)، وابن حبان (٢٠٠٤)، والحاكم في المستدرك (٩٢٩) وقال: "صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه".

(٣) أخرجه النسائي (٥٤٣٠).

(٤) قال ابن عاشور في التحرير والتنوير (٣٠/ ٦١٢): "افتتاح هذه السورة بالأمر بالقول لإظهار العناية بما بعد فعل القول كما علمت ذلك عند قوله تعالى: {قل يا أيها الكافرون} [الكافرون: ١]، ولذلك الأمر في هذه السورة فائدة أخرى، وهي أنها نزلت على سبب قول المشركين: انسب لنا ربك، فكانت جوابا عن سؤالهم فلذلك قيل له: قل كما قال تعالى: {قل الروح من أمر ربي} [الإسراء: ٨٥]؛ فكان للأمر بفعل قل فائدتان".

(٥) معنى كونه مشتقًا أنه دال على صفة الألوهية كسائر أسمائه الحسنى، كالعليم والسميع والبصير ونحو ذلك. ينظر: بدائع الفوائد (ص٢٢).

مُشْتَقٌّ مِنْ (إِلَهٍ) بِمَعْنَى: مَأْلُوهٌ، أَيْ: الْمَعْبُودُ حُبًّا وَتَعْظِيمًا، وَهُوَ عَلَمٌ عَلَى الْإِلَهِ الْمُسْتَحِقِّ لِلْعِبَادَةِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[1].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «اللهُ ذُو الْإِلَهِيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ عَلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ»[2]. وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "إِذِ الْإِلَهُ هُوَ الَّذِي يُؤْلَهُ فَيُعْبَدُ مَحَبَّةً وَإِنَابَةً وَإِجْلَالًا وَإِكْرَامًا"[3]، وَقَالَ: "وَالْإِلَهُ مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُؤْلِهَهُ الْعِبَادُ، وَيَدْخُلُ فِيهِ حُبُّهُ وَخَوْفُهُ، فَمَا كَانَ مِنْ تَوَابِعِ الْأُلُوهِيَّةِ فَهُوَ حَقُّ اللهِ مَحْضٌ"[4].

قَوْلُهُ: ﴿أَحَدٌ﴾، أي: لَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَلَا صَاحِبَةَ، وَلَا وَلَدَ، وَلَا شَرِيكَ[5].

قَالَ فِي الْمَطْلَبِ الْحَمِيدِ: "﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص:١]، يَعْنِي: هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا وَزِيرَ وَلَا نِدَّ وَلَا شَبِيهَ وَلَا عَدِيلَ، وَلَا يُطْلَقُ هَذَا اللَّفْظُ فِي الْإِثْبَاتِ إِلَّا عَلَى اللهِ جَلَّ وَعَلَا؛ لِأَنَّهُ الْكَامِلُ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ"[6].

قَوْلُهُ: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾، فِي مَعْنَى: (الصَّمَدِ) قَوْلَانِ مَشْهُورَانِ:

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: السَّيِّدُ الَّذِي كَمُلَ فِي سُؤْدَدِهِ، وَلَيْسَ فَوْقَهُ أَحَدٌ، وَالْمَصْمُودُ إِلَيْهِ فِي قَضَاءِ الْحَوَائِجِ.

الْقَوْلُ الثَّانِي: الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ، وَلَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ، وَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ شَيْءٌ[7].

فَفِي التَّعْرِيفِ الْأَوَّلِ إِثْبَاتٌ لِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَفِي التَّعْرِيفِ الثَّانِي نَفْيٌ لِصِفَاتِ النَّقْصِ عَنْهُ جَلَّ وَعَلَا، فَتَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ تَعَالَى عَنْ صِفَاتِ خَلْقِهِ.

(١) ينظر: زاد المسير (١/ ١٦)، تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٧٨).
(٢) تفسير الطبري (١/ ١٢١).
(٣) مجموع الفتاوى (١/ ٣١).
(٤) مجموع الفتاوى (١/ ٧٦).
(٥) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٤٤).
(٦) المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد (ص٨١).
(٧) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٥٢٨)، ومجموع الفتاوى (٦/ ٧٢)، الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٢٦-١٠٢٧).

قولُهُ: ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ﴾، أَيْ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى لِكَمَالِ غِنَاهُ لَمْ يَصْدُرْ عَنْهُ وَلَدٌ، وَلَمْ يَصْدُرْ هُوَ عَنْ شَيْءٍ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا يُجَانِسُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَفْتَقِرُ إِلَى شَيْءٍ، وَلَا يَسْبِقُهُ عَدَمٌ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [سورة الأنعام:١٠١]؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ أَحَدٌ أَوْ لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، إِنَّهُمْ لَيَدَّعُونَ لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»[(١)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «قَالَ اللهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُؤًا أَحَدٌ»[(٢)(٣)].

قولُهُ: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾، أَيْ: وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يُكَافِئُهُ أَوْ يُمَاثِلُهُ مِن صَاحِبَةٍ أَوْ غَيْرِهَا، لَا فِي أَسْمَائِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ[(٤)].

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

فِي آيَاتِ هَذِهِ السُّورَةِ الْعَظِيمَةِ نَسْتَلْهِمُ فَوَائِدَ جَمَّةً، مِنْهَا:

تَجَلِّي الْوَحْدَانِيَّةِ وَالصَّمَدِيَّةِ:

هَذِهِ السُّورَةُ مِنْ أَعْظَمِ سُوَرِ الْقُرْآنِ شَأْنًا وَأَجَلِّهَا مَعْنًى؛ لِأَنَّهَا تَصِفُ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ الصَّمَدَ سُبْحَانَهُ، الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا شَبِيهَ وَلَا مَثِيلَ، وَهُوَ الصَّمَدُ الَّذِي تَقْصِدُهُ الْخَلَائِقُ فِي

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٩).
(٢) أخرجه البخاري (٤٩٧٤).
(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٥٢٩).
(٤) ينظر: تفسير الماوردي (٦/ ٣٧٢).

حَاجَاتِهَا، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ؛ وَلِهَذَا هِيَ السُّورَةُ الَّتِي أَخْلَصَهَا اللهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ، فَلَيْسَ فِيهَا إِلَّا الْكَلَامُ عَنْ وَحْدَانِيَّتِهِ وَصِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

شَرَفُ الْإِخْلَاصِ:

فِي هَذِهِ السُّورَةِ: "دَلِيلٌ عَلَى شَرَفِ التَّوْحِيدِ، كَيْفَ لَا وَالْعِلْمُ يَشْرُفُ بِشَرَفِ الْمَعْلُومِ، وَمَعْلُومُ هَذَا الْعِلْمِ هُوَ اللهُ وَصِفَاتُهُ، وَمَا يَجُوزُ عَلَيْهِ وَمَا لَا يَجُوزُ، فَمَا ظَنُّكَ بِشَرَفِ مَنْزِلَتِهِ وَجَلَالَةِ مَحَلِّهِ"[1]؛ وَلِهَذَا سُمِّيَتْ بِسُورَةِ الْإِخْلَاصِ لِأَنَّهَا أَخْلَصَتْ فِي صِفَةِ الرَّحْمَنِ، وَلِأَنَّهَا تُخْلِصُ قَارِئَهَا مِنَ الشِّرْكِ الْعِلْمِيِّ الِاعْتِقَادِيِّ.

قَالَ الْعِزُّ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَسُمِّيَتْ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ لِأَنَّ قِرَاءَتَهَا خَلَاصٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ، أَوْ لِأَنَّ فِيهَا إِخْلَاصَ اللهِ تَعَالَى مِنْ شَرِيكٍ وَوَلَدٍ، أَوْ لِأَنَّهَا خَالِصَةٌ للهِ تَعَالَى لَيْسَ فِيهَا أَمْرٌ وَلَا نَهْيٌ"[2].

كَمَالُ صِفَاتِ اللهِ وَأَسْمَائِهِ:

هَذِهِ السُّورَةُ مِنْ أَقْوَى أَدِلَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَعَقِيدَتُهُمْ هِيَ إِثْبَاتُ مَا أَثْبَتَهُ اللهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فِي كِتَابِهِ أَوْ أَثْبَتَهُ لَهُ نَبِيُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ.

وَإِقْرَارُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَوْلِ الرَّجُلِ إِنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ دَلِيلٌ عَلَى إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ لِمَنْ أَنْكَرَهَا وَعَطَّلَهَا، سَوَاءٌ كَانَ تَعْطِيلُهُ كُلِّيًّا كَالْجَهْمِيَّةِ أَوْ جُزْئِيًّا كَالْأَشَاعِرَةِ.

وَقَدِ احْتَجَّ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخْبِرُوهُ»؛ فَثَبَتَ بِهَذِهِ النُّصُوصِ أَنَّ الْكَلَامَ الَّذِي يُخْبَرُ بِهِ عَنِ اللهِ صِفَةٌ لَهُ، وَعَلَّلَ ذَلِكَ بِأَنَّ الْوَصْفَ هُوَ الْإِظْهَارُ وَالْبَيَانُ لِلْبَصَرِ أَوِ السَّمْعِ، كَمَا يَقُولُ الْفُقَهَاءُ: ثَوْبٌ يَصِفُ الْبَشَرَةَ أَوْ لَا يَصِفُ الْبَشَرَةَ، كَمَا

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١/ ٣٠٦).
(٢) تفسير العز بن عبد السلام (٣/ ٥٠٧).

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾، وَقَالَ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الصافات: ١٨٠](١).

اجْتِمَاعُ أُصُولِ التَّوْحِيدِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ:

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ مِنْ كَمَالِ التَّوْحِيدِ الْعِلْمِيِّ الِاعْتِقَادِيِّ، وَإِثْبَاتِ الْأَحَدِيَّةِ للهِ، الْمُسْتَلْزِمَةِ نَفْيَ كُلِّ شَرِكَةٍ عَنْهُ، وَإِثْبَاتِ الصَّمَدِيَّةِ الْمُسْتَلْزِمَةِ لِإِثْبَاتِ كُلِّ كَمَالٍ لَهُ، مَعَ كَوْنِ الْخَلَائِقِ تَصْمُدُ إِلَيْهِ فِي حَوَائِجِهَا، أَيْ: تَقْصِدُهُ الْخَلِيقَةُ وَتَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ، عُلْوِيُّهَا وَسُفْلِيُّهَا، وَنَفْيِ الْوَالِدِ وَالْوَلَدِ وَالْكُفْءِ عَنْهُ الْمُتَضَمِّنِ لِنَفْيِ الْأَصْلِ وَالْفَرْعِ وَالنَّظِيرِ وَالْمُمَاثِلِ، مِمَّا اخْتَصَّتْ بِهِ وَصَارَتْ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، فَفِي اسْمِهِ الصَّمَدِ: إِثْبَاتُ كُلِّ الْكَمَالِ، وَفِي نَفْيِ الْكُفْءِ: التَّنْزِيهُ عَنِ التَّشْبِيهِ وَالْمِثَالِ، وَفِي الْأَحَدِ: نَفْيُ كُلِّ شَرِيكٍ لِذِي الْجَلَالِ، وَهَذِهِ الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ هِيَ مَجَامِعُ التَّوْحِيدِ"(٢).

تَضَمُّنُ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ لِأَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ الثَّلَاثَةِ:

سُورَةُ التَّوْحِيدِ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ الثَّلَاثَةِ: تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وبيانه كما يلي:

فَقَوْلُهُ: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾: تَوْحِيدٌ لِلْأُلُوهِيَّةِ، فَاللهُ هُوَ الْإِلَهُ الْوَاحِدُ الْمَعْبُودُ حَقًّا، الَّذِي لَا يُعْبَدُ أَحَدٌ سِوَاهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾: تَوْحِيدٌ لِلرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوْحِيدٌ لِلْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، فَاللهُ ﷻ هُوَ الْكَامِلُ فِي صِفَاتِهِ الَّذِي تَصْمُدُ إِلَيْهِ جَمِيعُ مَخْلُوقَاتِهِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الرَّبُّ الْوَاحِدُ الَّذِي يَقْصِدُهُ الْخَلَائِقُ فِي حَوَائِجِهِمْ وَمَسَائِلِهِمْ. قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "فَإِنَّ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، إِذْ كَانَ الْقُرْآنُ بِاعْتِبَارِ مَعَانِيهِ ثَلَاثَ أَثْلَاثٍ: ثُلُثُ تَوْحِيدٍ، وَثُلُثُ قَصَصٍ، وَثُلُثُ أَمْرٍ وَنَهْيٍ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ، وَالْكَلَامُ: إِمَّا إِنْشَاءٌ، وَإِمَّا إِخْبَارٌ، وَالْإِخْبَارُ: إِمَّا عَنِ

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٤٠).

(٢) الطب النبوي لابن القيم (ص: ١٣٤)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الْخَالِقِ، وَإِمَّا عَنِ الْمَخْلُوقِ، وَالْإِنْشَاءُ: أَمْرٌ وَنَهْيٌ وَإِبَاحَةٌ. فَـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: فِيهَا ثُلُثُ التَّوْحِيدِ، الَّذِي هُوَ خَبَرٌ عَنِ الْخَالِقِ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»[1]، وَعَدْلُ الشَّيْءِ -بِالْفَتْحِ- يَكُونُ: مَا سِوَاهُ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ [سورة المائدة:٩٥]، وَذَلِكَ يَقْتَضِي أَنَّ لَهُ مِنَ الثَّوَابِ مَا يُسَاوِي الثُّلُثَ فِي الْقَدْرِ، وَلَا يَكُونُ مِثْلَهُ فِي الصِّفَةِ، كَمَنْ مَعَهُ أَلْفُ دِينَارٍ وَآخَرُ مَعَهُ مَا يَعْدِلُهَا مِنَ الْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ وَغَيْرِهِمَا؛ وَلِهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى سَائِرِ الْقُرْآنِ، وَلَا تُغْنِي عَنْهُ هَذِهِ السُّورَةُ مُطْلَقًا، كَمَا يَحْتَاجُ مَنْ مَعَهُ نَوْعٌ مِنَ الْمَالِ إِلَى سَائِرِ الْأَنْوَاعِ، إِذْ كَانَ الْعَبْدُ مُحْتَاجًا إِلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْقَصَصِ.

وَسُورَةُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: فِيهَا التَّوْحِيدُ الْقَوْلِيُّ العملي، الَّذِي تَدُلُّ عَلَيْهِ الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [سورة الإخلاص:١-٢]"[2].

إِثْبَاتُ صِفَةِ الْكَلَامِ لله:

فِي هَذِهِ السُّورَةِ إِثْبَاتُ صِفَةِ الْكَلَامِ لِلهِ تَعَالَى عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿قُلْ﴾، وَلَوْ كَانَ كَلَامَ مُحَمَّدٍ أَوْ جِبْرِيلَ لَمْ يَقُلْ: ﴿قُلْ﴾. قَالَ الْبُخَارِي: قَالَ أَبُو الْوَلِيدِ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ وَذُكِرَ لَهُ أَنَّ قَوْمًا يَقُولُونَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَقَالَ: كَيْفَ يَصْنَعُونَ بِـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾؟[3].

وَظِيفَةُ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِيَ الْبَلَاغُ:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣٩٣-٣٩٤).

(٣) ينظر: الفتاوى الكبرى (٥/ ٣٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُبَلِّغٌ عَنِ اللهِ تَعَالَى؛ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى لَهُ: ﴿قُلْ﴾، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَنَظِيرُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص:١]؛ فَهُوَ تَوْحِيدٌ مِنْهُ لِنَفْسِهِ وَأَمْرٌ لِلْمُخَاطَبِ بِتَوْحِيدِهِ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص:١] كَانَ قَدْ وَحَّدَ اللهَ بِمَا وَحَّدَ بِهِ نَفْسَهُ، وَأَتَى بِلَفْظَةِ (قُلْ) تَحْقِيقًا لِهَذَا الْمَعْنَى، وَأَنَّهُ مُبَلِّغٌ مَحْضٌ قَائِلٌ لِمَا أُمِرَ بِقَوْلِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَهَذَا بِخِلَافِ قَوْلِهِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [سورة الفلق:١]، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة الناس:١]، فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ مَحْضٌ بِإِنْشَاءِ الِاسْتِعَاذَةِ لَا تَبْلِيغٌ لِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة الناس:١]، فَإِنَّ اللهَ لَا يَسْتَعِيذُ مِنْ أَحَدٍ، وَذَلِكَ عَلَيْهِ مُحَالٌ، بِخِلَافِ قَولِهِ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص:١]؛ فَإِنَّهُ خَبَرٌ عَنْ تَوْحِيدِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُخْبِرُ عَنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، فَتَأَمَّلْ هَذِهِ النُّكْتَةَ الْبَدِيعَةَ -وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ-"[١].

دَلَالَةُ اسْمِ اللهِ الْجَامِعِ (اللهُ):

اِسْمُ (اللهِ) هُوَ الاِسْمُ الْجَامِعُ، الَّذِي يَدُلُّ عَلَى جَمِيعِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ تَعَالَى:

- فَهَذَا الاِسْمُ لَمْ يُطْلَقْ عَلَى أَحَدٍ غَيْرِ اللهِ تَعَالَى.
- وَهُوَ الاِسْمُ الْأَعْظَمُ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "قَوْلُهُ: (اللهُ) هَذَا الاِسْمُ أَكْبَرُ أَسْمَائِهِ سُبْحَانَهُ وَأَجْمَعُهَا، حَتَّى قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنَّهُ اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ، وَلَمْ يَتَسَمَّ بِهِ غَيْرُهُ؛ لِذَلِكَ لَمْ يُثَنَّ وَلَمْ يُجْمَعْ، وَهُوَ أَحَدُ تَأْوِيلَيْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [سورة مريم:٦٥]، أَيْ: مَنْ تَسَمَّى بِاسْمِهِ الَّذِي هُوَ (اللهُ)، فَاللهُ اسْمٌ لِلْمَوْجُودِ الْحَقِّ الْجَامِعِ لِصِفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، الْمَنْعُوتِ بِنُعُوتِ الرُّبُوبِيَّةِ، الْمُنْفَرِدِ بِالْوُجُودِ الْحَقِيقِيِّ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ"[٢].

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ١٧٢).

(٢) تفسير القرطبي (١/ ١٠٢).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "اِسْمُ (اللهِ): دَالٌّ عَلَى جَمِيعِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتِ الْعُلْيَا بِالدَّلَالَاتِ الثَّلَاثِ"، وَيَقْصِدُ بِالدَّلَالَاتِ الثَّلَاثِ: الْمُطَابَقَةَ وَالتَّضَمُّنَ وَاللُّزُومَ.

دَلَالَاتُ اسْمِ اللهِ (الْأَحَدُ):

مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَى: الْأَحَدُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَحَدٌ﴾، وَلَا يُطْلَقُ مُنَكَّرًا، وَلَا يُطْلَقُ فِي الْإِثْبَاتِ إِلَّا عَلَى اللهِ تَعَالَى وَحْدَهُ.

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَ(أَحَدُ) اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ يُسَمَّى اللهُ بِهِ، وَلَا يُسَمَّى غَيْرُهُ مِنَ الْأَعْيَانِ بِهِ، فَلَا يُسَمَّى شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَحَدًا فِي الْإِثْبَاتِ إِلَّا فِي الْأَعْدَادِ الْمُطْلَقَةِ، وَإِنَّمَا يُسَمَّى بِهِ فِي النَّفْيِ، وَمَا أَشْبَهَهُ مِنَ الاسْتِفْهَامِ وَالنَّهْيِ وَالشَّرْطِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص:٤]، وَقَوْلِهِ: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [سورة مريم:٩٨]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن:١٨]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ [سورة التوبة:٦] وَنَحْوِهِ"(١).

وَقَوْلُ بَعْضِ النَّاسِ: (جَاءَنِي أَحَدُ الْأَشْخَاصِ) خَطَأٌ، هَذَا فِي الْإِثْبَاتِ، وَأَمَّا فِي النَّفْيِ أَوِ الاسْتِفْهَامِ أَوِ الشَّرْطِ فَيَصِحُّ؛ فَلَكَ أَنْ تَقُولَ مَثَلًا: (مَا جَاءَنِي أَحَدٌ).

قَالَ الْعِزُّ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿أَحَدٌ﴾ الْأَحَدُ الْمُنْفَرِدُ بِصِفَاتِهِ، فَلَا شِبْهَ لَهُ وَلَا مِثْلَ، تَقْدِيرُهُ: الْأَحَدُ، فَحُذِفَتِ الْأَلِفُ وَاللَّامُ، أو لَيْسَ بِنَكِرَةٍ، وَإِنَّمَا هُوَ بَيَانٌ وَتَرْجَمَةٌ، قَالَ الْمُبَرِّدُ: الْأَحَدُ وَالْوَاحِدُ سَوَاءٌ أَوِ الْأَحَدُ الَّذِي لَا يَدْخُلُ فِي الْعَدَدِ، وَالْوَاحِدُ يَدْخُلُ فِي الْعَدَدِ؛ لِأَنَّكَ تَقُولُ لِلْوَاحِدِ: ثَانِيًا، أَوِ الْأَحَدُ يَسْتَوْعِبُ جِنْسَهُ، وَالْوَاحِدُ لَا يَسْتَوْعِبُهُ؛ لِأَنَّكَ لَوْ قُلْتَ: فُلَانٌ لَا يُقَاوِمُهُ أَحَدٌ لَمْ يَجُزْ أَنْ يُقَاوِمَهُ اثْنَانِ وَلَا أَكْثَرُ، فَالْأَحَدُ أَبْلَغُ مِنَ الْوَاحِدِ"(٢).

دَلَالَاتُ اسْمِ اللهِ (الصَّمَدُ):

---

(١) تفسير ابن رجب (٢/ ٦٦٤).

(٢) تفسير العز بن عبد السلام (٣/ ٥٠٧).

الصَّمَدُ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَى، وَإِذَا تَبَيَّنَ مَعْنَى (الصَّمَدِ)، وَأَنَّ اللهَ هُوَ وَحْدَهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلُّجُوءِ وَالاِسْتِعَانَةِ، وَهُوَ الَّذِي يُقْصَدُ فِي قَضَاءِ الْحَوائِجِ، فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ لَا يُعَلِّقَ قَلْبَهُ إِلَّا بِالله، فَلاَ يَدْعُو غَيْرَهُ وَلاَ يَرْجُو سِوَاهُ؛ لِأَنَّهُ تَعالى الْغَنِيُّ الَّذِي كَمُلَ فِي غِنَاهُ وَشَرَفِهِ وَسُؤْدُدِهِ، فَصَمَدَ لِحَوائِجِ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا، وَهُوَ الْقَائِلُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [سورة البقرة:١٨٦].

قَالَ ابْنُ عَاشُورٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَالصَّمَدُ: مِنْ صِفَاتِ اللهِ، وَاللهُ هُوَ الصَّمَدُ الْحَقُّ الْكَامِلُ الصَّمَدِيَّةِ عَلَى وَجْهِ الْعُمُومِ، فَالصَّمَدُ مِنَ الْأَسْمَاءِ التِّسْعَةِ وَالتِّسْعِينَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ، وَمَعْنَاهُ: الْمُفْتَقِرُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا عَدَاهُ، فَالْمَعْدُومُ مُفْتَقِرٌ وُجُودُهُ إِلَيْهِ، وَالْمَوْجُودُ مُفْتَقِرٌ فِي شُؤُونِهِ إِلَيْهِ...، وَصِيغَةُ (اللهُ الصَّمَدُ): صِيغَةُ قَصْرٍ بِسَبَبِ تَعْرِيفِ الْمُسْنَدِ، فَتُفِيدُ قَصْرَ صِفَةِ الصَّمَدِيَّةِ عَلَى اللهِ تَعَالَى، وَهُوَ قَصْرُ قَلْبٍ، لِإِبْطَالِ مَا تَعَوَّدَهُ أَهْلُ الشِّرْكِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ دُعَائِهِمْ أَصْنَامَهُمْ فِي حَوَائِجِهِمْ، وَالْفَزَعِ إِلَيْهَا فِي نَوَائِبِهِمْ حَتَّى نَسُوا اللهَ"[١].

نَفْيُ الْوَلَدِ عَنِ الله:

اللهُ تَعَالَى لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَا وَالِدَ، فَلَيْسَ هُوَ بِأَبٍ لِأَحَدٍ، وَلَا ابْنٍ لِأَحَدٍ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَيْسَ هُوَ مِمَّنْ يُولَدُ فَيَفْنَى، وَلَا هُوَ بِمُحْدَثٍ لَمْ يَكُنْ فَكَانَ، تَعَالَى وَتَقَدَّسَ.

وَإِنَّمَا قَالَ: (لم يلد) أَوَّلًا قَبْلَ (لم يولد) لِأَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ نَسَبَ لَهُ الْوَلَدَ، فَكَذَّبَ إِفْكَهُمْ، وَرَدَّ بُهْتَانَهُمْ، وَقَطَعَ عَلَيْهِمْ طُرُقَ افْتِرَائِهِمْ؛ فَقَالَ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [سورة الإخلاص:٣]، وَهَذَا مِثْلُ: قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٠٠ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ

(١) التحرير والتنوير(٣٠/ ٦١٧-٦١٨). وينظر: تفسير ابن جزي (٢/ ٥٢٤).

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ﴾ [سورة الأنعام:١٠٠-١٠٢].

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [سورة مريم:٨٨-٩٥].

فَاللهُ تَعَالَى هُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقُهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ نَظِيرٌ يُسَامِيهِ، أَوْ قَرِيبٌ يُدَانِيهِ - تَعَالَى وَتَقَدَّسَ؟

قَالَ الشَّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "تَنْبِيهٌ: فَفِي اتِّخَاذِ الْوَلَدِ لَا يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ الْوِلَادَةِ؛ لِأَنَّ اتِّخَاذَ الْوَلَدِ قَدْ يَكُونُ بِدُونِ وِلَادَةٍ كَالتَّبَنِّي أَوْ غَيْرِهِ، كَمَا فِي قِصَّةِ يُوسُفَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى عَنْ عَزِيزِ مِصْرَ: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ﴾ [سورة يوسف:٢١]، فَفِي هَذِهِ السُّورَةِ نَفْيٌ أَخَصُّ، فَلَزِمَ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ وَهِيَ سُورَةُ الْإِخْلَاصِ، وَالَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ لِاخْتِصَاصِهَا بِحَقِّ اللهِ تَعَالَى فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ مِنَ الْوَحْدَانِيَّةِ وَالصَّمَدِيَّةِ، وَنَفْيِ الْوِلَادَةِ وَالْوَلَدِ، وَنَفْيِ الْكُفْءِ، وَكُلُّهَا صِفَاتُ انْفِرَادٍ للهِ سُبْحَانَهُ.

وَقَدْ جَاءَ فِيهَا النَّصُّ الصَّرِيحُ بِعَدَمِ الْوِلَادَةِ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، فَهِيَ أَخَصُّ مِنْ تِلْكَ، وَهَذَا مِنَ الْمُسَلَّمَاتِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا بِدُونِ شَكٍّ وَلَا نِزَاعٍ، وَلَمْ يُؤْثَرْ فِيهَا أَيُّ خِلَافٍ. وَلَكِنْ غَيْرُ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُسَلِّمُوا بِذَلِكَ، فَالْيَهُودُ قَالُوا: عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ، وَالنَّصَارَى قَالُوا: الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، وَالْمُشْرِكُونَ قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ، فَاتَّفَقُوا عَلَى ادِّعَاءِ الْوَلَدِ للهِ، وَلَمْ يَدَّعِ أَحَدٌ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ مَوْلُودٌ، وَقَدْ جَاءَتِ النُّصُوصُ الصَّرِيحَةُ فِي نَفْيِ

الْوَلَدِ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، إِلَّا أَنَّ مُجَرَّدَ النَّصِ الَّذِي لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ الْخَصْمُ لَا يَكْفِي لِإِقْنَاعِهِ، وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ وَهِيَ الْمُخْتَصَّةُ بِصِفَاتِ اللهِ لَمْ يَأْتِ التَّنْوِيهُ فِيهَا عَنِ الْمَانِعِ مِنِ اتِّخَاذِ اللهِ لِلْوَلَدِ، وَمِنْ كَوْنِهِ سُبْحَانَهُ لَمْ يُولَدْ"(١).

لَا فَنَاءَ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى:

فِيْ هَذِهِ السُّوْرَة: أَنَّ الله تَعَالَى لَا يَفْنَى؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾، إِذْ لَا شَيْءَ يَلِدُ إِلَّا وَهُوَ فَانٍ بَائِدٌ لَا مَحَالَةَ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الرحمن:٢٦-٢٧]، وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، وَهُوَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة الحديد:٣](٢).

الْجَمْعُ بَيْنَ الْإِثْبَاتِ وَالنَّفْيِ:

فِيْ هَذِهِ السُّورَةُ: الْجَمْعُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، كَمَا قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: "وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ"(٣)، أَيْ: إِثْبَاتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَنَفْيِ التَّشْبِيهِ وَالْمِثَالِ.

وَمَعَانِي التَّنْزِيهِ تَرْجِعُ إِلَى هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ، وَهَذَا عَكْسُ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْبِدَعِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ "يَنْفُونَ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَيُثْبِتُونَ مَا لَا يُوجَدُ إِلَّا فِي الْخَيَالِ"(٤).

الرَّدُّ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ.

هَذِهِ السُّورَةُ الْعَظِيمَةُ تَضَمَّنَتِ الرَّدَّ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ، وَهِيَ حُجَّةُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، كَمَا قَالَ السُّيُوطِيُّ: "سُورَةُ الْإِخْلَاصِ فِيهَا الرَّدُّ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى

---

(١) أضواء البيان (٩/ ١٥١).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٧٣٧).

(٣) العقيدة الواسطية (ص٦٠).

(٤) منهاج السنة النبوية (٢/ ١٨٧).

وَالْمَجُوسِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُجَسِّمَةِ وَالْمُشَبِّهَةِ وَالْحُلُولِيَّةِ وَالاتِّحَادِيَّةِ وَجَمِيعِ الْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ"(١).

وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا: مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَبِّهِ: «كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا، وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ»(٢).

كَمَالُ غِنَى اللهِ عَنْ خَلْقِهِ:

فِي هَذِهِ السُّورَةِ: دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى كَمَالِ غِنَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَفَقْرِ الْخَلَائِقِ إِلَيْهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾، "فَالصَّمَدُ هُوَ الَّذِي تَصْمُدُ إِلَيْهِ الْخَلَائِقُ بِحَوَائِجِهَا، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْ كُلِّ مَنْ سِوَاهُ، الْمُفْتَقِرُ إِلَيْهِ كُلُّ مَنْ عَدَاهُ، فَلِكَمَالِ غِنَاهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى الْوَالِدِ وَالوَلَدِ، وَلِكَوْنِهِ وَاحِدًا أَحَدًا لَا يَكُونُ أَحَدٌ لَهُ مِثْلًا وَنَظِيرًا"(٣).

الْحَثُّ عَلَى طَلَبِ الرِّزْقِ:

وَفِي اسْمِ اللهِ (الصَّمَدُ): حَثٌّ عَلَى طَلَبِ الرِّزْقِ مِنَ اللهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي تَصْمُدُ إِلَيْهِ الْخَلَائِقُ فِي حَوَائِجِهِمْ وَمَسَائِلِهِمْ. قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَالصَّمَدُ وَهُوَ الَّذِي تَقْصِدُهُ الْخَلَائِقُ كُلُّهَا فِي جَمِيعِ حَاجَاتِهَا وَأَحْوَالِهَا وَضَرُورَاتِهَا؛ لِمَا لَهُ مِنَ الْكَمَالِ الْمُطْلَقِ فِي ذَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ"(٤).

نَفْيُ الشَّبِيهِ وَالْمُمَاثِلِ عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص:٤]: التَّنْبِيهُ إِلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَيْسَ لَهُ مُكَافِئٌ، وَلَا شَبِيهٌ، وَلا مَثِيلٌ، وَلَا نَظِيرٌ فِي أُلُوهِيَّتِهِ وَأَحَدِيَّتِهِ وَصَمَدِيَّتِهِ وَتَفَرُّدِهِ

---

(١) الإكليل (ص٣٠٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) قطف الجني الداني (ص٦٣). وينظر: تفسير السعدي (ص٩٣٧).

(٤) تفسير السعدي (ص٩٤٥). وينظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٢٢٩).

في أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [سورة مريم:٦٥]، وَقَالَ تعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى:١١].

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [سورة الإخلاص:١-٤]؛ فَبَيَّنَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ كُفُوًا لَهُ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [سورة مريم:٦٥]، فَأَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ لَهُ سَمِيٌّ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [سورة البقرة:٢٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ﴾ [سورة النحل:٧٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ [سورة الشورى:١١]، فَفِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ مِنْ تَنْزِيهِهِ عَنِ الْكُفْؤِ وَالسَّمِيِّ وَالْمِثْلِ وَالنِّدِّ وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ لَهُ بَيَانُ أَنْ لَا مِثْلَ لَهُ فِي صِفَاتِهِ وَلَا أَفْعَالِهِ"(١).

الْحِكْمَةُ مِنْ تَخْصِيصِ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ بِنَفْيِ الْوَلَدِ عَنِ اللهِ:

قَالَ الرَّازِيُّ: "إِنَّ هَذِهِ السُّورَةَ فِي حَقِّ اللهِ مِثْلُ سُورَةِ الْكَوْثَرِ فِي حَقِّ الرَّسُولِ، لَكِنِ الطَّعْنُ فِي حَقِّ الرَّسُولِ كَانَ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّهُ أَبْتَرُ لَا وَلَدَ لَهُ، وَهَا هُنَا الطَّعْنُ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ أَثْبَتُوا للهِ وَلَدًا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ عَدَمَ الْوَلَدِ فِي حَقِّ الْإِنْسَانِ عَيْبٌ، وَوُجُودُ الْوَلَدِ عَيْبٌ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى؛ فَلِهَذَا السَّبَبِ قَالَ هَاهُنَا: ﴿قُلْ﴾ حَتَّى تَكُونَ ذَابًّا عَنِّي، وَفِي سُورَةِ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾، أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ الْكَلَامَ حَتَّى أَكُونَ أَنَا ذَابًّا عَنْكَ -وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ-"(٢).

❁❁❁

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٣٢٥).

(٢) تفسير الرازي (٣٢/ ٣٦٦).

سُورَةُ الفَلَق

سُورَةُ (الفَلَقِ): سُورَةُ مُخْتَلَفٌ فِيها هَلْ هِيَ مَكِّيَّةٌ أَمْ مَدَنِيَّةٌ[1]، وَآيُها خَمْسُ آياتٍ.

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمَائِهَا: سُورَةُ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ)، وَسُورَةُ (الْمُعَوِّذَةُ الْأُولَى)، وَسُورَةُ (الْفَلَقِ)[2].

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

اِحْتَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى مَقَاصِدَ عَظِيمَةٍ، مِنْ أَهَمِّهَا[3]:

- ✓ الِاعْتِصَامُ مِنْ شَرِّ كُلِّ مَا انْفَلَقَ عَنْهُ الْخَلْقُ الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ.
- ✓ تَعْلِيمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ لِلتَّعَوُّذِ بِاللهِ مِنْ شَرِّ مَا يُتَّقَى شَرُّهُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الشِّرِّيرَةِ، وَالْأَوْقَاتِ الَّتِي يَكْثُرُ فِيهَا حُدُوثُ الشَّرِ.

مِنْ فَضَائِلِ سُورَتَيْ (الْفَلَقِ وَالنَّاسِ) مَعًا:

جَاءَتْ أَحَادِيثُ خَاصَّةٌ فِي فَضْلِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ (الْفَلَقِ وَالنَّاسِ)، وَلَمْ يَفْتَرِقَا فِي الْأَحَادِيثِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

أولًا: أَنَّهُ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ؛ لِحَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»[4].

ثانيًا: أَنَّهَا أَفْضَلُ مَا تَعَوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ؛ لِحَدِيثِ ابْنِ عَابِسٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «يَا ابنَ عَابِسٍ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مَا تَعَوَّذَ بِهِ

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٥٣٨).
(٢) ينظر: التحرير والتنوير(٣٠/ ٦٢٣).
(٣) ينظر: مصاعد النظر (٣/ ٢٩٨)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٢٥).
(٤) أخرجه مسلم (٨١٤).

الْمُتَعَوِّذُونَ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ»[١].

ثالثًا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَعَوَّذُ بِهِنَّ؛ لِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنَ الجَانِّ وَعَيْنِ الإِنْسَانِ؛ حَتَّى نَزَلَتِ الْمُعَوِّذَتَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتَا أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا»[٢].

رابعًا: أَنَّهُ مَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا؛ لِحَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْجُحْفَةِ وَالْأَبْوَاءِ، إِذْ غَشِيَتْنَا رِيحٌ وَظُلْمَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ بِـ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، وَ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، وَيَقُولُ: يَا عُقْبَةُ، تَعَوَّذْ بِهِمَا، فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا، قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَؤُمُّنَا بِهِمَا فِي الصَّلَاةِ»[٣].

خامسًا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَى قَرَأَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ، كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا»[٤].

وَقَدْ سُمِّيَتِ السُّورَتَانِ بِهَذَا الاِسْمِ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَتَعَوَّذُ بِهِمَا مِنْ جَمِيعِ شُرُورِ الخَلْقِ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ نُزُولِهِمَا لَمْ يَتَعَوَّذْ بِغَيْرِهِمَا كَمَا تَقَدَّمَ.

فَفِيهِمَا تَعْلِيمٌ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَلْتَجِئَ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَيَحْتَمِيَ بِهِ، وَيَسْتَعِيذَ بِجَلَالِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ مِنْ شَرِّ مَخْلُوقَاتِهِ. قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَالْمَقْصُودُ: الْكَلَامُ عَلَى هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ، وَبَيَانُ عَظِيمِ مَنْفَعَتِهِمَا، وَشِدَّةُ الْحَاجَةِ بَلِ الضَّرُورَةِ إِلَيْهِمَا، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي عَنْهُمَا أَحَدٌ قَطُّ، وَأَنَّ لَهُمَا تَأْثِيرًا خَاصًّا فِي دَفْعِ السِّحْرِ وَالْعَيْنِ وَسَائِرِ الشُّرُورِ، وَأَنَّ حَاجَةَ

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٣٨٩) واللفظ له، والنسائي (٥٤٣٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٥٨) واللفظ له، وقال: "حديث حسن غريب"، والنسائي (٥٤٩٤)، وابن ماجه (٣٥١١).

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٦٣).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠١٦).

الْعَبْدِ إِلَى الِاسْتِعَاذَةِ بِهَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ أَعْظَمُ مِنْ حَاجَتِهِ إِلَى النَّفَسِ والطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَاللِّبَاسِ"(١).

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿قُلْ﴾، أَيُّهَا الرَّسُولُ، ﴿أَعُوذُ﴾، أي: أَعْتَصِمُ، وَأَلْتَجِئُ وَأَسْتَجِيرُ، ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، أي: الصُّبْحِ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [سورة الأنعام:٩٦](٢)، "وَتَخْصِيصُهُ لِمَا فِيهِ مِنْ تَغَيُّرِ الْحَالِ، وَتَبَدُّلِ وَحْشَةِ اللَّيْلِ بِسُرُورِ النُّورِ، وَمُحاكَاةِ فَاتِحَةِ يَوْمِ الْقِيامَةِ، وَالْإِشْعَارِ بِأَنَّ مَنْ قَدَرَ أَنْ يُزِيلَ بِهِ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ عَنْ هَذَا الْعَالَمِ قَدَرَ أَنْ يُزِيلَ عَنِ الْعَائِذِ بِهِ مَا يَخافُهُ، وَلَفْظُ الرَّبِّ هُنَا أَوْقَعُ مِنْ سَائِرِ أَسْمائِهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّ الْإِعَاذَةَ مِنَ الْمَضَارِّ تَرْبِيَةٌ"(٣).

قَوْلُهُ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، أَيْ: مِنْ شَرِّ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالدَّوَابِّ وَالْهَوَامِّ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ مُؤْذٍ خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَى(٤).

قَوْلُهُ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾، أَيْ: مِنَ اللَّيْلِ إِذَا اشْتَدَّ ظَلَامُهُ(٥)، وَتَخْصِيصُهُ لِأَنَّ اللَّيْلَ إِذَا أَقْبَلَ انْبَعَثَتِ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ وَانْتَشَرَتْ(٦).

قَوْلُهُ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ﴾، أي: وَمِنْ شَرِّ النُّفُوسِ أَوِ النِّساءِ السَّوَاحِرِ اللَّاتِي يَعْقِدْنَ عُقَدًا فِي خُيُوطٍ وَيَنْفُثْنَ عَلَيْهَا(٧).

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ١٩٩).
(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٧٤٤)، تفسير البغوي (٨/ ٥٩٥).
(٣) تفسير البيضاوي (٥/ ٣٤٨).
(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٥٣٥).
(٥) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٢٧).
(٦) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٤٨).
(٧) ينظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٣٤٨).

قَوْلُهُ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ﴾، أي: مَنْ يَتَمَنَّى زَوَالَ النِّعْمَةِ عَنْ غَيْرِهِ[1]، ﴿إِذَا حَسَدَ﴾، أي: أَظْهَرَ حَسَدَهُ، وَعَمِلَ بِمُقْتَضاهُ[2].

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

حُرْمَةُ الاسْتِعَاذَةِ بِغَيْرِ اللهِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [سورة الفلق:١]: أَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ لَا تَجُوزُ إِلَّا بِاللهِ تَعَالَى، وَقَدْ قَالَ اللهُ فِي كِتَابِهِ عَمَّنِ اسْتَعَاذَ بِخَلْقِهِ أَنَّ اسْتِعَاذَتَهُ زَادَتْهُ رَهَقًا: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [سورة الجن:٦][3].

قَالَ السُّدِّيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "كَانَ الرَّجُلُ يَخْرُجُ بِأَهْلِهِ فَيَأْتِي الْأَرْضَ فَيَنْزِلُهَا فَيَقُولُ: أَعُوذُ بِسَيِّدِ هَذَا الْوَادِي مِنَ الْجِنِّ أَنْ أُضَرَّ أَنَا فِيهِ أَوْ مَالِيْ أَوْ وَلَدِي أَوْ مَاشِيَتِي، قَالَ: فَإِذَا عَاذَ بِهِمْ مِنْ دُوْنِ اللهِ رَهِقَتْهُمُ الْجِنُّ الْأَذَى عِنْدَ ذَلِكَ"[4]، أَيْ: طُغْيَانًا وَخَوْفًا وَإِرْهَابًا وَذُعْرًا.

لَيْسَ مِنَ الْأَدَبِ وَصْفُ اللهِ بِأَنَّهُ خَالِقُ الشَّرِّ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [سورة الفلق:٢]: أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ[5]، وَهَذَا عَامٌّ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الرعد:١٦][6]، لَكِنْ لَيْسَ مِنَ الْأَدَبِ مَعَ اللهِ تَعَالَى أَنْ يُوصَفَ بِأَنَّهُ خَالِقٌ لِلشَّرِ؛ وَلِهَذَا مِنْ أَدَبِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [سورة الشعراء:٨٠]، وَقَالَ الْجِنُّ: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [سورة الجن:١٠]، فَنَبِيُّ اللهِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ

---

(١) ينظر: فتح القدير (٥/ ٦٤٠).

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري (٤/ ٨٢٢)، تفسير الجلالين (ص٨٢٧).

(٣) تفسير ابن عبد الوهاب (ص٣٨٥).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢٣٩).

(٥) خلافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ القائلين بأنَّ الله تعالى لا يَخْلُقُ الشَّرَّ، وقالوا: كَيْفَ يَخْلُقُهُ ويُقَدِّرُه، ثُمَّ يَأْمُرُ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِهِ سُبْحانَهُ مِمّا خَلَقَهُ وقَدَّرَهُ؟ وقولهم مردود بما ذكرنا من الأدلة.

(٦) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٥٣٨)، أضواء البيان (٩/ ١٥٩).

يَقُلْ: وَإِذَا أَمْرَضَنِي، وَالْجِنُّ لَمَّا ذَكَرُوا الشَّرَ ذَكَرُوهُ بِالْفِعْلِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ، وَلَمَّا ذَكَرُوا الْخَيْرَ أَضَافُوهُ إِلَى رَبِّهِمْ، وَهَذَا مِنْ أَدَبِهِمْ.

وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو بِالدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ، وَمِنْهُ: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»(١).

مَشْرُوعِيَّةُ الاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ اللَّيْلِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [سورة الفلق:٣]: أَنَّ اللَّيْلَ مَحَلُّ سُلْطَانِ الْأَرْوَاحِ الشِّرِّيرَةِ، وَفِيهِ تَنْتَشِرُ الشَّيَاطِينُ؛ وَلِذَلِكَ أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَى بِالاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ اللَّيْلِ، وَفِي السُّنَّةِ قَدْ جَاءَتْ عِدَّةُ أَحَادِيثَ فِي التَّنْوِيهِ عَلَى عَدَمِ إِخْرَاجِ الصِّبْيَانِ مَعَ بِدَايَةِ اللَّيْلِ؛ تَحْذِيرًا مِنْ خَطَرِ الشَّيَاطِينِ، **وَمِنْهَا:** حَدِيثُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تُرْسِلُوا فَوَاشِيَكُمْ(٢) وَصِبْيَانَكُمْ إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ حَتَّى تَذْهَبَ فَحْمَةُ الْعِشَاءِ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْبَعِثُ إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ حَتَّى تَذْهَبَ فَحْمَةُ الْعِشَاءِ»(٣).

ومنها: حَدِيثُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ أَوْ أَمْسَيْتُمْ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَتْ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ»(٤)، وَفِي رِوَايَةٍ: «وَاكْفِتُوا صِبْيَانَكُمْ عِنْدَ الْعِشَاءِ، فَإِنَّ لِلْجِنِّ انْتِشَارًا وَخَطْفَةً»(٥).

وَاللَّيْلُ لَيْسَ شَرًّا فِي نَفْسِهِ، وَلَا الشَّرُّ مِنْ عَمَلِهِ، وَإِنَّما هُوَ وَقْتٌ تَكْثُرُ فِيهِ الشُّرُورُ، وَتَنْتَشِرُ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فَمُنَاسِبٌ أَنْ يُسْتَعَاذَ بِاللهِ مِنْهُ.

مَشْرُوعِيَّةُ الاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ كُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ:

---

(١) أخرجه مسلم (٧٧١).

(٢) الفواشي: جمع فاشية، وهي الماشية التي تنتشر من المال، كالإبل والبقر والغنم السائمة؛ لأنها تفشو، أي: تنتشر في الأرض. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤٤٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠١٣).

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٠٤)، ومسلم (٢٠١٢).

(٥) أخرجه البخاري (٣٣١٦).

أَنَّ اللهَ تَعَالَى "ذَكَرَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ: إِرْشَادَ رَسُولِهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِلَى الِاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ كُلِّ مَخْلُوقَاتِهِ عَلَى الْعُمُومِ، ثُمَّ ذَكَرَ بَعْضَ الشُّرُورِ عَلَى الْخُصُوصِ مَعَ انْدِرَاجِهِ تَحْتَ الْعُمُومِ؛ لِزِيَادَةِ شَرِّهِ، وَمَزِيدِ ضُرِّهِ، وَهُوَ الْغَاسِقُ وَالنَّفَّاثَاتُ وَالْحَاسِدُ، فَكَأَنَّ هَؤُلَاءِ لِمَا فِيهِمْ مِنْ مَزِيدِ الشَّرِّ حَقِيقُونَ بِإِفْرَادِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِالذِّكْرِ"(١).

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: "هَذِهِ سُورَةٌ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ خَالِقُ كُلِّ شَرٍّ، وَأَمَرَ نَبِيَّهُ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنْ يَتَعَوَّذَ مِنْ جَمِيعِ الشُّرُورِ، فَقَالَ: مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَجَعَلَ خَاتِمَةَ ذَلِكَ الحَسَدَ؛ تَنْبِيهًا عَلَى عِظَمِهِ، وَكَثْرَةِ ضَرَرِهِ"(٢).

عِظَمُ السِّحْرِ وَخَطَرُهُ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [سورة الفلق:٤]: إِشَارَةٌ وَاضِحَةٌ إِلَى السِّحْرِ وَالسَّحَرَةِ وَخَطَرِهِمْ فِي نَشْرِ الشَّرِ وَالدَّجَلِ وَالشَّعْوَذَةِ، وَهُنَا بَعْضُ الْأُمُورِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِذَلِكَ:

أولًا: شَرُّ السِّحْرِ وَالسَّحَرَةِ، وَالسِّحْرُ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَعَظَائِمِ الْآثَامِ، وَالجَرَائِمِ الْمُوبِقَةِ الْمُهْلِكَةِ، بَلْ إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ تَعَلُّمَهُ وَتَعَاطِيَهُ كُفْرًا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ﴾ [سورة البقرة:١٠٢].

وَجَاءَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تَبَرَّأَ مِمَّنْ يَصْنَعُ السِّحْرَ، وَمِمَّنْ ذَهَبَ إِلَى مَنْ يَصْنَعُ لَهُ سِحْرًا، فَقَالَ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ»(٣)، وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ

(١) فتح القدير (٥/ ٦٤٠).

(٢) تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٥٩).

(٣) أخرجه البزار في مسنده (٣٥٧٨)، والطبراني في الكبير (١٨/ ١٦٢) (٣٥٥).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ سَاحِرًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(١).

ثانيًا: أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ الْعَظِيمَةَ مِنْ أَكْبَرِ أَدْوِيَةِ الْمَحْسُودِ وَالْمَسْحُورِ وَالْمَعْيُونِ، فَإِنَّهَا تَتَضَمَّنُ التَّوَكُّلَ عَلَى اللهِ تَعَالَى، وَالِالْتِجَاءَ إِلَيْهِ، وَالِاسْتِعَاذَةَ بِهِ(٢).

ثالثًا: أَنَّ لِلسِّحْرِ تَأْثِيرًا وَحَقِيقَةً، فَالسِّحْرُ يُؤَثِّرُ مَرَضًا وَثِقَلًا، وَحَلًّا وَعَقْدًا، وَحُبًّا وَبُغْضًا، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْآثَارِ(٣).

رابعًا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ﴾ [سورة الفلق:٤]: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ النَّفْثَ يَضُرُّ الْمَسْحُورَ فِي حَالِ غَيْبَتِهِ عَنْهُ(٤).

بيانُ خطرِ الحسدِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [سورة الفلق:٥]: التَّنْبِيهُ إِلَى خَطَرِ الْحَسَدِ وَشِدَّةِ تَأْثِيرِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْخَطَرِ:

أولًا: أَنَّ الْحَسَدَ دَاءٌ خَطِيرٌ مِنْ أَدْوَاءِ الْقُلُوبِ، وَقَدْ نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ وَزَجَرَ، فَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحَاسَدُوا»(٥)، وَالْحَسَدُ إِذَا دَخَلَ الْقَلْبَ فَخَطَرُهُ شَدِيدٌ جِدًّا، إِذْ قَدْ يَجُرُّ صَاحِبَهُ إِلَى كَبَائِرِ الْمُحَرَّمَاتِ، فَبِسَبَبِهِ قَتَلَ قَابِيلُ هَابِيلَ، وَهُوَ أَخُوهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ، وَبِسَبَبِهِ عَقَّ إِخْوَةُ يُوسُفَ أَبَاهُمْ، وَأَضَاعُوا أَخَاهُمُ الصَّغِيرَ(٦).

---

(١) أخرجه البزار في مسنده (١٨٧٣).
(٢) ينظر: بدائع الفوائد (٢/ ٢٣٨).
(٣) ينظر: بدائع الفوائد (٢/ ٢٢٧).
(٤) ينظر: بدائع الفوائد (٢/ ٢٢٧).
(٥) أخرجه البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٦٣).
(٦) ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٥٩)، مجموع الفتاوى (١٠/ ١٢١).

ثانيًا: أَنَّ نَفسَ حَسَدِ الْحَاسِدِ يُؤْذِي الْمَحْسُودَ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَعِذْ بِاللهِ، وَيَتَحَصَّنْ بِهِ، وَيَكُن لَهُ أَوْرَادٌ فِي الْأَذْكَارِ وَالدَّعَوَاتِ، وَالتَّوَجُّهِ إِلَى اللهِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ، بِحَيْثُ يَدْفَعُ عَنْهُ مِنْ شَرِّهِ بِمِقْدَارِ تَوَجُّهِهِ وَإِقْبَالِهِ عَلَى اللهِ، وَإِلَّا نَالَهُ شَرُّ الْحَاسِدِ وَلَا بُدَّ.

وَفِي رُقْيَةِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ»(١)، وَقِيلَ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: «أَيَحْسُدُ الْمُؤْمِنُ؟! قَالَ: مَا أَنْسَاكَ إِخْوَةَ يُوسُفَ»(٢).

ثالثًا: أَنَّهُ يَدْخُلُ فِي الِاسْتِعَاذَةِ بِاللهِ مِنَ الْحَسَدِ: الْعَيْنُ، فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ، وَمِنْ أَسْبَابِهَا رُؤْيَةُ الشَّيْءِ عَنْ حَسَدٍ(٣)، وَقَدْ جَاءَ فِي السُّنَّةِ مَا يَدُلُّ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ الِاسْتِعَاذَةِ مِنْ عَيْنِ الْحَاسِدِ، وَمِنْ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ: حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ»(٤). وَحَدِيثُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ، فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ»(٥).

❁❁❁

(١) أخرجه مسلم (٢١٨٦).

(٢) ينظر: التمهيد لابن عبد البر (٦/ ١٢٦)، تفسير القرطبي (٩/ ١٣٨).

(٣) ينظر: بدائع الفوائد (٢/ ٢٣١).

(٤) أخرجه مسلم (٢١٨٦).

(٥) أخرجه ابن ماجه (٣٥٠٨) واللفظ له، والحاكم في المستدرك (٧٤٩٧)، وقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". وأصله في صحيح البخاري (٥٧٤٠)، وصحيح مسلم (٢١٨٧) بلفظ: "العين حق".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سُورَةُ النَّاسِ

سُورَةُ (النّاسِ): سُورَةٌ مُخْتَلَفٌ فِيها أَهِيَ مَكِّيَّةٌ أَمْ مَدَنِيَّةٌ(١)، وَآيُها سِتُّ آياتٍ.

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ أَسْمَائِهَا: سُورَةُ (قُلْ أَعوذُ بِرِبِّ النَّاسِ)، وَسُورَةُ (الْمُعَوِّذَةُ الثَّانِيَةُ)، وَسُورَةُ (قُلْ أَعُوذُ بِرِبِّ النَّاسِ)، وَسُورَةُ (النَّاسِ)(٢).

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ:

اِحْتَوَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى مَقَاصِدَ عَظِيمَةٍ، مِنْ أَهَمِّهَا(٣):

- ✓ الِاعْتِصَامُ بِالْإِلَهِ الْحَقِّ، مِنْ شَرِّ الْخَلْقِ الْبَاطِنِ.
- ✓ إِرْشَادُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنْ يَتَعَوَّذَ بِاللهِ رَبِّهِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ.
- ✓ الْإِيماءُ إِلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى مُعِيذُهُ مِنْ ذَلِكَ فَعَاصِمُهُ فِي نَفْسِهِ مِنْ تَسَلُّطِ وَسْوَسَةِ الْوَسْوَاسِ عَلَيْهِ، وَمُتَمِّمٌ دَعْوَتَهُ حَتَّى تَعُمَّ فِي النَّاسِ.

شَرْحُ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ، ﴿أَعُوذُ﴾، أَي: أَعْتَصِمُ وَأَلْتَجِئُ وَأَسْتَجِيرُ، ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾، أَي: مُرَبِّيهِمْ وَخَالِقِهِمْ وَرَازِقِهِمْ وَمُدَبِّرِ أَحْوالِهِمْ(٤)؛ وَخَصَّ النَّاسَ بِالذِّكْرِ تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا لَهُمْ؛ وَلِأَنَّهُمْ هُمُ الْمُسْتَعِيذُونَ(٥).

قَوْلُهُ: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾، أَي: مَالِكُهُمْ وَالْمُتَصَرِّفُ فِي كُلِّ شُؤُونِهِم، الْغَنِيِّ عَنْهُمْ(٦).

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٥٤٠).
(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٣١).
(٣) ينظر: مصاعد النظر (٣/ ٣٠٩)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٣٢).
(٤) ينظر: تفسير النسفي (٣/ ٦٩٩)، تفسير الجلالين (ص٨٢٧).
(٥) ينظر: تفسير الجلالين (ص٨٢٧).
(٦) ينظر: التفسير الميسر (ص٦٠٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قَوْلُهُ: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾، أَيْ: مَأْلُوههم وَمَعْبُودهم الَّذِي لَا مَعْبُودَ لَهُمْ بِحَقٍّ سِوَاهُ[1].

قَوْلُهُ: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾، أَيْ: مِنْ شَرِّ وأَذَى الشَّيْطَانِ الْوَسْوَاس: الَّذِيْ يُوَسْوِسُ عِنْدَ غَفْلَةِ الْعَبْدِ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، وَالْخَنَّاس: الَّذِي يَخْتَفِي عِنْدَ ذِكْرِ اللهِ؛ وَوُصِفَ بِالْوَسْوَاسِ لِدِقَّةِ وَخفَاءِ مَدَاخِلِهِ وَمَجَارِيهِ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يُلْقِيَ فِي أَنْفُسِكُمَا شَيْئًا»[2]، وَوُصِفَ بِالْخَنَّاسِ لِأَنَّهُ كَثِيْرُ الاخْتِفَاءِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾ [سورة التكوير:١٥]، يَعْنِي: النُّجُومَ؛ لِاخْتِفَائِهَا بَعْدَ ظُهُورِهَا[3].

قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾، أي: يَبُثُّ الشَّرَّ وَالشُّكُوكَ فِيْ صُدُوْرِ النَّاسِ[4]؛ وَسَبَبُ ذِكْرِ الصُّدُوْرِ: أَنَّهَا تَحْتَوِيْ عَلَى الْقُلُوْبِ وَهِيَ مَحَلُّ الْخَوَاطِرِ.

قَوْلُهُ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾، أي: مِن شَيَاطِينِ الجِنِّ والإِنْسِ[5].

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ:

الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُسْتَعَاذِ مِنْهُ فِي سُورَةِ الْفَلَقِ وَالَّذِي فِي سُورَةِ النَّاسِ:

الْمُسْتَعَاذُ بِهِ فِي سُورَةِ الْفَلَقِ: مَذْكُورٌ بِصِفَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ: الرُّبُوبِيَّةُ، وَالْمُسْتَعَاذُ مِنْهُ: ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْآفَاتِ، وَهِيَ: الْغَاسِقُ وَالنَّفَّاثَاتُ وَالْحَاسِدُ.

وَأَمَّا الْمُسْتَعَاذُ بِهِ فِي سُورَةِ النَّاسِ فَمَذْكُورٌ بِثَلَاثِ صِفَاتٍ: الرُّبُوبِيَّةُ وَالْمُلْكُ وَالْأُلُوهِيَّةُ، وَالْمُسْتَعَاذُ مِنْهُ: آفَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ الْوَسْوَسَةُ.

فَالْمَطْلُوبُ فِي سُورَةِ الْفَلَقِ سَلَامَةُ النَّفْسِ وَالْبَدَنِ، وَالْمَطْلُوبُ فِي سُورَةِ النَّاسِ سَلَامَةُ الدِّينِ.

---

(١) ينظر: أضواء البيان (٩/ ١٧٥).
(٢) أخرجه البخاري (٢٠٣٨) واللفظ له، ومسلم (٢١٧٥).
(٣) ينظر: تفسير الماوردي (٦/ ٣٧٨).
(٤) ينظر: تفسير السعدي (ص٩٣٧).
(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٥٤٠).

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وَهَذا فِيهِ إِشارَةٌ إِلَى أَنَّ مَضَرَّةَ الدِّينِ وَإِنْ قَلَّتْ أَعْظَمُ مِنْ مَضارِّ الدُّنْيا وَإِنْ عَظُمَتْ. كَمَا أَنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ فِي سُورَةِ الْفَلَقِ أُمُورٌ تَأْتِي مِنْ خَارِجِ الإِنْسَانِ، وَقَدْ تَكُونُ شُرُورًا ظَاهِرَةً، يُمْكِنُ التَّحَرُّزُ مِنْهَا، أَوِ اتِّقَاؤُهَا قَبْلَ وُقُوعِهَا، وَتَجَنُّبُهَا إِذَا عُلِمَ بِهَا.

بَيْنَمَا الشَّرُّ الْوَاحِدُ فِي سُورَةِ النَّاسِ يَأْتِي الإِنْسَانَ مِنْ دَاخِلِهِ، بِهَوَاجِسِ النَّفْسِ، وَمَا لَا يُقْدَرُ عَلَى دَفْعِهِ إِلَّا بِالاسْتِعَاذَةِ بِاللهِ، إِذِ الشَّيْطَانُ يَرَانَا وَلَا نَرَاهُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [سورة الأعراف:٢٧]؛ وَلِهَذَا أَوَّلُ خطأٍ وَقع إِنَّمَا هُوَ مِنْ هَذا الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ، فَوَسْوَسَ إِلَى الأَبَوَيْنِ عليهما السلام، ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الأعراف:٢١-٢٢]، فَأُهْبِطُوا مِنَ الْجَنَّةِ جَمِيعًا، بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ، ثُمَّ بَعْدَ أَنْ سَكَنَا الأَرْضَ أَتَى ابْنَاهُمَا قَابِيلُ وَهَابِيلُ فَوَسْوَسَ لِأَحَدِهِمَا حَتَّى طَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ، ﴿فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [سورة المائدة:٣٠].

مَشْرُوعِيَّةُ الاسْتِعَاذَةِ بِاللهِ الْمُتَّصِفِ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْمُلْكِ وَالأُلُوهِيَّةِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾﴾ [سورة الناس:١-٣]: ذَكَرَ اللهُ الْمُسْتَعَاذَ بِهِ، وَمِنْ هُنَا نَسْتَنْبِطُ بَعْضَ الدَّلَائِلِ وَالإِشَارَاتِ:

أولًا: رُبُوبِيَّةُ اللهِ تَعَالَى لِجَمِيعِ النَّاسِ بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ، مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ، وَهِيَ خَلْقُهُ لِلْمَخْلُوقِينَ وَرِزْقُهُمْ وَهِدَايَتُهُمْ لِمَا فِيهِ مَصَالِحُهُمُ الَّتِي فِيهَا بَقَاؤُهُمْ فِي الدُّنْيا.

ثانيًا: أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾: دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمَلِكُ الْحَقُّ، الْغَنِيُّ عَنِ الْخَلْقِ، الَّذِي لَهُ الْمُلْكُ الْكَامِلُ، وَالتَّصَرُّفُ الشَّامِلُ، الَّذِي لَهُ الأَمْرُ النَّافِذُ فِي خَلْقِهِ، يَنْفُذُ فِيهِمْ أَمْرُهُ وَحُكْمُهُ، كَيْفَ شَاءَ وَمَتَى شَاءَ، ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران:٢٦].

ثالثًا: أَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ إِلَهُ النَّاسِ وَمَعْبُودُهُمُ الَّذِي لَيْسَ لَهُمْ مَعْبُودٌ بِحَقٍّ سِوَاهُ، وَمَنِ اتَّصَفَ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْمُلْكِ فَهُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ وَلِهَذَا نَجِدُ الْقُرْآنَ يُقَرِّرُ تَوْحِيدَ الْأُلُوهِيَّةِ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة:٢١]، فَجَعَلَ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ دَلِيلًا مُلْزِمًا بِتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَقَدَّمَ الرُّبُوبِيَّةَ لِعُمُومِهَا وَشُمُولِهَا لِكُلِّ مَرْبُوبٍ، وَأَخَّرَ الْإِلَهِيَّةَ لِخُصُوصِهَا؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ مَنْ عَبَدَهُ وَوَحَّدَهُ وَاتَّخَذَهُ دُونَ غَيْرِهِ إِلَهًا، فَمَنْ لَمْ يَعْبُدْهُ وَيُوَحِّدْهُ فَلَيْسَ بِإِلَهِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي الْحَقِيقَةِ لَا إِلَهَ لَهُ سِوَاهُ، وَلَكِنَّهُ تَرَكَ إِلَهَهُ الْحَقَّ، وَاتَّخَذَ إِلَهًا غَيْرَهُ بَاطِلًا"(١).

وَقَالَ أَيْضًا: "ثُمَّ إِنَّهُ كَرَّرَ الِاسْمَ الظَّاهِرَ، وَلَمْ يُوقِعِ الْمُضْمَرَ مَوْقِعَهُ، فَيَقُولُ: رَبِّ النَّاسِ وَمَلِكِهِمْ وَإِلَهِهِمْ؛ تَحْقِيقًا لِهَذَا الْمَعْنَى وَتَقْوِيَةً لَهُ، فَأَعَادَ ذِكْرَهُمْ عِنْدَ كُلِّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ، وَلَمْ يَعْطِفْ بِالْوَاوِ لِمَا فِيهَا مِنَ الْإِيذَانِ بِالْمُغَايَرَةِ"(٢).

الْحَاجَةُ إِلَى الاسْتِعَاذَةِ مِنَ الْوَسْوَاسِ:

وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشَرٌ يُصِيبُهُ مَا يُصِيبُ غَيْرَهُ؛ وَلِهَذَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَسْتَعِيذَ بِهِ مِنَ الْغَاسِقِ وَالنَّفَّاثَاتِ وَالْحَاسِدِ وَالْوَسْوَسَةِ، فَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ وَأَقْرَبُهُم إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَأَعْظَمُهُمْ مَنْزِلَةً بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ يَعْتَصِمَ وَيَلْتَجِئَ وَيَسْتَجِيرَ بِاللهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، فَغَيْرُهُ مِنْ بَابِ أَوْلَى.

---

(١) التفسير القيم (ص٦٦١).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٢٤٨).

وَلِذَلِكَ وَصَفَ اللهُ تَعَالَى نَفْسَهُ بِأَنَّهُ رَبُّ النَّاسِ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَحْمِيهِمْ مِنْ شَرِّ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ، فَلَا مَفْزَعَ لَهُمْ سِوَاهُ.

صِفَةُ الْوَسْوَاسِ وَمَحَلُّهُ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾﴾ [سورة الناس: ٤-٥]: بَيَانٌ لِمَا يُشْرَعُ الاسْتِعَاذَةُ مِنْهُ، وَهُوَ الْوَسَاوِسُ الشَّيْطَانِيَّةُ، وَفِي ذَلِكَ عِدَّةُ دَلَائِلَ، مِنْهَا:

أولًا: شِدَّةُ خُطُورَةِ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ؛ لِأَنَّ اللهَ أَمَرَ بِالتَّعَوّذِ مِنْهُ بِصِفَاتِهِ الثَّلَاثِ: الرُّبُوبِيَّةُ، وَالْمُلْكُ، وَالإِلَهِيَّةُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ خُطُورَتِهِ، فَإِنَّ أَصْلَ كُلِّ مَعْصِيَةٍ وَبَلَاءٍ إِنَّمَا هِيَ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ(١).

ثانيًا: عَدَاوَةُ الشَّيْطَانِ الشَّدِيدَةِ لِبَنِي الإِنْسَانِ، وَمِنْ عَدَاوَتِهِ الشَّدِيدَةِ أَنَّهُ ﴿يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة الناس: ٥].

ثالثًا: أَنَّ الْوَسْوَسَةَ هِيَ أَبْرَزُ صِفَةٍ لِلشَّيْطَانِ وَأَخْطَرُهَا وَأَشَدُّهَا ضَرَرًا عَلَى الإِنْسَانِ، وَهِيَ الْكَلَامُ الْخَفِيُّ الَّذِي يُلْقِيهِ الشَّيْطَانُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ مِنَ الأَفْكَارِ وَالأَوْهَامِ وَالتَّخَيُّلَاتِ الَّتِي لَا حَقِيقَةَ لَهَا، فَمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ إِلَّا وَلَهُ قَرِينٌ يُزَيِّنُ لَهُ الْفَوَاحِشَ، وَلَا يَأْلُوهُ جُهْدًا فِي الْخَبَالِ، كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ، قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»(٢).

رابعًا: أَنَّ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ فِي صَدْرِ الإِنْسَانِ أَنْ يُفْسِدَ إِيمَانَهُ، وَيُشَكِّكَهُ فِي عَقِيدَتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ أَمَرَهُ بِالْمَعَاصِي، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ ثَبَّطَهُ عَنِ الطَّاعَاتِ(٣).

(١) ينظر: بدائع الفوائد (٢/ ٢٥٨).
(٢) أخرجه مسلم (٢٨١٤).
(٣) ينظر: تفسير ابن جزي (٢/ ٥٣٠).

خامسًا: أَنَّ مِنْ صِفَاتِ الشَّيْطَانِ أَنَّهُ (الْخَنَّاسُ)، أَيْ: يَتَأَخَّرُ وينْقَبِضُ إِذَا ذَكَرَ العَبْدُ رَبَّهُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يُولَدُ الإِنْسَانُ وَالشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِهِ، فَإِذَا عَقِلَ وَذَكَرَ اللهَ خَنَسَ وَإِذَا غَفِلَ وَسْوَسَ»[1]، وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قُضِيَ التَّأْذِينُ أَقْبَلَ حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ، أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ لَهُ: اذْكُرْ كَذَا وَاذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ مِنْ قَبْلُ حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ مَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى»[2].

وقَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "فَذِكْرُ اللهِ يَقْمَعُ الشَّيْطَانَ وَيُؤْلِمُه؛ وَلِهَذَا يَكُونُ شَيْطَانُ الْمُؤْمِنِ هَزِيلًا ضَئِيلًا؛ لأَنَّهُ كُلَّمَا اعْتَرَضَهُ صَبَّ عَلَيْهِ سِيَاطَ الذِّكْرِ والاِسْتِغْفَارِ والطَّاعَةِ، فَشَيْطَانُهُ مَعَهُ فِي عَذَابٍ شَدِيدٍ، لَيْسَ بِمَنْزِلَةِ شَيْطَانِ الفَاجِرِ الَّذِيْ هُوَ مَعَهُ فِيْ رَاحَةٍ وَدَعَةٍ، فَمَنْ لَمْ يُعَذِّبْ شَيْطَانَهُ فِيْ هَذِهِ الدَّارِ عَذَّبَهُ شَيْطَانُهُ فِيْ الآخِرَةِ بِعَذَابِ النَّارِ"[3].

سادسًا: أَنَّ الصَّدْرَ أَعَمُّ مِنَ الْقَلْبِ وَأَشْمَلُ، فَهُوَ سَاحَتُهُ وَحَرِيمُهُ، وَمِنْهُ تَرِدُ الْوَارِدَاتُ عَلَى الْقَلْبِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "تَأَمَّلِ السِّرَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة الناس:٥]، وَلَمْ يَقُلْ: فِي قُلُوبِهِمْ، وَالصَّدْرُ هُوَ سَاحَةُ الْقَلْبِ وَبَيْتُهُ، فَمِنْهُ تَدْخُلُ الْوَارِدَاتُ إِلَيْهِ، فَتَجْتَمِعُ فِيْ الصَّدْرِ، ثُمَّ تَلِجُ فِيْ الْقَلْبِ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الدِّهْلِيزِ لَهُ، وَمِنَ الْقَلْبِ تَخْرُجُ الْأَوَامِرُ وَالْإِرَادَاتُ إِلَىْ الصَّدْرِ، ثُمَّ تَتَفَرَّقُ عَلَى الْجُنُودِ، وَمَنْ فَهِمَ هَذَا فَهِمَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ﴾ [سورة آل عمران:١٥٤]، فَالشَّيْطَانُ يَدْخُلُ إِلَى سَاحَةِ الْقَلْبِ وَبَيْتِهِ، فَيُلْقِي مَا يُرِيدُ إِلْقَاءَهُ فِي الْقَلْبِ، فَهُوَ مُوَسْوِسٌ فِي الصَّدْرِ، وَوَسْوَسَتُهُ وَاصِلَةٌ إِلَى الْقَلْبِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٧٧٤)، والضياء المقدسي في المختارة (٣٩٣) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٨)، ومسلم (٣٨٩) واللفظ له.

(٣) بدائع الفوائد (٢/ ٢٥٦).

ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [سورة طه:١٢٠]، وَلَمْ يَقُلْ: فِيهِ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى: أَنَّهُ أَلْقَى إِلَيْهِ ذَلِكَ وَأَوْصَلَهُ فِيهِ، فَدَخَلَ فِي قَلْبِهِ"(١).

ذِكْرُ الْمُسْتَعَاذِ مِنْهُ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [سورة الناس:٦]: ذِكْرُ مَنْ يُسْتَعَاذُ مِنْهُ، وَهُنَا بَعْضُ الْإِشَارَاتِ:

الأولى: أَنَّ التَّعَوُّذَ بِهَذِهِ السُّورَةِ لَهُ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي دَفْعِ الشَّيْطَانِ، وَالتَّحَصُّنِ مِنْ كَيْدِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا»(٢).

الثانية: أَنَّ الْوَسْوَاسَ كَمَا يَكُونُ مِنَ الجَانِّ يَكُونُ أَيْضًا مِنَ الإِنْسَانِ، فَشَيَاطِيْنُ الإِنْسِ وَالجِنِّ، يَشْتَرِكَانِ فِي الْوَحيِ الشَّيْطَانِي، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا﴾ [سورة الأنعام:١١٢]، وَلَا شَكَّ أَنَّ شَيَاطِينَ الإِنْسِ أَشَدُّ فَتْكًا وَخَطَرًا مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ؛ لِأَنَّ شَيْطَانَ الْجِنِّ يَخْنَسُ بِالِاسْتِعَاذَةِ، وَشَيْطَانَ الإِنْسِ يُزَيِّنُ الْفَوَاحِشَ وَيُغْرِي بِالْمُنْكَرَاتِ، وَلَا يُثْنِيهِ عَنْ عَزْمِهِ شَيْءٌ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ مِنْهُ.

عَدَمُ الْمُؤَاخَذَةِ عَلَى الْوَسَاوِسِ مَا لَمْ تُثْمِرْ قَوْلًا أَوْ عَمَلًا:

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمَهُ وَيَعْرِفَهُ كُلُّ مُسْلِمٍ: أَنَّهُ لَا يُؤَاخَذُ عَلَى وَسَاوِسِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ، مَا لَمْ يَتَكَلَّمْ أَوْ يَعْمَلْ بِهَا؛ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ»(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»(١).

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٦٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٦٩) واللفظ له، ومسلم (١٢٧).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ»[٢]، وَفِي رِوَايَةٍ: «فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ»[٣].

لَكِنَّ الْمُسْلِمَ مَأْمُورٌ بِمُدَافَعَةِ هَذِهِ الْوَسَاوِسِ مَا أَمْكَنَ، فَإِذَا مَا تَهَاوَنَ فِي مُدَافَعَتِهَا وَاسْتَرْسَلَ مَعَهَا فَإِنَّهُ قَدْ يُؤَاخَذُ عَلَى هَذَا التَّهَاوُنِ.

❁❁❁

وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَأَتْبَاعِهِمْ أَجْمَعِينَ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤).

أهم المصادر والمراجع

الإتقان في علوم القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

اجتماع الجيوش الإسلامية، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، الناشر: مطابع الفرزدق التجارية – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، المؤلف: ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: ٦٤٣هـ). دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

أحكام القرآن، المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

أحكام القرآن، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

أسباب نزول القرآن، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

الاستذكار. المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

الأسماء والصفات للبيهقي، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد

الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، الناشر: مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

أضواء البيان، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م.

إعراب القرآن وبيانه، المؤلف: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، الطبعة: الرابعة، ١٤١٥هـ.

الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي، ثم الصالحي، شرف الدين، أبو النجا (المتوفى: ٩٦٨هـ)، المحقق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، الناشر: دار المعرفة بيروت – لبنان.

الإكليل في استنباط التنزيل، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية – بدون تاريخ.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.

بداية المجتهد ونهاية المقتصد، المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ)، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

البرهان في علوم القرآن، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

تأويل مشكل القرآن، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

التبيان في أقسام القرآن، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.

تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ، المؤلف: عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣هـ)، الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ (المتوفى: ١٠٢١هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣١٣هـ.

التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤م.

التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦هـ.

تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

تفسير ابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.

تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

تفسير الجلالين، المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى.

تفسير الفاتحة والبقرة، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٠هـ.

تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت: ٦٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تفسير الماوردي = النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.

التفسير الميسر، المؤلف: نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية، الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

تفسير جزء عم، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

توفيق الرحمن في دروس القرآن، المؤلف: فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، الناشر: دار العاصمة، المملكة العربية السعودية - الرياض، دار العليان للنشر والتوزيع، القصيم - بريدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

الجامع الكبير- سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ)، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.

الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: الشيخ علي محمد معوض- الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ -١٩٩٩م.

الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.

الرقة والبكاء، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار النشر: دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، جمع

وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الناشر: دار العاصمة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ – ٢٠٠١م.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

روضة المحبين ونزهة المشتاقين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه «مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ»)، المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة. عام النشر: ١٢٨٥هـ.

سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

سنن الدارقطني، المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٤م.

السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، المحقق: حسن عبد المنعم شلبي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م.

السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م.

سنن النسائي، أحمد بن شعيب (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.

شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.

شرح النووي على مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (ت: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

صحيح ابن حبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

صحيح ابن خزيمة، المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت.

صحيح مسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

طريق الهجرتين وباب السعادتين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤هـ.

العظمة، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني (المتوفى: ٣٦٩هـ)، المحقق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الناشر: أضواء السلف - الرياض، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

العلل الواردة في الأحاديث النبوية.، المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ). المجلدات من الأول، إلى الحادي عشر، تحقيق وتخريج: محفوظ الرحمن زين الله السلفي.، الناشر: دار طيبة - الرياض.، الطبعة: الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. والمجلدات من الثاني عشر، إلى الخامس عشر. علق عليه: محمد بن صالح بن محمد الدباسي، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ.

غرائب التفسير وعجائب التأويل، المؤلف: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ)، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت.

غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦هـ.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على

طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، تحقيق: ١- محمود بن شعبان بن عبد المقصود. ٢- مجدي بن عبد الخالق الشافعي. ٣ - إبراهيم بن إسماعيل القاضي. ٤ - السيد عزت المرسي. ٥ - محمد بن عوض المنقوش. ٦ - صلاح بن سالم المصراتي. ٧ - علاء بن مصطفى بن همام. ٨ - صبري بن عبد الخالق الشافعي.، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية. الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.

القيامة الصغرى، المؤلف: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة: الرابعة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

كشاف القناع عن متن الإقناع، المؤلف: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (المتوفى: ١٠٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ.

لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥هـ.

اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة.

لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ.

مباحث في علوم القرآن، المؤلف: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار الفكر، (طبعة كاملة معها تكملة السبكي والمطيعي).

محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ- ٢٠٠٠م.

مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ. ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار النشر: مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

مصنف ابن أبي شيبة، المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (ت: ٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، الناشر: المطبعة العلمية - حلب، الطبعة: الأولى ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.

معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية.

المغني لابن قدامة، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة.

المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ.

المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي - قبرص، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

المنتقى شرح الموطإ، المؤلف: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤هـ)، الناشر: مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٣٢هـ.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

النهاية في غريب الحديث والأثر، أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

الوسيط في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس. قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

فهرس المحتويات

مقدمة ١
الْمَنْهَجُ الْمُتَّبَعُ فِي تَأْلِيفِ الْكِتَابِ: ٢
سُورَةُ النَّبَإِ ٣
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ٣
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ٣
شَرْحُ الْآيَاتِ: ٣
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ١٣
الإشارة إلى عَظَمَة شَأْنِ الْمَسْؤُول عَنْهُ في أول السورة: ١٣
بيان الاخْتِلَاف بين أَهْل الْبَاطِل: ١٣
جوازُ اسْتِعْمَالِ أُسْلوبِ التَّهْدِيد فِي الْوَعْظ: ١٣
اسْتِعْمَالُ أُسْلُوبِ التَّكْرَار لِلتَّهْدِيدِ: ١٣
الرَّدُّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ: ١٤
الدَّعْوَةُ إلى التَّفَكُّر فِي آيَاتِ الله الْكَوْنِيَّة: ١٤
ذكر أن التَّزَاوُج فِي الْكَوْن مِنْ سُنَن الله الْكَوْنِيَّة: ١٤
امتنان الله تعالى على خلقه بِنِعْمَةِ النَّوْمِ: ١٥
بيان نِظَام الْحَيَاة لَيْلًا وَنَهَارًا: ١٥
عَرْضُ بَعْض ما تفضَّلَ الله تعالى به على عباده تقريرًا لتوحيد الربوبية: ١٧
الْحِكْمَةُ مِنْ جَعْل الْجِبَال أَوْتَادًا لِلْأَرْض: ١٩
الاستدلال على البعث بعد الموت بِإِحْيَاء الْأَرْض بِالنَّبَات: ١٩
انْفِتَاحُ السَّمَاءِ لِنُزول الْمَلَائِكَة: ٢٠
ذكر أَحْوَال الْجِبَال يَوْمَ الْقِيَامَة: ٢٠
بيان مَا يَحْصُلُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيامَة مِنْ عَلَامَات: ٢١
التَّخْوِيفُ مِنَ النَّار وَأَهْوَالِهَا: ٢١
بيان خُلُود الْكُفَّار فِي النَّار وَعَدَم خُرُوجِهِمْ مِنْهَا: ٢٢
بيان أن الْجَزَاء مِنْ جِنْس الْعَمَل، وأن ذلك من تمام عدل الله تعالى: ٢٢
ذِكْرُ أن التَّصْدِيق بِالْبَعْث مِنْ أَرْكَان الْإِيمَان: ٢٣

التنبيه إلى إحْصاء أَعْمال الْعِبَادِ: ٢٣
أن الجنة لا لَغْو وَلا كَذِب: ٢٣
مُجازَاةُ الله تَعَالَى الْمُتَّقِينَ وَالْعُصَاةَ كل منهم بما يستحقة: ٢٣
مَنْ يَحِقُّ لَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ يَوْمَ الْقِيامَةِ: ٢٤
إِثْبَاتُ مَشِيئَةٍ لِلْعَبْدِ مُقَيَّدَةً بِمَشِيئَةِ الله تَعَالَى: ٢٤
تَوْجِيهُ ذِكْرِ مَا لِلْمُتَّقِينَ مِنَ النَّعِيمِ عَقِبَ ذِكْرِ عِقَابِ الْمُجْرِمِينَ: ٢٤
الإخبار عن قُرْبِ يَوْمِ الْقِيامَةِ وَمَا يَسْتَوْجِبُهُ مِنَ الاسْتِعْدَادِ لَهَا: ٢٥
التَّرْغِيبُ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالتَّنْفِيرُ مِنَ الْعَمَلِ السَّيِّئِ: ٢٥
سُورَةُ النَّازِعَاتِ ٢٦
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ٢٦
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ مِنَ السُّورَةِ: ٢٦
شَرْحُ الْآيَاتِ: ٢٦
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ٣٦
ذِكْرُ بعض دَلَالَاتِ قَسَمِ الله بِالْمَلَائِكَةِ: ٣٦
بيان حَالِ الْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ عِنْدَ السَّكَرَاتِ: ٣٧
الغرض من الْقَسَمِ عَلَى قِيَامِ الْقِيَامَةِ: ٣٨
بيان حَالِ الْقُلُوبِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ٣٨
بيانُ حال الْأَبْصَارِ يوم القيامة، وسببه: ٣٨
ما يدل عليه الْجَمْعُ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالْبَصَرِ: ٣٩
الإخبار بِسُوءِ حَالِ مَنْ يُنْكِرُ الْبَعْثَ ولا يستعدُّ للآخرة: ٣٩
الغرض من ذِكْرِ قِصَّةِ مُوسَى مَعَ فِرْعَوْنَ: ٤٠
إِثْبَاتُ صِفَةِ الْكَلَامِ لله تَعَالَى: ٤٠
التَّحْذِيرُ مِنَ الطُّغْيَانِ: ٤١
بيان أَهَمِّيَّةِ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْمَعَايِبِ: ٤١
أهمية تَحَلِّي الدَّاعِيَةِ إِلَى الله بِاللِّينِ وَالرِّفْقِ: ٤١
أَخْشَى النَّاسِ أَعْلَمُهُمْ بِالله: ٤٢
لفتُ الانْتِبَاهِ إِلَى الاتِّعَاظِ بِمَا حَصَلَ لِفِرْعَوْنَ مِنَ الْعِقَابِ فِي الدُّنْيَا: ٤٢

بيان من ينتفع ويتعظ بالتخويف والآيات الكونية والقرآنية: ٤٢
مُنَاسَبَةُ الِانْتِقَالِ مِنْ قِصَّةِ مُوسَى إِلَى ذِكْرِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ: ٤٣
تَوْبِيخُ مُنْكِرِي الْبَعْثِ مِنَ الْكُفَّارِ: ٤٣
بيان تَذَكُّر الإنسان أعماله يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ مع أنه لَا فَائِدَةَ مِنْهُ: ٤٤
بيان أسباب دخول النار وأسباب دخول الجنة: ٤٤
عَاقِبَةُ اتِّبَاعِ الْهَوَى: ٤٥
عِلْمُ السَّاعَةِ مِنَ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا الله: ٤٦
بيان قِصَرِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهَوَانُهَا بِالنِّسْبَةِ لِلْآخِرَةِ: ٤٦
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ٤٨
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ مِنَ السُّورَةِ: ٤٨
سَبَبُ النُّزُولِ: ٤٨
شَرْحُ الآيَاتِ: ٤٩
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ٥٤
مُعَاتَبَةُ الله لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ٥٤
حُسْنُ عِتَابِ الله لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ٥٥
حِرْصُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الدَّعْوَةِ: ٥٥
لا يَنْبَغِي التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْمَدْعُوِّينَ إِلَى الله: ٥٥
الْحَذَرُ مِنَ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْمُؤْمِنِ فِي الدَّعْوَةِ: ٥٦
عِزَّةُ الإِسْلَامِ فِي عَدَمِ الْحِرْصِ عَلَى هِدَايَةِ الْمُعْرِضِينَ: ٥٦
مِنْ أَدِلَّةِ صِدْقِ رِسَالَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ٥٦
الْإِقْبَالُ عَلَى طَلَبَةِ الْعِلْمِ الْحَرِيصِينَ عَلَى الدَّعْوَةِ: ٥٦
مَشْرُوعِيَّةُ التَّذْكِيرِ مِنْ غَيْرِ جَبْرٍ عَلَى الاهْتِدَاءِ: ٥٧
الاتِّعَاظُ بِالْقُرْآنِ وَالانْتِفَاعُ بِهِ تَوْفِيقٌ مِنَ الله تَعَالَى: ٥٧
حِفْظُ الله لِلْقُرْآنِ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ: ٥٨
وُجُوبُ تَخَلُّقِ حَامِلِ الْقُرْآنِ بِأَخْلَاقِهِ: ٥٨
لا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَكَبَّرَ: ٥٩

بيانُ أَطْوارِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ: ٥٩
انْفِرَادُ اللهِ تَعَالَى بِالرُّبُوبِيَّةِ: ٥٩
شَرَعَ اللهُ دَفْنَ الْإِنْسَانِ الْمَيِّتِ إِكْرَامًا لَهُ: ٦٠
الْقَبْرُ لَيْسَ نِهَايَةَ الطَّرِيقِ: ٦٠
الرَّدُّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ: ٦٠
زَجْرُ الْإِنْسَانِ الْكَافِرِ لِعَدَمِ تَأْدِيَتِهِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ: ٦١
اسْتِحْقَاقُ اللهِ لِلْعِبَادَةِ وَالشُّكْرِ: ٦١
الْحَثُّ عَلَى التَّفَكُّرِ فِي نِعْمَةِ الطَّعَامِ: ٦١
شِدَّةُ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: ٦٢
انْقِسَامُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ٦٢
ظُهُورُ أَثَرِ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَأَثَرِ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي: ٦٣
سُورَةُ التَّكْوِيرِ ٦٤
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ٦٤
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ٦٤
مِنْ فَضَائِلِ السُّورَةِ: ٦٤
شَرْحُ الْآيَاتِ: ٦٥
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ٦٩
بَيَانُ عِظَمِ شَأْنِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: ٦٩
الدَّلَالَةُ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى الْعَظِيمَةِ فِي تَغْيِيرِ حَالِ الْكَوْنِ: ٧٠
سُورَةُ التَّكْوِيرِ مِنْ أَخَصِّ السُّوَرِ تَصْوِيرًا لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ: ٧٠
تَقْرِيرُ زَوَالِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفَنَائِهَا: ٧٠
لَفْتُ الانْتِبَاهِ إِلَى الْحِرْصِ عَلَى صُحْبَةِ الْأَخْيَارِ: ٧٠
الْحَثُّ عَلَى الاسْتِعْدَادِ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: ٧١
التَّحْذِيرُ مِنْ ظُلْمِ الضُّعَفَاءِ: ٧١
إِحْصَاءُ اللهِ تَعَالَى لِأَعْمَالِ الْعِبَادِ: ٧١
عَظَمَةُ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي أَقْسَمَ اللهُ بِهَا: ٧١
للهِ تَعَالَى أَنْ يُقْسِمَ بِمَا يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ: ٧١

www.alukah.net

إثْباتُ صِفَةِ الْكَلَامِ للهِ حَقِيقَةً: ٧٢

فَضِيلَةُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ٧٢

الرَّدُّ عَلَى مَنْ وَصَفَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجُنُونِ: ٧٢

إثْباتُ رُؤْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ٧٢

بَرَاءَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْبُخْلِ فِي الْبَلَاغِ: ٧٣

صِدْقُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَنَّ الْقُرْآنَ مُوحًى إِلَيْهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى: ٧٤

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَوْعِظَةٌ لِلنَّاسِ: ٧٤

مَشْرُوعِيَّةُ التَّذْكِيرِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ٧٤

التَّرْغِيبُ فِي طَلَبِ أَسْبَابِ الِاسْتِقَامَةِ عَلَى طَاعَةِ اللهِ: ٧٤

إثْباتُ الْمَشِيئَةِ لِلْعَبْدِ: ٧٥

مَشِيئَةُ الْعَبْدِ تَابِعَةٌ لِمَشِيئَةِ اللهِ: ٧٥

سُورَةُ الِانْفِطَارِ ٧٧

أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ٧٧

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ٧٧

مِنْ فَضَائِلِ السُّورَةِ: ٧٧

شَرْحُ الْآيَاتِ: ٧٨

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ٨١

نِهَايَةُ الْكَوْنِ بِنِهَايَةِ عُمُرِ الدُّنْيَا: ٨١

بَيَانُ الْمَقْصُودِ مِنْ ذِكْرِ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ: ٨١

تَقْرِيرُ أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا: ٨١

تَحْذِيرُ الْإِنْسَانِ مِنْ غُرُورِهِ: ٨١

وُجُوبُ شُكْرِ اللهِ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ: ٨٢

قُدْرَةُ اللهِ تَعَالَى عَلَى إِعَادَةِ الْخَلْقِ أَسْهَلُ مِنِ ابْتِدَائِهِ: ٨٢

التَّكْذِيبُ بِالْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ سَبَبُ الْكُفْرِ: ٨٣

وُجُوبُ الِاسْتِحْيَاءِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: ٨٣

حِفْظُ الْمَلَائِكَةِ لِأَعْمَالِ الْعِبَادِ: ٨٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إِثْبَاتُ الْإِيمَانِ بِوُجُودِ الْمَلَائِكَةِ: ٨٤
الأَبْرَارُ فِي نَعِيمٍ دَائِمٍ: ٨٥
بَيَانُ أَنَّ الْبِرَّ سَبَبٌ لِلنَّعِيمِ، وَالْفُجُورَ سَبَبٌ لِلْجَحِيمِ: ٨٥
الْفُجَّارُ فِي عَذَابٍ دَائِمٍ مُخَلَّدِينَ فِيهِ: ٨٥
حَثُّ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ لِيَوْمٍ لَا يَنْفَعُهُ أَحَدٌ: ٨٦
يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ: ٨٦
سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ ٨٨
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ٨٨
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ٨٨
سَبَبُ النُّزُولِ: ٨٨
شَرْحُ الْآيَاتِ: ٨٩
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ٩٤
التَّحْذِيرُ مِنَ التَّطْفِيفِ وَبَيَانُ خُطُورَةِ ظُلْمِ النَّاسِ: ٩٤
التَّرَابُطُ بَيْنَ التَّطْفِيفِ وَإِنْكَارِ الْبَعْثِ: ٩٥
عُمُومُ التَّطْفِيفِ وَشُمُولُهُ لِغَيْرِ الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ: ٩٦
الْأَمْرُ بِالْأَمَانَةِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْخِيَانَةِ: ٩٦
التَّحَلِّي بِخُلُقِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ عِنْدَ الْمُعَامَلَاتِ: ٩٧
إِثْبَاتُ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ: ٩٧
بَيَانُ عَظَمَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: ٩٨
إِثْبَاتُ رُبُوبِيَّةِ اللهِ تَعَالَى لِجَمِيعِ الْخَلْقِ: ٩٨
يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْلَمُ الْمُطَفِّفُونَ سُوءَ عَمَلِهِمْ: ٩٩
إِثْبَاتُ قِيَامِ النَّاسِ يَوْمَ الْحِسَابِ وَذِكْرُ مَا يَقَعُ فِيهِ مِنَ الشِّدَّةِ: ٩٩
بَيَانُ جَزَاءِ الْفُجَّارِ وَالْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ: ١٠٠
إِحْصَاءُ أَعْمَالِ الْفُجَّارِ: ١٠٠
مِنْ أَسْبَابِ رَدِّ الْقُرْآنِ وَتَكْذِيبِ الْحَقِّ اكْتِسَابُ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي: ١٠٠
قَسْوَةُ الْقُلُوبِ بِكَثْرَةِ الذُّنُوبِ: ١٠١
الْكُفَّارُ لَا يَرَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِخِلَافِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ وَيَتَلَذَّذُونَ بِرُؤْيَتِهِ: ١٠٢

عِظَمُ شَأْنِ كِتَابِ الْأَبْرَارِ بِسُؤَالِ اللهِ تَعَالَى عَنْهُ: ١٠٢
بَعْضُ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: ١٠٢
ذِكْرُ بَعْضِ أَشْرِبَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: ١٠٣
الْحَثُّ عَلَى التَّنَافُسِ لِنَيْلِ نَعِيمِ الْجَنَّةِ، وَتَفَاضُلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الدَّرَجَاتِ: ١٠٣
ذِكْرُ بَعْضِ صِفَاتِ الْكُفَّارِ فِي تَعَامُلِهِمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَالتَّحْذِيرُ مِنْهَا: ١٠٤
إِنْصَافُ اللهِ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْكَافِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ ١٠٤
الْفَرْقُ بَيْنَ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي الْآخِرَةِ: ١٠٥
سُورَةُ الانْشِقَاقِ ١٠٦
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ١٠٦
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ١٠٦
مِنْ فَضَائِلِ السُّورَةِ: ١٠٦
شَرْحُ الْآيَاتِ: ١٠٧
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ١١١
بَيَانُ حَالِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ١١١
الدُّنْيَا دَارُ الْعَمَلِ وَالسَّعْيِ: ١١٢
أَهَمِيَّةُ اسْتِشْعَارِ خَوْفِ اللهِ وَمُلَاقَاتِهِ: ١١٢
يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ الاشْتِغَالُ وَالْكَدْحُ بِطَاعَةِ اللهِ: ١١٢
تَقْرِيرُ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ تَعَبٍ: ١١٣
الْمُؤْمِنُ يُؤْتَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ: ١١٣
كُلُّ النَّاسِ مُحَاسَبُونَ حَتَّى أَصْحَابِ الْيَمِينِ: ١١٣
بَيَانُ حَاجَةِ الْإِنْسَانِ لِأَهْلِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: ١١٣
التَّفْرِيقُ بَيْنَ السُّرُورِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ وَالْجَائِزِ: ١١٤
ذِكْرُ بَعْضِ أَسْبَابِ الْخُسْرَانِ فِي الْآخِرَةِ: ١١٤
يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَا تَنْفَعُ فِيهِ النَّدَامَةُ: ١١٤
مِنْ حِكَمِ إِمْهَالِ الْكَافِرِينَ وَالظَّالِمِينَ: ١١٤
دَلَالَاتُ قَسَمِ اللهِ بِمَا يَشَاءُ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: ١١٥
تَأْكِيدُ الْقَسَمِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَجَوَابُهُ: ١١٦

أَخْذُ الْعِبْرَةِ مِنْ تَقَلُّبَاتِ اللَّيْلِ: ١١٦
الْمُرَادُ بِالشَّفَقِ: ١١٦
إِصْرَارُ الْكُفَّارِ عَلَى كُفْرِهِمْ مَعَ قِيَامِ الْأَدِلَّةِ وَالْبَرَاهِينِ. ١١٧
مَشْرُوعِيَّةُ سُجُودِ التِّلَاوَةِ: ١١٧
التَّحْذِيرُ مِنَ الْكَذِبِ وَشُؤْمِهِ: ١٢٠
تَنَوُّعُ مَفْهُومِ الْبِشَارَةِ بِدَلَالَةِ السِّيَاقِ وَالْحَالِ: ١٢١
بِشَارَةُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْأَجْرِ غَيْرِ الْمُنْقَطِعِ: ١٢١
ضَرُورَةُ تَبْلِيغِ الْآيَاتِ لِلْكُفَّارِ: ١٢١
سُورَةُ الْبُرُوجِ ١٢٣
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ١٢٣
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ مِنَ السُّورَةِ: ١٢٣
شَرْحُ الْآيَاتِ: ١٢٣
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ١٢٩
بَيَانُ جَزَاءِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّصْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْأَجْرِ فِي الْآخِرَةِ. ١٢٩
تَثْبِيتُ الْمُؤْمِنِينَ وَالدُّعَاةِ إِلَى اللهِ ﷻ: ١٢٩
قَسْوَةُ قُلُوبِ الْكُفَّارِ: ١٢٩
الْمُرَادُ بِأَصْحَابِ الْأُخْدُودِ: ١٣٠
فَتْحُ بَابِ التَّوْبَةِ وَالْوَعِيدُ الشَّدِيدُ لِمَنْ آذَى الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ يَتُبْ: ١٣٢
شِدَّةُ انْتِقَامِ اللهِ تَعَالَى مِنَ الْكُفَّارِ وَتَأَكُّدُ وُقُوعِهِ بِهِمْ: ١٣٢
اخْتِلَافُ مَعْنَى (الْمَجِيدِ) لِاخْتِلَافِ الْقِرَاءَةِ، وَبَيَانُ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ كُلٌّ مِنْهُمَا: ١٣٣
إِثْبَاتُ تَوَحُّدِ اللهِ تَعَالَى بِالتَّصَرُّفِ فِيمَا يَشَاءُ: ١٣٤
إِثْبَاتُ الْإِرَادَةِ الْكَوْنِيَّةِ للهِ تَعَالَى: ١٣٤
تَسْلِيَةُ اللهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِحَاطَتُهُ سُبْحَانَهُ بِخَلْقِهِ: ١٣٤
مَكَانَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ١٣٤
كِتَابَةُ كُلِّ مَا هُوَ كَائِنٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ: ١٣٤
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ١٣٦
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ١٣٦

مِنْ فَضَائِلِ السُّورَةِ: ١٣٦
شَرْحُ الْآيَاتِ: ١٣٧
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ١٤٠
اللهُ تَعَالَى يُقْسِمُ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: ١٤٠
تَنْبِيهُ الْإِنْسَانِ بِأَنْ يَتَفَكَّرَ فِيْ أَصْلِ خِلْقَتِهِ: ١٤٠
تَحَقُّقُ الْبَعْثِ وَالرُّجُوعِ إِلَى اللهِ: ١٤٠
ظُهُورُ مَا تُخْفِيهِ الْقُلُوبُ: ١٤٠
ظُهُورُ ضَعْفِ الْإِنْسَانِ وَعَجْزِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ١٤١
دَلَائِلُ الْقَسَمِ بِالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ: ١٤١
دَلَالَاتُ وَصْفِ الْقُرْآنِ بِأَنَّهُ فَصْلٌ وَلَيْسَ هَزْلًا: ١٤١
التَّخَلُّقُ بِالْكَيْدِ وَالِابْتِدَاءِ بِهِ مِنْ صِفَةِ أَعْدَاءِ الرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمْ: ١٤٢
تَطْمِيْنُ الْمُؤْمِنِيْنَ بِعَدَمِ الْخَوْفِ مِنْ كَيْدِ الْكَافِرِيْنَ وَالْمُنَافِقِيْنَ: ١٤٢
لَفْظُ الْكَيْدِ لَا يُذْكَرُ فِيْ حَقِّ اللهِ تَعَالَى إِلَّا عَلَىْ وَجْهِ الْمُقَابَلَةِ: ١٤٣
سُوءُ عَاقِبَةِ كَيْدِ الْكُفَّارِ بِالْمُؤْمِنِيْنَ: ١٤٣
سُورَةُ الْأَعْلَى ١٤٥
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ١٤٥
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ١٤٥
مِنْ فَضَائِلِ السُّورَةِ: ١٤٥
شَرْحُ الْآيَاتِ: ١٤٧
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ١٥٢
الْأَمْرُ بِالتَّسْبِيحِ وَفَضْلُهُ: ١٥٢
تَسْوِيَةُ اللهِ تَعَالَىْ لِخَلْقِهِ عَلَىْ صُوَرٍ مُخْتَلِفَةٍ، لِكُلِّ مَخْلُوقٍ هَيْئَةٌ تُنَاسِبُه: ١٥٣
الِاسْتِدْلَالُ عَلَىْ وُجُوبِ تَنْزِيهِ اللهِ تَعَالَى بِالنَّبَاتِ وَالزَّرْعِ: ١٥٣
الدَّعْوَةُ إِلَى التَّفَكُّرِ فِي إِبْدَاعِ اللهِ فِي خَلْقِهِ: ١٥٣
وَجْهُ تَشْبِيهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالنَّبَاتِ. ١٥٤
لَفْتُ الِانْتِبَاهِ إِلَى مُرَاقَبَةِ اللهِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ: ١٥٤
تَيْسِيرُ اللهِ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِفْظَ الْقُرْآنِ: ١٥٤

بِشارَةُ الله لِنَبِيِّه بِتَيْسيره لِلْيُسْرَى في جَميعِ أُموره، وَيَجْعَلُ شَرْعَهُ ودِينَهُ سَهْلًا مُيَسَّرًا: ١٥٥
أَهْلُ الْخَشْيَةِ هُمْ أَهْلُ التَّذَكُّرِ والاتِّعاظِ، بِخِلافِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ: ١٥٥
وَجْهُ وَصْفِ النَّارِ بِالْكُبْرَى: ١٥٦
الْعَذَابُ وَالْخَسَارُ لِلْكَافِرِ في النَّارِ: ١٥٦
الْفَلاحُ وَالْفَوْزُ لِمَنْ زَكَّى نَفْسَهُ: ١٥٦
التَّزْهيدُ في الدُّنْيَا، وَتَرْقِيقُ الْقُلوبِ بِذِكْرِ الْآخِرَةِ، إِيثَارُهَا عَلَى الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ: ١٥٧
اتِّفاقُ الْقُرْآنِ مَعَ بَقِيَّةِ الشَّرائِعِ، واشْتِمالُهُ عَلَى كُلِّ مَا سَبَقَهُ مِنْ كُتُبٍ: ١٥٧
فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْعَظِيمَةِ أُصولُ الدِّينِ الَّتي جاءَ بِهَا الرُّسُلُ ﷺ: ١٥٨
سُورَةُ الْغَاشِيَةِ ١٥٩
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ١٥٩
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ مِنَ السُّورَةِ: ١٥٩
شَرْحُ الْآيَاتِ: ١٥٩
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ١٦٤
تَقْرِيرُ عَقِيدَةِ الْبَعْثِ وَالْجَزاءِ: ١٦٤
وَصْفُ وُجُوهِ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيامَةِ: ١٦٤
وَصْفُ بَعْضِ طَعَامِ أَهْلِ النَّارِ: ١٦٤
ما يُفِيدُهُ وَصْفُ أَحْوالِ أَهْلِ النَّارِ: ١٦٥
عاقِبَةُ السَّعْيِ والاجْتِهادِ فِي الدُّنْيَا رِضاءُ الله وَالْفَوْزُ بِجَنَّتِه: ١٦٥
بيان بَعْضِ ما أَعَدَّهُ اللهُ تَعَالَى لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: ١٦٥
الدَّعْوَةُ إِلَى التَّأَمُّلِ في خَلْقِ الْإِبِلِ: ١٦٦
بَعْضُ فَوَائِدِ التَّفَكُّرِ في مَخْلُوقَاتِ الله: ١٦٦
أَمْرُ اللهُ تَعَالَى بِالتَّذْكِيرِ، دُونَ الْالْتِفَاتِ إِلَى النَّتِيجَةِ: ١٦٧
أَنَّ مُهِمَّةَ الْأَنْبِياءِ وَالدُّعاةِ هِيَ تَبْلِيغُ الرِّسالَةِ لِلنَّاسِ وَلَيْسَ إِجْبارَهُمْ عَلَى الْهِدَايَةِ: ١٦٧
جَزَاءُ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الذِّكْرَى: ١٦٨
مَصِيرُ الْعِبَادِ وَمَرْجِعُهُمْ: ١٦٨
سُورَةُ الْفَجْرِ ١٦٩
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ١٦٩

شَرْحُ الْآيَاتِ: ١٦٩
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ١٧٥
فَضْلُ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ: ١٧٥
تَوْجِيهُ كَثْرَةِ الْإِقْسَامِ بِاللَّيْلِ: ١٧٦
اتِّعَاظُ أَصْحَابِ الْعُقُولِ بِالْآيَاتِ وَالدَّلَائِلِ الرَّبَّانِيَّةِ: ١٧٧
التَّنْبِيهُ إِلَى الْاعْتِبَارِ بِسُوءِ عَاقِبَةِ الْمُفْسِدِينَ: ١٧٧
إِبْهَامُ الْعَذَابِ الْوَاقِعِ بِالْأُمَمِ السَّابِقَةِ: ١٧٨
بَيَانُ حَقِيقَةِ الدُّنْيَا وَأَنَّهَا دَارُ ابْتِلَاءٍ: ١٧٨
التَّكْرِيمُ الْحَقِيقِيُّ لِلْعَبْدِ أَنْ يُوَفِّقَهُ اللهُ تَعَالَى لِتَقْوَاهُ وَطَاعَتِهِ: ١٧٩
تَنَكُّرُ الإِنْسَانِ لِنِعْمَةِ المَالِ بِعَدَمِ أَدَاءِ مَا يَجِبُ فِيهَا؛ مِنْ إِكْرَامِ الْيَتِيمِ وَإِطْعَامِ الْمِسْكِيْنِ: ١٧٩
التَّرْهِيبُ الشَّدِيْدُ مِنْ عَدَمِ إِكْرَامِ الْيَتِيمِ وَإِطْعَامِ الْمِسْكِينِ: ١٨٠
التَّحْذِيرُ مِنْ أَكْلِ أَمْوَالِ الْمِيرَاثِ: ١٨٠
إِثْبَاتُ صِفَةِ الْمَجِيءِ لله تَعَالَى: ١٨٠
حَقِيقَةُ الدُّنْيَا وَالنَّدَمُ عَلَى التَّفْرِيطِ فِيهَا: ١٨١
التَّهْدِيْدُ وَالْوَعِيْدُ الشَّدِيْدُ لِلْكُفَّارِ وَالْعُصَاةِ: ١٨١
النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ وَمَا يُعِينُ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى مَرْتَبَتِهَا: ١٨١
سُورَةُ الْبَلَدِ ١٨٣
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ١٨٣
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ١٨٣
شَرْحُ الْآيَاتِ: ١٨٣
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ١٨٧
فَضْلُ مَكَّةَ: ١٨٧
عِظَمُ مَنْزِلَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ١٨٧
فَضْلُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذُرِّيَّتِهِ: ١٨٨
الدُّنْيَا جُبِلَتْ عَلَى الْمُعَانَاةِ وَالْمُكَابَدَةِ: ١٨٨
تَحْذِيرُ الْإِنْسَانِ مِنَ الاغْتِرَارِ بِنِعَمِ اللهِ تَعَالَى. ١٨٨
التَّفْرِيقُ بَيْنَ إِنْفَاقِ الْمَالِ فِي الْخَيْرِ، وَإِنْفَاقِهِ فِي الشَّرِّ: ١٨٨

اِطِّلَاعُ اللهِ عَلَى أَفْعَالِ الْخَلْقِ: ١٨٩
وُجُوبُ شُكْرِ اللهِ عَلَى نِعَمِهِ: ١٨٩
وُجُوبُ اقْتِحَامِ الْعَقَبَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ: ١٨٩
مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ اقْتِحَامِ الْعَقَبَةِ وَتَجَاوُزِهَا: إِطْعَامُ الطَّعَامِ: ١٩٠
الاتِّصَافُ بِالْإِيمَانِ وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ وَالْمَرْحَمَةِ: ١٩٠
التَّوَاصِي بِالصَّبْرِ وَالتَّوَاصِي بِالْمَرْحَمَةِ مِنْ أَوْصَافِ الْمُؤْمِنِينَ؛ ولذا حثَّ اللهُ عليهما: ١٩١
الْحِرْصُ عَلَى الرَّفِيقِ الصَّالِحِ: ١٩١
الْإِشَادَةُ بِأَهْلِ الْمَيْمَنَةِ، وَشَرَفِ مَنْزِلَتِهِمْ: ١٩١
سُوءُ عَاقِبَةِ أَصْحَابِ الْمَشْأَمَةِ: ١٩٢
المَقَاصِدُ العَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ١٩٣
شَرْحُ الْآيَاتِ: ١٩٣
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ١٩٦
ذِكْرُ بَعْضِ دَلَالَاتِ قَسَمِ اللهِ بِمَخْلُوقَاتِهِ: ١٩٦
عِنَايَةُ الشَّرِيعَةِ بِتَزْكِيَةِ النَّفْسِ: ١٩٦
مِنْ ثِمَارِ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ الْفَلَاحُ بِكُلِّ مَعَانِيهِ: ١٩٧
أَهَمِّيَّةُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ: ١٩٧
بيانُ أحوال ما أضافه الله لنفسه؛ مثل: ناقة الله: ١٩٨
مِنْ عِبَرِ مَا أَصَابَ ثَمُودَ مِنَ الْعَذَابِ: ١٩٩
اللهُ تَعَالَى لَا يَخَافُ عَاقِبَةَ مَا يَفْعَلُ: ١٩٩
سُورَةُ اللَّيْلِ ٢٠٠
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ٢٠٠
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ٢٠٠
شَرْحُ الْآيَاتِ: ٢٠٠
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ٢٠٤
مِنْ دَلَالَاتِ قَسَمِ اللهِ ﷻ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ: ٢٠٤
الاسْتِدْلَالُ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى: ٢٠٤
أَعْمَالُ الْعِبَادِ مُفْتَرِقَةٌ وَمُتَفَاوِتَةٌ: ٢٠٤

بَيَانُ مَنْزِلَةِ الْبَذْلِ والتَّقْوىْ والتَّصْدِيْق بِالْحُسْنَىْ: ٢٠٤

ذَمُّ الْبُخْلِ وَالْاسْتِغْنَاء عَنِ الْعِبَادَةِ وَالتَّكْذِيْبِ بِالْحُسْنَىْ: ٢٠٥

التَّحْذِيرُ مِنْ طُغْيَانِ الْمَالِ: ٢٠٦

تَيْسِيرُ اللهِ تَعَالَى أَسْبَابَ الْهِدَايَةِ لِمَنِ اخْتَارَ طَرِيقَهَا: ٢٠٦

اللهُ تَعَالَىْ لَهُ الْمُلْكُ كُلُّهُ: ٢٠٦

التَّخْوِيفُ مِنَ النَّارِ: ٢٠٧

صِفَاتُ الشَّقِيِّ وَمَصِيْرُهُم: ٢٠٨

صِفَاتُ الْمُتَّقِينَ وَمَصِيْرهم: ٢٠٨

فَضِيلَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ٢٠٩

إِثْبَاتُ صِفَتَي الْوَجْهِ وَالْعُلُوِّ للهِ تَعَالَى: ٢١٠

إِرْضَاءُ اللهِ لِمَنْ أَنْفَقَ للهِ: ٢١٠

أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ٢١٢

سَبَبُ النُّزُولِ: ٢١٢

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ مِنَ السُّورَةِ: ٢١٢

شَرْحُ الْآيَاتِ: ٢١٣

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ٢١٥

مَكَانَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ٢١٥

الْمُقَارَنَةُ بَيْنَ خَيْرِ الْآخِرَةِ وَزَيْفِ الدُّنْيَا: ٢١٥

بَيَانُ بَعْضِ مَا تَفَضَّلَ اللهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ٢١٥

التَّذْكِيرُ بِامْتِنَانِ اللهِ ﷻ عَلَى النَّاسِ مِنْ لُطْفِهِ وَهِدَايَتِهِ وَإِغْنَائِهِ: ٢١٨

التَّحْذِيرُ مِنَ الْإِسَاءَةِ إِلَىْ الْيَتِيمِ وَالسَّائِلِ: ٢١٨

بَيَانُ حُكْمِ التَّحَدُّثِ بِالنِّعَمِ بَيْنَ الْمَشْرُوعِ وَالْمَمْنُوعِ: ٢١٨

أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ٢٢٠

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ٢٢٠

شَرْحُ الْآيَاتِ: ٢٢٠

بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ٢٢١

بَيَانُ عَظِيمِ نِعْمَةِ انْشِرَاحِ الصَّدْرِ: ٢٢١

غُفْرَانُ اللهِ تَعَالَى ذُنُوبَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ٢٢٢
ضَرَرُ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِيْ عَلَى قَلْبِ الْمُؤْمِنِ: ٢٢٣
لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ: ٢٢٣
الْأَمْرُ بِاسْتِغْلَالِ الْوَقْتِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ: ٢٢٤
الْحَثُّ عَلَى الرَّغْبَةِ فِيمَا عِنْدَ اللهِ، وَاطِّرَاحِ الرَّغْبَةِ فِيمَنْ عَدَاهُ، فِي كُلِّ شَيْءٍ: ٢٢٤
إثبات توحيد الربوبية والألوهية: ٢٢٥
سُورَةُ التِّين ٢٢٧
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ٢٢٧
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ مِنَ السُّورَةِ: ٢٢٧
مِنْ فَضَائِلِ السُّورَةِ: ٢٢٧
شَرْحُ الْآيَاتِ: ٢٢٨
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ٢٣٠
دَلَائِلُ الْقَسَمِ بِالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَالطُّورِ وَالْبَلَدِ الْأَمِينِ: ٢٣٠
فَضْلُ شَجَرَتَي التِّينِ وَالزَّيْتُونِ: ٢٣٠
دَلَائِلُ خَلْقِ اللهِ لِلْإِنْسَانِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ وَتَقْوِيمٍ: ٢٣١
خَطَرُ الْغَفْلَةِ عَنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ: ٢٣١
أَهَمِّيَّةُ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَبَيَانُ جُودِ اللهِ: ٢٣١
اسْتِفَاضَةُ الْأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى: ٢٣٢
عَدْلُ اللهِ تَعَالَى الْمُطْلَقُ: ٢٣٢
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ٢٣٣
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ٢٣٣
سَبَبُ النُّزُولِ: ٢٣٣
مِنْ فَضَائِلِ السُّورَةِ: ٢٣٤
شَرْحُ الْآيَاتِ: ٢٣٦
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ٢٣٩
الْحَثُّ عَلَى الْقِرَاءَةِ وَطَلَبِ الْعِلْمِ: ٢٣٩
التَّنْبِيهُ إِلَى الِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ تَعَالَى وَبِاسْمِهِ عِنْدَ بَدْءِ الْعَمَلِ، وَمِنْهُ الْقِرَاءَةُ: ٢٣٩
اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لِذَا اسْتَحَقَّ الْعِبَادَةَ وَحْدَهُ: ٢٣٩

الْإِشَارَةُ إِلَىٰ بَعْضِ مَرَاحِلِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ: ٢٤٠
اللهُ الْأَكْرَمُ: ٢٤١
مَنْزِلَةُ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ: ٢٤١
التَّرْهِيبُ مِنَ الطُّغْيَانِ بِالْمَالِ وَالْقُوَّةِ: ٢٤١
النَّهْيُ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَمُحَارَبَةُ أَهْلِهِ مِنْ صِفَاتِ الْكُفَّارِ: ٢٤٢
كَمَالُ عُبُودِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ٢٤٢
قُبْحِ التَّكْذِيبِ بِالْحَقِّ: ٢٤٣
مِنْ أَسْرَارِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾: ٢٤٣
إِهْلَاكُ اللهِ لِأَبِي جَهْلٍ دِفَاعًا عَنْ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ٢٤٤
التَّنْوِيهُ إِلَىٰ مَنْزِلَةِ السُّجُودِ وَفَضْلِهِ: ٢٤٥
مَشْرُوعِيَّةُ السُّجُودِ لِلْمُسْلِمِ فِي سُورَةِ الْعَلَقِ: ٢٤٦
النَّهْيُ عَنْ طَاعَةِ الْمَخْلُوقِ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ: ٢٤٧
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ٢٤٨
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ٢٤٨
شَرْحُ الْآيَاتِ: ٢٤٨
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ٢٤٩
الْحِكْمَةُ مِنْ إِنْزَالِ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: ٢٤٩
نُزُولُ الْقُرْآنِ جُمْلَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ نَزَلَ مُنَجَّمًا: ٢٥٠
فَضْلُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَذِكْرُ بَعْضِ مَا تَعَلَّقَ بِهَا مِنَ الْأَحْكَامِ: ٢٥٠
دَلَائِلُ نُزُولِ الْمَلَائِكَةِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: ٢٥٣
لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ سَلَامٍ وَخَيْرٍ: ٢٥٣
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ٢٥٥
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ مِنَ السُّورَةِ: ٢٥٥
مِنْ فَضَائِلِ السُّورَةِ: ٢٥٥
شَرْحُ الْآيَاتِ: ٢٥٦
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ٢٥٨
كُفْرُ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ وَالْحُكْمُ عَلَىٰ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ مِنْهُمْ: ٢٥٨

أَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى الرُّسُلَ لِيُقِيمُوا الْحُجَّةَ عَلَى النَّاسِ؛ فَيَنْقَطِعُ عُذْرُهُمْ: ٢٥٨
عُمُومُ رِسَالَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَالَمِينَ: ٢٥٩
الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ كِتَابٌ قَيِّمٌ لَا عِوَجَ فِيهِ: ٢٥٩
تَكْذِيبُ أَهْلِ الْكِتَابِ بِالْبَيِّنَةِ: ٢٦٠
الإِشَارَةُ إِلَى التَّحْذِيرِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ التَّفَرُّقِ فِي الدِّينِ إِلَى مَذَاهِبَ وَشِيَعٍ شَتَّى: ٢٦٠
الدَّعْوَةُ إِلَى إِفْرَادِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ بِالْعِبَادَةِ هِيَ دَعْوَةُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ: ٢٦٠
أَنَّ الْإِخْلَاصَ للهِ تَعَالَى هُوَ حَقِيقَةُ الدِّينِ، وَمِفْتَاحُ دَعْوَةِ الْمُرْسَلِينَ: ٢٦١
بَيَانُ أَهَمِّيَّةِ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ: ٢٦١
سُوءُ حَالِ وَمُنْقَلَبِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ: ٢٦٢
فَلَاحُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: ٢٦٢
دَلَائِلُ رِضَاءِ اللهِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَرِضَاهُمْ عَنْهُ: ٢٦٢
جَزَاءُ أَهْلِ الْخَشْيَةِ مِنَ اللهِ: ٢٦٤
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ٢٦٥
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ٢٦٥
مِنْ فَضَائِلِ السُّورَةِ: ٢٦٥
شَرْحُ الْآيَاتِ: ٢٦٦
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ٢٦٨
عِظَمُ الْخَطْبِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ٢٦٨
بَعْضُ مَا يَحْصُلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَهْوَالِ: ٢٦٨
رُؤْيَةُ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ٢٦٩
عَدَمُ الِاسْتِهَانَةِ بِالْأَعْمَالِ خَيْرًا أَوْ شَرًّا وَإِنْ صَغُرَتْ: ٢٧٠
أَعْظَمُ الْمَوَاعِظِ الْبَلِيغَةِ فِي الْقُرْآنِ: ٢٧١
سُورَةُ الْعَادِيَاتِ ٢٧٣
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ٢٧٣
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ٢٧٣
شَرْحُ الْآيَاتِ: ٢٧٣
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ٢٧٥

فَضْلُ الْخَيْلِ: ٢٧٥
الوَقْتُ الأَفْضَلُ لِلْإِغَارَةِ فِيْ الْجِهَادِ فِي سَبِيْلِ اللهِ: ٢٧٥
مِنْ أَوْصَافِ الْإِنْسَانِ: جَحْدُ النِّعَمِ وَحُبُّ الْمَالِ: ٢٧٦
إِثْبَاتُ الْبَعْثِ مِنَ الْقُبُورِ: ٢٧٦
مَنْزِلَةُ الْقُلُوبِ وَأَهَمِّيَّةُ الاِعْتِنَاءِ بِهَا: ٢٧٦
وَعْدُ اللهِ وَوَعِيدُهُ: ٢٧٧
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ٢٧٨
شَرْحُ الْآيَاتِ: ٢٧٨
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ٢٨٠
تَسْمِيَةُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِالْقَارِعَةِ وَتَهْوِيلُ شَأْنِهَا: ٢٨٠
ذِكْرُ بَعْضِ أَحْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: ٢٨٠
السَّبِيلُ إِلى الْعِيشَةِ الرَّاضِيَةِ: ٢٨١
خُسْرَانُ مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَدْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ: ٢٨١
سُورَةُ التَّكَاثُرِ ٢٨٣
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ٢٨٣
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ٢٨٣
شَرْحُ الْآيَاتِ: ٢٨٣
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ٢٨٥
التَّحْذِيرُ مِنَ اللَّهْوِ بِمَا يَتَكَاثَرُ بِهِ النَّاسُ وَيَفْتَخِرُونَ بِهِ: ٢٨٥
إِثْبَاتُ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمَشْرُوعِيَّةُ زِيَارَةِ الْقُبُورِ: ٢٨٥
التَّرْهِيبُ مِمَّا سَيُلَاقِي الْمَرْءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ٢٨٦
السُّؤَالُ عَنِ النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ٢٨٧
سُورَةُ الْعَصْرِ ٢٨٩
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ٢٨٩
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ٢٨٩
شَرْحُ الْآيَاتِ: ٢٨٩
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ٢٩٠
مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةِ الْعَصْرِ مِنْ مَرَاتِبَ: ٢٩٠

دَلَائِلُ الْقَسَمِ بِالْعَصْرِ: ٢٩١
خَسارَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ كَفَرَ بِاللهِ: ٢٩٢
أَسْبَابُ النَّجَاةِ وَالْفَوْزِ فِي الْآخِرَةِ: ٢٩٢
سُورَةُ الْهُمَزَةِ ٢٩٤
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ٢٩٤
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ٢٩٤
شَرْحُ الْآيَاتِ: ٢٩٤
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ٢٩٥
خَطَرُ الْهَمْزِ وَاللَّمْزِ: ٢٩٥
ذَمُّ جَمْعِ الْمَالِ مَعَ الطُّغْيَانِ وَالْغُرُورِ: ٢٩٦
الْحَثُّ عَلَى التَّوَاضُعِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ: ٢٩٧
وَصْفُ النَّارِ بِالْحُطَمَةِ وَشِدَّةُ هَوْلِ عَذَابِهَا: ٢٩٧
سُورَةُ الْفِيلِ ٢٩٩
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ٢٩٩
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ٢٩٩
شَرْحُ الْآيَاتِ: ٢٩٩
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ٣٠٠
بَعْضُ الْحِكَمِ مِنَ التَّذْكِيرِ بِقِصَّةِ أَصْحَابِ الْفِيلِ: ٣٠٠
الْإِخْبَارُ بِمَصِيرِ أَصْحَابِ الْفِيلِ: ٣٠١
بَيَانُ كَيْفِيَّةِ إِهْلَاكِ اللهِ لِأَصْحَابِ الْفِيلِ: ٣٠١
دُرُوسٌ وَعِبَرٌ مِنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْفِيلِ: ٣٠٢
سُورَةُ قُرَيْشٍ ٣٠٣
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ٣٠٣
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ٣٠٣
شَرْحُ الْآيَاتِ: ٣٠٣
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ٣٠٤
فَضْلُ مَكَّةَ وَمِنَّةُ اللهِ تَعَالَى عَلَى أَهْلِهَا وَعَلَى قُرَيْشٍ خَاصَّةً: ٣٠٤
بَعْضُ الْحِكَمِ مِنْ ذِكْرِ مِنَنِ اللهِ عَلَى قُرَيْشٍ: ٣٠٤
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ٣٠٦

الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ٣٠٦
شَرْحُ الْآيَاتِ: ٣٠٦
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ٣٠٧
الْحَثُّ عَلَى رِعَايَةِ الْيَتَامَى وَإِطْعَامِ الْمَسَاكِيْنِ. ٣٠٧
التَّرْهِيبُ مِنَ السَّهْوِ عَنِ الصَّلَاةِ وَإِضَاعَتِهَا: ٣٠٨
خَطَرُ الرِّيَاءِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: ٣٠٩
بَذْلُ الْمَعْرُوفِ وَمَشْرُوعِيَّةُ الْعَارِيَةِ: ٣١٠
سُورَةُ الْكَوْثَرِ ٣١٢
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ٣١٢
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ٣١٢
مِنْ فَضَائِلِ السُّورَةِ: ٣١٢
شَرْحُ الْآيَاتِ: ٣١٤
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ٣١٤
بَيَانُ عَظَمَةِ مَنْزِلَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ٣١٤
الْكَوْثَرُ بِشَارَةٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَتْبَاعِهِ: ٣١٥
مِنْ أَحْكَامِ الْفِقْهِ فِي السُّورَةِ: ٣١٥
عِظَمُ شَأْنِ عِبَادَةِ الذَّبْحِ لله: ٣١٧
الصَّلَاةُ وَالذَّبْحُ لله مِنْ شُكْرِ نِعَمِ الله: ٣١٧
تَسْلِيَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَتْبَاعِهِ: ٣١٨
أَهَمِّيَّةُ الْإِخْلَاصِ وَالاتِّبَاعِ: ٣١٩
سُورَةُ الْكَافِرُونَ ٣٢١
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ٣٢١
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ٣٢١
مِنْ فَضَائِلِ السُّورَةِ: ٣٢١
شَرْحُ الْآيَاتِ: ٣٢٢
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ٣٢٣
تَضَمُّنُ سُورَةِ الْكَافِرُونَ الْبَرَاءَةَ مِنَ الشِّرْكِ: ٣٢٣
وُجُوبُ الْمُفَاصَلَةِ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَأَهْلِ الشِّرْكِ: ٣٢٣

سِرُّ التَّكْرارِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾: ٣٢٤
الْبَرَاءَةُ مِنَ الْكُفْرِ وَأَهْلِهِ: ٣٢٥
الْكُفْرُ مِلَّةٌ وَاحِدَةٌ حُكْمًا: ٣٢٥
الثَّبَاتُ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ: ٣٢٦
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ٣٢٧
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ٣٢٧
مِنْ فَضَائِلِ السُّورَةِ: ٣٢٧
شَرْحُ الْآيَاتِ: ٣٢٩
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ٣٣٠
الْبِشَارَةُ بِكَثْرَةِ دُخُولِ النَّاسِ فِي دِينِ اللهِ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ: ٣٣٠
نُصْرَةُ اللهِ لِدِينِهِ مُحَقَّقَةٌ لَا مَحَالَةَ: ٣٣١
النَّصْرُ بِيَدِ اللهِ: ٣٣١
دُنُوُّ أَجَلِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: ٣٣١
اسْتِحْبَابُ تَكْثِيرِ الْعِبَادَةِ آخِرَ الْعُمُرِ: ٣٣٢
مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ ﷻ: التَّوَّابُ: ٣٣٢
مِنْ صِيَغِ التَّسْبِيحِ وَالْحَمْدِ وَالِاسْتِغْفَارِ: ٣٣٢
الْأَمْرُ بِالِاسْتِغْفَارِ فِي خِتَامِ الْعَمَلِ: ٣٣٣
اقْتِرَانُ التَّسْبِيحِ بِالْحَمْدِ، وَهُمَا بِالِاسْتِغْفَارِ: ٣٣٣
أَمْرُ اللهِ لِنَبِيِّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بِالِاسْتِغْفَارِ: ٣٣٤
النَّصْرُ مَعَ الصَّبْرِ. ٣٣٤
سُورَةُ الْمَسَدِ ٣٣٥
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ٣٣٥
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ٣٣٥
سَبَبُ النُّزُولِ: ٣٣٥
شَرْحُ الْآيَاتِ: ٣٣٦
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ٣٣٧
أَوَّلًا: أَبُو لَهَبٍ وَمَا قِيلَ فِي كُنْيَتِهِ: ٣٣٧

ثانيًا: هَلَاكُ أَبِي لَهَبٍ وَكُلِّ مَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُ: ٣٣٧
ثالثًا: الْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ: ٣٣٧
رابعًا: الْعِبْرَةُ بِالتَّقْوَى وَالإِيمَانِ لَا بِالنَّسَبِ: ٣٣٨
مُنَاسَبَةُ كُنْيَةِ أَبِي لَهَبٍ لِجَزَائِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ٣٣٩
التنبيهُ مِنْ فِتْنَةِ الْمَالِ وَالْوَلَدِ: ٣٣٩
الْوَلَدُ مِنْ كَسْبِ الْإِنْسَانِ: ٣٣٩
خَطَرُ مُعَادَاةِ دِينِ اللهِ وَالْعَوْنِ عَلَى ذَلِكَ: ٣٤٠
عَدَاوَةُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى الْإِنْسَانِ: ٣٤٠
التَّحْذِيرُ مِنْ أَذِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ٣٤١
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ٣٤٣
الْمَقَاصِدُ الْعَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ٣٤٣
سَبَبُ النُّزُولِ: ٣٤٣
مِنْ فَضَائِلِ سُورَةِ الإِخْلَاصِ: ٣٤٤
مِنْ فَضَائِلِ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ مَعَ سُورَتَيْ (الْفَلَقِ وَالنَّاسِ): ٣٤٧
شَرْحُ الْآيَاتِ: ٣٤٩
بَعْضُ الْفَوَائِدِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ٣٥١
تَجَلِّي الْوَحْدَانِيَّةِ وَالصَّمَدِيَّةِ: ٣٥١
شَرَفُ الْإِخْلَاصِ: ٣٥٢
كَمَالُ صِفَاتِ اللهِ وَأَسْمَائِهِ: ٣٥٢
اجْتِمَاعُ أُصُولِ التَّوْحِيدِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ: ٣٥٣
تَضَمُّنُ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ لِأَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ الثَّلَاثَةِ: ٣٥٣
إِثْبَاتُ صِفَةِ الْكَلَامِ للهِ: ٣٥٤
وَظِيفَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِيَ الْبَلَاغُ: ٣٥٤
دَلَالَةُ اسْمِ اللهِ الْجَامِعِ (اللهُ): ٣٥٥
دَلَالَاتُ اسْمِ اللهِ (الْأَحَدُ): ٣٥٦
دَلَالَاتُ اسْمِ اللهِ (الصَّمَدُ): ٣٥٦

نَفْيُ الْوَلَدِ عَنِ اللهِ : ٣٥٧
لا فَنَاءَ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى : ٣٥٩
الْجَمْعُ بَيْنَ الإِثْبَاتِ وَالنَّفْيِ : ٣٥٩
الرَّدُّ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ. ٣٥٩
كَمَالُ غِنَى اللهِ عَنْ خَلْقِهِ : ٣٦٠
الْحَثُّ عَلَى طَلَبِ الرِّزْقِ : ٣٦٠
نَفْيُ الشَّبِيهِ وَالْمُمَاثِلِ عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : ٣٦٠
الْحِكْمَةُ مِنْ تَخْصِيصِ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ بِنَفْيِ الْوَلَدِ عَنِ اللهِ : ٣٦١
سُورَةُ الفَلَق ٣٦٢
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ٣٦٢
المَقَاصِدُ العَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ٣٦٢
مِنْ فَضَائِلِ سُورَتَيْ (الفَلَق والنَّاس) مَعًا: ٣٦٢
شَرْحُ الْآيَاتِ: ٣٦٤
بَعْضُ الفَوَائِدِ المُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ٣٦٥
حُرْمَةُ الاسْتِعَاذَةِ بِغَيْرِ اللهِ : ٣٦٥
لَيْسَ مِنَ الْأَدَبِ وَصْفُ اللهِ بِأَنَّهُ خَالِقُ الشَّرِّ : ٣٦٥
مَشْرُوعِيَّةُ الاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ اللَّيْلِ : ٣٦٦
مَشْرُوعِيَّةُ الاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ كُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ : ٣٦٦
عِظَمُ السِّحْرِ وَخَطَرُهُ : ٣٦٧
بَيَانُ خَطَرِ الْحَسَدِ : ٣٦٨
أَسْمَاءُ السُّورَةِ: ٣٧٠
المَقَاصِدُ العَامَّةُ لِلسُّورَةِ: ٣٧٠
شَرْحُ الْآيَاتِ: ٣٧٠
بَعْضُ الفَوَائِدِ المُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْآيَاتِ: ٣٧١
الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُسْتَعَاذِ مِنْهُ فِي سُورَةِ الْفَلَقِ وَالَّذِي فِي سُورَةِ النَّاسِ : ٣٧١
مَشْرُوعِيَّةُ الاسْتِعَاذَةِ بِاللهِ الْمُتَّصِفِ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْمُلْكِ وَالْأُلُوهِيَّةِ : ٣٧٢
الْحَاجَةُ إِلَى الاسْتِعَاذَةِ مِنَ الْوَسْوَاسِ : ٣٧٣

صِفَةُ الْوَسْوَاسِ وَمَحَلُّهُ : ٣٧٤
ذِكْرُ الْمُسْتَعَاذِ مِنْهُ : ٣٧٦
عَدَمُ الْمُؤَاخَذَةِ عَلَى الْوَسَاوِسِ مَا لَمْ تُثْمِرْ قَوْلًا أَوْ عَمَلًا : ٣٧٦
أهم المصادر والمراجع ٣٧٨
فهرس المحتويات ٣٩٢